

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة



الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: الفلسفة

مخبر التوطين مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الشعبة: الفلسفة

الميدان: العلوم الاجتماعية

الاختصاص: فلسفة تطبيقية

من إعداد:

إيمان خالف

عنوان

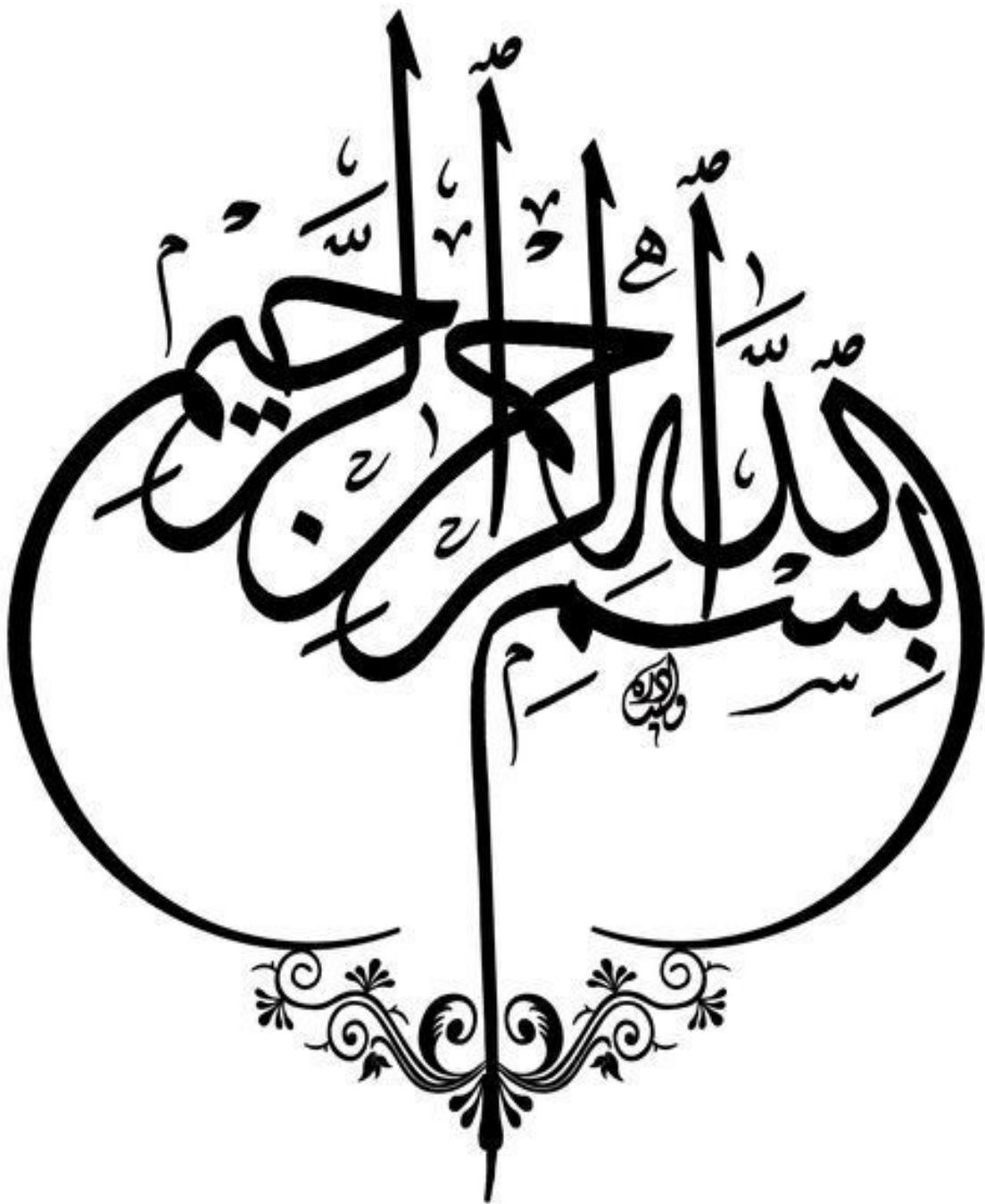
الإنسانية المتحولة: من فلسفة الحياة إلى فلسفة الإنسان عند لوك فيري

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ: 2025/06/03

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	المنصب
السيد سعودي كحول	أستاذ مساعد محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
السيد كمال حاج علي	أستاذ مساعد محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
السيد عبد الحليم بلواهم	أستاذ مساعد محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	متحثنا
السيد رشيد دحدوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 2	متحثنا
السيد عيادي عبد المالك	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	متحثنا

السنة الجامعية: 2024-2025



قال الله تعالى: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ"

(الجمعة/4)

شكراً وتقدير وامتنان

الحمد لله أولاً الذي منّ علىّ ووفقني في إتمام هذا العمل

أتوجه بآسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير لأستاذي ومحبتي
الأستاذ الدكتور: "حاج علي كمال" الذي رافقني بتوجيهاته ونصائحه
ومساعداته طول مراحل إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة
على تفضيلهم بقبول مناقشة وتقدير هذه الأطروحة.

كما لا يفوتي أن أتوجه بشكري الخالص لجميع أساتذة وموظفي
قسم الفلسفة بجامعة قالمة على نبل أخلاقهم ورحابة صدرهم

كما أتقدم بشكري وامتناني إلى كل من
ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا
العمل





إهداء

إلى روح فقيدة قلبي.. أمي الغائبة عني بجسدها والحاضرة دوماً في قلبي

إلى أبي الغالي.. سندِي في الحياة

إلى كل أفراد عائلتي وأخص بالذكر زوجي وأبنائي: محمد إسلام ويانيس، وأختي
مريم الذين تحملوا معِي مشقة النجاح هذا العمل.

إلى كل من آمن بي وساعدني على النجاح هذه الأطروحة خاصة: مروة، أميرة،
سيرين، نهى، إيمان

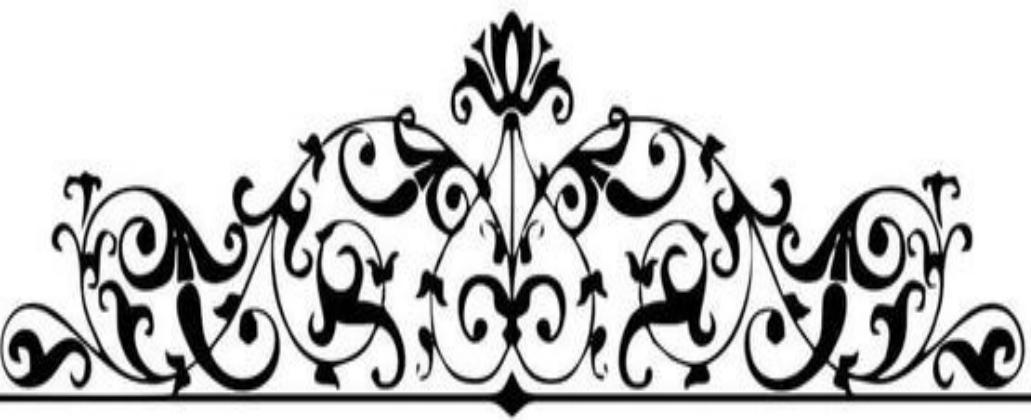
إلى كل من نسيه قلمي وهو في قلبي

إلى كل محب للحكمة

إلى الأرواح التي أبيدت في غزة بواسطة التقنيات الفائقة بعد أن انحرفت عن
غايتها المتمثلة في تخلص البشر من المعاناة.

اهدي هذا العمل





مقدمة



تعتبر حركة الإنسانية المتحولة أكثر من مجرد يوتيوبيا بسيطة أو مدرسة فكرية جديدة أو أيديولوجيا عصرية، فهي في واقع الأمر مشروع علمي فلسي قيد التنفيذ بالفعل، حيث يدافع عن استخدام أحدث التقنيات الناشئة —من علم الوراثة الحيوية إلى الحوسبة، ومن تكنولوجيا النانو إلى العلوم المعرفية والروبوتات والذكاء الاصطناعي— بهدف واضح يتمثل في زيادة القدرات الجسدية والمعرفية والحسية والذهنية والعاطفية للبشر بشكل كبير، خاصة وأن التطور البشري يستلزم تغيير نموذج التمركز الإنساني الذي تدافع عنه النزعة الإنسانية، ويهدف إلى اختراق حدود الطبيعة التي كنا نعتبرها حتى وقت قريب غير قابلة للتغلب عليها، من أجل تصميم نوع جديد أكثر تطويراً من الإنسان العاقل أي الإنسان الفائق، وبذلك قدمت مفهوماً جديداً للإنسان يتجاوز الطرح الكلاسيكي القائم ثنائية الجسد والعقل، نحو تصور جديد قائماً على أن للجسد دور قوي في تشكيل ذاتنا، ومع ذلك أثيرت حول الأفكار التي تدعو إليها هذه الحركة انتقادات شديدة، على اعتبار أن أهدافها تمثل انتهاكاً لمفهوم الإنسان، ومن هذا المنطلق تباينت الآراء بين مؤيد مبشر، ومعارض محذر، وتشكل هذه الثنائية محور فكر الفيلسوف والسياسي الفرنسي **لوك فيري Luc Fery** الذي اعتقد بأن هذه الحركة تسعى لإخراج الإنسان إلى ما هو أبعد وأقوى من حالته العادية، من خلال تسخير جميع التقنيات الفائقة لتعزيز قدراته، معتبراً أنها حركة تبحث لها عن مواطئ قدم في عصرنا وتتناغم مع الآفاق غير المحددة للمستقبل.

سيوافق **لوك فيري** وهو عراب الإنسانية المتحولة في فرنسا —على جسارة هذا المشروع ووعوده المبهرة، التي ستخلص الإنسانية من الشيخوخة والموت والعجز والنقص والوهن عموماً، كل هذه التحولات البيوتقنية المتوجهة نحو الطبيعة البشرية أطلق عليها فيري اسم "ثورة الإنسانية المتحولة"، معتبراً أنها تسعى إلى جعل الإنسان أكثر إنسانية والارتقاء به إلى وضع أفضل، كما يتوجه في خطابه إلى أبعد من ذلك، حيث يلقي اللوم على سياسي وصانعي القرار في فرنسا بأنهم متاخرين جداً في هذا المجال عن الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب نزعتهم البيو محافظطة التي استلهموها من فلسفة الأنوار.

ينبع اهتمام **لوك فيري** بالإنسانية المتحولة من اهتمامه بمشكلة أزمة غياب المعنى أو معنى الحياة التي أفرزها نمط الحياة المعاصرة، وبذلك فإن حركة الإنسانية المتحولة تمثل سمة من سمات الوضع الفكري الذي نحن فيه، فهي تعبر عن لحظة تاريخية تتبع إطاراً خطابياً مختلفاً عن المفارقات الخطابية التي تسببت في أزمة الإنسان المعاصر أو موت الإنسان بالتعبير الفوكاوي، ومن هنا جاءت الدعوات إلى ضرورة تجاوز الإنسان لذاته، وقد تدعمت هذه

الفكرة أكثر بفضل التطورات التقنية المعاصرة، حيث تم التخلص من فكرة الإنسان الفكري العلاجي نحو فكرة الإنسان ككيان بيولوجي.

إن الفلسفة التي قدمها لوک فيري وأثرى بها الفكر الإنساني جعلت من الوضع الإنساني الراهن الهم الفلسفي الذي لابد من تداوله وفتح حوار واسع وشامل بين كل الفلسفات للنظر في الأبعاد التي من شأنها أن تخرجه من دائرة التأزم والمساوة إلى أفق السعادة المنشودة.

يكتسب الموضوع الذي بين أيدينا أهمية بالغة، خاصة في الفكر المعاصر، لأنه يتعلّق بالحديث عن صميم الواقع الراهن للإنسان ومعاناته اليومية مع ذاته ومع غيره ومع العالم، وعليه تتمحور هذه الدراسة أساساً حول تحولات مفهوم الإنسان وفكرة تعزيز قدراته تقنياً ورقياً للتغلب على القصور والعجز من إعاقة وآلم وتعب ومرض ناهيك عن الشيخوخة والموت باعتبارهما صفات تحاصر الإنسان بحدوده الراهنة الواهنة والوصول به إلى إنسان أكثر قوة وذكاءً أي إنسان فائق، وما يتبع ذلك من إعادة صياغة مفاهيم عدّة من قبيل: الطبيعة والهوية، القيم الأخلاقية، الحقوق والكرامة الإنسانية، بل قد يفرز العديد من التغييرات الجوهرية التي قد تطال المجالات الاقتصادية والسياسية والدينية، وخصوصاً أن مثل هذا الموضوع الشيق والحيوي والذي لا يزال البحث فيه جنانياً خاصة عربياً، لهذا فهو يستحق اليوم تسلیط الضوء عليه ليتمكن القارئ من أن يكون على اطلاع دائم بمستجدات الحاضر واستشراف المستقبل القادم بما يحمله من قضايا علمية مذهلة، ربما لم يخطر على بال إنسان التفكير فيها، مقارنة بالباحثين في الغرب - خاصة الأمريكي منه - الذين قطعوا أشواطاً جدًّا مهمة في رؤيتهم وتتصورهم للمستقبل، لهذا يمثل هذا الموضوع رهاناً للفكر الفلسفـي عامـة والبيـوـإـتـيـقـي على وجه التـحـدـيدـ، الذي يسعى دائماً لأـخـلـقـةـ الـافـرـاطـ الـتـكـنـوـلـوـجـيـ وـالـحرـصـ عـلـىـ مـصـلـحةـ إـنـسـانـ وـكـرـامـتـهـ وـمـصـيـرـهـ.

بناءً على ذلك، نسعى من خلال هذه الأطروحة إلى تعريف القارئ العربي خاصة بهذا الموضوع شبه الغائب في سياقنا، رغم كونه من تداعيات ما بعد الحداثة، كما أنه يمثل الدراسات الحالية التي لا يزال الباحثون يستغلون عليها، كما سنركز على استكشاف المفاهيم المختلفة للإنسانية المتحولة وتقدير تأثير تطبيقاتها على الإنسان والمجتمع، وتحليل القضايا الأخلاقية المرتبطة بها، واقتراح إطار عمل لتطوير علاقة إيجابية بين الإنسان والتكنولوجيا.

لعل أهمية الموضوع المشار إليها آنفاً، كانت من الأسباب الوجيهة التي دفعتنا لمعالجته، إضافة إلى عوامل أخرى منها الذاتية ومنها الموضوعية، فمن الناحية الذاتية، ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو اقتتناعنا بأهميته

وراهنيته، وكذا ميلنا الشخصي والجذابنا نحو مثل هكذا مواضيع تمس المستقبل الإنساني في ظل التطور البيوتكنولوجي وإمكانية تعزيز وتعديل الإنسان تحقيقاً لرغبته الدائمة في بلوغ الكمال ورثما الخلود. وباعتبار أن حب المعرفة والفضول طبيعة في العقل الإنساني تدفعه للبحث والدراسة، من هنا شكل موضوع الإنسانية المتحولة هاجساً لنا دفعنا إلى التعمق في فهم مضامينها واتجاهاتها وجنودها التاريخية وداعياتها على الإنسان و مجالات حياته.

أما عن الدافع ذات الدلالة الموضوعية، فكان أهم دافع هو إثراء المكتبة العربية خاصة بمثل هذه الموضوعات التي تشهد ندرة وشحا فيها، نتيجة راهنية الموضوع - كما ذكر سابقاً - وليس تقسيراً من الباحثين، خاصة وأنه لا يزال يطرح على طاولة النقاش، ولم يلق الترحيب من قبل الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين إلا مؤخراً.

ولقد أتى اختيارنا لنموذج لوك فيري كموضوع لبحثنا وموافقه حول فلسفة الإنسانية المتحولة، نظراً لطرحه الموضوعي وتعامله الشفاف الخالي من التحيزات اللاهوتية والأخلاقية المتعالية لقضاياها، هذا في ظل وجود اتجاهين رئيسيين، الأول يصبوا إلى توقيف مثل هذه التقنيات ويجرم مساعي هذه الحركة باسم الحفاظ على الطبيعة البشرية، والثاني يسمح بكل شيء باسم التقدم وضرورة التحرر من القيود البيولوجية والسيكولوجية لصالح سعادة الإنسان.

تعلق الإشكالية الرئيسية في هذه الأطروحة بمشروع الإنسانية المتحولة ودعوتها الصرحة إلى تغيير طبيعة الكائن البشري، وتداعيات ذلك على مفهومه وكونيته وقيمه وحقوقه وعلاقته بالغير، والتحولات التي ستطرأ على مجالات حياته بصفة عامة، من خلال رؤية لوك فيري وتقيمه لهذا المشروع، بهدف تبريره من خلال الوقوف على أهم انعكاساته الحتمية، للاستفادة قدر الإمكان من مزاياه وثمينها، وفي المقابل مواجهة عيوبه وخطيئها أو تقويتها إن أمكن.

يمكن ترجمة الإشكالية إلى التساؤل التالي:

إذاً كنا نسير وفقاً لموقف لوك فيري نحو تعزيز قدرات الإنسان بيولوجياً وعقلياً ونفسياً نتيجة الحتمية التكنولوجية، فهل هذا يعني أننا بصدده تحول إيجابي؟

هذه الإشكالية تتفرع عنها عدة مشكلات جزئية يمكن إجمالها على النحو التالي:

- هل بإمكان التكنولوجيا أن تخلق إنساناً جديداً مختلفاً جسدياً وعقلياً عن نموذج إنسان اليوم؟

- كيف سيتمكن الإنسان من البقاء في هذا العالم القديم الإنساني في ظل بروز مجتمع الإنسانية المتحولة الذي في النهاية سيكون العالم الوحيد الذي سيقيم فيه الإنسان الفائق أو الكائن ما بعد الإنساني؟

- كيف تشكل مفهوم الإنسانية المتحولة؟ وما السياقات التاريخية والفكرية والفلسفية التي ارتبطت بها؟

للإحاطة بجميع أجزاء إشكالية البحث وتحليلها بعمق، قسمنا عملنا إلى:

مقدمة: حيث تتضمن التعريف بموضوع بحثنا وأهمية ودواعي اختياره وضبط الإشكالية المناسبة للبحث، والمشكلات المتفرعة عنها، وكذلك الخطة والمناهج المعتمدة مع ذكر أهم الدراسات السابقة ومختلف الصعوبات التي تم المرور بها. ثم وضعت البحث ضمن ثلاثة فصول، كل فصل يتضمن أربعة عناصر رئيسية بمثابة مباحث يعالج أحد جزئيات الدراسة، سعينا فيها إلى التطرق لما يخدم الرسالة كلها.

ففي الفصل الأول الذي حاولنا من خلاله عرض ماهية حركة الإنسانية المتحولة كمشروع فكري وفلسفي وعلمي بواسطة تبني مقارب مفاهيمية وتاريخية واستشرافية، لذا اقترحت العنوان التالي: "الإنسانية المتحولة من الأسس النظرية إلى المشاريع التطبيقية"، تم فيه إبراز أفكار النزعة الإنسانية التي أعلنت مركبة الإنسان كنوع من التحرر من السلطة الدينية المتعالية، هذا الإنسان الذي تمكّن بفضل العقل والعلم من اخضاع الطبيعة لصالحه، ليأتي عصر ما بعد الحداثة أين تم تقويض هذا الغور الإنساني الأنثروبوسيني بإعلان موت الذات الإنسانية الديكارتية، هذه الأفكار التي شكلت الأرضية الخصبة للإنسانية المتحولة التي استغلت التطور التقني في المجال البيوطي للإعلان عن بناء تصور جديد للإنسان لا يلغى جانبه البيولوجي تحيزاً للعقل، بل يعمل على تعزيز جسده وعقله معاً، ما دعانا إلى الوقوف على التبعادات والتقارب بين الإنسانية والإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، ثم التطرق إلى أهم معتقداتها ومؤسساتها المسخرة لتحقيق غاياتها، وكذا تحليلاتها في المجال الأدبي والفنى والخيال العلمي، ثم الأبحاث الواقعية التي تعمل على تحسديها على أرض الواقع. مع الاستناد إلى آراء لوك فيري وتعقيباته.

أما الفصل الثاني فقد حاولنا فيه الاشتغال على مختلف التصورات والقضايا التي تحملها حركة الإنسانية المتحولة كمشروع في الجانب الأنطropolجي الماهوي للكائن البشري، وال مجالات الاقتصادية والسياسية وحتى الدينية باعتبارها جوانب تتعلق بحياة الإنسان ونمط معيشته وتأثير بشكل مباشر في قراراته ومعتقداته، لهذا تناولنا فيه قضيّاً: التعديل الجيني، دمج الإنسان مع الآلة، الإنسان السيبراني، المجتمع الافتراضي، الاقتصاد الرقمي، الاقتصاد

التعاوني، البيوسياسية، الدين الرقمي... وغيرها من القضايا التي أصبحت واقعاً معاشاً. مع تبيان وتحليل منظور لوك فيري من ذلك وتحديد ما يشجعه وما يحذره وما يرفضه.

فيما يخص الفصل الثالث فقد خصصناه لتوضيح وجهات النظر الفلسفية والعلمية الرائدة خاصة في النقاش البيوإتيقي حول معتقدات وسلمات الإنسانية المتحولة وتداعياتها على الإنسان وقيمته وكينونته وكل ما يتعلق بها، سواء من جهة المؤسسين للحركة والداعمين لها والمشتغلين عليها إيماناً منهم بحتمية التقدم والتطور، وهم من يطلق عليهم "البيولوجيون التقديميون"، أو من جهة راضيها والمخدرين منها، والذين يطلق عليهم "البيولوجيون المحافظون"، فيما يخص بالتحديد قضايا حساسة من قبيل: الطبيعة البشرية والكرامة والحقوق الإنسانية، التي لا يستقيم وجود الإنسان إلا بها، مع إرفاق كل جزء منها بتعليق وردود لوك فيري، وفي نهاية الفصلتناولنا المشروع الإنساني الجديد المكمل لمشروع الإنسانية المتحولة إن لم يكن مصححاً لها، والذي تصوره ورسم حدوده لوك فيري، مع تعقيب نceği لأفكاره الواردة في هذا المشروع.

وأخيراً خاتمة حصرنا فيها نتائج فصول البحث ومنه الإجابة على الإشكالية الأساسية.

اعتمدنا في تحرير هذا البحث لتكون الأفكار الواردة في فصوله منسجمة ومتسقة على منهج تحليلي نceği في عمومه، مقارن في بعض جزئياته، فأما ما تعلق بالجانب التحليلي، فقد فرضت طبيعة البحث ووفقاً لما يقتضيه الموضوع تحليل وتفسير الأفكار الواردة فيه من أجل معرفة ما تحتويه من مضمون معرفية وعلمية، ويظهر ذلك من خلال تحليل أفكار لوك فيري حول الإنسانية المتحولة، وكذا تحليل مسلماتها وقضاياها وآفاقها وانعكاساتها وقضاياها، دون اغفال نيتها كذلك.

أما المقارن، فيتجلى من خلال محاولتنا القيام ببعض المقارنات الالازمة التي تخدم دراسة بحثنا، فكان بين حركة الإنسانية المتحولة والتزعة الإنسانية من جهة، وبين حركة الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية وبعض المفاهيم الأخرى القريبة منها والتي تستخدم في نفس الحقل الدلالي من جهة أخرى.

بغرض الإحاطة بجميع جوانب البحث، فقد اعتمدنا على الكثير من مؤلفات لوك فيري، كما أن هناك بعض الدراسات في مجال بحثنا لكن أغلبها باللغات الأجنبية أما باللغة العربية فتعداد تكون منعدمة، منها ما يتعلق بحركة الإنسانية المتحولة، ومنها ماله صلة بفلسفة لوك فيري، إلا أنها لم تكتم بالطرح الذي قدمه فيري وأفكاره حول الإنسانية المتحولة بشكل مباشر، فبعضها يعالج موضوع إنسانية الحب عنده، والبعض الآخر حول مقارنته

في تدريس الفلسفة، أو موضوع أخلاقيات البيئة. ولم نجد موضوعا له صلة مباشرة بموضوع بحثنا أي يتحدث عن الإنسانية المتحولة في خطاب لوك فيري، عدا بعض الكتابات التي حملت في ثناياها إشارات مقتضبة إلى أفكاره، والتي نجدها في المراجع التالية:

- مقال للأستاذ رشيد دحدوح المعون ب: "ما بعد أزمة الكوفيد 19: آفاق مشاريع البيوتكنولوجيات البشرية والإنسان المتجاوز" ضمن كتاب جماعي: "البيوإтика وطبيعتنا الإنسانية المهزة في زمن الheimerنة الفيروسية" تحت إشراف الأستاذ: محمد جديدي. والذي حاول فيه مسألة مشروع الإنسانية المتحولة الوعاد بالكمال والقوة والذي أصبح مشكوك فيه بعد أزمة كورونا الأخيرة.
- كتاب: "البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان" لـ محمد طاهير الذي اكتفى فقط بذكر مفهومه للإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

- وكذا ثلاثة مقالات للأستاذ هشام معافة، الأول يحمل عنوان: "الإنسانية المتحولة وأزمة الإنسان الفائق"، والثاني: "الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية: نحو فلسفة للإنسان الجديد"، والثالث: "نزعة الإنسانية المتحولة وإтика الخلق الإلهي" حيث حاول من خلالهم الوقوف على فلسفات الإنسانية المتحولة وأهدافها وانلاقاتها الأخلاقية، حيث عرج على بعض آراء فيري في ذلك.

- وكذا مقال آخر لـ **بلقشير مصطفى** تحت عنوان: "أخلاقيات ما بعد الإنسانية" والذي أورد فيه وجهات نظر فيري من النقاش البيوإتيقي بين الحافظين والتقدميين حول الأخلاق.

- وآخر لـ **خن جمال** الموسوم بـ "ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الطبيعة البشرية" الذي تناول فيه التأسيس الفلسفى لحركة الإنسانية المتحولة.

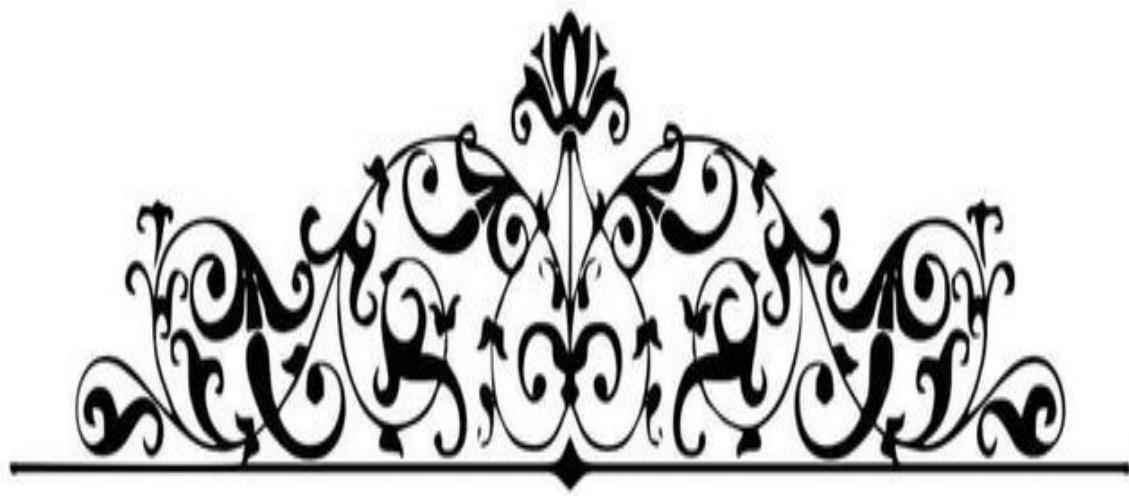
مثل كل البحوث واجهتنا جملة من العوائق والصعوبات أثناء إنجازه، ومن ضمنها نجد:

- صعوبة موضوع البحث في حد ذاته، كونه موضوع راهني، وقليل من المفكرين اشتغلوا عليه في الساحة العربية خاصة الجزائر، مما دفعنا للرجوع إلى المصادر الأجنبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتساع الموضوع وعموميته وتشعبه، الشيء الذي جعلنا نجاذب باختيار أهم القضايا التي سنعالجها وندرسها في البحث.

- قلة المصادر والمراجع المترجمة إلى اللغة العربية، كون جلها باللغتين الإنجليزية والفرنسية تم توظيفها في تحرير بحث باللغة العربية، وهو ما يتطلب جهدا مضاعفا للقراءة والترجمة والاستعانة بأهل الاختصاص وما يتبع ذلك من صعوبة إيجاد المصطلح المناسب والفهم الجيد للأفكار قبل تخيينها، ما جعلنا نشعر بالارتباك أحيانا في القبض على مفاهيمه بدقة.

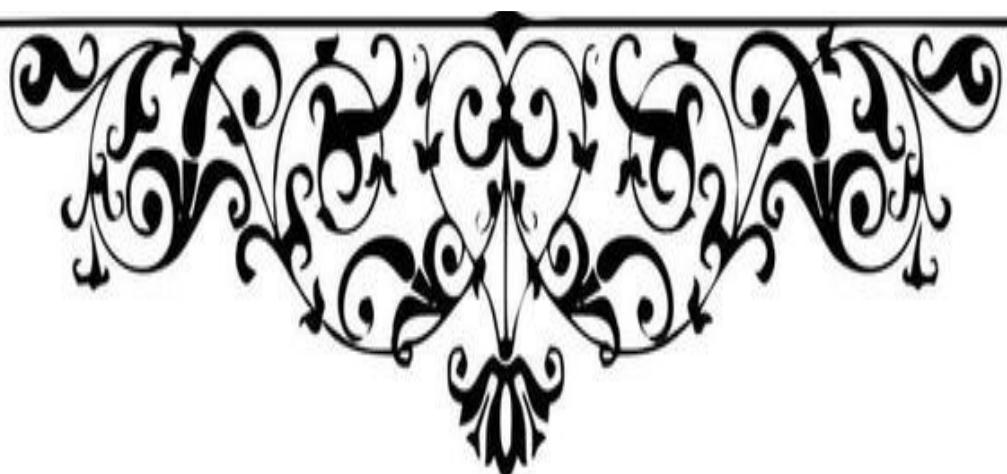
- صعوبة المقارنة بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، خاصة أن هناك خلط كبير في الأوساط الأكادémie في استخدام كلا المصطلحين كمتрадفات.

وختاما نرجو أن نكون وفقنا في طرح عملنا هذا، وحققنا الهدف منه، فإن جانبنا الصواب فالكمال لله وحده تعالى وبه نستعين، ونسأله التوفيق السداد، وأما النقاد التي سيتم تلوينها من قبل المناقشين فهي من مقتضيات الروح العلمية التي تتسم بالنسبية والانفتاحية وضرورة المراجعة وقابلية الخطأ.



الفصل الأول: الإنسانية المتحولة من الأسس

الفلسفية إلى التطبيقات العلمية



أولاً: من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية:

1- النزعة الإنسانية: الدلالة والسياق.

2- فلسفة ما بعد الحداثة وتفكيك الإنسان.

3- الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟.

ثانياً: الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي.

1- مفهوم الإنسانية المتحولة.

2- الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها.

3- مسلمات الإنسانية المتحولة.

4- اتجاهات الإنسانية المتحولة.

ثالثاً: الرصد التاريخي للتصور الفلسفى للإنسانية المتحولة:

1- البحث عن الخلود في الفكر القديم.

2- السعي نحو تحقيق الإكمال في الفكر الحداثي.

3- التكنولوجيا الفائقة ومتطلبات الإنسانية.

رابعاً: الإنسانية المتحولة من الخيال إلى التجسيد

1_ الإنسانية المتحولة في أدبيات الخيال العلمي والفن

2_ الإنسانية المتحولة في المخابر.

3_ أعضاء وجمعيات الإنسانية المتحولة.

تمهيد:

في سعيه من أجل حياة أسهل وأسعد اتجه الإنسان منذ زمن طويل إلى التكنولوجيا، حتى وصل إلى تحديات لا يمكن تخيلها قبل بضع سنوات، حيث تلعب التكنولوجيا العلمية وبالتحديد الأدوات الرقمية والمعلوماتية والعلوم العصبية المعرفية وتكنولوجيا النانو، دوراً مركزاً في حياتنا الفردية والجماعية، إذ أن تقنية العالم الحالية والمستقبلية أمر أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وأمر مرغوب فيه، إذ لم يعد الإنسان قادرًا على قبول هشاشته وحدوده، مما جعل العلماء يعلنون ليس فقط عن تحسين الإنسان، ولكن أيضًا عن تحوله العميق، وهذا ما نادت به الإنسانية المتحولة.

إن التقدمات العلمية والتكنولوجية تثير تساؤلات حول العقائد السائدة بشأن الحالة الإنسانية، حيث تعد الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية من أبرز مظاهر هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة، إذ لم تكتسب المناقشات حولهما اهتماماً أكاديمياً وشعبياً كبيراً فحسب، بل أدت أيضاً إلى ارتباط مفاهيمي واسع النطاق. وهذا ليس مفاجئاً بالنظر إلى تاريخهما الحديث وتقاربهما المفاهيمي، وانخراطهما في أسئلة ومواضيع مماثلة. وهنا يجدر

بتنا التساؤل:

كيف تشكل مفهوم ما بعد الإنسان؟ وما هو السياق الذي ارتبطت به حركة الإنسانية المتحولة؟ وما هي جذورها الفكرية ومنطلقاتها الفلسفية؟ وما هي المجالات العلمية التطبيقية لها؟

أولاً: من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية.

لقد آمن العقل الحديث بجملة من المبادئ، مكنته من الخروج من قبضة التحجر والعجز نحو الأنوار، كما وصفها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت Emmanuel Kant (1724-1804)، ويمكن إجمالها في: العقلانية، العلمانية، التحرر، حقوق الإنسان، وقد اعتبرت المركبات الجوهرية للنزعة الإنسانية، التي تجعل من الإنسان مركز الكون مقابل إلغاء كل المركبات الأخرى خصوصاً اللاحوتية، بعد أن شاع في الفكر الفلسفـي التراتبية الوجودية: الله - الطبيعة - الإنسان، ومنه تأليه الإنسان وأنسنة القدسـة، أي وضع الإنسان باعتباره ذلك الكائن العاقل فوق كل شيء من منطق العقلانية وضرورة سيادتها، غير أن هذه العقلانية التي طبعت الفكر الحديث، حددت مفهومـاً جديداً للإنسان يمكن النظر إليه من خلال ما يصنع وي فعلـ كخصـائية جوهرـية، وليس النـطق كما سـاد مع الفـيلـسوف اليـونـاني أـرسـطـو (384 قـ.مـ.- 322 قـ.مـ.).

1- النـزـعة الإنسـانية: الدـلالـة والـسـيـاق:

ظهرت الإنسـانية أو الإنسـانية Humanisme كـمصـطلـح لـنـزـعة أو حـرـكة نـهاـية القرـن الثـامـن عشر مـيـلـادي وـبـدـايـات القرـن التـاسـع عشر مـيـلـادي، إذ لم تـكـن مـعـرـوفـة من قـبـلـ في الفـكـرـ الغـرـبيـ، فـقـدـ صـاغـهاـ المـفـكـرـ التـربـويـ الـأـلمـانـيـ Nithommer P.Tـ.ـ أـثـنـاءـ مـجـادـلـةـ حولـ مـكـانـةـ الـدـرـاسـاتـ الـكـلاـسيـكـيـةـ فيـ الـتـعـلـيمـ الثـانـويـ، وـاشـتـقـ منهاـ Humanismeـ فيـ الفـرـنـسـيـةـ وـHumanismـ فيـ الإـنـجـلـيزـيـةـ¹.ـ وـذـهـبـ البعضـ الآـخـرـ منـ المـفـكـرـينـ إـلـىـ أنـ أـوـلـ ظـهـورـ فـعـلـيـ لـهـذـهـ المـفـرـدةـ "ـإـنـسـانـيـةـ"ـ كـانـتـ معـ بـيـيرـ جـوزـيفـ بـرـودـونـ Prandonـ Pierre-Josephـ عامـ 1850ـ، وـقـدـ تمـ إـدـرـاجـهاـ فيـ مـعـجمـ Littréـ الفـرـنـسـيـ فيـ أـوـاـخـرـ القرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ².

وـإـذـ اـنـتـقـلـنـاـ إـلـىـ الـحـدـيثـ عنـ مـصـطلـحـ إـلـيـهـ بـيـكـنـ النـظـرـ إـلـيـهـ بـوـصـفـهـ صـفـةـ اـشـتـقـتـ فيـ الـلـغـاتـ الـأـوـرـوبـيـةـ فيـ القرـنـ السـادـسـ عـشـرـ مـيـلـاديـ وـتـحـديـداـًـ عـامـ 1856ـ،ـ مـنـ قـبـلـ المؤـرـخـ الـأـلمـانـيـ وـعـالمـ اللـغـةـ جـورـجـ Volitـ Georgeـ وـذـلـكـ لـوـصـفـ الـحـرـكةـ الـتـيـ اـزـدـهـرـتـ لـإـحـيـاءـ الـتـعـلـيمـ الـكـلاـسيـكـيـ أـثـنـاءـ فـتـرةـ عـصـرـ

¹ إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحيلة - إشكالات تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر، مركز دلائل للنشر، الرياض - السعودية، ط 2، 2019، ص 19.

² منوبي غباش، تحولات الخطاب الإنساني: من الإنسانية إلى ما بعدها، مجلة تبيان، عدد 44، مجلد 11، ربيع 2023، ص 12.

النهضة.¹ لكن ما يحمله هذا المصطلح من معانٍ ومدلولات له جذور ترجع إلى الحضارات الشرقية القديمة، وبدرجة أولى إلى الحضارة اليونانية والرومانية.

إن مصطلح الإنسانية من حيث الاشتراق اللغوي اللاتيني يعود إلى كلمة إنسان Human والتي ترجع بدورها إلى كلمة Humus اللاتينية والتي تعني الأرض أو التربة، والمقصود بها: الإنسان الواقف على الأرض.²

بدأت دلالة الكلمة الإنسانية Humanism بالتشكل مع بداية عصر النهضة الأوروبية، في خضم الحركة الإنسانية التي انطلقت في إيطاليا، وبرغم هذه العراقة، فإنه من خلال تبع الأصل التارخي للمصطلح Humanism نلاحظ تطوراً دالياً حاصلاً في المفهوم، وكذلك تطوراً في شكل الكلمة ذاتها، غير أن العودة إلى اليونان القديمة يقودنا إلى وجود عبارة وهي "Enkikiliapaedia" والتي تشير إلى التعليم المتوازن، والمتأمل في فكرة التعليم لدى اليونان يجد أنها تشير إلى المعارف الإنسانية القديمة المتمثلة في: القواعد اللغوية، البلاغة، المنطق، علم الأعداد، الفلك، التجانس الصوتي، و هي معارف قدمت تقنية للتعليم و النقاش في علم دون كتب، يعتمد في سبله للمعرفة على المهارات الجدلية و الدقة في التفكير، و التمكّن من اللغة.³ وكانت الكلمة اللاتينية التي وضعها شيرون مصطلحاً لفكرة التعليم المتوازن اليونانية هي Humanistas ، ثم أصبح عصر النهضة الخاص بالمدارسة في مجال اللغات و الآداب الكلاسيكية هو Studia-Humanistas ومدرس تلك الدراسات كان يسمى Humanist أي إنساني.⁴

وقد أصبحت الدراسات الإنسانية تشير في القرن الخامس عشر ميلادي إلى دراسة القواعد اللغوية والبلاغة والتاريخ والأدب والفلسفة الأخلاقية، والتي كانت تتكون من قراءة النصوص اللاتينية الخاصة بالعصر الكلاسيكي ما قبل المسيحي، وتشمل أيضاً على الترجمات اللاتينية اليونانية والنصوص اليونانية القديمة نفسها. حيث بدأت كحركة أدبية كلاسيكية في إيطاليا، وأطلق على روادها اسم الإنسانيين Humanistis، الذين قاموا بالعودة إلى كتابات الإغريق والرومان القدماء ذات الطابع الديني.⁵ ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا، ونلاحظ هنا أن المفهوم الأول للإنسانية كان مرتبطاً بإحياء التراث الإنساني اليوناني

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفى، ج 1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (ط)، 1982، ص 158.

² إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحبلة، ص 20.

³ عاطف أحمد، النزعة الإنسانية: دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ط 2، 1999، ص 18، 17.

⁴ إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحبلة، ص 20.

⁵ المرجع نفسه، ص 29، 30.

الروماني القديم للاستفادة من ثقافتهم والعودة إلى أدبهم وفنونهم باعتبارها مرجعية يمكن الاعتماد عليها، لكن النزعة الإنسانية لم تبق مقتصرة فقط على هذه الدلاله، بل صارت تحمل معانٍ أخرى فرضها التطور التاريخي لل الفكر البشري، إذ أصبح لها أبعاد تاريخية وفلسفية خاصة.

وإذا انتقلنا إلى المفهوم الاصطلاحي لا نجد تعريفاً دقيقاً لها نظراً لتنوع تيارات الحركة الإنسانية، ولقد تعددت تسمياتها، إذ نجد الإنسانية، الإنسانية، الإنسانية، النزعة الإنسانية، المذهب الإنساني، الدين الإنساني، الهيومانية، وهذه المصطلحات كثيرةً ما تستعمل ترافقاً لتأدية معنى واحد، وإن كان البعض يفرق بينهما، والمراد بهذه العائلة من المصطلحات في الجملة رفع قيمة الإنسان وتلبيه أحياناً، وجعله في مركز الكون، والبعض يفضل تعويض الإنسانية بمصطلح الإنسانية للدلالة على المبالغة والغلو في ذلك المذهب.¹

لقد ورد في الموسوعة الفلسفية لـ: أندريل لالاند ما يلي: "حركة يمثلها إنسانيو النهضة: بترارك، إيراسموس... وتميز بجهود لرفع كرامة الفكر البشري وجعله جديراً، ذا قيمة، وذلك بوصول الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة، فيما يتعدى العصر الوسيط والمدرسيه".² أي أن النزعة الإنسانية تؤكد على المركبة البشرية³ والعمل على الرفع من قيمتها باعتبارها سبيل الخلاص الإنساني.

تمثل النزعة الإنسانية في هذا السياق تلك الرؤية التي تضع الإنسان والقيم الإنسانية في المقدمة أو هي ذلك التصور الفلسفي الذي يتحقق بالإنسان ويتفاعل بإمكاناته وأنه قادر على صنع التقدم الحضاري، بوصفه قيمة عليا، وبهذا يغدو الإنسان بما هو إنسان الغاية.

بحسست الإنسانية من وجهة نظر الفيلسوف الفرنسي لوك فيري Luc Ferry (1951-) عندما نفت خصوص الإنسان لأي سلطة متعلقة وخارجية عن ذاته سواء الطبيعة أو الإله، فالإنسان يملك كل الحرية في

¹ إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحبطة، ص 21.

² أندريل لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد 2، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001، ص 568.

³ أو مركبة الإنسان (الأثربوسين) Anthropocentrism: هي التيارات التي تعتقد بأن الإنسان هو الكائن الأكثر أهمية في الكون، فهي تنظر إليه على أنه استثناء نتيجة تفرده بالعقل والوعي، هذا ما يجعل منه مركز الكون مقارنة ببقية الكائنات، مما يمنحه إمكانية السيطرة عليها. (ينظر:

jame setter and other, pronouncing dictionary, cambridge university press, cambridge, p8)

⁴ فيليسوف وسياسي فرنسي (1951-) تقلد العديد من المناصب في الجامعات الفرنسية، اشتغل وزيراً للشباب والتعليم من سنة 2002 إلى 2004 كان خالماً مسؤولاً عن تنفيذ القانون الفرنسي بشأن العلمنة، حصل على دكتوراه دولة في العلوم السياسية سنة 1981 ودكتوراه فخرية من جامعة شيربورك (كندا) كما حصل على العديد من الجوائز، يعمل الآن في المجال الأكاديمي والبحث العلمي، وأصبح واحداً من أكثر المثقفين الفرنسيين تأثيراً، وهو يعبر عن آرائه في وسائل الإعلام، يمثل امتداداً للنزعة الإنسانية العلمانية. (انظر:

(<https://www.lucferry.fr>)

ممارسة كل حقوقه بما يليه عليه عقله.¹ أي أن ميّزته العاقلة تمكنه من التحكم في ذاته وحياته وتاريخه، وهو الذي يبني الحقائق والعالم والتاريخ... إلخ.

تعود جذور النزعة الإنسانية تاريناً إلى الإرث اليوناني، إذ انطلقت من الفكر السياسي اليوناني الذي أنتج جملة فلسفات إنسانية تنطلق من الإيمان بجمال الحياة وضرورة الاستمتاع بها، لكن هذا لا ينفي دور الفلسفات الشرقية القديمة التي اهتمت كذلك بالجوانب الإنسانية، ففي الفكر الصيني القديم نجد كونفتشيوس، الذي تمحورت أفكاره حول التربية، وخصوصاً تربية الإنسان المواطن الأخلاقي المسام... إلخ،² ولذلك بقيت فلسفته سارية المفعول في الفكر الصيني طيلة قرون، وهذا لأن فلسفته نابعة من احترامه للطبيعة وإيمانه بقداستها.

لقد برزت الهيومانية أو الإنسانية لدى مفكري اليونان خاصة بعد تجاوز الفكر الأسطوري والطبيعي، حيث تم انتقال الاهتمام من الطبيعة إلى الإنسان، ويمكن أن نلمس النزعة الإنسانية لدى السفسيطائين من خلال اعتقادهم بأن الإنسان معيار لكل شيء، وأنه يجب الاهتمام بحياة الإنسان والأبعاد العملية للحياة،³ وهنا يظهر اهتمامهم بالإنسان وحجم إمكانياته في إدراك الحقيقة بشدة.

لقد عمل سقراط على توجيه التفكير نحو الإنسان من خلال مقولته الشهيرة "اعرف نفسك بنفسك"، إذ أن معرفة النفس حسبه تمثل نوعاً من الرقابة على الذات.⁴ وهنا تظهر فكرة المركبة البشرية في فكر سقراط من خلال جعله الذات هي جوهر المعرفة والوجود، فكل إنسان يملك الحقيقة في أعماق نفسه وما عليه إلا سبر أغوارها بالبحث والتنصي والتساؤل.

ليأتي بعد ذلك عصر آخر هو العصر الوسيط، الذي شهد سيطرة الكنيسة على العقل، حيث فرضت منظومة فكرية إيديولوجية، تعكس طبيعة العصر وتكويناته الاجتماعية، مما جعل الدراسات اللاهوتية تحيم

¹ الروك فيري بالتعاون مع كلود كيلبياني، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنبير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2015، ص 150.

² رالف بارتون بيري، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الحيوسي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، (دط)، 1961، ص 12.

³ محمد هادي طلعتي، الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، تعریف: حسن علي مطر، كتاب ضمن سلسلة مصطلحات معاصرة، عدد 43، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2022، ص 47، 44.

⁴ المرجع نفسه، ص 57.

على الدراسات الإنسانية بشكل واضح طيلة العصور الوسطى، وذلك لأن العلوم الإلهية أشرف من العلوم الإنسانية وأجل شأناً¹، وكانت الفلسفة تعتبر خادمة مطيبة لعلم اللاهوت المسيحي.

ثم شرعت الأمور تتغير بدءاً من القرن الرابع عشر ميلادي، حيث ظهر فرانسيسكو بيتراركا Francesco Petrarca (1304-1374) الذي تجراً على إبداء إعجابه بالكتاب الوثيقين السابقين على المسيحية، ثم تلاه آخرون كثيرون مشواً على نفس الخط، وبرر هؤلاء أخذهم عن فلاسفة اليونان والرومان بأن كتبهم تحتوى على الحكمة والعلم والعقالنية الصائبة والحرية على الرغم من وثنيتها، وبالتالي فيجوز الأخذ عنهم دون أن تخلى عن الإيمان، ولكن رجال الدين انزعجوا من هذا التصرف واعتبروه خروجاً عن المسيحية، وقالوا إن الحكمة لا توجد إلا في الكتب الدينية²، وهكذا جرت معركة بين الطرفين استمرت عدة قرون حتى انتصار الحداثة.

لقد وضع الفلاسفة النهضويون والإنسانيون الإنسان في مركز كل اهتمام أو تساؤل، واعتبروا كل معرفة لا تهدف إلى الرفع من شأن الإنسان لا جدوى منها، وسعوا لبناء مجتمع مختلف عن مجتمع القرون الوسطى المستكين لأقوال الكهنة، وذلك بتنقيف الإنسان وتجذيه لكي يصبح عقلانياً ذكياً معتمداً على نفسه وإمكانياته لا متواكلاً ولا كسولاً، وعلى هذا النحو انطلقت النزعة الإنسانية قوية فاتحة، وكان من أهم ممثليها على مستوى أوروبا: غيوم بوديه Guillaume Budé (1467-1540)، جاك لوفيفير، ديتابل... وآخرون³، وبفضل المطبعة الآلية التي ظهرت في ذلك الوقت راحت كتب هؤلاء المفكرين الإنسانيين تنتشر في كل الأوساط بسرعة البرق.

ظهر تيار جديد لدى العلماء من رجال الدين، وهو ما يمكن تسميته بالمذهب الإنساني المتدين، أي ذلك الذي يوفق بين أفكار الكنيسة من جهة وفكرة أدباء اليونان والرومان من جهة أخرى، ومن أبرز ممثليه المفكر الهولندي إيراسموس، ولكن حروب المذاهب داخل المسيحية وكل المجازر التي رافقتها، وضفت حدا للنزعة الإنسانية المتفائلة جداً بنوايا الإنسان وإمكانياته، فقد كشف عن وجهه القبيح أثناء تلك الحروب المذهبية المدمرة، وبدها أنه قادر على ارتكاب أبشع الأفعال، وعندئذ بدأت بالبروز ملامح نزعة إنسانية

¹ محمد هادي طلعتي، الميومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، ص ص 59-60.

² مصطفى كيحل، تحولات مفهوم الإنسان في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة، مجلة بحوث ودراسات، عدد 95، 2019، ص 102.

³ محمد هادي طلعتي، الميومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، ص ص 76-110.

معادية للدين كرد فعل على هذه الحروب و ما رافقها من فضائع ومجازر، تنظر إلى الإنسان على حقيقته بخieres وشره، فبقدر ما هو قادر على صنع المعجزات وتحقيق التقدم، بقدر ما هو قادر على ارتكاب أكبر المجازر والحملات في حق أخيه الإنسان.¹ و هنا بدأت تلوح في الأفق معلم العلمنة.

لقد تم الانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان حسب فيري، فالأنسنة هي الوجه الآخر لعلمنة الدين، بحيث: "يكفيانا معرفة كيف نتصرف في شؤون الحياة اليومية، ولا حاجة بنا إطلاقاً للدين لنكون نزيهاء ومستقيمين، ولا حاجة بنا اطلاقاً كذلك للإيمان بوجود الله للقيام بالواجب".² وبالتالي ينافح فيري عن نزعة إنسانية لائكة Humanisme laïc ترى أن الطبيعة في حد ذاتها عمياء وقاسية وغير عادلة وأنها لا تعرف إلا القوة الغاشمة، وهو ما يبرر ضرورة تصحيحها وتحسينها خدمة للإنسان، وذلك بجعله السيد عليها. وهذا في مقابل وجود اتجاهين فكريين سيطرا على الفكر الغربي الأوروبي طويلاً، الأول: النزعة المسيحية التي ترجع جذورها إلى أفكار القديس توما الإكوني، والثاني: تمثله نزعة إنسانية أنوارية، ترجع جذورها إلى الإيطالي جيوفاني بيك دو لاميراندول Geovanni Pic de la Mirandol (1494-1463) وكوندورسيه Marxkarl Condorcet وجون جاك روسو Rousseau (1712-1778) وكانت Kant (1818-1883) والتي تقر بإمكانية الإنسان بلوغ الاكمال la Perfectibilité بفضل حريته وقدراته التي يمكنه تجاوزها وتعزيزها.³

يذهب فيري إلى أن بداية الانفصال عن اللاهوت وظهور الإنسانية كانت بظهور حقوق الإنسان، وقد صاحت بها عقلنة راديكالية للقيم في عصر الحداثة ومع فلسفة الأنوار التي أخرجت البشرية من جب اللاهوت ومكنت الإنسان من خلق قيمه بعيداً عن الدين، فالله أصبح وفقاً لـ كانط موضوعاً للإيمان العلمي، له وجود أخلاقي فقط، وهنا حدث قلب للمفاهيم الكلاسيكية بانتقال خصيصة القداسة إلى الإنسان بعد أن كانت حكراً للدين فقط، هذا الإنسان الذي يتمتع بكرامة مطلقة، وأنه غاية في حد ذاته، ومنه حدث القطعية بين المطلق المقدس والإلهي.⁴ وما نستشفه من أفكار فيري هنا، أن إرث الأنوار تج

¹ رالف بارتون بيري، إنسانية الإنسان، ص ص 17، 18.

² لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2022، ص 28.

³ Luc Ferry, Alain renaut, *la pensée 68 : Essai sur l'antihumanisme contemporain*, Gallimard, Paris, 1985, p 18.

⁴ Luc Ferry, *Philosopher à dix-huit ans*, Grasset, 1999, p22.

عنه أنسنة الإلهي وتأليه الإنساني، حيث أصبح الاهتمام منكبا حول الصفات البشرية وتركيبتها التي لطالما تم إقصاؤها فكرا طويلا.

وينطلق فيري في مسألة النزعة الإنسانية، من تقاليد البيولوجيين المحافظين Bio-conservateurs¹ التي مفادها أن طبيعة الإنسان معطى ثابت و بالتالي مقدس، هذا ما اخذه النزعة الإنسانية الكلاسيكية (المسيحية، الماركسية، الوجودية) أساسا لها، وبهذا نظرت للإنسان على أنه كائن متوفّق عن بقية الكائنات الغرizerية بفضل العقلانية، هذا ما وصفه فيري بالنظرة الاختزالية و التحيزية و اللاهوتية الضيق، فهي تناست عنصرا مهما، وهو إمكانية تجاوز المحدوديات البشرية جسديا وذهنيا بفضل البيوتكنولوجيات، أين كانت مهمة الطب الوقاية والعلاج فقط وليس الإعلاء والتعزيز، وهنا تكون الشيخوخة والموت أمر طبيعي غير مرضي، وهذا ما ترفضه الإنسانية الفائقة.² ولهذا سعى فيري لتجاوز الإنسانيات التقليدية و الحديثة نحو أفق مفارق للإنسانية Trans humanisme.

يعلق الفيلسوف البلجيكي جيلبرت هوتوا Gilbert Hottois (1946-2019) على هذه النظرية بقوله: "الإنسانية دينية أو علمانية، فهي ذلك الفهم الذي يضع العنصر البشري في قلب نظرية العالم مانحا له ميزات معينة يعتقد اعتقدا مطلقا أن الأحياء الأخرى، لا يمكن أن تتميز بها أبدا كالوعي والحرية والحس الأخلاقي والعقل الكوني... إلخ"³، ويؤمن المذهب الإنساني أو الإنسانية بالتقدم الآتي عن طريق التقنيات المادية المطبقة على البيئة وعن طريق التقنيات الرمزية المطبقة على الأفراد كالترية وال العلاقات الإنسانية والمؤسسات والأخلاق والحقوق... إلخ.

أما عن المؤسس الفعلي للإنسانية حسب فيري فإنه الإيطالي جيوفاني بيكا دي لا ميرندول الذي يعتبر الأب الروحي للنزعة الإنسانية، وذلك بفعل الأفكار التي نشرها في مقال له بعنوان (مقالة في كرامة الإنسان) التي شكلت الدعامة الأساسية لنشأة الإنسانية، والتي نجدها في فلسفة روسو و كانط وإدموند هوسرل (1859-1938) وغيرهم، إذ يعتبر أول من تجرأ على الحديث عن الحرية الإنسانية التي تمكّن

¹البيولوجيا التحفظية bioconservatism هي اتجاه فلسفية وعلمی وسياسي يرفض استخدام مختلف التكنولوجيات الفائقة بغرض التدخل في التركيبة البيولوجية للإنسان خوفا من تحريف طبيعته وما يجر عن ذلك من انعكاسات أخلاقية. (بظر: <https://lalangefrancaise.com>)

²Ferry Luc: **La révolution transhumaniste : comment la technomédecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies**, plon, un département d'éditions paris, 2016, p 30.

³Gilbert Hottois, **Transhumanisme : est-il un humanisme ?** académie royale de Belgique, Belgique, 2014, p 36.

صاحبها من التخلص من كل القيود الدينية اللاهوتية الميتافيزيقية والأخلاقية المفروضة عليه، هذه الحرية أصبحت المبدأ الأول الذي نادت به الإنسانية.¹ وعليه فالحرية عند الإنسان هي التي تمكنه من صنع ماهيته وفق اختياره للممكنتات عكس الحيوان، هذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر John Paul Sarter (1905-1980) مع الفلسفة الوجودية بـ: "الوجود يسبق الماهية".

إذن فحسب دو لا ميراندول الحرية تشكل جوهر الإنسان، فهي التي تميزه عن بقية الكائنات، وتجعله يتتفوق عن الآلهة التي اخترعها بنفسه كفكرة وآمن بها، هذا ما يجعله استثناء ومخط إعجاب. وهنا يكون الإنسان قد بني كرامته من صميم إرادته الحرة التي تجعله خارج الطبيعة، وكل هذه الأفكار، قد دافعت عنها الإنسانية وحقوق الإنسان، بل وقامت من أجلها.² لكن في نظر فيري، بالرغم من عبقرية أفكار بييك دي لا مير ندول إلا أنها قوبلت بالسخرية من قبل الكثير وعلى رأسهم: فولتير(1694-1778)، بليز باسكال (1662-1623).

وقد واصلت هذه النزعة مسيرتها في شقها الفلسفى إلى الأمام في القرون التالية، حيث يمثل التنوير الأرضية التي مهدت لظهور الحداثة التي شكلت انقلاباً فلسفياً علمياً، وقد بنت أسسها على فلسفة ديكارت، الذي تجاوز مفهوم التنوير عن طريق اعتبار أن العقل جوهر وأساس بناء المعرفة، إذ دعا الفيلسوف الفرنسي رونييه ديكارت Rennet Discart (1596-1650) إلى تسخير العالم والفكر لخدمة الإنسان، فجوهر البشرية حسبه يكمن في الإيمان القوي بالعقل وقدراته. كما قدم ديكارت تصوراً متيناً للذات من خلال جوهر التفكير والوعي الذي ينظر للمرء على أنه أنا متفردة كونه مفكراً³ هذا التصور الذي هيمن فكريًا وفلسفياً حتى التنوير والحداثة، ودام إلى غاية إطاحته من قبل فلسفات ما بعد الحداثة التي عملت على تقويض ونسف كل مفاهيم الأنماط التي تبلورت من خلال "الكونجتيو الديكارتي".

برزت الفلسفة الكانتية في القرن الثامن عشر ميلادي، وهي أكبر فلسفة نقدية تكشف عن إمكانيات العقل البشري ووحدته، وقالت بأن الإنسان قادر على صنع التقدم، أي الخروج من مرحلة التخلف إلى مرحلة الحضارة والاستنارة، وتحسين الأوضاع المعيشية على هذه الأرض.⁴ إذ يقول فيري في حق

¹لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص ص 152، 153.

²Luc Ferry, *Pic de la Mirandole : la naissance de l'humanisme*, le Fiagro, paris, 2013, p 47.

³Luc Ferry, *Discartes : je pense donc je suis*, le Fiagro, paris, 2013, p 16.

⁴Luc Ferry, *Kant et les lumières : la science et la morale*, le Fiagro, paris, 2013, p 31.

كانط": إن تاريخ الإنسانية مرتبط بوفرة عجيبة من أسماء المفكرين ... وخاصة إلى كانط، حيث أن أعماله الصعبه ولكنها الحاملة لـ تغيير حاسم في تاريخ الفلسفة، تفتح آفاقاً تذهب إلى أبعد من الصورة العامة عن الإنسانية، كما نكون قد رسمناها¹ بمعنى أنه يمثل التحقق الفلسفـي الأكثر اكتمالاً لهذه النزعة.

أشاد فيري بالأعمال النقدية لـ كانط المتمثلة في: "نقد العقل الخالص"، "نقد العقل العملي"، "نقد ملـكة الحكم"، التي قام من خلالها بـ مسأـلة العـقل الفلـسفـي حول: ما الذي يمكن معرفته؟ وما الذي يمكن فعلـه؟ وما الذي نـأملـه؟، وهي كلـها تـصبـ في سـؤـال جـوـهـري: ما الإـنـسـانـ؟ وبـذـلـك وـصـفـتـ الفلـسـفـةـ الـكاـنـطـيـةـ بـأنـهاـ تـجـلـيـ ماـهـويـ لـعـصـرـ الـأـنـوـارـ²، هذاـ الـأـخـيـرـ الـذـيـ يـعـدـ لـحـظـةـ مـفـصـلـيـةـ فيـ تـارـيـخـ الإـنـسـانـيـةـ، وبـفـضـلـهـ تـمـخـضـ مـفـهـومـ الإـنـسـانـ الـكـوـنـيـ، هذاـ الـمـفـهـومـ الـذـيـ أـصـبـحـ يـحـتلـ مـكـانـةـ أـنـطـلـوـجـيـةـ وـثـقـافـيـةـ جـعـلـتـهـ سـيـداـ لـلـطـبـيـعـةـ وـالـكـوـنـ وـصـانـعاـ لـلـقـيـمـ وـالتـارـيـخـ.

كان الإنسان قد يـاـ يـنـظـرـ إـلـىـ اللهـ كـمـبـدـأـ أـخـلـاقـيـ مـيـتاـفـيـزـيـقـيـ مـطـلـقـ لـاـمـتـنـاهـيـ، أماـ فيـ التـقـلـيدـ الـأـنـوـارـيـ، فـقـدـ حدـثـ قـلـبـ هـذـهـ الـمـفـاهـيمـ، إذـ أـضـحـيـ إـلـهـ مـجـدـ فـكـرـةـ قـدـ يـؤـمـنـ بـهـاـ الإـنـسـانـ، بـعـدـ أـنـ كـانـ يـفـكـرـ انـطـلاـقاـ مـنـهـ، وـهـنـاـ بـرـزـ الإـنـسـانـ كـجـوـهـرـ وـاعـيـ وـكـائـنـ ثـقـافـيـ مـتـحرـرـ لـهـ كـرـامـةـ³، هـذـاـ مـاـ أـعـلـنـ قـلـبـ الـمـنـظـورـ لـلـمـقـدـسـ وـالـمـتـعـالـيـ الـذـيـ أـصـبـحـ الإـنـسـانـ جـوـهـرـهـ، أوـ مـاـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ بـعـدـ اـنـتـشـارـ التـيـارـ الـعـلـمـاـيـ فيـ أـورـوـبـاـ بـ "ـأـنـسـنةـ الـإـلهـيـ".

وـمـنـ زـاوـيـةـ أـخـرىـ، نـجـدـ أـنـ لـلـتـقـدـمـ الـعـلـمـيـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـ دـوـرـاـ حـاسـماـ فيـ بـلـوـرـةـ الإـنـسـانـيـةـ، حيثـ كـانـ هـاجـسـهـ إـخـضـاعـ وـتـطـوـيـعـ الطـبـيـعـةـ لـإـشـبـاعـ حـاجـاتـ الإـنـسـانـ، فـتـمـ اـنـدـمـاجـ الـعـلـمـ وـالـشـروـةـ فـولـدتـ التـقـنـيـةـ الـتـيـ مـكـنـتـ الـبـشـرـيـةـ مـنـ سـبـرـ أـغـوارـ الطـبـيـعـةـ وـاستـغـلـالـهـاـ لـخـدـمـةـ الإـنـسـانـ، وـتـحـكـمـهـ فـيـ كـلـ شـيءـ.

رسم فيري عدة مميزات للإنسانية: التحرر من أي سلطة خارجية، رفض الدوغمائية، اللجوء إلى التجربة، نقد الميتافيزيقا، الدفاع عن حقوق الإنسان، الإيمان بالعلم والتقنية، التفاؤل وفكرة التقدم، واللائكيـةـ...ـإـلـخـ، هـذـهـ السـمـاتـ نـفـسـهـاـ شـكـلـتـ حـجـرـ الـأـسـاسـ لـلـحـرـكـاتـ الـمـضـادـةـ لـلـإـنـسـانـيـةـ Anti-humanisme، خاصة في الفترة المعاصرة، حيث قـتـمـتـ الـاستـعـاضـةـ عنـ الإـنـسـانـيـةـ إـقـرـارـاـ مـنـ فـلـاسـفـةـ الـعـالـمـ الغـرـبـيـ بـزـوـالـ الـمـركـزـيـةـ الـأـوـرـوـبـيـةـ، إـذـ لـمـ تـعـدـ نـمـوذـجاـ لـلـغـيـرـ، اـحـتـرـامـاـ لـخـصـوصـيـةـ الـثـقـافـاتـ وـالـحـضـارـاتـ وـحتـىـ الـهـوـيـاتـ.

¹ لوک فيري بالتعاون مع كلود كيلياتي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 164.

² Luc Ferry, Kant et les lumières : la science et la morale, pp37,39.

³ لوک فيري: الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 42، 43.

2- فلسفة ما بعد الحداثة وتفكيك الإنسان

مع ظهور الكوجيتو الديكارتي، احتلت الذات مكانة بارزة في الفكر الفلسفى، وشكلت أهم مقومات الحداثة، لكن مع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت موجة القلق تنتاب العقل الغربى من مبادئ الحداثة، وذلك لما بين الواقع تحفتها، وأن ما يحدث فعلا هو العكس، فإذا انطلقنا من فكرة النظر إلى الإنسان بوصفه كائناً حقوقياً.. فإن النتيجة تختلف ذلك، تحرير للحريات وكتتها... إلخ.

إن التحولات التي عرفها الإنسان المعاصر عن مفهومه وكتنه أعادت طرح مقوله أبو حيان التوحيدى(1023_923): "الإنسان أشكل عليه الإنسان"¹، وبشكل أكثر قلقاً وعمقاً، حيث ساهمت الظروف المعاصرة للحياة الإنسانية والمتمثلة في سيطرة التقنية على جل مجالات الحياة، في إخراج مفهوم الإنسان من طابعه التقليدي وجعلته في تحد مستمر للتقنية، وهذا ما عبر عنه كورت بینتوس K. Pinthus (1886-1975) في المجموعة الكلاسيكية للشعر التعبيري الذي نشره عام 1919م، تحت عنوان (أفول الإنسانية).² كما تأسس عدد من الأطروحات الفلسفية أكدت غياب المقدس و تأكل الذات الإنسانية إلى حد موهماً، ومن هنا بدأت تلك المركبة التي احتلتها الذات في التراجع والانهيار، وأصبح نقد الذات وتقويضها من أهم مقومات حركة ما بعد الحداثة في الفلسفة، وقد أدت حركة تفكك مسلمات الحداثة الغربية إلى بروز خطاب ارتياحي تشاروئمي.

لقد أحرزت الرؤية الفلسفية المعروفة بـ "ما بعد الحداثة" شيئاً لا نظير له في العالم الغربي والمتمدة بدءاً من فلسفة فريدرريك نيتزشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) العدمية، إضافة إلى أفكار كل من كارل ماركس وسيغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939)، حيث اعتبرت انطلاقة الفلسفة التفكيكية والتي ولدت ثقافة معارضة مضادة لمعبودات الإنسانية أي القداسة والتعالي والمثالية والعقلانية... إلخ.³

¹ أبو حيان التوحيدى، مسکوبیه، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أدهم صقر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009، ص 175.

² جياني فاتيمو، نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، (دط)، 1998، ص 43.

³ لوک فيري، تعلم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة، ترجمة: سعيد الوايى، مراجعة: زهيدة درويش، أبو ظبي للثقافة والترااث، (دط)، (دث)، ص 308.

وفي هذا السياق لا يمكننا الإحجام عن أهمية النقد الذي قدمه نيتシェ لزعزعة أساس هذه النزعة وفعلياً فإن فلسفة نيتشه قد أسست لمجموعة من الأفكار التي شكلت الإرهاب الأول لسقوط النزعة الإنسانية، فمقولة "موت الإله" قد أفسحت المجال أمام القول بموت الإنسان نفسه، فسقوط الإنسان نتج عن فكرة موت الإله التي تعتبر أساس سقوط القداسة والتعالي الإنساني الذي اعقبه فيما بعد أزمة النزعة الإنسانية وأفولها. وهذا ما أكدته نيتشه في افتتاحية مؤلفه (إرادة القوة) أن الإنسان أصبح في الوضع الراهن يتدرج إلى خارج المركز نحو المجهول.³

يأتي الإعلان الأول لنيتشه حول "موت الإله" أو "أفول المتعالي" في الجزء الثالث من مؤلفه (العلم الملح)، حيث قال: (أين الإله؟ أنا سأقول لكم ذلك! لقد قتلناه أنتم وأنا! نحن كلنا قتلة!)⁴، وقد أجمع أغلب دارسي فكر نيتشه وعلى رأسهم مارتin Heidgger (Martin Heidegger 1889-1976)، بأن موت الإله هنا ليس المقصود به نفي الإيمان في وجود إله، بل المقصود هنا زوال كل الأوهام والمتافизيقا والمثالية والأخلاق التقليدية... إلخ، التي تغنت بها مختلف الحضارات عموماً والحداثة الأوروبية على وجه الخصوص.⁵ وكل ما

¹عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفى المعاصر: هييدغر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطبيعة، بيروت-لبنان، (دط)، 2000، ص 20.

⁴⁰فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير واحد، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، (دط)، 2007، ص .40.

³ جيان فاتيمو، نهاية الحداثة، ص 36، 37.

⁴ فيدرل يك نيتشه، **العلم المحرّ**، ترجمة: حسان بورقة و محمد الناجي ، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1993، ص 132.

⁵Luc Ferry, **Nietzsche : la mort de dieu**, le Fiagro, paris, 2003, pp 65, 66.

صنعه رجال الدين والأخلاق من مثل عليا تلقي بالضعفاء. وهنا فعدمية نيتشه قد أخضعت كل ما هو مقدس متعالي لاهوتي كان أو ميتافيزيقي أو أخلاقي لمطرقة النقد والتوصيب.

إن إعلان نيتشه موت الإله لا يكشف عن وحدة الإنسان في العالم، إذ أن الأمر أخذ أبعاد أخرى، إذ انحر عن أفوله تهافت وزوال القيم الأخلاقية والاجتماعية العليا التي طالما تغنت بها الحداثة والتنزعة الإنسانية على حد سواء، والتي اعتبرت جوهر الإنسان العاقل المسيطر والسيد على الطبيعة بفضل عقلانية ديكارت وأتباعه.¹ هذا ما وصفه نيتشه بالأوهام الميتافيزيقية أو الأخلاقية المصطنعة من قبل الإنسان ذاته وأصبح أسيرا لها، وبفضلها عاش في عالم اصطناعي يتسم بالثالية المخادعة والكاذبة.

ينبع نقد نيتشه للتنزعة الإنسانية انطلاقا من نقه للحداثة وعقلانيتها التي أعلت من كل ما هو مثالي أخلاقي، وأدانت كل ما هو غرائزى جسدي، وهذا ما جعلها تخلق أسباب عدميتها من ذاتها خاصة أنها أنتجت ما يعرف بـ "الإنسان الأخير"، هذا الكائن الذي يجسد مفارقات الحداثة بتمثله للضعف والهشاشة والطبيعة القطيعية وللحروج من هذه الحالة لابد من مرحلة جديدة تكون بمثابة "الإنسان الأعلى".²

لم يكن نيتشه راض عن إنسان العصر الحديث الذي خلفته الظروف التاريخية، والذي تشكل أكثر بفعل السلطة القيمية المفروضة من قبل الكنيسة، ما خلف إنسان القطيع البائس الهش الضعيف، الشفوق، المسلم، الرحيم... إلخ، كما روضته الكنيسة أي "الإنسان الأخير"، ولهذا لابد من قلب هذه القيم من خلال ولادة إنسان جديد هو إنسان الأسمى "Sur-Homme" هذا الإنسان صاحب العدمية الفاعلة أي القادر على الخروج عن القيم الراهنة وقلبها. وهنا يرفض نيتشه أن يكون الإنسان الأعلى نتيجة تطوره الحيوي البيولوجي كما ذهب تشارلز داروين Charles Darwin (1809-1882)، بل يستمد علوه من القوة والإرادة التي تمكّنه من قلب القيم ككل وهذا كإشارة لرفضه للأوضاع السائدة في أوروبا على وجه الخصوص آنذاك، ليكون بذلك إنسان إنسان القيم الجديدة.³

¹ روجيه غارودي، البنية فلسفة موت الإنسان، ترجمة: جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1979، ص 5.6.

² محمد أندلسى، أقول المتعالى وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيتشه، دار التنبير للطباعة والنشر، بغداد-العراق، ط1، 2015، ص 103، 105.

³ عبد الرزاق بعقرورز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 205، 208.

كما يذهب نيتشه إلى أن إفرازات النزعة الإنسانية هو التعالي الروحي العقلاوي الميتافيزيقي في مقابل الحط من كل ماله علاقة بالجسد باعتباره مصدر الانحدار إلى الحياة الشهوانية التي تبحث دائماً عن الإشباع، وهذا ما يتنافى مع قيمها خاصة العقلانية، في حين أن نيتشه أعطى معاني ودلالات مغايرة للجسد فهو ليس أساس المللوات والأخطاء، فبالنسبة للإنسان الأعلى يصبح الجسد منبع الإرادة والقدرة والجمال والحياة وهنا يكتسب قدسيته.¹ يقول نيتشه رداً على الإنسانيين المتشائمين اتجاه الجسد: "إني لا أتبع سبيلكم أيها المحتقرون للجسد، فأنا لا أرى فيكم جسوراً مؤدية إلى الإنسان الأرقى".² إذ جعل من سمات هذا الإنسان أنه مرتبط بالواقع وهو معارض لإنسان الحداثة ولا يتقييد بقواعد الأخلاقية.

وجدير بالذكر في هذا السياق أن المحاولة الجريئة لطرح أزمة النزعة الإنسانية فلسفياً كانت مع الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر في مؤلفه (رسالة عن النزعة الإنسانية) سنة 1946 الذي يمثل رداً على السؤال الذي وجهه له جان بوفريه Jean Beaufret هل يمكن إعطاء مضمون جديد للنزعة الإنسانية؟ حيث ربط بين الإنسانية، والميتافيزيقا، واعتبر هذه الأخيرة إغفالاً للوجود ونسيناها له، وهذا يعني أن النزعة الإنسانية صادرة عن ميتافيزيقا الذاتية كإعلاه من قيمة الإنسان واعتباره مركزاً مرجعياً، وقد أوضح في كتابه "الوجود والزمن" أن سمة الميتافيزيقا هي الإنسانية، ولكن اعتبر أن فكرة "موت الإله" هي أساس تقويض القداسة الإنسانية، من منطلق أن أصل الإنسان هو الله وفقاً للطريق الأوغسطيني الذي ينص على أن الله قريب للإنسان من قريبه إلى نفسه، وبالتالي سقوط فكرة الله تؤدي إلى سقوط الإنسان.³ والتساؤل الذي يمكن طرحه هنا: كيف ساهمت صلة النزعة الإنسانية بالميتافيزيقا وفق منظور هيدغر في تفسير وتوضيح أزمة النزعة الإنسانية؟

لقد سار هيدغر على خطى نيتشه في نقهء للإنسانية، من خلال موقفه من الحداثة وإفرازاتها، إذ تتميز حسبه بعده مميزات أهمها التقنية التي تشكل جوهراً لها، والتي اعتبرها الوجه الآخر للميتافيزيقا، حيث جسدت علاقة الإنسان بالعالم والطبيعة والكونية، هذه العلاقة التي قلبت المفاهيم حيث أصبح الإنسان

¹ عبد الرزاق بلقرنوز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ص 213، 214.

² فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 32.

³ جياني فاتيمو، نهاية الحداثة، ص 38، 39.

مسئولاً مفعلاً مرتبطاً بالتقنية، بعدهما كان سيد الطبيعة ومنتجها.¹ وهنا تصبح ماهيته تسير وفق دعومة ثابتة جوهرها النطق وهذا ما يفرضه منطق الميتافيزيقا.

لقد انتقد هيدغر التقنية وفق منظور فلسي، فمشروع العلم المعاصر حسبه هو مشروع الهيمنة على العالم بواسطة الذكاء والإرادة الإنسانية، هذا التقدم الذي يحقق التحرر ومنه السعادة للبشر، لكن بمجيء التقنية أصبحت السيطرة هي الغاية في حد ذاتها، وأضحى التحكم من أجل التحكم والقوة من أجل القوة، والسيطرة لصالح القوي والمحكم والمنتج، والأدھي من ذلك هو التحكم السياسي للتقنية.² يقول فيري واصفاً موقف هيدغر: ((إنه الوحيد، برأيي، الذي أعطى عن العالم اليوم - عما يسميه "عالم التقنية" - تفسيراً يتبع فهم سبب استحالة التوقف عند موقف نيشه على الأقل، إذا أردنا إلا أن تكون بكل بساطة شركاء في واقع يأخذ حالياً شكل العولمة الرأسمالية)).³ أي أن الهدف ليس السيطرة على العالم بل الأهداف التي تسعى إليها هاته السيطرة.

وتدعمت هذه المواقف أكثر مع ثورة التحليل النفسي بزعامة النمساوي سيغموند فرويد sigmaund Freud، الذي بفضل جهوده في نظرية اللاشعور، وما صاحبها من رد اعتبار للجسد ككيان بيولوجي غرائزى لا يمكن تجاهله أو تجاوزه، تم قلب العديد من التصورات والمنظورات التقليدية للنفس، العقل، الشعور، الوعي، الإدراك، الجسد... إلخ، وهذا ما شكل ضرورة مميتة لمبادئ وأسس النزعة الإنسانية وعلى رأسها الكوجيتو، الذي كان شكا في موضوعات العالم الخارجي ويقيناً في الذات، لكن مع التحليل النفسي صار شكاً في الذات نفسها ومقوماتها.⁴ إذن فكرة أن الإنسان مسؤول عن أفعاله وأفكاره هي مجرد وهم، وعليه فعندما أعلن فرويد أن اللاوعي هو الذي يتحكم في الوعي، بدأت تلك المركبة التي احتلتها الذات في التراجع والانهيار، وبفضل جهوده أصبح نقد الذات والإعلان عن لا مركزيتها من أهم مقومات حركة ما بعد الحداثة في الفلسفة، وعموماً في أواخر القرن التاسع عشر، بدأت مرحلة تشظي الذات مع فرويد، حينما قسم النفس إلى جانين: واعي ولا واعي.

¹ محمد أندلسى، أقول المتعالى وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيشه، ص 108، 110.

² Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties:an essay on Antihumanism**, translated by : Mary H.S Cattani, British library cataloguing in publication data, london, 1990, pp 126,128.

³ لوك فيري، تعلم الحياة، ص 311.

⁴ Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties**, pp 185, 186.

أعلن الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (1926-1984)، أواخر ستينيات القرن الماضي صيحة المشهورة: "موت الإنسان la mort de l'être humain"، وهي صيحة أحدثت ضجة كبيرة على مستوى الساحة الفكرية، وفي إيزان صريح بنهاية الإنسان كما طبعته القوة الخفية.¹ حيث نجد في أواخر كتابه (الكلمات والأشياء) الذي يعتبر أهم التأليف الفلسفية والتاريخية في القرن العشرين، إذ اعتبر موضوع الإنسان لا يتجاوز القرن والنصف ليكرز بالخصوص على هذه العبارة: "... كل ذلك يدل ولا شك على أن الإنسان مشرف على الموت (...)" فالإنسان اختراع، تظهر أركيولوجيا فكرنا بسهولة حداثة عهده، وربما نهاية القريبة.² إذ يستنتج المفكرون القارئون للمنطق الفوكوي أن فوكو كان من البنّيّيين القائلين بفلسفة "موت الإنسان" أو أقول النزعة الإنسانية، وما أكده ذلك حسب فوكو أن هناك إقصاءً حقيقيا للجحون باعتباره يمثل اللاوعي أو اللاعقل على مدار تاريخ الفكر، إذ أن الكوجيتو الديكارتي يقصي الجحون تماماً ويستبعده.

تم إنشاء هذا المفهوم الخاص بالإنسان وفقاً لفوكوفي فترة التنوير الأوروبي -من أواخر القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر- وتطور في القرن التاسع عشر، خلال الثورة الصناعية، ومات في القرن العشرين عندما أعلن "نيتشه" موت الله ولادة الإنسان الأعلى، وفي هذا الصدد يذكر فوكو: "عاد نيتشه إلى اكتشاف النقطة التي ينتهي فيها الإنسان والله إلى بعضهما البعض، وعندما يكون الثاني مرادفاً لاختفاء الأول، وعندما يعلن وعد الرجل الخارق أولاً وقبل كل شيء عن قرب موت الإنسان".³

يعتقد فوكو أن موت الإنسان وموت الله مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، لا يمكن استبدال هذا "الإنسان"الجزئي والواقع تاريجياً، كما تم تصوره خلال عصر التنوير الأوروبي، إلا بإنسان ممكّن تماماً، أي فرد دون الحاجة إلى إله خارجي، وبالتالي قتل الله رمزاً. إذن موت الإله يعقبه موت الإنسان حسب نيتشه، وهذا يظهر في قول فوكو: "إن ما يعلنه نيتشه هو انفجار وتشظي الإنسان، وهو الاختفاء النهائي".⁴

¹ Luc Ferry, Alain Renaut, *la pensée* 68, p 166.

² ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صدقي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، (دط)، 1990، ص ص 312 .313

³ المرجع نفسه، ص 342.

⁴ المرجع نفسه، ص 397.

يرى فيري أن فوكو أقر بأن الظروف التي عايشها العالم الغربي حديثا، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، والتي نجد من تظاهراتها: الحروب العالمية، وسائل الإبادة الجماعية، التقدم العلمي والتكنولوجي... وغيرها، جعلت من الإنسان موضوعاً للتفكير، إذ أنه لم يكن موجوداً قبل القرن الثامن عشر، وبولي فضل استقاء مادته المعرفية إلى عدة فلاسفة سابقيه، وعلى رأسهم نيشه وهайдغر، ومدرسة فرانكفورت، حيث ساهموا كثيراً في بلورة مشروعه الفكري الذي يندرج ضمن صيحة "موت واحتفاء الإنسان"، معلنًا بذلك رفضه للنزعة الإنسانية، باعتبارها نزعة ميتافيزيقية، بكل مقولاتها التي لم تولد سوى الأوهام والأساطير، والتي جعلت من الإنسان حدث معرفي ثقافي مؤقت أو منعطف.¹ لهذا فمسيره الاندثار والزوال، وبهذا فقد أضفى إنسان النسق صبغة الظرفية العابرة على حد ظهوره ونشوءه، وانتهى بوصفه "أسطورة القرن العشرين"، الذي حان وقت استئصاله من الثقافة الجديدة.

ويعتقد فيري أنه يجب التمييز بين موتين مختلفين للإنسان، حسب الرؤية الفوكاوية:

- موت الإنسان كذات ميتافيزيقية كما توحى به فلسفة نيشه وهيدغر.

- موت الإنسان بالمعنى الذي ينتج عن العلوم التي تدعم بقايا الإنسانية الميتافيزيقية، وتجعل من الإنسان موضوعاً للدراسة عن طريق تحويله إلى شيء، وبالتالي السماح لذاته الحقيقة بالهروب.²

لقد اتخذت الفلسفة الفرنسية عموماً -وفقاً لـ فيري- بكل مشاركتها وتفرعاتها منذ سنة 1968 موقفاً مناهضاً للإنسانية خاصة مع فوكو، جاك ديريدا (Jacque Derrida 1930-2004)، جاك لakan (Jacque Lacan 1901-1981)، جان فرانسوا ليوتار (Jean François Lyotard 1924-1998) ولوي ألوسيير (Louis Althusser 1918-1990)، هذا ما يدفع حسبه للتساؤل: لماذا أعلن جيل السبعينيات أنه يجب إدانة مركبة الإنسان؟، كما ينوه فيري على أن المواقف المعاشرة والمعادية للإنسانية لم يكن الغرض منها الدفاع عن الهمجية والمطالبة بالإنسانية، وإنما كانت بسبب الآثار التي نتجت عن الإنسانية الحديثة، خاصة وأنها تدافع عن مبادئ ميتافيزيقية، وهنا كان لزاماً البحث عن شروط إنسانية غير ميتافيزيقية.³

¹Luc Ferry, Alain Renaut, **Foucault**, In : « New French Thought : political philosophy », editor : Mark Lilla, princeton university press, United Kingdom, 1994, pp 57, 58.

² Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties**, p 101.

³ Luc Ferry, Alain Renaut, **Pensée** 68, pp 30,33.

وبالرجوع إلى موقف فيري من الحركات المضادة للإنسانية Anti-Humanisme، فإنه يقر بأن النقد فيها كان منصباً على سمات الإنسانية الآنفة الذكر، حيث شكلت محوراً للنقد لدى الكثير، والذي أجمله في أربع نقاط وهي كالتالي:

- **نقد العقلانية المفرطة:** إن الإفراط في الاستناد إلى العقل كبدائل للقوة الإلهية التي أصبحت غير كافية، على أساس أن العقل لوحده كافٌ لبناء تصوراتنا الكاملة عن الحياة والوجود والكون والإنسان والثقافة والسياسة... إلخ، وذلك بالرجوع إلى القواعد التي رسمتها العقلية الإغريقية قديماً، يعبر عن تناقض ذاتي لا يدركه العقل،¹ الذي أصبح مالك التاريخ، لكن هذا العقل ذاته تولدت منه أفكار الاستعمار والاستعباد والعنصرية والإرهاب ... إلخ، وما قد وضع ثافت العقل مع ذاته هو تقدم العلم التجاري وإفرازاته.

وحتى الحقوق الطبيعية والمدنية التي أشادت وتعنت بها كثيراً، أصبحت تعبر عن إيديولوجيا ونزعة قومية تخص الجنس الأوروبي المتعالي، وهذا ما دفع بالكثير من المفكرين وال فلاسفة المعاصرين إلى محاكمة العقل على غرار هانز جورج غادامي Gadamair (1900-2002) في مؤلفه: (المنهج والحقيقة). وكذلك الفرنسي روسو، الذي يعتبر فيلسوف أنواري في جانب من فكره المتعلق بالديمقراطية والحقوق المدنية... إلخ، وفي الوقت نفسه يعتبر ناقداً لاذعاً للنزعة الإنسانية التي تطرفت في استخدام الحرية إلى غاية الوصول إلى بناء عالم مصطنع منحرف يعرقل التقدم ويقصي الذوات الأخرى المختلفة، ويمثل ذلك بالتمثيل المسرحي الذي يجعل المشاهدين سلبيين متأثرين بمشاهد غير واقعية.²

نقد النزعة الكونية: إن فكرة القيم الكونية التي تأسست عليها الإنسانية، هي مجرد شعارات وهمية مثالية قابعة في الماورائيات، بعيدة عن الواقع، خاصة وأن نموذجها هو الحضارة الغربية، هذه النمذجة التي قوبلت بالرفض حسب فيري، من منطلق أن لكل ثقافة وحضارة أو مجتمع قيم خاصة به، والتي يقوم عليها، بعيداً عن الاختزالية أو النمذجة العالمية.³ هذا النقد الذي تبناه الكثير من الفلاسفة المعاصرين على غرار جيل دولوز Gilles Deleuze (1925-1995)، جاك دريدا، ميشال فوكو وغيرهم، بدعوى الحق في الخصوصية الثقافية والقيمية، خاصة أن القيم الإنسانية أفرزت الكثير من التعصب والعنصرية والقومية وإلغاء

¹ لوك فيري بالتعاون مع كلود كيللياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 234.

² Ferry Luc, Alain Renaut, **How Think about rights**, in : « New French Thought : political philosophy », editor : Mark Lilla, p 149.

³ لوك فيري بالتعاون مع كلود كيللياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 241.

آخر ، مثل: النازية والفاشية، هذا ما جعل الفيلسوفة الأسترالية الإيطالية روزي بريدوتي Rosi Braidotti (1954-) تربط بين هذه المظاهر والحركات السياسية وبين انتهاء النزعة الإنسانية، حيث اعتبرت مفهوم الإنسان قد انفجر تحت ضغط مزدوج من التقدم العلمي والمخاوف الاقتصادية. وقد حاولت بريدوتي تقديم عدة أمثلة لتوضيح فكرة إزاحة مركبة الإنسان بسبب أن الإنسان بمفهومه الأنواري والحداثي، صدرت عنه جرائم لا يستصيغها المنطق والأخلاق، مما جعله يعاني من خلل لابد من معالجته، وستقتصر هنا على شرح مشهدتين، الأولى: يتمثل في إقدام المتمدرس الفنلندي "بيكا أوفين" ذو 18 سنة بقتل ثمانية من أصدقائه، وجرح البعض الآخر ثم قتل نفسه داخل ثانويته بمدينة قريبة من " هلسنكي" ، وذلك سنة 2007، وبعد هذه الواقعة تم نشر فيديو له يرتدي فيه قميصا مكتوب عليه " الإنسانية مبالغ فيها".¹ والمفارقة هنا أن هذه الجريمة وقعت في دولة غنية رأسمالية وديمقراطية، وهنا تستخلص "بريدوتي" أن هذا المثال يضرب في عمق الخلل الذي أصاب مفهوم الإنسان اليوم، وفيه ، إنباء بموت الفكر الغربي الذي يسلم بكونية واستقلالية وإنسانية ذات الإنسان الأوروبي.

أما الثاني: وضحت من خلاله بريدوتي نفاق الغرب الذي ادعى تحكمه في سيرورة التقدم التقنو- علمي، وكذلك تقديسه لحقوق الإنسان. لكن الواقع يؤكد غير ذلك، والدليل هو الحروب غير العادلة التي مزقت عدة شعوب.² ففي أفغانستان أو غزة حاليا في حرب 7 أكتوبر 2023، اضطر الناس لأكل الحشائش حفاظا على حياتهم، في الوقت الذي كانت فيه عدة دول أوروبية وأمريكية تغذي أبقارها وأغنامها على العلف المكون من اللحوم.

تعتبر بريدوتي أن حركة نسوية ما بعد الحداثة، في التسعينيات من القرن الماضي، من أشهر الاتجاهات التي انتقدت النزعة الإنسانية نظراً لتكريسها الهيمنة الذكورية القائمة على إيديولوجية التفريق الجنسي، حيث جاء على لسان إحدى ممثلاتها لوس إريغاراري Luce Irigaray (1930-) أن صورة الإنسان المتعالي كما مارسته الإنسانية هو نموذج من ذكر أوروبي أبيض وسيم... إلخ،³ وقد أعادت بريدوتي خاصة على الليبرالية الفردية استغلالها نموذج "الإنسان الفيتروفي" كمثال للكمال والجمال يخص الرجل الأبيض فقط، حيث تم

¹ لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 14-19.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ المرجع نفسه، ص 37، 39.

وضع صورته على أ��اب قهوة شركة "ستارباكس" كدعاية تسويقية للكمال وفق النموذج الأوروبي والغربي عموما، في حين تافق بريدوتي مفكري ما بعد الحداثة في أن الفيتووفية تكرس المركبة الإنسانية.

إن السلبيات السابقة المرتبطة بالنزعة الإنسانية جعلتمن بريدوتي تعلن أن هذه النزعة أصبحت تحمل في طياتها بذور فنائها أخلاقيا، سياسيا وفكريا، فهي تعبر عن مركبة أوروبية وعنصرية ذكورية نجم عنها جعل الإنسان الأوروبي محرك التطور البشري والشرع الأخلاقي، متتجاهلة التنوع الجنسي وتعدد الثقافات والهويات، وهذا ما يعبر عن نظرة ضيقة وجهل والوعي السيء من قبلها، وقد وصفت ذلك بـأيقون العصر الجديد الذي فهم مركبة الإنسان وعلاقاته الاجتماعية والإنسانية وقيمته الأخلاقية، نتيجة السبولة اللامتناهية لما بعد الحداثة بتعبير الفيلسوف البولندي زيمونت باومان Zegmund Bauman (1925-2017).

- ولنفس السبب رفض الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس Claude Lévi Strauss (1908-2009) النظرة الأحادية لبقية الحضارات ،سعيا منه لنقد النزعة الأوروبية المركبة من باب الحداثة وأهم ركائزها ألا وهي العقلانية الحديثة في كليتها،¹ داعيا في كتابه(العرق والتاريخ) الذي نشر عام 1956م، إلى تأسيس رؤية جديدة تحيط خصوصيات كل حضارة دون مقارنة أو تمييز بينها وبين بقية الحضارات، ما يكرس تنوعا للحضارات الإنسانية، فالمجتمعات التي يسميها "المتوحشة"-في عيون الغرب- لا تقل قيمة عن الغرب الأوروبي.² وبهذا ستسقط فكرة أوروبا الحضارة كما جسدها الإنسانية، فالحضارة للجميع ولا يمكن نمذجتها وفق منطقة معينة، هذا الطرح الذي يفضي إلى نسبية القيم الإنسانية وعليه فهذا النقد الموجه للنزعة الإنسانية الأنوارية أسقط القناع الذي كانت تخفيه وراءه كاشفا وجهها الآخر والذي استخدمته كذرعية ومسوغ للسيطرة على الشعوب غير الأوروبية واستعمارها.

-نقد التقدم: إذا كانت أول مشكلة واجهتها النزعة الإنسانية، أنها تعبر عن ثقافة أوروبية خالصة يطغى عليها طابع العنصرية والتحيز للعرق الغربي، فإنه تعمق النقد الموجه لها بعد ذلك ليطال أنسابها ومبادئها، أهمها أنها ألغت الجانب اللاإنساني أي البيولوجي أو الغرائي للإنسان لهذا فهي اهتمت بالجانب

¹لوك فيري، ألكسندر رونو، نقد الأنوار، ترجمة: المصطفى باري، مجلة مدارات، عدد 16، المغرب، 2008، ص 161.

²لوك فيري بالتعاون مع كلود كلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 243.

الأدبي والفلسفي وأغفلت التقنية في المقابل، مما خلق نظرة متطرفة براغماتية للتقنية التي تحولت إلى غاية والإنسان تابع لها.¹

في نفس السياق وجهت مدرسة فرنكفورت النقدية نقداً إلى مشروع الإنسانية في حد ذاته كاشفة عما به من خلل وتناقض، فالعقلانية التقنية الآداتية التي اتخذتها هذه النزعة، كأهم عامل للتحرر من سيطرة الطبيعة وإخضاعها للإنسان باسم التقدم العلمي، انفلتت منها الأمور وانقلب المفاهيم وأصبحت التقنية هي الهدف أو الغاية، وأصبح الإنسان مجرد وسيلة، وبتعبير أدق مجرد سلعة ما أدى إلى تشويهه،² وبتعبير هيدغر أصبح موظف التقنية.

- النقد ذو المنزع البيئي: الذي تبناه مشروع "الإيكولوجيا العميق"³ Deep Ecology، التي تلغى تفوق الإنسان على الطبيعة وتنظر إليه على أنه عضو فيها وجزء منها، ومن أبرز مثالى هذا التيار، هانس يوناس Hans Jonas (1903-1993).⁴ ويفهم من موقف فيري الذي يرحب وينسب نفسه إلى التيار الإيكولوجي العميق، التي تصبو إلى نوع من العلاقة مع الطبيعة ليس فيها غلبة لأي طرف على الآخر، وهذا ما دفع به إلى مهاجمة وإدانة التصور الأنواري حول مركبة الإنسان خاصة على الطبيعة، ووفقاً لرؤيته في كتابة(النظام الإيكولوجي الجديد) ، فإن الإيكولوجيا العميق ليست محاربة لمشاكل الطبيعة الثانوية، بل هي رؤية مستحدثة عن العلاقة بين الإنسان وبيئته.

وقد شكل كل هذا مراجعة شاملة لمفهوم وأسس الإنسانية. مما نتج عنه إعادة التفكير فيما يعني أن يكون الإنسان إنساناً، وذلك وفقاً لمقولات جديدة، تنسجم مع المستجدات الراهنة خاصة في ظل الانفجار المعرفي والتكنولوجي.

وإجمالاً يمكن تصنيف الاتجاهات التي عملت على مراجعة ونقد الإنسانية في الفلسفة المعاصرة إلى تيارين، الأول: الذي دعا إلى التخلص من وهم النزعة الإنسانية، والتفكير التاريخي باسم الدعوة إلى التحرر

¹ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية: من الإنسان إلى ما بعده، ترجمة: محمد أسليم، مطبعة بلال، المغرب، (دت)، ص 226، 227.

² لوク فيري بالتعاون مع كلود كيلياتي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 246، 247.

³ الإيكولوجيا العميق deep ecology: فلسفة بيئية تعمل على تعزيز القيمة الجوهرية لجميع الكائنات، ويتمثل مبدأها الأساسي في الاعتقاد بأن البيئة الحية ككل يجب احترامها واعتبارها تتمتع بحقوق أخلاقية وقانونية أساسية أي لا وجود لنفوذ بشري عليها. (ينظر: luc ferry, (nouvel ordre écologique, p 280.

⁴ Luc Ferry, Le Nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal, l'homme, édition Grasset, Paris, 1992, p 58.

من أوهام الميتافيزيقا بما فيها العلم نفسه، دون تقديم بديل، وذلك مع نيته، هيذر و البنوية عموماً، وغيرهم من الفلاسفة.

أما الثاني: فقد دعا إلى التخلص من وهم النزعة الإنسانية والفكر التاريخي باسم العلم والتقدم مع تقديم البديل، ويمثل ذلك أنصار البيولوجيا التقدمية¹، وكذلك مع ما يعرف به: "ضد الإنسانية"، الذين نادوا بضرورة تأسيس إنسانية جديدة تقوم على تقدم العلم ذاته، ما نتج عنه ظهور فكرة "الإنسانية المتحولة" و "ما بعد الإنسانية".

3- الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟

حظي عصر ما بعد الحداثة بالكثير من النقاشات الفكرية، كان على رأسها تداول حديث النهايات، عبر من خلالها الفلاسفة عن منظور تناهي أو اكتمال عدة موضوعات، مؤكدين على ضرورة الحديث عن مستقبلها، بهدف الكشف عن إمكاناتها وحدودها، من بينها إعلان "موت الإنسان" كما ذكرنا سابقاً، مما ولّد أفكاراً جديدة تمثلت في تشكيل مفهوم جديد تماماً للإنسان يختلف عن كل التصورات الفلسفية السابقة، وإعادة تركيب رؤية جديدة، تعززت أكثر بفعل التطبيقات البيوتكنولوجية على الكائن الحي والإنساني على وجه الخصوص، ما أفضى إلى طرح فكرة ميلاد إنسان جديد أو ما يطلق عليه بـ "الإنسان الفائق/المتجاوز" أو "ما بعد الإنسان".

والمشكل الذي يطرح نفسه هنا: هل الإنسانية المتحولة امتداد للنزعة الإنسانية أم أنها تناقضها، وبالتالي قامت على عدميتها؟ هذا يحيلنا إلى طرح سؤال آخر فلوفي وأخلاقي يرتبط بعلاقة الإنسان الفائق، وبتصور الإنسان للإنساني، فعندما نتحدث عما بعد الإنسان، فهل هذا يعني أن إنسان الحداثة قد اكتملت صورته وشروطها، لهذا انتقل للبحث عن ما بعده، أم أنه لم يكتمل كمشروع لهذا لابد من تكميله بمشروع ما بعدي جديد؟

لقد طرح هذا الإشكال مواقعاً متعارضة، والتي يمكن حصرها في اتجاهين، الأول: الذي يؤكد على استمرارية التصور الإنساني، وعدم اعتبار زيادة قدراته مدخلاً لتغيير هذا التصور وتمثله الإنسانية المتحولة، والآخر: الذي يرى أن تطور التقنيات سيدفع إلى إحداث تشويش كثيف على جملة المفاهيم والتصورات، التي

¹البيولوجيا التقدمية bioprogressim: تيار فلوفي وعلمي وسياسي يشجع على استغلال مختلف التقنيات المعاصرة المتقدمة والفاقة في مجال الطب والبيولوجيا، بهدف تعزيز وتحسين حياة الإنسان الجسدية والعقلية والنفسية. (ينظر: <https://shs.caim.info>)

ترسخت حول ما بعد الإنسانية، الحداثة والإنسان والثقافة، بل وحتى حول المادة¹. خاصة وأن ما بعد الإنسان كفكرة تبلورت أكثر مع تدخل التقنيات في التركيبة البيولوجية للإنسان وفق منطق حتمية التطور، وبالتالي البحث عن وجود وهوية جديدة لهذا الإنسان.

تمثل الإنسانية مشروع الحداثة الغربية، حيث عملت على إعادة الاعتبار للإنسان، وجوداً وهوية، وجعلته سيداً على الطبيعة وحررته من القيود الدينية، الاجتماعية والفكرية الدوغمائية، وبهذا التصور يتبنّاها أصحاب هذه الحركة الجديدة، ويعتبرون أنفسهم امتداداً وإكمالاً لها، والمجسدين الفعليين لأهم مبادئها، على اعتبار أنهم يرون الحداثة مشروعًا متعدلاً بفعل عوامل تاريخية لم يتحقق ما كان متطلباً منه، وهو مستعدون لتسليم المهمة من جديد والذهاب إلى أكثر مما تمناه هذه الحركة المتفائلة. لقد ثقت إنسانية الحداثة بقدرات الإنسان العقلية، وعملت على تطويرها سعياً لجعلها كائناً متحضراً وراقاً بأخلاقه، جوهره الحرية والإرادة، لهذا كانت غايتها منذ نشأتها تحقيق الكمال المعنوي وتحسين القدرات العقلية والذهنية للكائن البشري، وبنفس المنطق أي السعي للبلوغ الكمال والسمو تتقاطع مع حركة الإنسانية المتحولة أو البعدية، التي جعلت شغلاً لها الشاغل إقامة كيان إنسان فائق بيولوجياً جسدياً.² إذن يتفق أنصار الإنسانية المتحولة مع فكرة الكمال، ويعتبرونه من أولوياتهم وأسمى هدفهم.

يسلم أنصار الإنسانية المتحولة أيضاً بأنها نزعة عقلانية مادية تقوم كسابقتها فلسفة الأنوار والحداثة على أساس نقيدي راضٍ لكل الدوغمائيات والمعتقدات، وهذا ما دفع بالفيلسوف السويدي نيك بوستروم(Nick Bostrom 1973-) إلى اعتبار الإنسانية المتحولة هي إنسانية الأنوار مضاف إليها التكنولوجيات. أي أنها امتداد واستمرار للإنسانية الكلاسيكية من خلال اهتمامها بتحسين والإعلاء من القدرات الجسدية والذهنية للإنسان، بعد تطور التقنيات البيولوجية وتدخلها في صنع هوية وماهية جديدة للإنسان، تماماً مثلما عملت الأنوار والحداثة على تحرير الإنسان من أحجج الفكر الكنسي السكولائي³. وبالتالي فإن بوستروم يعتبر الإنسانية المتحولة امتداداً تاريخياً وتطوراً فكرياً للنزعة الإنسانية.

¹ إشراف علي عبود المحمداوي، خطابات المابعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 4.

² محمد جيدجي وآخرون، البيوأтика وطبعتنا الإنسانية الهشة في زمن الهيمنة الفيروسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2022، ص 144.

³ Nick Bostrom, A history of transhumanist thought, 2005, <http://www.nickbostrom.com/papers/history.pdf>

وعلى نفس الدرب نجد كل من جيمس هيوز James Hughes (1961-) في كتابه "إعلان ما بعد الإنسانية" الصادر سنة 2002، وقبله الفيلسوف الإنجليزي ماكس مور Max More في مقاله "قواعد إكستروبية 3.0: إعلان ما بعد الإنسانية" الصادر سنة 1998، قد أكدوا على أن الإنسانية المتحولة هي انتصار لوعود الأنوار، وعليه فهي لا تتنافى مع مبادئ النزعة الإنسانية، إذ كلامها يؤمنان بالعقل والتقدير. وقد حدد مور طبيعة وجوه العلاقة بين الهيومانية والترانسهيومانية في قوله: "يفضل خبراء التحول الإنساني، مثلهم مثل أنصار النزعة الإنسانية، العقل والتقدير والقيم المتمحورة حول تحقيق رفاهيتنا بدلاً من التركيز على سلطة دينية خارجية، وبذلك فهم يشكلون امتداداً للنزعة الإنسانية عن طريق التشكيك في حدود الإنسان بأدوات العلم والتكنولوجيا مقتربن بالتفكير النقدي والإبداعي... إذ نرى الإنسانية بمثابة مرحلة انتقالية في نمو الذكاء التطوري، وندفع عن استخدام العلم لتسريع وتيرة انتقالنا من حالة الإنسانية إلى حالة الإنسانية المتحولة أو ما بعد الإنسانية".¹

ويمكن تصوير الإنسانية العابرة للكائن البيولوجي الحالي غير المعزز تقنياً بأنها توسيعة وامتداد لفكرة الإنسانية، فلفظ إنسانية متحولة مشتق جزئياً منها، حيث يؤمن دعاة الإنسانية أن البشرية كينونات مهمة، وفي هذه النقطة يتشاركون مع دعاة الإنسانية المتحولة بإيمانهم بالقيم الإنسانية المنشودة، إضافة إلى تأكيدهم على القدرات الفائقة التي يمكن أن يصل إليها الكائن البشري جسدياً وذهنياً، والتي تجعله متميزاً عن الإنسان الحالي أو المومو-ساينس، فكما سعت الإنسانية للاستعانة بالوسائل العقلانية المتاحة أندذك لتطوير الوضع البشري سابقاً، والارتفاع به وبالعالم الخارجي معاً، دعا أنصار الإنسانية المتحولة كذلك إلى اللجوء للوسائل العقلانية (التكنولوجيا) لتطوير ذواتنا والارتفاع بها، مع ما يتماشى والتقدير العلمي والتكنولوجي.² وهنا تصبح الإنسانية المتحولة مكملاً لنقائص الإنسانية الكلاسيكية. ثم إن التركيز على مفاهيم مثل: العقلانية والتقدير والتفاؤل يتماشى مع حقيقة أن الإنسانية المتحولة من الناحية الفلسفية تتتجذر في عصر التنوير، وبالتالي فهي لا تستولي على النزعة الإنسانية، ومن خلال دفع هذه الأخيرة إلى أبعد من ذلك، يمكن تعريف الإنسانية المتحولة بأنها "إنسانية فائقة".

¹Max More, *The Extropain principles : A Transhumanist Déclaration*, Mrob, 1998, accessed on 6-2-2023, at : <http://bit.ly/40km4x>.

²إدوار كلينتر وآخرون، الإنسان المزيد، ترجمة: شاكر جميل، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، (دط)، 2019، ص ص 103، 101.

إن النظرة الثاقبة لخصائص النزعة الإنسانية وخصائص هذه الحركة الجديدة، مروراً بالتقليبات الفكرية التي صاحبت عصر ما بعد الحادّة إلى غاية الآن. نصل إلى أن "الإنسانية المتحولة" قامت على أنقاض ورماد الإنسانية. بل وهي كرد فعل عليها نظراً لفشل مشروعها على أرض الواقع، ويمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

- تسلّم الإنسانية بمركزية الإنسان Anthropocentrisme، والتي أصبح الإنسان بموجتها متفوق عن بقية الكائنات وعلى رأسها الحيوان، وهذا بفضل جوهره الثابت الميتافيزيقي ككائن متعال عاقل ناطق، هذا ما لا يستصحبه أنصار الإنسانية المتحولة معتبرين أنها أفكار وهمية لا تغدو أن تكون مجرد أساطير وخرافات وايديولوجيا تجعل من الإنسان قابع في الماورائيات وتبعده عن حقيقته المتمثلة في تحقيق كماله البيولوجي.

- يؤمن دعاة الإنسانية المتحولة بالتطور المستمر للإنسان، وأن الإنسان الحالي أو ما اصطلاح عليه بالإنسان العاقل قد مضى وقته وأن الأوان لظهور إنسان جديد مختلف تماماً¹ أو ما يسمى "الإنسان الفائق".

لقد وضعت التقاليد الفلسفية تصوراً عن الطبيعة البشرية ورهنتها بجملة من الخصائص منها: العقلانية، القداسة، الحرية، الاستقلالية الفردانية، الثبات، المطلقة، والحقوق الطبيعية، هذا التصور الذي سيطر على الفكر الإنساني رحراً من الزمن، اتخذته النزعة الإنسانية مشرباً ومعياراً لها. أما عن الإنسانية المتحولة، فهي تقترح إما أن نعود إلى الطبيعة، ونقبل الحدود الطبيعية الخاصة بنا، أو أن نسعى للتغلب عليها والتخلص منها، والخيار الأول هو ما يدافع عنه مناصري التيار الإنساني من خلال التخلّي عن فكرة أنه بإمكاننا التحكم في الطبيعة البشرية، وقبول كوننا خاضعين لحتمية بيولوجية، وفي المقابل يجادل خبراء التحول الإنساني بأنه يجب علينا بذل أقصى جهدنا للتغلب على حدودنا الطبيعية من خلال العلم والتكنولوجيا، فقدر البشرية ومصيرها ليس الانسجام مع الطبيعة، بل إعادة تشكيلها وإعلائها.

نلامس اليوم تحلياً واضحاً لخطاب إنساني جديداً، ينهل أنسسه ومبادئه من التراث الفكري للإنسانية الغربية، ومن تجاوزه لها في الآن نفسه. وهنا نعتبر الإنسانية المتحولة تمثلاً واقعياً لأهداف إنسانية الأنوار، خاصة في فكرة المكافحة عن الحقوق الإنسانية، وفي مقدمتها الحرية، إلا أن الإنسانية قائمة على فكرة

¹ محمد جديدي وآخرون، البيوأтика وطبيعتنا الإنسانية المنشطة، 145.

الحقوق الطبيعية الثابتة عقلياً والتي أقرّتها الشرائع الدينية، ما يحيل إلى بعدها الميتافيزيقي، هذه الفكرة بالذات شكلت أهم نقد وجه للنزعه الإنسانية من قبل الترانس إنسانية، فالكائن البشري يملك حرية التصرف في جسده سواء بالمحافظة على خصائصه العادلة أو تغييره وتحسينه بفضل البيو تكنولوجيا الفائقة التي أتاحت له ذلك.¹

يبشر بيان الإنسانية المتحولة الثاني الصادر سنة 2012 مباعداً نسخة نموذجية لتحول الكائن البشري، وهذا نتيجة تأثر الإنسانية بمخرجات التقنيـعلمـي، ما يجدد طموحها نحو تعزيز قدرات الإنسان وبلوغ الخلود إن أمكن، مع الدعوة إلى تحديد الأخلاق لتلاءم مع هذا الراهن، تقوم على أساس احترام استقلالية الفرد والحفاظ على حقوقه، ومن أهمها الحق في تحسين حياته وتطوير جسده والإعلاء من قدراته الإدراكية.

إن القراءة الممحضة لهذا البيان التأسيسي لهذه الحركة، تضعنـا أمام إشكال قلق حول تـموضع الإنسانية المتحولة، التي تنادي بتجاوز الإنسان الحالي والانتقال به نحو نوع جديد فائق، مقارنة بالإنسانية التقليدية وتقاليد الأنوار، حول الحقوق والحريات والديمقراطية، وأمام هذه المفارقة يتـسائل فيـري إن كانت الإنسانية المتحولة تـسعى لتوسيع الإنسانية الكلاسيكية أم القطيعة معها؟ ويـجيب عن ذلك بأن مناصري التـحول الإنساني يـسعون لصياغة أهدافـهم وفقـاً لتـقالـيد النـزعـة الإنسـانية الأنـوارـية وفي عـصرـ الحـدـاثـة.²

يـحدد فيـري أربع نقاط أساسـية نـلـمـسـ فيها رـجـوعـ الإنسـانيةـ المـتحـولـةـ إـلـىـ النـزعـةـ الإنسـانيةـ:

أولاً: في فـكـرـ الإـيطـاليـ بيـكـ دـيـ لـامـيرـونـدولـ، الذي يـقرـ بـأنـ حرـيةـ الإـنسـانـ تمـكـنـهـ منـ التـحرـرـ منـ طـبـيـعتـهـ. وكـذـلـكـ فيـ فـكـرـ كـونـدـورـسيـهـ وـفـرنـسيـسـ بيـكونـ Francis Bacon (1561-1626) وـغـيرـهـ، الذينـ أـقـرـواـ بـإـمـكـانـيـةـ بـلـوغـ الـكـمالـ البـشـريـ.³

ثـانـياـ: تحـمـلـ الإنسـانيةـ المـتحـولـةـ تـرـاثـ التـفـاؤـلـ العـلـمـيـ الذيـ حـظـيـتـ بـهـ الـحـدـاثـةـ وـالـتـنـوـيرـ، وـيـتجـلـيـ هـذـاـ فيـ اـهـتمـامـهـاـ بـالـتـقـنـيـاتـ المـتـطـوـرـةـ فـيـ الـمـجـالـ الـبـيـوـطـيـ خـاصـةـ وـالـذـكـاءـ الـاصـطـنـاعـيـ.

¹Gilbert Hottois, **Demain les posthumains**, 2015, p228.

²Luc Ferry, **la révolution transhumaniste**, p36.

³Ibid, p153.

ثالثاً: أدبيات الخيال العلمي التي بُرِزَت في عصر الحداثة، حيث عزّمت هذه الإنسانية الجديدة إلى جعلها واقع.

رابعاً: ارتباط نشوئها بالسياق الفكري المتمثل في عصر النهایات وما بعد والضديات، مثل: النزعات المناهضة للإنسانية، ما بعد البنية، التفكيكية.¹

ويمكن إيجاز الاختلافات بين الإنسانية المتحولة وإنسانوية الأنوار في النقاط التالية:

- الانتقال من الحتمية البيولوجية إلى الاختيار (التعديل الجيني).

- الانتقال من الطب العلاجي إلى التعزيزي والإعلائي.

- عدم وجود طبيعة إنسانية ثابتة تتمحور حولها جميع الحقوق.

- التعزيز الشامل لجميع مقومات الإنسان الفيزيقية والعقلية والنفسية ومنه الاجتماعية والثقافية... إلخ.

فيما يخص موقف لوک فيري حول هذا الموضوع، فإنه يؤكد بأن مشروع الإنسانية كما سعى إليه أصحابه جاء واعداً ومبشراً بتحسين ظروف الإنسان من خلال الإيمان بقداسته وإزاحة القداسة الإلهية والطبيعية وكذا الاعتقاد بالتقدم الذي هو في صالح تحرر الإنسان، هذا ما وصفه بالوعود الجميلة للأنوار.² وهنا يتساءل: هل نجحت في تحقيق ذلك؟ وإذا كان فعلاً مصير الإنسان هو التقدم، فكيف نفسر التراجع الذي شهدته العالم الغربي خاصة؟

يجيب فيري من خلال وصفه الإنسانية بأنها تمثل الحداثة وتراجيديتها، وسبب انحطاطها، وهذا ما أثبتته الواقع، فالتحرر الذي اكتسبه إنسان الإنسية لم يغير شيئاً، بل زاد الإنسان غطرسة وجبروتاً وعنصرية... ما ولد شيطاناً جديداً أسوأ وأخطر من الشيطان الذي مات، شيطان ذو نزعة إنسانية ممزقة أفضت إلى الحروب، الصراعات، النزعات، الاقتتال والتعنيف في بلدان ذنبها الوحيد أنها تختلف دينياً ولانياً وجغرافياً عن خصوصيات العقل الأوروبي المركزي، ويكتفي هنا تقديم مثال بما يحدث في رواندا أو البوسنة.³

¹Ibid, p 37.

² Marcel Neusch, **Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu**, Nouvelle revue théologique, 119 N°3, 2021, PP 345, 346.

³ لوک فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 73، 75.

يؤكد فيري على أن الكثير من الاجتهادات الفلسفية الفرنسية المعاصرة أمثال: فوكو، دريدا، لاكان، بورديو... إلخ، اتجهت صوب تفكيك إنسان الحداثة كما صورته الإنسانية، التي بدأت بالإعلاء من شأن الإنسان، وانتهت بالقضاء عليه حيث أفرزت ما يعرف بضدية الإنسان للإنسان.¹ وبالرغم من هذه العدمية، فإن فيري يتبنى نظرة تفاؤلية تسعى للنجاح والسعادة، إذ يعترف بالأزمة وفي المقابل يبني مفهوم جديد للحياة المستقبلية أو للإنسانية الجديدة أو ما أسماه "الإنسانية المتحولة"، التي حسب منظوره ستنتصر على كل ما أفرزته الإنسانية، فهي تصحح مسارها وتتجاوز عيوبها، فهي بناء جديد للإنسان يحقق القطيعة التامة مع الإنسان الكلاسيكي.

¹Luc Ferry, Alain Renaut, **pensée68**, p15.

ثانياً: الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي.

يطرح اليوم تطور العلم إشكالات كثيرة تتعلق بحدود تأثيره في هوية الإنسان وقدراته ومستقبله، فالعلم اليوم في حقول معرفية كثيرة يحقق تراكمات نوعية، ويسعى لتحقيق هدف تطوير الإنسان، وتحوبله وتحديث قدراته، والدفع به نحو الاسترادة، سواء من خلال تقنيات البيو تكنولوجيا أو المعلوماتية والعلوم المعرفية. يتطلع العلم إذن، من خلال رصيد التطور في التقنيات التي حصلها، إلى أن يحقق هدف تجاوز الإنسان الحالي، وصناعة إنسان آخر متتطور، يواكب التطورات الحديثة ويستشرمها، وهذا ما يعرف بمشروع " الإنسانية المتحولة/ التجاوزة".

1- مفهوم الإنسانية المتحولة:

من حيث الاشتراق اللغوي يتشكل مصطلح " الإنسانية المتحولة"، والتي يقابلها في اللغة الفرنسية Transhumanisme، وفي اللغة الإنجليزية transhumanism، من ثلاث مفردات رئيسية:

- الكاسحة **Trans** والتي تعني: التحول، التخطي، التجاوز، الانتقال والعبور. والتي تدل على مرحلة انتقالية **Transitory**، وتدل أيضاً على التجاوز **Transcend**، وتشير إلى الانتقال من الوضع العادي الطبيعي إلى هيئة جديدة.

- ثم المفردة **Human** والتي تعني الإنسان أو الكائن البشري.

- ثم اللاحقة **ism**: للدلالة على الحركة أو النزعة.¹.

أما عن ترجمتها إلى اللغة العربية، فلم يتم الاتفاق حولها بعد، وجميعها تصب في: الإنسانية العابرة، الإنسانية المتحولة، الإنسانية الانتقالية، الإنسانية الفائقة، الإنسانية الإعلائية... وما إلى ذلك.

يصعب وضع مفهوم دقيق ومضبوط لمفردة " الإنسانية المتحولة" من حيث الدلالة الاصطلاحية، وهذا يرجع إلى الأسباب التالية:

أولاً: راهنية هذا الموضوع، حيث يعتبر جنيني وحديث التشكيل.

¹Max More , **Transhumanism towards a futurist philosophy**, at : <http://www.priment.com/~maxmore>

ثانياً: مفهوم علائقي، تداخل فيه عدة تخصصات، حيث تقدم الإنسانية المتحولة نفسها كمجال عبر منهجي، يتقاطع مع: الفلسفة والدراسات الأدبية والثقافية والخيال العلمي وعلم المستقبلات والفنون المعاصرة وعلم الاجتماع والبيو إтика والدين والدراسات البيئية... إلخ.

ثالثاً: مفهوم مظلي، إذ هناك تداخل واضح بين مصطلحات تقع منهاجيا في الحقل العام "ما بعد الإنسان"، من قبيل: ما بعد الإنسانية، الإنسانية المتحولة، فوق الإنسانية، مناهضة الإنسانية، البيولوجيا التقدمية، التطورية الجديدة، الإكستروبيا، الإعلانية التكنولوجية Techno-transcendence حيث تسعى كل هذه النماذج لاسترادة الإنسان تجاوزاً لحدودياته البيولوجية الفيزيقية والذهنية النفسية، ويشكل الاعتماد على التعزيز الاصطناعي أفضل وسيلة يلجأ إليها الإنسان لتحقيق هذا المسعى.¹

لقد تبلور المفهوم الفلسفى لمصطلح الإنسانية المتحولة مطلع ستينيات القرن العشرين، وذاع صيته عالمياً بداية التسعينيات، دالاً على التوجه العلمي المعاصر خاصة في مجال الطب والبيولوجيا والمعلوماتية، ودورهما في الفهم المعاصر للإنسان، على هذا الأساس ظهرت الإنسانية المتحولة كنزعه واتجاه فكري يرمي إلى تعزيز كفاءة الإنسان وتحسين مؤهلاته الفيزيقية والذهنية، من خلال القضاء على الآلام والأمراض والعجز، وتحدي الشيخوخة وقساوة الطبيعة، وهذا بالاستعانة بالتقدم التقنيـ علمي، خاصة ما أنتجه الطفرة التكنولوجية والذكاء الاصطناعي من تغيرات جوهرية، ومنه فهي تبشر بقدوم عصر جديد يتغير معه مستقبل الإنسان، أي تعمل على إخراج الكائن البشري إلى ما هو أبعد من حاليه العادي الحالى.²

تفترض إذن الإنسانية المتحولة أن الإنسان كائن غير كامل من الناحية البيولوجية والعقلية، مثل: المرض، الشيخوخة، الموت، قلة الذكاء أو التركيز، ولابد من تعديل طبيعته البشرية وصولاً به إلى إنسانية جديدة متتجاوزة لكل محدودياته الفيزيقية والنفسية، مثل: محاربة الشيخوخة والقضاء على الآلام والعجز وحتى تحدي الموت. ويخطط للوصول إلى هذا بمساعدة ما اصطلاح عليه مؤخراً بالتقنيات الفائقة أو العلوم المتقاربة (النانو NBIC)، تكنولوجيا الحيوية Nanotechnology، تكنولوجيا التكنولوجيا Biotechnology، المعلوماتية Informatics، العلوم المعرفية/الدماغ Science cognitive، وبهذا تعتبر الإنسانية المتحولة مرحلة

¹ إلزا غودار، أنا أسلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنماط في العصر الافتراضي، ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاءـ المغرب، ط1، 2019، ص40.

² أولغا تشيتيفيريكوفا، ديكاتاتورية المستبرين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها، ترجمة: باسم الزعبي، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2020، ص.98.

من انتقال الإنسانية إلى مرحلة ما بعد الإنسانية Post- humanism، أين يصبح أكثر قوة وذكاء وقد يصل إلى الخلود.

يعتبر مصطلح "الإنسانية المتحولة" غامضاً من حيث أصوله، إذ يمكن العثور على أفكار الكمال البشري طوال تاريخ الفكر الإنساني، وخاصة فكرة التنوير، والإنسانية العلمانية، وترجع البوادر الأولى للحديث عن تحسين حياة الإنسان البيولوجية إلى سنة 1923، وتحديداً مع المقال الذي نشره عالم الكيمياء الإنجليزي جون برودونساندرسون هالدين J. B. S. Haldane (1964-1992)، والذي يحمل عنوان: "ديدالوس أو العلم والمستقبل"، مستشرفاً فيه مخرجات التقنيات العلمية فيما يخص تعزيز العقل والفضاء.¹ ومع منتصف القرن الماضي أخذت معالم أفكار التحسين البشري في التشكيل أكثر، خاصة مع الأب اليسوعي الكاثوليكي والفيلسوف بيير تيلار دي شاردن PIERRE TEIHARD DE CHARDIN (1881-1955) في مقالته المنشورة سنة 1950، والتي حملت عنوان (ما قبل الإنسان الفائق / المتتجاوز: مراحل كوكب حي)، حيث أثار فيه قضية الإنسان المتتجاوز في القلب المطلق للأشياء، وعلى الرغم من أن أفكاره حملت تصوراً عن المستقبل الروحي البشري، إلا أنه ألم صديقه جوليان هكسلي. وقد حاول شاردن التوفيق بين الاتجاه الكاثوليكي مع نظرية التطور، وهذا ما شكل المرجع الفكري لعلم الأحياء البريطاني جوليان هكسلي Julian Huxley (1825-1887) - ابن طوماس هكسلي Tomas Huxley (1975-1901) الملقب بـ "كلب داروين" - غير أن هكسلي لم يفكر وفق القوالبالمسيحية مثل دي شاردن، إذ لطالما كان يردد: "إما داروين أو الله"، ولهذا أخذ مفهوم الإنسانية المتحولة أو التطورية على أنها التوفيق بين العلم والدين، وجعل لهذا الأخير، دوراً ثانوياً تابعاً، حيث ينبغي له أن يتكيف مع التقدم البشري.²

تتجلى النزعة التطورية في فكر جوليان هكسلي من خلال وضعه التطور موضع الدين، وأنسب إليه وظيفة الإله، وهي التنسيق بين الإيمان والأمل لدى الإنسان الذي بفضل قوة التطور يحل محل الآلة القديمة، ويصبح الأساس المسير لهذا التطور، وهنا يأتي مفهومه عن الإنسانية التطورية التي تقوم على أن الإنسان يملك طبيعة لا حدود لها، ويمكن تطويرها بالاعتماد على التقدم العلمي والتكنولوجي، وليس بالدعاء والتضرع إلى الله.³ وبناء على هذه الأفكار يربط أنصار "الإنسانية المتحولة" مصطلح "التحول البشري" غالباً بجوليان

¹ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان: الهندسة الوراثية غوذجا، دار الموج الأخضر للنشر، الجزائر، ط1، 2023، ص 246.

² أولغا تشيتيفيكوفا، ديكاتاتورية المستربين، ص 124.

³ المرجع نفسه، ص 125.

هكسلي، إذ أنه في عام 1957م، صاغ مصطلح "الإنسانية التطورية/ المتحولة" في كتابه (زجاجات جديدة لخمر جديد/New Bottles for New Wine)، حيث أكد: "يمكن للنوع البشري إذا رغب أن يتجاوز نفسه، ليس بشكل متقطع، فرد هنا بطريقة، وفرد هناك بطريقة أخرى، ولكن كليا، كبشرية، نحن بحاجة لإعطاء اسم لهذا الدين الجديد. ربما يكون التحول البشري مناسبا: الإنسان يبقى إنسانا، لكنه يتجاوز نفسه، من خلال إدراك إمكانيات جديدة لطبيعته البشرية... أنا أؤمن بالإنسانية المتحولة: سوف يأتي يوم يكون هناك ما يكفي من الناس الذين يستطيعون قول ذلك حقا، عندها تكون البشرية على اعتاب نوع جديد من الوجود مختلف تماماً عن وجود الحالي، كما نختلف نحن عن إنسان بكين. سيكون هذا في النهاية، وفاء واعياً بصيرنا الحقيقى"¹. إذن، يعتقد هكسلي أن الإنسان سيبقى إنسانا، ويربط التحول البشري بخلق بيئه اجتماعية أكثر ملائمة، بالإضافة إلى تقنيات التنمية الروحية. إذن فحسب جولييان هكسلي ذو النظرة المتفائلة يعبر مذهب الإنسانية المتحولة عن أحد أشكال الإنسانية التطورية، ويشير حسبه إلى فهم القدرات الجديدة للطبيعة البشرية وتجاوز حالتها العادبة إلى حالة جديدة توصف بالفائق، من خلال تسخير مختلف التقنيات التي تسمح وتمكن من ذلك.

نجد كذلك أن أفكار هذه النزعة عرضت قبل ذلك بشكل تشاؤمي مع أخيه ألدوس هكسلي في روايته "عالم جديد شجاع" سنة 1932م، التي رسم فيها ملامح عصر يخضع فيه الإنسان للآلة، التي غيرت من طبيعته البيولوجية وغيّرت قيمه الروحية والجمالية.² لكن بعد جولييان هكسلي، أخذ هذا المصطلح معنى مغاير، وسرعان ما أصبحت مفردة الإنسانية المتحولة الكلمة الأساسية لتجاوز الحدود البيولوجية للإنسان من خلال التكنولوجيا.

لقد ارتبط تشكيل هذا التصور بالمفهوم التداوily الحالي بالفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك Peter Sloterdijk (1947-1999) الذي أثار سنة 1999 قضية التغيير الراديكيالي للطبيعة البشرية، متسائلاً عن كيفية ترويض الإنسان وتدجينه أو القضاء على توحشه؟ هذه الفكرة التي عرضها في مداخلة له في ندوة حول هайдغر والتي نشرت فيما بعد في مقال صحفي، الموسومة بـ "قواعد الحضيرة البشرية" Rules for Human Parc، قد أثارت جدلاً واسعاً امتد إلى يومنا هذا. وقد انطلق بصددها من مسلمتين: أن الإنسان

¹ Julian Huxley, **New bottles for new wine**, chatton and windus, London, 1957, pp 13, 17; أو انظر: <https://www.transhumanism.org/index.php/WTA/more/huxley>.

² أولغا تشيفيريكوفا، ديكاتورية المستربين، ص ص 126، 127.

كائن عتيق بطبعه، وقابلية تغيير طبيعته البشرية وتحسينه¹. وعليه فمصطلح التحول الإنساني يشير وفقا له إلى النزعة التي تحاول بناء وصياغة تصور محدث للإنسان المعاصر الذي بات بإمكانه تغيير طبيعته وجسده، ليس بالانتقاء الطبيعي كما سلم داروين وإنما بفعل الانتخاب البيو تكنولوجي، وهو ما أطلق عليه اسم تأنيس البشر أو تدجين البشر.

لقد أخذ مصطلح الإنسانية المتحولة بعده الفلسفية أكثر في نهاية القرن العشرين مع رائد المستقبل الإيراني فريدون إم. إسفندياري (Freidon M. Esfandiary 1930-2000)، الذي غير اسمه عام 1974 إلى 2030-FM اعتقادا منه أنه سيعيش حتى عام 2030، حيث أدخل مصطلح الإنسانية المتحولة بعناء الحالي منتصف الستينيات، بينما كان يدرس في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك، أسس مجموعة مستقبلية تسمى Wingers²-Up، وشعب الأفكار التخمينية حول ظروف الإنسان المستقبلية.³ اعتقاد FM2030-على عكس جولييان هكسلي- أن أكبر مشكلة نواجهها ليست اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، بل هي بالأحرى الحقيقة القاسية لقيودنا البيولوجية، أي الفناء البشري. وقد توقع أنه بحلول نهاية القرن العشرين، ستعمل اختراقات هائلة على إصلاح هذا الخلل وتحويل النوع البشري، فالبشر المتحولون حسبه هم أول تخليات لكتائن تطورية جديدة، والتي تلعب دور الجسر في التطور، فالإنسانية المتحولة، هي اختصار لإنسان انتقالي، والذي يربط بين الإنسان وما بعد الإنسان.

دافع 2030-FM كثيرا عن الإنسانية المتحولة التي تشير حسبه إلى استخدام التكنولوجيا لتحسين القدرات البيولوجية والعقلية للإنسان، وأمنبأن التحول البشري هو السبيل الوحيد لتجنب الفناء، ويعتبر اليوم 2030-FM رائدا للترانس-إنسانية المعاصرة، وقد كان مؤثرا بشكل خاص على الحاج الأمريكي للإنسانية المتحولة، بما فيها ذلك ناتاشا فيتامور (Natacha Vita-more 1950-) التي ولدت باسم نانسي كلارك (Nancie Clarck) التي صاغت بيان هذه الحركة في عام 1983.⁴

¹ المرجع نفسه، ص 349.

² هي اختصار لـ "upward-moving people" أي: الأشخاص الصاعدون، وهي مصطلح أطلقه رائد الفضاء فريدون إم. إسفندياري على مجموعة مستقبلية أسسها في منتصف الستينيات في مدينة نيويورك، وكانت هذه المجموعة تؤمن بإمكانية استخدام التكنولوجيا لتحسين الظروف البشرية، وركزت على أفكار مثل التحول البشري والهندسة الوراثية.

³ Béatrice Jousset-Coururier, *Le transhumanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?* groupe Eyrolles, Paris, 2016, p13.

⁴ أولغا تشيتيفيريكوفا، ديكاتورية المستبررين، ص 219.

يعتبر الفيزيائي الأمريكي روبرت إتينجر Robert Ettinger (1918-2011) رائداً آخر لحركة الإنسانية المتحولة، وبالتالي في كتابه (رجل نحو رجل خارق Man into Superman) سنة 1972، أين أكد على دور التبريد في فلسفة ما بعد الإنسانية، نظراً لأن التجميد بالبرودة قد يكون الفرصة الوحيدة لمعظم خبراء التحول الإنساني، ويُعتبر ماكس مور Max More -ولد باسم أكنور Max O'connor- زوج ناتاشا فيتا مور -مديرًا لإحدى أكبر منظمات التبريد، مؤسسة Alcore Life Extension، وكذلك ينتمي إليه باعترافه أنه أول من أدخل اللاحقة ism إلى أي إنسانية المتحولة، وبالتالي صاغ اسم الحركة الحالية.

برزت إنسانية المتحولة كحركة ذات توجه ثقافي إيديولوجي في ثمانينيات القرن الماضي، وبالتالي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، التي كانت مهدًا للتكنولوجيات الفائقة ممثلة في وادي السيليكون Silicon Valley، وكذا حركة العصر الجديد التي بناها "معهد إسيالينسكي"، قبل ذلك بفترة وجيزة مع نشأة معهد الاستشراق من قبل المهندس الأمريكي إريك ديكسلر Eric Drexler (1955-) وزوجته كريستين بيترسون Christine Peterson، الذي يستثمر التقنيات المعاصرة لتحسين الحالة الإنسانية¹. وقد تبنى هذه الحركة مجموعة من الفلاسفة والمختصين في علم المستقبليات وعلى رأسهم ماكس مور الذي قام ببلورة مذهبه سنة 1990 وأسماه مبادئ تفاؤلية Extropianism، وأنشأ معهد إكستروبي معلنًا فيه عن نوع من داروينية جديدة مستقبلية واصفاً إياها بأنها أيدلوجية المستقبل، وفي عام 2010 أصبح مديرًا عاماً لشركة ألكور " وهي أكبر شركة للعلاج بالبرودة Gyonics في و.م.أ. كما ذكرنا آنفاً². وقد اعتبر مور مبادئه هذه بمثابة قواعد إتيقية تمنع دلالة وتوجهها لحياة الإنسان. خاصة وأن قوانين التطور لم تعد تلبي حاجيات الإنسان ولا تطليعاته المستقبلية وبالتالي فيما يتعلق بالجسد البشري وحدوده البيولوجية التي لابد من السعي للتغلب عليها كشيخوخة والمرض والعجز وحتى الموت.

وفي الفترة المعاصرة تحديداً سنة 1998، أخذت هذه النزعة الصبغة الرسمية بفضل جهود وأعمال الفيلسوف السويدي نيك بوستروم Nick Bostrom من خلال صياغة مبادئها وأهدافها، والذي جزم بعدم وجود قواعد أخلاقية تمنع التدخل في الطبيعة الإنسانية وأن إلغاء الإنسان حق من حقوق الإنسان في حد

¹ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 247.

² أولغا تشيتيريكوفا، ديكاتورية المستبررين، ص 220.

ذاته، ووفقاً لمنظوره أنه من السخافة الاعتقاد بأن الإنسانية المتحولة مجرد إيمان نظري بقدرتنا على تخلي المواجز البيولوجية بمساعدة التكنولوجيا، بل هي أعمق من ذلك تحيل إلى دلالة إعادة صياغة مفهومنا عن الكائن الإنساني أو ما يعنيه أن يكون الإنسان إنساناً ووفق حمولة أنطولوجية وقيمية جديدة¹. انطلاقاً من تصوره هذا فهو يعرّف الإنسانية المتحولة بأنها توجه فكري وثقافي يسعى إلى تعزيز وتطوير قدرات الإنسان العادلة العقلية والجسدية والنفسية ليصبح أقوى وأجمل وأذكى وأصح، من خلال محاربة الشيخوخة، الأمراض والآلام، وذلك بالاستعانة بالتقنيات المتقدمة، وهذا تكريساً لحقوق الإنسان والتي من أهمها الحق في اختيار الحياة التي يرغب فيها والجسد الذي يعيش به، وبهذا تصبح حركة الإنسانية المتحولة امتداداً لإنسانية الأنوار من حيث الاعتقاد بمركبة الكائن البشري وتقديس حقوقه خاصة الحرية².

حسب عالم الفيزياء الأمريكي ميتشيو كاكو Michio Kaku (1947-) إن عصر الإنسانية المتحولة بدأ في التبلور في القرن العشرين وتحديداً مع ثورة الكم quantum وثورة المعلوماتية، والتي شكلت الركيزة الأساسية لقيام ثورة الإنسانية المتحولة-المتجاوزة.³ والإنسانية المتحولة حسب الفيلسوف الأمريكي جيلبرت هوتوالجاه يستشرف المستقبل من منطلق أن الوضع البشري الراهن لا يمثل نهاية التطور وإنما بدايته فقط، لهذا لابد من الاشتغال على تقنيات العقل التطبيقي لإتاحة الفرصة لتسريع هذا التطور.

كما تنبأ المفكر اليهودي الأمريكي يوفال نوح هاري Yuval Noah Harrari (1976-) في مؤلفه "العقل" بقدوم إنسان جديد أسماه "الإنسان المتأله"، وهذا نظراً لتمكنه من مشاركة الإله ببعض من خصائصه كالخلق والتدمير، هذا ما يشكل نقطة تحول بالنسبة للبشرية التي ستنتقل من صورة الإنسان العاقل-Homo sapiens إلى صورة الإنسان الإله⁴ Homo-Deus.

لا تهدف الإنسانية المتحولة إلى علاج النقص والأمراض للجسد البشري، بل تروم إلى الإعلاء والاستزادة من قدراته وأداءاته العضوية والعقلية ليصبح أقوى، أسرع، أذكى وفائق، إلا أن النظرة الواقعية

¹ المرجع نفسه، ص 220.

² بحيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، مجلة ألف: اللغة، الإعلام، المجتمع، مجلد 10، عدد 1، يناير 2023، ص 619.

³ ميتشيو كاكو، رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 2001، ص 11، 12.

⁴ يوفال نوح هاري، العاقل: تاريخ مختصر للنوع البشري، ترجمة: حسين العبرى وصالح بن علي الفلاحي، دار منجول للنشر، ط 1، 2018، ص 495.

لوعود الإنسانية المتحولة، توضح أن العلم والبيوتكنولوجيا لم يصل بعد إليها، لكن هناك محاولات جادة من قبل المختصين ومراكز البحوث والمخابر والتي أثمرت نتائج مذهلة كاستخدام الخلايا الجذعية والتهجين والطب الترميمي، ولقد عبر لوak فيري عن هذا الوضع والتحول الإنساني الجديد بمصطلح "الثورة" والتي يقودها حسبيه تيار انتطلق من الولايات المتحدة الأمريكية وتحديداً في وادي السيليكون، ثم أوروبا حمل اسم الإنسانية المتحولة.

كما يعتقد فيري وأغلب المدافعين عن الإنسانية المتحولة، بأنها تعبر عن عقلانية مطلقة ورؤى علمانية مادية ملحدة للعلم، تأسس مثل فلسفة الأنوار على الروح النقدية ضد الاعتقادات الدوغماطية الوثيقية العميماء، وضد كل أنواع السلطوية التراثية والتقليد¹.

تعتبر الإنسانية المتحولة وفقاً لرؤى مناصريها استمراً لنزعـة قديمة لطالما حاولت علاج عجزنا الفيزيقي، والتي شرعت منذ القدم بابتكار العكازات والنظارات، فالبشرية دائماً تسعى للكمال، وهذا ما جعل الإنسان يعدل في جسده مثل: الختان، تقويم الأسنان، ثقب الأذنين، عمليات التجميل، وتعديل الأعضاء كتدعمـ القلب الضعيف، فهذا إيلون ماسك Elon Musk أحد رواد هذا التيار وصاحب شركة Neuralink يعتقد بأنه ليس هناك ما يجبـنا على ترك العين البشرية على ماهـي عليه محدودـة، فـربما عند إضافة عدسات أو تقنيـات بصـرية يكون الأمر مفـيد ومستـحسنـ، فـلماذا نـرحب بـابتكـار النـظارات التي تسـاعدـنا على الرؤـية الجـيدة، ونـعتبرـه إنجـازـاً جـيدـاً، وفي المـقـابـل نـجـمـ القـيـام بـتحـسـينـ النـظـرـ العـادـيـ وـالـوصـولـ بـهـ إـلـىـ دـقـةـ تـضـاهـيـ رـؤـيـةـ النـسـرـ أوـ أـكـثـرـ؟

يتجلـىـ مشروعـ الإنسـانـةـ المـتحـولـةـ وـفقـاـ لـخطـابـ فيـريـ الفلـسـفيـ فيـ فـكـرةـ الـانتـقالـ منـنمـوذـجـ الطـبـ العـلاـجيـ المـوجـودـ منـذـ الصـينـيـنـ وـالـإـغـرـيقـ الـقـدـماءـ، الـذـيـ يـكـتـفـيـ بـعلاـجـ البـشـرـ عـنـدـماـ يـصـابـونـ فيـ حـادـثـ أوـ مـرضـ، إـلـىـ نـمـوذـجـ تـحسـيـنـ إـعلـاـئـيـ، إـذـنـ الـفـكـرةـ هيـ كـالتـالـيـ: التـمـكـنـ منـ جـعـلـ الإـنـسـانـ أـكـثـرـ ذـكـاءـ وـقـوـةـ، وـبـالـأـخـصـ إـطـالـةـ عـمـرـهـ، وـيـوـضـعـ هـذـهـ الـفـكـرةـ بـالـمـثـالـ التـالـيـ: لـدـيـنـاـ الـيـوـمـ مـرـضـ هوـ "ـالـتـهـابـ الشـبـكـيـةـ الصـبـاغـيـ"ـ وـبـالـأـخـصـ إـطـالـةـ عـمـرـهـ، وـيـوـضـعـ هـذـهـ الـفـكـرةـ بـالـمـثـالـ التـالـيـ: لـدـيـنـاـ الـيـوـمـ مـرـضـ هوـ "ـالـتـهـابـ الشـبـكـيـةـ الصـبـاغـيـ"ـ الـذـيـ يـسـبـبـ الـعـمـىـ، وـهـنـاكـ شـرـكـةـ أـلمـانـيـةـ اـبـتـكـرـتـ شـرـيـحةـ إـلـكـتـرـوـنـيـةـ يـتـمـ زـرـعـهاـ خـلـفـ الشـبـكـيـةـ، تـعـيـدـ الـبـصـرـ لـمـنـ فـقـدـوهـ تـامـاـ، وـهـنـاـ لـاـنـزـالـ أـمـامـ الطـبـ العـلاـجيـ كـمـاـ نـعـرـفـهـ تـامـاـ، حـتـىـ لوـ كـانـ فـيـهـ بـعـضـ التـهـجـينـ مـعـ الـآـلـاتـ،

¹ هشام معافـةـ، الإنسـانـةـ الفـانـقةـ وـماـ بـعـدـ الإنسـانـةـ، نحوـ فـلـسـفةـ لـلـإـنـسـانـ الجـديـدـ، مجلـةـ درـاسـاتـ إـنسـانـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ، مجلـدـ 13ـ، عـدـدـ 1ـ، الجزائـرـ، جـانـفيـ 2024ـ، صـ 65ـ.

لكته مثل القلب الاصطناعي يبقى طب كلاسيكي من حيث الأساس وغايته الإصلاح والتصحيح. لكن لتخيل بأن هذه الشرائح تطورت بعد عدة سنوات، إذ ستسمح لنا بالحصول على حدة بصر النسر، ربما نحن كناس عاديين لن نذهب لزرع الشريحة لأننا لا نحتم بالحصول على مثل هذه الحدة، لكن الجيوش ستكون مهتمة جداً بهذا، وهنا تكمن المشكلة، أو أحد جوانبها، خاصة بالنسبة للقناصين والبحارة والطيارين، سيشكلون كتائب من أشخاص لديهم حدة بصر النسر، فالجيوش كانت دائماً هي الرائدة في هذا المجال، فالإنترنت مثلاً كانت أداة عسكرية في البداية، لكن بعد ذلك انتشرت بين الناس... والأمثلة كثيرة، ولهذا يمكن القول أن تقنيات التحسين ستتدخل إلى البيوت، لأنه إذا عائلة ما حسنت من أولادها فإن العائلة المجاورة سترغب في نفس الشيء، إذن فعندما نتحدث عن التحسين، فهذا يعني بأنه سيكون لدينا بصائر أكثر حدة، وقدرة أكبر على التركيز والاستدلال العقلي... إلخ، وحسبه كذلك أننا لم نصل بعد إلى هذا، لكننا جد قربون منه، إذ أن الأمر حقيقي وواقعي وليس من الخيال العلمي، وهذا هو هدف الإنسانية المتحولة أي ليس علاج النقص وإنما تطوير السليم.¹ هذا الانقلاب في المنظور انطلق منذ سنوات من خلال تطوير الجراحات التجميلية، المخدرات المقوية والمعدلة للمزاج...، فالأمر حسب لوك فيري إذن لا يتعلق بالعلاج *Thérapeutique*، بقدر ما يتعلق بالمعاناة التي تحتاج إلى إعلاء واستزادة *augmentation*، فالقبع ليس عيناً، ولكنه يخلق معاناة لصاحبها، وعليه فحسبه من المبكر جداً، بل من السخيف الحكم على مشروع الإنسانية المتحولة بأنها كابوس أو خطر.

يجيب لوك فيري عن سؤال: ماذا تعني الإنسانية المتحولة؟ بأنها مشروع كبير وواعد هدفه تحسين الإنسانية الحالية، على جميع الأصعدة الجسدية، الفكرية، العاطفية والأخلاقية، بفضل تقدم العلوم وخاصة البيوتكنولوجيا، ومن أهم خصائص هذا المشروع هو التحول من النموذج الطبي التقليدي أي نموذج العلاجات الذي يتمثل في إصلاح أو علاج الأمراض، إلى نموذج متتفوق يهدف إلى تحسين أو زيادة إمكانيات الإنسان، ويشهد فيري على فكرته هذه بقول الفيلسوف السويدي نيك بوستروم: " سيأتي يوم تتاح لنا الفرصة لزيادة قدراتنا الفكرية والجسدية والعاطفية والروحية، بشكل يفوق ما هو ممكن في الوقت الحالي، سنخرج بذلك من طفولة الإنسانية لندخل في حقبة ما بعد الإنسانية".²

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p4,5.

²Ibid , p 29.

الفصل الأول:

الإنسانية المتحولة من الأسس الفلسفية إلى التطبيقات العلمية

تعالى تعايش تيارات متعددة داخل حركة الإنسانية المتحولة، مثل الإنسانية المتحولة الليبرالية، والإنسانية المتحولة الديمقратية، والإنسانية المتحولة النفعية، القاسم المشترك بينهما جميعاً هو العلم والتكنولوجيا كأصول رئيسية لها، ولكن مع اختلافات في التركيز والاهتمام، فبينما تدعو الإنسانية المتحولة الليبرالية إلى السوق الحرة باعتبارها أفضل ضامن للحق في تعزيز الإنسان، فإن الإنسانية المتحولة الديمقратية تدعو إلى المساواة في الوصول إلى التحسينات التكنولوجية، والتي يمكن أن تقتصر على فئات اجتماعية، سياسية معينة وترتبط بالقوة الاقتصادية، وقد حدد مؤسس الإنسانية النفعية ماكس مور مبادئها على أنها: التقدم المستمر، التحول الذاتي، التفاؤل العلمي والاستعانة بالتكنولوجيات الذكية والتفكير العقلاني والمجتمع المفتوح.

يمكن القول بأن مشروع الإنسانية المتحولة مرهون بفكري تعزيز الجسد البشري والإعلاء من قدراته الفيزيقية والعقلية، بواسطة التكنولوجيا، والمدف العبور به من حالة العادية التي هو عليها إلى حالة أخرى جديدة، أو قد يتحول إلى نوع جديد تماماً اصطلاح عليه: السايبورغ¹ أو الإنسان الآلة، أو الإنسان البيو تكنولوجي homme bionique أو الإنسان العاقل الإصدار الثاني 2.0 homo-sapien، أو حتى النسخة الثالثة 3.0، أو الإنسان الأخضر homme vert... وغير ذلك. إيماناً منهم بأن الإنسان لابد منه أن يتخلّى عن التطور الطبيعي البطيء وأن يعمل على تطويره بنفسه، على أن مشروع ترقية الإنسان، يتمثل في نزعتي ما بعد الإنسانية Posthumanism والإنسانية المتحولة².

تتخد الإنسانية المتحولة وفقاً لمنظور فيري اتجاهين أساسين، الأول: ترجع جذوره الفكرية إلى بيك دلاميراندول وكوندورسيه من خلال معالجتهما لموضوع الكمال الإنساني، ومنه يدافع أنصاره عن نوع من تعزيز الإنسانية وتتطورها دون إلغاءها أو تقويضها تماماً، وهذا يكون بتحقيق شرطين أساسين: الانتقال من العلاج إلى التحسين لتعزيز القدرات وبلغ الكمال والذي يتمظهر في تحسين النسل والتعديل الجيني، والأطفال حسب الطلب، وقهر الموت والشيخوخة، والنظر إليها كمرض يمكن تحطيمه والقضاء عليه بهدف إطالة العمر وبلغ الخلود، أما الثاني: فنلمسه في الحركة التي يدعو أنصارها مثل عالم الحاسوب الأميركي راي كيرزوويل (Raymond Kurzeil 1948-) إلى دمج الإنسان مع الآلة، لإنتاج نوع إنساني جديد يمثل

¹السايورغ cyborg: مصطلح مركب من جمع الأحرف الثلاثة الأولى cyb لكلمة cybernetique والأحرف الثلاثة org لكلمة organisme وهو ما يشار به إلى الكائن الحي السيبراني أي الآلي، وهو الإنسان المركب أو المزج بين المكونات البيولوجية والتكنولوجية (ينظر: G. Hittois et J. Missae lerable, l'humain et ses préfixes encyclopédie du trans/posthumanisme, pp.371-373).

القطيعة مع الإنسان بالمفهوم الحالي، ويتجاوزه وصولاً إلى ما يعرف بـ "ما بعد الإنسانية"¹ Post humanism. ويستعين في ذلك بالذكاء الاصطناعي ليصل إلى مرحلة تحميل وعيه في كمبيوترات أو رفاقات وشرائح إلكترونية. هذه المرحلة أطلق عليها اسم "التفرد التكنولوجي" الذي يغير طبيعة الإنسان وما يصاحب ذلك من تغييرات أنطولوجية وقيمية وسوسيولوجية في حياتنا الخصوصية والمهنية والعائلية، ومن ثم هوينا الإنسانية نفسها، وعليه يسعى هذا الاتجاه نحو صناعة الإنسان بدل إنجابه، بحيث يصبح الإنسان صانعاً لنفسه أو كما أطلق عليه فييري الإنسان المؤله.

2- الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها:

تدخل الإنسانية المتحولة مع شبكة من المفاهيم التي لا تبتعد عنها كثيراً في المعنى، واتجه أغلب الدارسين لهذا المجال أمثال فرانشيسكا فيرناندو² Francesca Fernando إلى أن مصطلح "ما بعد الإنسان" Post-human "يعتبر مفهوماً جديداً لا يزال في طور التشكل والتبلور بعد، كما وصف بأنه مظلي يضع تحته عدة تيارات واتجاهات فكرية تتفرع عنه، ونجد من أبرزها وأكثرها اثارة للنقاش والجدل، مفردي: الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية Transhumanism و ما بعد الإنسانية Posthumanism.

أ- بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية: المفهوم والعلاقة:

تشكل مفردة ما بعد الإنسانية Posthumanism بالبادئة أي "بعد" في اللغة العربية، والتي تحيل إلى معنى النهاية والتغيير الجزري والجوهرى، وhumanism وتعني "إنسان"، وذلك للدلالة على الاتجاه أو الحركة أو النزعة، وهي تشير إلى المرحلة اللاحقة التي ستحطم الإنسانية الرحال إليها قريباً، بفعل التطور التكنولوجي. يمثل "ما بعد" لحظة تتم فيها القطيعة مع كل المسلمات والمبادئ التي وثق العقل بها حد تحجر الفكر، وكل النظم الثقافية والاجتماعية التي تم تقديسها إلى حد حرمة تغييرها، وبالتالي فهو يمثل زمن الانفتاح والتغيير والتعديل والتحسين خاصة بالاستفادة مما وصلت إليه التكنولوجيا الفائقة.²

وتعرف ما بعد الإنسانية بأنها حركة فكرية فلسفية عالمية تدعو إلى تجاوز مركبة الإنسان أو حالته العادية، أي تجاوز مركبته بالانفتاث إلى الكائنات الأخرى الموجودة معه في هذا الكون، أو تجاوز حالته العادية إلى الإنسان الخارق من خلال تعزيز قدراته في ذاته أو بأدوات مساعدة.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 27, 28.

²سعيد عبيدي، عصر ما بعد الإنسان أو زمن انتصار التكنولوجيا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017، ص 83.

ترجع جذور هذا المصطلح إلى النظرية الأدبية النقدية للأديب والناقد الأمريكي ذو الأصول الأمريكية إيهاب حسن (1925-2015) في مؤلفه: "بروميثيوس: نحو ثقافة ما بعد إنسانية"،¹ الصادر سنة 1977 as Performer: towards as Posthumanist Culture ؟ الملحة لاستيعاب ما سيطر على طبيعتنا البشرية من تغيرات جذرية بفضل التطور التقني، مما يستدعي حسبه إعادة تصوراتنا عن الذات والهوية الإنسانية¹. ثم توالت الكتابات بعد ذلك حول هذا الموضوع، وأخذت الآراء تتزاح بين مؤيد محتفي ورافض ناقد.

تعتقد أستاذة الفلسفة والدراسات ما بعد الإنسانية بجامعة نيويورك فرنسيسكا فيراندو في كتابها (فلسفة ما بعد الإنسانية)، أن "ما بعد الإنسان" أصبح مفهوماً مفتاحياً في الأوساط الأكاديمية، حيث أصبحت الإنسانية بحاجة لإعادة صياغة المفهوم ليتماشى مع عصر تتسارع فيه التطورات البيوتكنولوجية، وفي ضوء الضرورات السياسية والبيئية لعصرنا، وعليه فمصطلاح "ما بعد الإنسانية" يوفر بدلاً بحثياً تطور استجابةً لأزمة الإنسان في مواجهة التكنولوجيا بعصر ما بعد الحداثة في ظل تفسخ أيديولوجي وتقويض للنزعنة الإنسانية لصالح النزعنة المادية وتفشي الرأسمالية². إذن بما بعد الإنسانية تعمل على تقويض النزعنة الإنسانية القائمة على مركبة الذات، ومن هنا اكتسبت تسميتها، فهي توحى بتجاوز الطرح الإنساني، بالاعتماد على ما غفل عنه ألا وهو التقنية والاهتمام بالجسد والكيان البيولوجي للإنسان وبالكائنات الأخرى كذلك.

هناك ارتباك كبير حول الأطر المفاهيمية لما بعد الإنسانية حسب الفيلسوف البلجيكي جيلبرت هوتووا، إذ هناك من يستخدم "البوست" و"الترانس" استخدام التبادل، لكنهما مختلفان عن بعضهما تماماً، مرجحاً سبب ذلك إلى تراجع الحس النقدي لدى المهتمين بهذا المجال مما يجعلهم يتعاملون معهما كمترافات، في حين أن هناك تفصلاً زمنياً وأنطولوجياً بينهما، من منطلق أن الإنسانية المتحولة تمثل الحالة الراهنة للبشرية التي أصبحت تعتمد غالباً على التكنولوجيا، وما بعد الإنسانية كمرحلة لاحقة تعبّر عمّا سيؤول إليه الوضع البشري في المستقبل³.

لقد نوه فييري على صعوبة التفريق بين دلالة هذين المفردين، فالإنسانية المتحولة تعبر عن التجاوز والانتقال والتخطي والإعلاء والعبور، بينما تعبر ما بعد الإنسانية عن القطعية والتغيير الجذري الذي يطأ على

¹ خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، ص 620.

² محمد جيدي وآخرون، البيوأтика وطبيعتنا الإنسانية المنشطة، ص 147.

³ محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 232.

ماهية وخصائص الإنسان بحيث يخرج عن المفهوم الحالي للإنسانية، وبهذا تكون أمام شكلين من الإنسانية: الأولى هي الإنسانية المتحولة ببيولوجيا، أي أن الإنسان كقاعدة موجود والتعديل يقع في جيناته أي جانبه البيولوجي، والتي تعتبر امتداداً لتقاليد الكمال البشري التي دعا إليها كوندرسيه، الثانية هي ما بعد الإنسانية التي نجد جذورها في فكر الأنوار وبالتحديد مع جون جاك روسو حول الكمال اللانهائي للإنسان¹، إذن الإنسانية المتحولة تقدم نفسها كمقدمة ومرحلة انتقالية تربط بين الإنسانية العادية وما بعد الإنسانية.

بناء على ذلك يشير مصطلح الإنسانية المتحولة إلى التعديلات البيولوجية والعقلية التي تطرأ على قدرات الإنسان بفضل التطور البيو تكنولوجي الذي نحن على مشارفه في الوقت الراهن، بينما تستشرف ما بعد الإنسانية مستقبل الكائن البشري في ظل هذا التعزيز والتعديل، الذي يصل حد التغيير الجذري في الطبيعة البشرية أي الوصول إلى نوع جديد أكثر تطوراً للإنسان، أي إنسان مصنوع، وهذا فهي ترتبط أكثر بشورة المعلوماتية والذكاء الاصطناعي².

ويمكن إجمال التقارب بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية في النقاط التالية:

— في الحوار الأكاديمي المعاصر، أصبح مصطلح "ما بعد الإنسان" مفردة رئيسية لمواجهة الحاجة الملحة لإعادة تعريف شامل لمفهوم الإنسان، في ضوء التطورات الوجودية والمعرفية والعلمية والتقنية الحيوية في القرنين العشرين والحادي والعشرين. ليشمل المشهد الفلسفـي الذي بـرـز مـنـذ ذـلـكـ الحـينـ العـدـيدـ منـ الحـركـاتـ والمـدارـسـ الفـكـرـيـةـ، غالـباـ ماـ يـتـمـ استـحـضـارـ مـصـطـلـحـ "ماـ بـعـدـ إـلـاـنسـانـ"ـ كـطـرـيـقـةـ عـامـةـ وـشـامـلـةـ، للـإـشـارـةـ إـلـىـ أيـ مـنـ هـذـهـ وـجـهـاتـ النـظـرـ المـخـلـفـةـ، مماـ يـخـلـقـ لـبـسـاـ مـنـهـجـيـاـ وـنظـرـيـاـ بـيـنـ الـخـبـراءـ وـغـيـرـهـمـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ، وـمـنـهـ أـصـبـحـ "ماـ بـعـدـ إـلـاـنسـانـ"ـ مـصـطـلـحـاـ شـامـلـاـ ليـشـمـلـ: ماـ بـعـدـ إـلـاـنسـانـ بـكـلـ تـفـرـعـاتـهاـ، وـإـلـاـنسـانـةـ المـتـحـولـةـ بـكـلـ أـشـكـالـهاـ، وـالـمـادـيـةـ الـجـدـيـدةـ، وـالـبـيـولـوـجـيـاـ الـتـقـدـمـيـةـ، وـالـإـكـسـتـرـوـبـيـاـ، وـالـنـزـعـاتـ الـمـناـهـضـةـ لـلـإـلـاـنسـانـ وـفـوـقـ إـلـاـنسـانـةـ. ثـمـ إنـ أكثرـ مـجاـلاتـ الدـلـالـةـ الـتـيـ تـشـيرـ الـحـيـرةـ وـالـلـبـسـ هـيـ تـلـكـ الـتـيـ تـشـتـرـكـ فـيـهاـ ماـ بـعـدـ إـلـاـنسـانـ وـإـلـاـنسـانـةـ المـتـحـولـةـ، وـهـنـاكـ أـسـبـابـ مـخـلـفـةـ هـذـاـ الـالـتـبـاسـ، حـيـثـ ظـهـرـتـ كـلـتـاـ الـحـرـكـتـيـنـ عـلـىـ وـجـهـ التـحـديـ فيـ أـواـخـرـ التـمـانـيـنـاتـ وـأـوـاـئـلـ التـسـعـيـنـاتـ، مـعـ اـهـتـمـامـاتـ بـمـوـضـوـعـاتـ مـتـشـابـهـةـ، إـذـ تـقـطـعـانـ فيـ تـصـورـ مـشـتـرـكـ لـلـإـلـاـنسـانـ كـحـالـةـ غـيـرـ ثـابـتـةـ وـقـابـلـةـ لـلـتـغـيـرـ، لـكـنـهـمـاـ لـاـ تـلـقـيـاـ فيـ نـفـسـ الـجـذـورـ وـوجـهـاتـ النـظـرـ. عـلـىـ أـنـكـلـاـهـمـاـ يـرـتـبـطـ بـسـيـاقـاتـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ وـماـ بـعـدـ الـبـنـيـوـنـةـ وـالـدـرـاسـاتـ الـعـلـمـيـةـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـةـ وـماـ بـعـدـ الـكـوـلـوـنـيـالـيـةـ.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 27.

²Gilbert Hottois : *Le transhumanisme est-il un humanisme ?* p 21.

— إن التطوير أو التحسين أو التحول من جهة، والقطعية من جهة أخرى كلاهما استجابة لتطور التقنية ولمتطلباتها التي بدأت تفرض نفسها كضرورة بحيث لم يعد العقل البشري ولا الجسد البشري قادرین على مواكبتها¹.

— كلاهما يساعدنا في إعادة تعريف الأنطولوجيا بنظرة أوسع وأكثر مرونة من خلال التغييرات التي نواجهها في الحياة الحقيقية، كما يتفقان في نقدهما لتعريفات الطبيعة البشرية التقليدية كما تصورها النزعة الإنسانية، وكذا البيولوجيون المحافظون، إذ يقران أن تحسين الذات خاصية أساسية للطبيعة البشرية.

— الفكرة الجوهرية لدى كلاهما تمثل في محاولة التفكير بعيداً عن التمركز الإنساني، وأنه لابد من تفكيك هذه الثنائية أو مفهوم الإنسانية الكلاسيكية (الإنسان مركز الكون / مركزية الإنسان Anthropocentrism) وتفوقه على جميع الكائنات الموجودة لخدمته والخاضعة لسيطرته، باختصار أن كلاهما يتبنى فكرة التجاوز.

— يعتبر تحرير البشر هو الهدف الرئيسي لكل من الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث تسعى الأولى إلى تحرير البشر من قيودهم البيولوجية، كجزء من هذه المساعي، قد يعيد أنصار التحول البشري استخدام بعض المفاهيم الإنسانية بشكل جزئي. أما ما بعد الإنسانية، في المقابل، يمكن تعريفها بأنها نجح نceğiي يأمل في تحرير البشر من الآثار الضارة للنموذج الإنساني المعهول به من خلال فضح افتراضاته الخاطئة، في حين يختفي كلا التقليدين بـ "نهاية الكائنات البشرية" ويعيدان النظر في معنى أن تكون إنساناً، يحدث ذلك على أساس نظري مختلف، في بينما يمكن اعتبار الإنسانية المتحولة تعزيزاً وإعلاءً للإنسانية تكنولوجيا، يمكن وصف ما بعد الإنسانية على أنها نقداً للإنسانية. ومع ذلك، تتفق كلا النزعتين في اعتبارها الإنسان الإنساني القديم سواء من الناحية الفيزيولوجية أو المفاهيمية شيء لابد من تجاوزه.

أما عن نقاط الاختلاف بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية فيمكن حصرها فيما يلي:

— إن التركيز على مفاهيم مثل العقلانية والتقدم والتفاؤل يتماشى مع حقيقة أن الإنسانية المتتجاوزة من الناحية الفلسفية تتجذر في عصر التنوير، وبالتالي فهي لا تستولي على النزعة الإنسانية العقلانية. ومن خلال دفع النزعة الإنسانية إلى أبعد من ذلك أي الارقاء بها، يمكن تعريف الإنسانية المتحولة بأنها إنسانية فائقة. ففي العالم الغربي تم وضع الإنسان تاريخياً في سلم هرمي بالنسبة إلى عالم اللاإنسانية، لم يفلح هذا البناء الرمزي القائم على استثنائية الإنسان الذي تم تصويره جيداً في سلسلة الوجود العظيمة، في الحفاظ على

¹ Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 19.

سيادة البشر على الحيوانات غير البشرية فحسب، ولكنه أيضاً شَكّل نطاق الإنسان نفسه، مع افتراضات متحيزة جنسياً وعنصريّة وطبقية، بعبارة أخرى، لم يكن كل إنسان يعتبر كذلك: النساء السود والشواذ والأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم، يمثلون هامش ما يمكن اعتباره إنساناً، أي أنهم ذوات مقصصية من دائرة الإنسانية. على سبيل المثال، في حالة العبودية كان يتم التعامل مع العبيد على أنهم ملكية شخصية لمالكهم، يتم شراؤهم وبيعهم. وعليه تعكس ما بعد الإنسانية تصوراً رافضاً للسرديات الكبرى والميتا سرديةات ومفاهيم التعالي والقداسة ومقاطعاً للثنائيات الحديثة: عقل-جسد، إنسان-طبيعة، إنسان-حيوان، إنسان-آلة، ومنه إزاحة الإنسان بالمعنى الكلاسيكي عن المركز، وهي بهذا تبشر بالولوج إلى عصر جديد أو مرحلة جديدة تقوم على أنقاض مسلمات الإنسانية، وعليه يقدم فلاسفة ما بعد الإنسانية تفكيرًا جذرية للإنسان بمفهومه الأنواري الكلاسيكي، باعتباره كائن ذكوري أبىض غربي عقلي، وحاولت النظر إلى أشكال بديلة لتجسيده، يشمل ذلك توسيع الإنسان في العالم الرقمي والاندماج مع التكنولوجيا، وعلى الرغم من أن الإنسانية المتحولة تهتم أيضاً بهذه الأشكال البديلة للتجسد فإن فرانشيسكا فيراندو تعتبرها تفتقر إلى تفكير نceği في التشكيلات التاريخية للجسد البشري، إذ يرون مجرد ظهر خارجي يتشكل وفقاً لرغبة الفرد، بينما ما بعد الإنسانية تقدم فهم للجسم كموجود في العالم ناتج عن تفاعلات اجتماعية وسياسية. فحسب الفيلسوف الفرنسي جان ميشال بيسنير Jean-Michel Besnier (1950-) فإن ما بعد الإنسانية تمثل نموذج مثالي بديل عن النزعة الإنسانية التي أثبتت الواقع تناقضها، لهذا فهي فرصة لتغيير نوعنا الإنساني والارتقاء به نحو الأفضل، بينما يعتبر أغلب ممثلي الإنسانية المتحولة أنفسهم ويصفون نزعتهم بأنها امتداد لإنسانية الأنوار خاصة الإيمان بالتقدم والكمال. لهذا تم وصفها بأنها إنسانية الأنوار مضاد إليها التقدم التكنولوجي.

— يمكن التأكيد بناءً على ما سبق على أن ما بعد الإنسانيين يرفضون الإيمان الإنساني بأن "الإنسان مقياس كل شيء"، ووفقاً لذلك، فقد فقدت الإنسانية مصداقيتها. ومع ذلك، فإن ما بعد الإنسانية ليست مجرد مشروع نceği، بل تنطوي أيضاً على نتائج إيجابية، ففي معظم الحالات، يتم التأكيد على البعد المعياري

لما بعد الإنسانية بطريقة نقدية وليس بطريقة تأكيدية صريحة، وهو ما يمثل اختلافاً مركزاً آخر عن نجع الإنسانية المتحولة الذي يرتبط عادةً بمنظور معياري فوري وصريح¹.

على الرغم من أن ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة يلتقيان في الاهتمام المشترك بالเทคโนโลยيا، فإن الطرق التي يفكرون بها في هذا المفهوم مختلفة هيكلياً، إذ يعبر البعد التاريخي والوجودي للتكنولوجيا قضية محورية عندما يتعلق الأمر بفهم مناسب لجدول أعمال ما بعد الإنسانية، ومع ذلك لا تجعل من التكنولوجيا موضوعها الجوهرى، مما سيقلل من محاولتها النظرية إلى شكل من أشكال الاختزالية التكنولوجية، فالتكنولوجيا ليست الآخر الذي يجب الخوف منه والتمرد عليه، ولا تحمل الخصائص الإلهية تقريباً التي يعزوها إليها بعض مناصري الإنسانية المتحولة، ومنه فإن ما تشاركه هذه الحركة وحركة ما بعد الإنسانية هو مفهوم التكون التكنولوجي، على اعتبار أن التكنولوجيا هي سمة من سمات الجهاز البشري أكثر من كونها أداة وظيفية للحصول على الطاقة أو التطور أو حتى الخلود، فإنها تصل إلى نقاش ما بعد الإنسانية من خلال وساطة النسوية، وبالتحديد من خلال المرأة الآلية لدونا هاراواي (Donna Haraway 1944-) وتفكيرها للثنائيات والحدود الصارمة، مثل تلك الموجودة بين الكائنات البشرية وغير البشرية، والكائنات الحية والآلات، والجال المادي وغير المادي، وفي النهاية، الحدود بين التكنولوجيات والذات.

يمكن وصف الإنسانية المتحولة بأنها خطاب متفائل بالتكنولوجيا، إذ يتم طرح الأفكار والمفاهيم والتأملات المرتبطة بالإنسانية المتحولة، من قبل فلاسفة التقاليد الليبرالية البيولوجية وخبراء الأخلاقيات الحيوية والمهندسين وعلماء الكمبيوتر والمستقبلين، كما أن خبراء التحول الإنساني قد نظموا مؤسسات تمنع هذه الحركة نفوذاً سياسياً معيناً. وعلى النقيض من ذلك، يصعب تحديد حركة ما بعد إنسانية متماسكة، إذ نرى بدلاً من ذلك خلافاً بشأن تاريخ ومفاهيم وأهداف ما بعد الإنسانية، وإذا كان من الممكن تحديد جذور تاريخية للإنسانية المتحولة، فإنه من الأصعب بكثير تقديم تاريخ متamasك لهذه المجموعة من الأفكار التي ترتبط بما بعد الإنسانية إلى الحد الذي وصف تاريخها بأن له بداية ونهاية غير واضحتين في الفكر الفلسفى، فالبعض اعتبارها كرد فعل على إعادة تقييم نيتشه للقيم، والبعض الآخر ربطها برفض ماركس لجوهر إنساني طبيعى خارج العلاقات الاجتماعية، وهناك بالاكتشاف الفرويدى للقوى اللاواعية فى الإنسان، ومن وجدها فى ثلاثة انتقادات حديثة للإنسانية: ما بعد بنية فوكو، وحركة النسوية، والتقدم التكنولوجى.

¹ روزي بريديوتى، ما بعد الإنسان، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة، عدد 488، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2021، ص .51

إن العلاقة بين كلاً الحركتين معقدة وتستحق اهتماماً أكبر بكثير، غالباً ما يتم رسم خط حاد فاصل بين الإنسانية المتحولة وما بعد إنسانية، إذ يحرض كلاهما على فصل أنفسهما عن بعضهما البعض بشكل خاص، على سبيل المثال، يقترح قسم الأسئلة الشائعة حول الإنسانية المتحولة أن ما بعد إنسانية تساهم في إفساد المعنى الأصلي بمصطلح الإنسانية البعدية، وفي المقابل أكد فلاسفة ما بعد إنسانية مثل هايليز كاثرين Haylis (1943-) رفضهم للإنسانية المتحولة. وتمنى دوناهاراوي أن تتأي بنفسها عن "التعزيز التكنولوجي السعيد للتحول البشري".¹

يمكن ملاحظة شك واسع النطاق اتجاه الدين وفقاً لمنظور فلاسفة ما بعد إنسانية، والذي يرجع إلى معارضته للمعتقدات الدينية أيضاً، حيث تشير تيروش صامويلسون Tirosh Samuelson إلى الجنور الدينية للإنسانية المتحولة، خاصة في تفكير جوليان هكسلي وتيلار دي شاردن، وتقر فعلياً بعدم وجود تعارض بين الإنسانية المتحولة والأديان التقليدية، حتى أن بعض الحركات الدينية تؤيد أفكار التحول والتحسين البشري. علاوة على ذلك، تجادل بأن الإنسانية المتحولة تتقارب مع عناصر التفكير الديني، على سبيل المثال المفاهيم الآخرية، مثل: التفرد والخلود...، فليس من الغريب أن تكون الشخصية الأسطورية "بروميثيوس" نموذجاً متكرراً في خطابات الإنسانية المتحولة وما بعد البشرية. فقد ساعد هذا الإله الجبار في خلق البشرية بإحضار النار لهم، وعاقبه "زيوس" لاحقاً بعقوبة شديدة، وفي مقالتها "بروميثيوس" تخل فرانسن تريسيجي Trijsje Franssen كيف يظهر غموض هذه الأسطورة في التلقي المعاصر، وتؤكد أن "بروميثيوس" بالنسبة للإنسانية المتحولة هو رمز للتقدم ويعبر عن الإرادة في التطور والتغلب على القيود حيث لا يجسد فقط صفة التحسن، بل يعبر أيضاً عن جذور الإنسانية الانتقالية²، وفي الوقت نفسه، يفترض أن هذا الاحتفال بالدافع البروميثي للسيطرة هو هدف لحركات نقد التحولية، إذ تستقبل حركة ما بعد إنسانية جانيا مختلفاً من "بروميثيوس"، حيث لا يسلطون الضوء فقط على الغطرسة المرتبطة به، بل يستخدمون الأسطورة أيضاً لرفض الإنسانية وتحطيم اعتقادها بمفهوم مركبة الإنسان والثنائيات البشرية.

يتناول مايكيل هاووس كلير في مقالته المشهورة بعنوان "اليوتوبيا" الأبعاد اليوتوبية في كل إنسانية المتحولة وما بعد إنسانية، إذ يقر بأن الإنسانية المتحولة على وجه الخصوص تتمتع بنظرة يوتوبية مميزة وتعبر عن حماس واسع النطاق لمستقبل معزز تكنولوجيا أين سيجد أحفادنا في النهاية نعيمًا لا نهاية له أو حتى

¹ روزي بريدوني، ما بعد الإنسان، ص 140.

² Robert Ranish, Stefan Sorgner, **Introducing post_transhumanism**, Peterlang edition, p18 ,19.

الخلاص¹، وهنا نلمس جذور الإنسانية المتحولة في إنسانية عصر النهضة، وقبل كل شيء في فكرة بيك دي لا ميراندول القائلة بأن البشر لديهم طبيعة ثابتة، ولكن لديهم القدرة الفريدة على تشكيل أنفسهم وتحقيق إمكانات تشبه القدرة الإلهية.

يخلل جيمس هيوز في مقالته "السياسة" الأبعاد الاجتماعية والسياسية للمناقشات حول الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث يظهر التزام فلاسفة الإنسانية الانتقالية بالحرية الفردية في ظل تفاؤلم بالเทคโนโลยيا والشخصية غير المركزية، ما يبرر تعددية وجهات النظر السياسية داخل حركة الإنسانية المتحولة بين الإنسانية المتحولة الديمقراطي، والإنسانية المتحولة الليبرالية، والإنسانية المتحولة اليسارية²، في المقابل نجد عزوفا سياسيا لدى فلاسفة ما بعد الإنسانية الذين اتفقوا في رفضهم لموقف خبراء التحول الإنساني بشأن مسألة المكانة الأخلاقية والمواطنة باعتبارها إعادة إنتاج التحيزات الإنسانية اتجاه التفوق البشري.

يعتبر الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك أول من أضفى الطابع الفلسفى لحركة ما بعد الإنسانية Posthumanism سنة 1999، هذا المصطلح الذي نعبر به حسبه عن القطعية التامة فيما بين المرحلة الإنسانية التي نحن فيها وتلك القادمة التي سيقيم فيها كائن آخر مختلف جذريا وجوهريا بملكته الجسدية والذهنية، بينما يشكل ما يمكن تسميته بالإنسانية المتتجاوزة/ العابرة/ المتحولة، وبهذه الدلاله يشكل العبور المقدمة للوصول إلى القطعية التي يعبر عنها تماما مصطلح التفرد Singularity، والذي يرجع في أصله إلى العالم الأمريكي من أصل محري جون فون نيومن John Von Neuman (1903-1957)³، غير أن الأمريكي راي كيرزوبل استخدمه على النحو موسع واعتمده عنوان لأحد كتبه في عام 2005 (التفرد القريب) The singularity is near.

يؤكد كيرزوبل أن عام 2009 يشكل اللحظة التي سيتم فيها تعزيز الكائن البشري برقاقات تكنولوجية تزيد من قدراته ومقاومته للعجز والنقائص، بينما سيكون عام 2045م، بداية الزمن الذي لا يمكن فيه لأي إنسان الاستمرار دون الدعم التقني، وهنا تجلّجفي مرحلة التغير الجذري للإنسان واصطلح عليه عصر التفرد التكنولوجي، يعتبر هذا المخطط الزمني الذي اقترحه كيرزوبل عامل مساعد في إزالة الخلط

¹ Ibid, pp 19,20.

² James Hughes, **The politics of the members of transhumanism**,
<http://www.changesurfer.com/acad/transhumpolitics.htm>

³ Fernando H. Llano, **Transhumanism , vulnerability and human dignity**, Deusto journal of human rights, N4, 2019, 44.

والمفهوم الحاصل ما بين المصطلحين السابقين¹، حيث يمكن أن يدل Transhumanism إلى مرحلة العبور ما بين 2029 و 2045 التي تأخذ هنا معنى "الانتقال المتدرج" باتجاه الوصول إلى القطعية الناتمة ابتداءً من 2045 التي يشير إليها مصطلح Posthumanism.

يمكن القول عموماً أن مصطلح الإنسانية المتحولة/ المتجاوزة /الفائقة متداول أكثر من طرف العلماء والباحثين الذين يسعون للتحسين الجسدي البيولوجي للإعلاء منه تجاوزاً لكل قصور أو عيب، بينما في الأوساط الفلسفية والأدبية يفضلون بشكل عام مصطلح "ما بعد الإنسانية" التي تعبر عن تصور جديد ملائحة وكونية النوع الإنساني وما يصاحبها من حقوق وواجبات، علاقات اجتماعية... إلخ². لقد تم استحداث تسمية تجمع بين هذين المصطلحين، وهي الإنسانية الرائد+Humanity، ويرمز لها بـ H+ وهذا لأمرتين، أولهما إزالة الخلط الذي طالهما، وثانيهما إشارة للإعلاء والاسترادة في الإنسانية الحالية كهدف جوهري لهما³.

من جهتنا، سنستخدم مصطلح الإنسانية المتحولة -تقيداً بالترجمة الحرافية للمصطلح- للإشارة إلى تلك الحركة التقنو-فلسفية والتي تستهدف تجاوز الحدود البيولوجية التي تعيق الإنسان، بتجاوز قدراته الجسدية والذهنية، بواسطة التقنيات الفائقة، والبحث عن المبررات الفلسفية التي تدعم هذا الإعلاء والاسترادة وتشريعه عقلياً وأخلاقياً والتأهيل المسبق لقبوله عبر مختلف الوسائل الفنية والثقافية والتربيوية.

يوجد تنوع كبير داخل المشهد لما بعد الإنساني -كما ذكرنا سابقا- حيث يقود كل اتجاه إلى مجال متخصص للمناقشة، وإذا كان المنطق العقلاني والتقدم والإرادة الحرة في العصر الحديث هي اللب في خطاب الإنسانية المتحولة، فإن النقد الجذري لهذه الافتراضات نفسها هو جوهر معاداة الإنسانية، وهو موقف فلسفى يشترك مع ما بعد الإنسانية في جذوره في ما بعد الحداثة، لكنه مختلف عنها في جوانب أخرى، فتجاوز الإنسان في نظر فلاسفة الإنسانية المتحولة يعني التغلب على القيود البيولوجية وإعلانها لبلوغ

¹ S.S. Merzlyakov, Posthumanism vs transhumanism : from the end of exceptionalism to technological humanism, herald of the russian academy of sciences, vol 92, suppl 6, 2022 , pp 475, 481.

²Béatrice Jousset-Coururier, *Le transhumanisme*, p. 7.

³ محمد طاهر، *البيهكتنولوجيا ومستقبلاً للإنسان*، ص 235.

الكمال وحتى الخلود، بينما التجاوز عند النزعات المناهضة للإنسانية يعني تقويض مركبة الإنسان ونسلها في مقابل الاهتمام بالبيئة والحيوان والآلة... وغيرها.

يحتل هدم مفهوم الإنسان مكانة مركبة لدى النزعات المناهضة للإنسانية التي تدعى إلى تجاوز مركبة الإنسان في هذا الكون لصالح الكائنات الحية الأخرى، فهي ليس مركبة الكون بل جزء من نظام حيوي كلي، وهو إحدى النقاط الرئيسية في اشتراكهما مع ما بعد الإنسانية. ومع ذلك، فإن الفرق الرئيسي بين الحركتين متضمن بالفعل في تركيبتهما، تحديداً في دلالتهما لـ"ما بعد" وـ"ضد أو معاداة". تدرك معاداة الإنسانية تماماً تداعيات "موت الإنسان"، كما أكد بالفعل بعض منظري ما بعد البنوية، ولا سيما ميشيل فوكو. على النقيض، لا تعتمد ما بعد الإنسانية على أي موت رمزي، سيسند هذا الافتراض إلى ثنائية ميت/حي، في حين تم بالفعل تحدي أي شكل صارم من الثنائية من قبل ما بعد الإنسانية، في منظورها العملي الوجودي ما بعد الثنائي. بعد كل شيء، تدرك ما بعد الإنسانية أنه لا يمكن بسهولة رفض أو محاربة الافتراضات الإنسانية الهرمية، وفي هذا الصدد، فإنها تتناغم أكثر مع نجح دريداً التفكيكي بدلاً من موت الإنسان عند فوكو، والاختلاف ت موقع حول الذات الديكارتي العاقل هذه الذات التي قوامها الهوية المتجانسة المتميزة بخصائص معطاة ثابتة كونية متأصلة، فهناك عدة تيارات طعنت في هذه الذات وفي مركبتها أمام باقي الموجودات ومن بينها ما بعد الإنسانية، بينما ما بعد بنوية فوكو شككت في وجود هذه الذات أصلاً، وهذا ما استندت إليه النزعات المناهضة للإنسانية.

يمكن الجزم على العموم بأنَّ ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة تعتبران جزء من حركة أشمل وأعم هي النزعات المعادية للإنسانية التي تشمل: ما بعد البنوية، التفكيكية، النسوية، البيئة، العميقة... الخ.

ج- ما بعد الإنسانية والإكستروبيا:

تم تأسيس معهد الإكستروبيا¹ من قبل ماكس مور وزوجته ناتاشا فيتا مور كأحد فروع حركة الإنسانية المتحولة، إذ يمثل الاتجاه المتطرف فيها، يهدف إلى عكس قانون (الإنتروبيا)² الذي يعني أفول وتلاشي كل ما هو موجود، هذا القلب يفتح الباب للخلود والتطور اللامحدود.³

فالإكستروبيا أو حركة التفاؤلية العلمية، تقدم منظروا عاماً مختلفاً للوضع البشري مبني على أسس عقلانية واقعية، بعيدة عن أي دوغمائية أو تعصب مذهبي، وعليه فلسفتها مفتوحة حول مبادئ الإنسانية: العلم والعقل والسعى اللامحدود لتطوير وتحسين حياة الإنسان، لهذا فالمؤمنون بهذا التوجه يقرون بأنه من الضروري بل من الأخلاقي الاستغلال الأمثل والأقصى حد لتوظيف التكنولوجيا لهذا الغرض، وعليه فهذا التيار ينادي بضرورة تدخل تقنيات العلم والتكنولوجيا لتسريع وتيرة التطور البيولوجي، والقضاء على كل معيقاته ومحظياته مثل: الشيخوخة والمرض والعجز والموت، وفي المقابل الإعلاء من الإمكانيات العقلية والجسدية⁴.

لقد صاغ ماكس مور وأتباعه مجموعة من المبادئ الإكستروبية لفلسفتهم سنة 1988 ومشروعهم العلمي والإيديولوجي تعبير بدقة عن أهدافهم ويتعاملون معها، ليس كقيم مطلقة ومشتركة وإنما كخطوات براغماتية نفعية لهذا فهي قابلة للتغيير والتعديل مادامت تصب في صالح الإنسان.

المبدأ الأول: "التقدم الدائم": يرفض الإكستروبيون موقف البيولوجيون المحافظين للطبيعة البشرية التي تنص على أنها جملة خصائص ثابتة التي لا يصح العبث بها وتغييرها، وفي مقابل ذلك يعتقدون على غرار إنسانيي الأنوار بضرورة التقدم والتطور في جميع المجالات، لهذا فهم ينادون بضرورة التدخل لإحداث تغييرات مرغوبة ومستحسنة للكائن البشري من خلال تعزيز وتعديل طبيعته والارتقاء بها نحو الكمال المنشود

Estropy¹ وهي نقىض الأنتربيا التي تعنى في اليونانية التحول، فإذا كان نظام الأنتربيا هو الدافع المساعد على الموت، فإن الإكستروبيا يسير في الاتجاه المعاكس، وهو تخليص الجسم من الحركة التي تقوده إلى الموت والزوال، وعليه فالإكستروبيا تعنى درجةبقاء على قيد الحياة (ينظر : أولغا تشيتيفيكوفا، دكتاتورية المستيرين، ص (220)

Entropy² يوفر مفهوم الإنتربيا نظرة ثاقبة عميقية اتجاه التغير التلقائي للعديد من الظواهر اليومية، وهي كلمة يونانية تعنى التحول، وتشير إلى الحركة التي تؤدي إلى السكون والموت والاندثار. (ينظر : <http://dictionary.cambridge.org>)

³ فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 8.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 117، 118.

منذ القدم ومنطلقهم في ذلك أن البشر مرحلة انتقالية تقع بين إرثنا الحيواني ومستقبلنا ما بعد الإنساني¹. هذا التطور لا يمس جسده فحسب، بل سينعكس على الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي كذلك.

المبدأ الثاني: "تحويم الذات": يهتم خبراء الإكستروبيا بتحسين الذات جسدياً وفكرياً ونفسياً وأخلاقياً، للوصول إلى أفضل من حالتنا الحالية دون التخلّي عن قيمنا. هذا ما يقتضي إعادة النظر المستمرة في حياتنا، وهذه دعوة صريحة للتجدد، لهذا فهم مطلعون دائماً على التطورات الجديدة في العلم والتكنولوجيا لاستغلالها في تحسين الذات².

المبدأ الثالث: "التفاؤل العلمي":

وفيه تجلّى الروح التفاؤلية التي تقدّم في نصرة وتغلب العلم والتكنولوجيا على كلّ ما ينقص حياة الإنسان، لهذا فهي تتربّع المستقبل بكل إيجابية وترفض أي انهزام أو استسلام أمام العوائق والظروف التي تواجهنا. لهذا فهم يحافظون على وطيرة التقدّم ويستثمرون فيه من خلال دعم البحوث والمؤسسات والمخابر المتعلقة بالعلوم المعاصرة مثل النانو تكنولوجيا والمعلوماتية والذكاء الاصطناعي والبيو تكنولوجيا... وغيرها التي يتطلعون إلى نجاحاتها بكل ثقة ودون أي شك³.

المبدأ الرابع: "التكنولوجيا الذكية":

لا ينبغي الخوف من نتائج التكنولوجيا خاصة فيما يتعلق بالذكاء الاصطناعي، فهي وسيلة واحدة للتغيير وضعنا نحو الأفضل، لهذا فهم ينصبوناً موضع الدين. إذ ينبغي دمجها مع جسد الكائن البشري للوصول إلى الكيان ما بعد الإنساني لتحرير الإنسان من كل القيود التي فرضتها عليه طبيعته البيولوجية والاجتماعية⁴.

المبدأ الخامس: "المجتمع المفتوح":

¹Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, p 31.

²فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 122، 123.

³المرجع نفسه، ص ص 124، 126.

⁴Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, p 32.

إن المبادئ السابقة لا يمكن تطبيقها إلا في ظل مجتمع حر ديمقراطي يؤمن بتبادلية الأفكار وينتهج العقلانية النقدية، فالمجتمع المنغلق الذي يقمع التفكير ويقيد أي إبداع أو تطوير أو تحسين لهذا تم وصفه بأنه أشد خطورة من الاعتقاد بالأفكار الخاطئة¹.

المبدأ السادس: "التوجيه الذاتي":

لكل شخص الحق في حرية التصرف في جسده و اختيار الطريقة التي يعيش بها، والمبادئ التي يؤمن بها بعيداً عن كل سلطة دينية أو أخلاقية متعلالية تنصب نفسها كمرشد ووجه مع تحمل مسؤولية إرادتهم لهذا ينبغي أن يكون الاختيار قائم على الذكاء والفطنة².

المبدأ السابع: "التفكير العقلاني":

الذي يفرض التعامل مع الأفكار ليس كحقائق ثابتة التي تقود إلى الدوغماوية والإيمان الأعمى الذي يحط من قيمة الإنسان، لهذا لابد من وضع أي فكرة داخل سلة النقد والتمحيص، فمن شروط التقدم إعادة النظر في معتقدات و مسلمات الماضي³.

3 _ مسلمات الإنسانية المتحولة:

يقوم مشروع الإنسانية المتحولة على جملة من المسلمات التي يمكن إجمالها في:

أ_ حتمية التقدم والتطور:

لطالما وصفت فكرة التقدم Progress تاريجياً بدين الحداثة الغربية، بالرغم من أن جذورها تضرب في أعماق الفكر الإنساني القديم، إذ يمكن النظر إلى التقدم على أنه عملية سير وتغيير تراكمية تمثل المرحلة اللاحقة الأفضلية عن سابقتها، ووفقاً لهذا المنظور، فهو يتضمن ثلاث عناصر أساسية يهدف إلى التحسين، والحصول على ما هو أفضل، وعدم العودة إلى الماضي بل الاتجاه نحو المستقبل، أي استحالة توقيف التقدم، ومن هذا المنطلق يضع الإنسان نفسه موضع السيد المسيطر على الطبيعة.

لقد ساهم التطور Evaluation التقني العلمي في تغذية وبلورة التفاؤل بالتقدم كمجال للتحسين الالاهائي هذه الذهنية التي تصاعدت خاصة في القرنين الأخيرين إلى حد الخلوص إلى حتمية ولزومية التطور،

¹ فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 129، 130.

² Béatrice jousset-courturier, Le transhumanisme, p 34.

³ Ibid, p 35.

ومن هنا أضحت تصور التطور ينطوي على وثنية أن كل ما هو جديد هو الأفضل، فاجدة تمشي توازياً مع الأفضلية، وتم اتخاذ القاعدة "البشرية دائماً تسير نحو الكمال" كعقيدة راسخة، تقتضي الوقوف عند كل ما يعيقها وأولها: عدم التطور أو بُطء التطور.

هناك سؤال بالغ الأهمية يفرض نفسه على عقولنا بإلحاح: هل التقدم قوة فاعلة مستقلة بذاتها، أم منفعلة ينبغي على الإنسان أن يتدخل في تحريكها وتسريع وتيرتها وإزالة العقبات عنها؟ وهل يمكن للإنسان أن يسرع من التطور ويتدخل في تحديد مساره أم أنه يخاطر في تأخير إكماله؟

لقد ثمت إعادة صياغة مفهوم التقدم وفق منظور التطورية الداروينية، إذا كان التطور نفسه مصاغاً على ضوء التقدم. ومع نظرية داروين ارتبط بالمفهوم البيولوجي، فلطالما نظر الإنسان إلى نفسه على أنه كائن متتطور وقابل للتحسين على الدوام، هذا التطور الذي اعتبر في الأنوار كمشروع سياسي، أما في وقتنا الحالي، فقد أخذت هذه الفكرة معنى بيولوجي بحث. بعد منطق أن الإنسان يتمتع بالملوحة الفيزيقية والبيولوجية على حد تعبير الفيلسوف الهولندي مارك هونيادي¹. (Mark Huniadi 1960)، أي يمكنه تحرير نفسه من كل حتمية بيولوجية واجتناث نفسه من كل جوهر ثابت أو خصائص مطلقة نسبت له عبثاً في وقت ما، وهكذا فقط يمكن أن تتأسس إنسانيته الحقة.

لقد أخذ براديم التطور متخيلاً مستحدثاً يتمحور حول الحياة البيولوجية على حساب الأنظمة الاجتماعية والدينية والسياسية، هذا ما تبنته الدعوات المعاصرة للاحتفاء بنهاية الاستثناء الإنساني، وإعادة تعريفه على ضوء معيار أنثرو-تقني مناقض تماماً للمعيار الأنثرو-ثقافي سابقاً². وقد نتج عن تنحية قابلية التطوير من الميدانين السياسي والاجتماعي، ولوج الإنسان نحو نزعنة تطورية جديدة أكثر راديكالية من التطورية الداروينية إذ أصبح كل من الإنسان والآلة معنيان بالتطور، ما يفرض على الكائن البشري ألا يكتفي بتغيير بيئته بل أن يحسن ويعدل نفسه كذلك كحاجة ملحة وقد أكد على هذا الأمر عالم الرياضيات الأمريكي نوربرت وينر³ (Norbert Wiener 1894-1964) في قوله "لقد أحدهنا تغييراً شديداً على بيئتنا، وينبغي علينا أن نغير أنفسنا".

¹ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 281.

² المرجع نفسه، ص 298، 300.

³ Norbert Wiener, *Cybernétique et société : l'usage humain des êtres humains*, coll, UGE, paris, 1954
10/18 p56.

لا يأخذ التطور حسب منظور الإنسانية المتحولة التصور الذي عرف مع جون لامارك Jean Lamark (1744-1829) وداروين تماماً، والذي يطأ على جميع الأنواع من منطلق التغيير المستمر في الكون، وإنما التطور بفعل التدخل التكنولوجي على الطبيعة البشرية تغييراً وتعديلأً وتعزيزاً¹. أي أن فكرة حتمية التطور البيولوجي القائمة على فكرة قابلية الكائن البشري للتحسين والتي تبنتها النزعة الإنسانية كمشروع ماهوي لها. وقد أخذت اليوم منحى آخر باختزالها في الجانب التقني العلمي، من خلال التركيز على تحسين الحياة في حد ذاتها بهدف تمديد الحياة الفردية.

وبناء على ذلك يستند خطاب الإنسانية المتحولة على رؤية داروينية مستحدثة، إذ تقر هذه النزعة أنه يجب على البشر أخذ التطور بأيديهم والقيام بمحاولات واسعة النطاق لدمج التكنولوجيا في حياتهم، وتحدف هذه المشاريع إلى زيادة جذرية في وظائف الجسم (العمر الصحي، العمر الافتراضي)، والقدرات المعرفية والعاطفية (الذكاء، الذاكرة) والصفات الجسدية (القوه، الجمال)، والسلوك (الأخلاق) على أساس تأكيد سمات محددة، هناك وعد بأن تعزز التكنولوجيات الصالحة العام والسعادة الفردية. لتحقيق هذه الأهداف يشق أنصار الإنسانية المتحولة في التقدم العلمي، ولا يقتصر التحول البشري على تقنيات محددة، ولكنه يشمل جميع أنواع الوسائل لتحقيق رؤاهم، بما في ذلك الوسائل التي ذاع صيتها اليوم NBIC.

يكمي المسعى الأساسي لحركة الإنسانية المتحولة في القضاء على المحددات الطبيعية للكائن البشري والعمل على تجاوزها سواء من خلال إدخال تعديلات على جسده وعقله، أو بإنشاء كائن مصطنع يمكن وصفه بأنه نسخة معدلة ومتطرفة للإنسان العادي أو العاقل Homo-Sapiens، ولتحقيق هذا المسعى يعمل خبراء التحول الإنساني على منح بدائل متعددة من أشكال التطور يمكن إيجادها في:

الإنسان الدوائي: الذي يتم التحكم في وعيه وإدراكه من خلال تغيير حاليه المزاجية والشعورية، وحتى معتقداته، وهذا بالاستعانة ببعض العقاقير والمواد الكيميائية الملائمة لذلك.

الإنسان المعدل وراثياً: ويتحقق ذلك من خلال التعديل الجيني، أي التحكم في تغيير جيناته وصفاته البيولوجية من قص وحذف، أو تركيب وإضافة أو إعلاء واسترداد، ويتمثل هذا النوع من التطور البشري البيولوجي من خلال تقنيات التخصيب الاصطناعي، اطفال حسب الطلب، الاستنساخ... وما يضاهياها.

¹ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 237.

الإنسان البيولوجي Bionic: ويتجلى من خلال دمج عضوية الإنسان مع الآلة أو قطع اصطناعية ورائق وأجهزة سواء بإيصالها بدماغه أو تركيبها مع أعضائه، مما ينتج الإنسان الآلة أو الروبوت أو السايبورغ¹.

تعبر الإنسانية التحسينية عن إيمان تام بالتقدم مشابه للذى آمن به فلاسفة عصر النهضة. وهنا يتساءل فيري: إذا كانت الإنسانية في عصر النهضة قد استطاعت بالفعل الانفصال عن الطبيعة. فلماذا تتوقف عن هذا الحد الجيد؟ ولماذا لا نذهب حتى النهاية؟ ومعنى هذا حسبه، أن مشروع السيطرة على المادة الوراثية الخاصة بالإنسان ينبغي أن يستمر حتى النهاية إذا أرادوا تجنب تدهورها بشكل لا رجوع فيه². وفي هذا السياق نجد المولعون بالเทคโนโลยيا الجديدة Techno-Philia، بدأ من كبار المدراء والتنفيذيين للشركات المتعددة الجنسيات يعبرون عن تفاؤلهم بهذا التقدم.

يتساءل فيري عمما يقدمه هذا التفاؤل بالتقدم من حلول مشاكل الإنسانية؟ حقيقة يمكن أن يجد حللا لجميع التحديات التي تعصف بالكوكب، فإذا كانت نستثمر بشكل أكبر في التكنولوجيات الجديدة فيتمكن تجنب حوادث الطرق من خلال السيارات ذاتية القيادة مثل "جوجل كار"، والسرطان من خلال الطب التجديدي وكذلك السمنة وأرق النوم والأوبئة والكوارث الإنسانية وحوادث الطائرات والجرائم والارهاب والاحتباس الحراري والتلوث والجوع في العالم، ورعاية المسنين والأشخاص ذوي الإعاقة في المنزل والشيخوخة³. فنظريا يمكن لهذه التكنولوجيات الجديدة حل كل شيء، لهذا يتفاعل بها أصحاب مشاريع الإنسانية المتحولة ويمولونها.

بـ موت الموت أو السعي نحو الخلود:

منذ القدم كان النظر إلى الموت والمرض كأمر طبيعي متضمن في مقومات الهوية البشرية، وظل الخلود والأبدية مطمحًا وحلمًا للإنسان، لكن ليس الخلود البيولوجي وإنما الروحي⁴. وقد اختزل أرسسطو فكرة حتمية الموت في دالة منطقية استنتاجية تصل الإنسان بالفناء كنتيجة لها "كل إنسان فان".

يسير البحث عن الخلود، بواسطة العلم جنبا إلى جنب مع الرغبة في تجاوز الإطار التطوري للجنس البشري من أجل الوصول إلى وضع ما بعد الموت، على هذا النحو، ينطلق الطب التجديدي والطب النانوي

¹ أولغا تشيتيفيريكوفا، ديكاتورية المستبررين، ص ص 228، 230.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 50.

³ Ibid, p51.

⁴ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 311.

وبiology الشيخوخة من تفكير بيو طي للشيخوخة والموت إذ تسعى هذه التخصصات إلى الإعلاء من الإمكانيات الجسدية للفرد كتميم لما أسماه فلاسفة هذا الاتجاه بترميم "أخطاء الطبيعة".¹

يلخص لنا هذه الأفكارnick بوستروم في طابع رمزي المتمثل في حكاية "التنين الطاغية" الذي لا بد من تقديم تكريم يومي له بمقدار 10,000 شخص، بعضهم يتم ابتلاعهم فوراً، والبعض الآخر يتنتظر نهاية مرؤوبة، أحياناً لعدة أشهر في سجن مليء بالآلام والتعذيب (رمزاً للمرض والشيخوخة التي تسبق الموت) مع الألم الذي يسببه لنذوي الضحايا. وهنا ندرك أن هذا التنين هو الموت نفسه، حيث يصف لنا بوستروم كيف يتعامل البشر معه بمقابل مختلف الاستسلام والانقياد أولاً ثم الحتمية، التعاون مع العدو، ثم الثورة التي تتهمي بنصر وهي وهو الوعد الذي تقدمه الأديان بحياة أبدية ولقاءات مع الأحباء المفقودين بعد الموت أي الحياة الآخرة، لكن هذا خلافاً لما يؤمن به أنصار التحول الإنساني، فمن الواضح أنه إذا نجح العلم في هزيمة الموت حقاً يوماً ما على أرض الواقع وليس في الآخرة، فإن ذلك سيكون ضربة قوية للمذاهب الدينية، وهي تجسد بالضبط المرحلة الأخيرة التي تعلنها الحكاية، هذه اللحظة في تاريخ الإنسانية التي يمكن فيها لتقدم التكنولوجيا والعلوم أن تسمح يوماً ما للبشر المنكوبين بالقضاء على التنين المزعج.² على الرغم من غرابة الأمر يعتقد العديد من الباحثين اليوم أن المشكلة التي تشغّل البشرية منذ القدم، وهي الموت، لم تعد تنتهي إلى الأساطير أو الديانات أو الفلسفة، ولكنها تنتهي إلى الطب والبيولوجيا، وتحديداً إلى تلك الابتكارات الرائعة NBIC، إذ بفضل تلاقي هذه التكنولوجيات الجديدة التي لا تزال حقيقتها مجهرة تقريراً للجمهور، يمكن القضاء على الموت في المستقبل، من خلال السيطرة على عملية الشيخوخة، على أن الموت سيجيئ ممكناً دائماً في حالة وقوع حادث أو انتحار أو هجوم.³

يرى فييري أن هذه العلوم المتقاربة بتقنياتها المتقدمة سوف تتمكن من السيطرة على الشيخوخة ومنه الموت، وهذا من خلال التقنيات والخطوات التالية أولاً هناك علم الجينومات، فمع التقدم الكبير في تسلسل الحمض النووي والعلاجات الجينية، ستتمكن من اكتشاف معظم الأمراض الوراثية و الوقاية من بعضها، وحتى إصلاح الجينات المعيبة في المستقبل من خلال الجراحة الجينية التي تقدم بخطى سريعة منذ بضع سنوات، ثم ستأتي تكنولوجيا النانو لدعم الطب، من خلال صنع الأجهزة النانوية، التي تكون أصغر بآلاف المرات من قطر شعرة الشعر فعند وضعها في أجسامنا يمكنها تشخيص وإصلاح عيوبنا، الثورة الثالثة، ثورة

¹المراجع نفسه، ص 319.

²Luc Ferry : *La révolution transhumaniste*, p47.

³Ibid, p 48.

البيانات الضخمة مع ظهور أجهزة الكمبيوتر القوية التي ستمكننا من مقارنة مليارات الخلايا مع بعضها، مما يفتح الطريق للطب المخصص لكل مرض وكل مريض، ثم الاتجاه الرابع للبحث هو الروبوتات التي بمساعدة التكنولوجيا ستعزز إمكانات التداخل بين الإنسان والآلة، كما لم يحدث من قبل، كما أن البحث في مجال الخلايا الجذعية¹ سيفتح طريق الطب الترميمي، بينما ستؤدي التقدمات في الذكاء الاصطناعي بلا شك إلى ظهور إنسان محسن، وعليه فعلى عكس الافتراض السائد، فإن الموت ليس حتميا تماماً، وفي هذه النقطة بالذات لا بد من التأكيد على أن الموت مثل جميع العمليات البيولوجية التي تم إختيارها من قبل التطور، فإن الموت له فائدته ووظيفته، حيث يسمح تعاقب الأجيال بتشجيع الطفرات المفيدة بمنطق دارويني². لكن ما يهم في التفكير البشري التحولي هو أن هذه الثورات قيد التقدم، وأن السؤال المتعلق بها إن كانت مشروعة؟ وما إذا كان يجب تمويلها أم لا؟ تشجيعها أم إيقافها؟ قد طرح بالفعل.

يتسائل فيري في هذا الصدد: هل من الممكن اطالة العمر؟ هل سيكون مثل هذا الاحتمال كابوساً للبشرية أم جنة على الأرض؟، يجيب فيري بالنفي في كلا الحالتين، هذا لأن اغلب الأشخاص يفضلون الشيخوخة على الموت، فالخلود حلمهم الدائم، لكن هذا سيشكل مشكلة ديمografية متعلقة بالكتافة السكانية، لهذا فالأنجع ترك حرية الاختيار كمعيار لهذا الموضوع .

ينبغي التنويه هنا إلى أن الخلود الذي تصبو إليه نزعة الإنسانية المتحولة كمشروع مستقبلي، فهو خارج عن السياق الفلسفـي الميتافيزيقي كما صورته الثقافـات الـقدـيمة التي أرادـت حـيـاة بشـرـية دون موـت، بل خـلـودـاً بيـولـوجـياـ فـيـزيـقيـاـ، والـذـي يـرـادـ مـنـهـ إـطـالـةـ أـمـدـ الحـيـاةـ لـمـائـاتـ السـنـينـ، فـالـمـوـتـ فـيـ النـهاـيـةـ لـاـ مـهـرـبـ مـنـهـ³. وما يـضـفـيـ صـبـغـةـ الـوـاقـعـيـةـ عـلـىـ حـلـمـ الـخـلـودـ عـنـ خـبـرـاءـ التـحـولـ الـإـنـسـانـيـ وـالـقـدـرـةـ الـهـائـلـةـ لـلـلـاـكـشـافـاتـ وـالـتـطـورـاتـ الـتـقـدـمـهـاـ التـقـنـيـاتـ الـمـتـقـارـبةـ NBICـ وـكـذـاـ أـبـحـاثـ الـذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ⁴، هـذـهـ التـقـنـيـاتـ بـمـخـرـجـاتـ الـمـتـعـدـدـةـ جـعـلـتـ الـعـلـمـاءـ وـالـبـاحـثـينـ يـسـعـونـ إـلـىـ وـضـعـ حدـ لـلـمـوـتـ وـالـقـضـاءـ عـلـيـهـ، وـهـذـاـ تـحـقـيقـاـ حـلـمـ الـبـشـرـيةـ الـأـبـدـيـ المـتـجـسـدـ فـيـ الـخـلـودـ الـذـيـ يـعـتـبـرـ أـهـمـ سـبـبـ لـلـبـحـثـ عـنـهـ هـوـ الـخـوفـ مـنـ الـمـوـتـ. وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ، يـجـيلـ التـصـورـ الـعـامـ لـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـةـ الـمـتـحـولـةـ إـلـىـ فـكـرـةـ الـلـاـفـنـاءـ الـعـلـمـيـ immortalismـ، بـعـنـيـ بـلـوغـ الـخـلـودـ الـذـيـ يـتـحـقـقـ عـلـىـ

¹ هي الخلايا الرئيسية في الجسم غير متخصصة بحيث تتولد منها جميع الخلايا الأخرى المتخصصة التي لها وظيفة علاجية، وتتمثل أهميتها من خلال قابليتها للتجدد من تلقاء نفسها لهذا يتم زرعها في مكان الخلايا المريضة أو الميتة. (ينظر: خالد أحمد الرعيبي، الخلايا الجذعية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص ص 51,53).

²Luc Ferry : La révolution transhumaniste, p p 47, 48.

³ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 240.

⁴ فرانسوا جاكوب آخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 60.

أساسين الأول: من خلال الاعتماد على التقنيات البيو تكنولوجية الفائقة، كالخلايا الجذعية، الاستنساخ، العلاج بالتربييد Gyonic ... وما إلى ذلك، والثاني: من خلال الاعتماد على تكنولوجيا النانو والذكاء الاصطناعي، من خلال فكرة تحويل الوعي المتمثل في نسخ الوعي وإدراك وذكريات الإنسان على دعائم إلكترونية، مثل الكمبيوترات وشراائح أو الرقائق وUSB، هذه العملية شبيهة بفكرة تناص Metempsychosis الرقمية، على حد تعبير عالم الروبوتات في جامعة "مليون كرانيجي" هانز مورافيك Hans Muravik (1948-) التي تحدث عنها مطولا بشكل عميق في كتابه الذي ادخله الى عالم الإكستروبيا والمعنون بـ: "أطفال العقل"¹.

لقد أصبح الموت اليوم قضية طبية بحثة، إذ تم تحريره من معالمه الرمزية والدينية، فهو مشكلة بيولوجية يمكن حلها بـ تكنولوجيا، وصار التصدي له أمراً ممكناً من خلال تأخيره أو القضاء عليه تماماً، والشاهد على ذلك هو دخول السايبرون وما بعد الإنسان على الساحة الثقافية . وعلى ضوء ذلك يمكن تحقيق الخلود بطريقين: بيولوجي أو رقمي.

الخلود البيولوجي: والذي يتحقق من خلال إطالة العمر وتجديد الشباب الدائم، وتأخير الشيخوخة وذلك عن طريق الاستعانة بـ تقنيات البيو طيبة الفائقة، مثل : الاستنساخ، والطب التجديدي، والتمدد الاصطناعي للحياة، وعلم التجميد ... وما إلى ذلك.

ويتجسد حلم الخلود في مؤسسة دنوية تطرد كل تعال معياري، وعلى اعتبار أن أكبر عائق أمام الخلود هو الموت، فهناك ارتباط للموت بالشيخوخة مما يؤثر على طريقة إدراكنا للموت. في بداية التسعينيات برز حقل علمي "بيولوجيا الشيخوخة"، أدى إلى الإقرار بأن التقدم في سن ليس حادثة طبيعية حتمية، وكذا الموت ليس ضرورة بيولوجية، وهذا بواسطة إمكانية التدخل في عملية الشيخوخة ومحاولة القضاء عليها، إذ أصبحت تفسر بإرجاعها إلى عاملين أساسين: هما إما الاختلال المرتبط بتقدم السن كعملية وراثية مرهونة بالتطور، أو أنها مجرد حادث عرضي من حوادث الانتقاء الطبيعي أي أنها خطأ في الطبيعة، وفي كلا الحالتين يمكن تجاوزها علمياً وتقنياً².

من علامات الشيخوخة ترهل الجلد وبياض الشعر... وعلى الرغم من أن الخلايا لها خاصية تصحيح الأخطاء، إلا أن عامل التققدم في الزمن والอายุ يبسط ذلك، فتسارع عملية الشيخوخة، ومن هنا

¹ أولغا تشيفيركوفا، ديكاتورية المستربين، ص 230.

² فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 317، 318.

انكب الباحثون على اختراع تقنيات لتقوية وتعزيز عملية تصحيح الأخطاء بواسطة الهندسات والمعالجات الجينية وخلق أنواع جديدة، واستخدام التكنولوجيا الفائقة من قبيل "نانو روبوت"¹ لمعالجة الاختلالات الجينية، ومنه محاربة الشيخوخة ولقد أعلن فريق بحثي تحت اشراف البروفيسور خوان كارلوس بليمونتي في "معهد سالك بكاليفورنيا" عن نجاح تجربة القضاء على الشيخوخة في عينة فغران من خلال الاعتماد على تقنية التجديد الخلوي وقد زاد عمرها بنسبة 30%².

كان ينظر للجسد على أنه يشيخ كلما بفعل التقادم في السن، غير أن الأبحاث التي توصلت إليها مؤخراً "جامعة كاليفورنيا" الأمريكية بينت أن لكل جزء من العضوية ساعته البيولوجية الخاصة به، وهذا ما يفسر أن بعض الأعضاء تشيخ أسرع من الأخرى، هذه الأفكار التي قلبت المنظور السائد للشيخوخة³، ثم إن هذه النتائج شكلت الانطلاقـة لفهم سر الشيخوخة وعلاقتها بالتقدم بالعمر، وقد وقفوا عند اكتشاف حين ورأى مسؤولاً عن حساب العمر وحدوث الشيخوخة، ومن هنا زاد الاهتمام بهذا الموضوع أكثر، وقد تكون عالم الجينات "جامعة كاليفورنيا" ستيف هورفيت من رسم خريطة تخص الساعة البيولوجية لكل أعضاء الجسم، مستفيداً من تقنيات النانو، والهدف من ذلك هو التمكن من إعادة الخلايا إلى حالتها الأولى أي تجديد الشباب كخطوة أولى نحو الخلود⁴، الذي أصبح له بعد اقتصادي يتمثل في بيع منتجات وأعشاب وعقاقير ومكمّلات وفيتامينات وهرمونات للعناية بالبشرة والجسد واللياقة البدنية.

إن تحقيق الخلود البيولوجي مرهون بتجديد الشباب ومحاربة الشيخوخة، التي تمثل مرحلة ختامية من مراحل العمر البشري، وقد حددت علمياً بعد سن الستين سنة، وتميز بضعف الوظائف والأعضاء الحيوية تدريجياً إلى غاية الموت، لكن خبراء التحول الإنساني ونظراً لسعيهم الدؤوب نحو تخليد الإنسان، وكذا التطورات الحاصلة في المجال البيوطبي، فقد توجهوا إلى إعادة النظر في منظور الشيخوخة واعتبارها مجرد سقم يصيب الإنسان أي مشكلة بيولوجية تقنية يمكن حلها.⁵

¹ أو الروبوتات النانوية وهي عبارة عن آلية ذرية تتجول في مجـرى الدم، وـها أذرع وملقط تلتقط الخلايا المريضة والمعلطة وتعمل على إصلاحها وإصلاح الأخطاء الجينية. (يظر مستقبل البشرية، ص 259. أو حسن الخطاطر، الخلود البيولوجي ص 128)

² عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإمارات، ط1، 2023، ص ص 258، 261.

³ حسن الخطاطر، الخلود البيولوجي، أطـياف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014، ص 115

⁴ المرجع نفسه، ص 117.

⁵ سامي محمود، لا للشيخوخة المبكرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993، ص ص 13، 14.

بالنسبة لخبراء التحول الانساني طول العمر ليس بالأمر غير الطبيعي الشاذ، فإذا تأملنا الطبيعة نجد العديد من الكائنات المعمرة كأشجار الزيتون أو حيوان الهايدرا والسلحفاة... وغيرها التي تعيش لأمد بعيد فقد يصل إلى ألف سنة، ويمكن تفسير هذا الأمر أن هناك جينات في الطبيعة تعزز المقاومة ضد الشيخوخة وتحمي الأجسام مطلقاً.¹

بالرغم أن المعطيات الراهنة لا ثبت وجود أي منتوج طبي أو تقني مضاد للشيخوخة أو مؤخر لأعراضها طويلاً، خاصة وأن هذا التحدي الذي يسعى إليه أنصار الإنسانية المتحولة لا تستطيعه الطبيعة البيولوجية للإنسان، إلا أنهم متفائلين كثيراً بحدوث ذلك في السنوات القادمة، وهذا ما يتبنته مؤتمرهم العالمي الثاني "مستقبل العالم 2045" سنة 2013 بنيويورك، والذي حضره أهم علماء الأعصاب والمهندسين أين تم مناقشة آفاق تطبيق تكنولوجيا المعلومات والنانobiولوجيا بغية تخليل الإنسان والرفع من قدراته الجسدية والروحية.

تدعم شركة "Krio Rus" في روسيا تقنية تجميد البشر كطريقة للخلود، بهدف إعادة الحياة لهم من خلال إنشاش أجسادهم في المستقبل خاصة في ظل القيفرات المائية التي ينتعش بها المجال البيوطبي، ويعتبر رجل الأعمال الروسي دانييل ميدفيديف أول من روج وبشر بهذا المشروع في روسيا.²

في عصرنا الحالي راود العلماء فكرة تحسيد تجميد الأجسام بتقنيات مختلفة أبرزها بالتبريد، متأنلين العودة إلى الحياة من جديد في المستقبل بعد أن تجد البشرية آليات تسمح بإعادة التكوين للكائنات الحية على غرار عملية إعادة إحياء الحيوانات المنقرضة³ التي يعمل حالياً عليها، أو نقل الوعي إلى عقل بشري آخر أو إلى عقل اصطناعي⁴. وعليه فبودر تحقيق الخلود البيولوجي كانت مع تقنية التجميد، خاصة تجميد الدماغ بعد الموت، هذه الأبحاث التي تعمل عليها شركة التجميد الأمريكية "Alcor" والتي يترأسها زعيم الترانسيهومانيزم ماكس مور.

كما يسعى خبراء الإنسانية المتحولة إلى تجاوز الموت وبلغ الخلود بواسطة التكرار للكائن البشري، فتقنية الاستنساخ تمكّناً من ضمان استمرار النوع الإنساني، وكذا التعديل الجنسي لنسخ إنسانية حالية من

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 256.

² حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص 129.

³ تجري محاولات لإعادة إحياء إنسان النياندرتال من خلال استخلاص خلايا من بقايا جسد تم العثور عليه في سيبيريا.

⁴ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 256.

الأمراض¹. ولقد ساد الاعتقاد طويلاً بأن الإنسان يشيخ مع تقدم السن بفعل ضعف الأعضاء لكن الأبحاث البيو طبية قلبت هذا المنظور، إذ تم إماتة اللثام عن جين مسؤول عن شيخوخة أعضاء الجسم البشري، ومن هنا تجدد المسعى لتجاوز والتغلب على الشيخوخة.

من جهةه يجزم لوك فيري بأنه لا يمكن خلق إنسان خارق للعادة بعينين زرقاءتين، لكن يمكن محاربة الشيخوخة وتطوير الحياة المعيشية للإنسان، وذلك عن طريق التقنيات الحيوية كتهجين الإنسان والآلة، فهذا يكون بفضل العلم والطب لزيادة طول عمر الإنسان، إذن فالهدف الحقيقي حسبه هو الوصول إلى التصالح ما بين الشيخوخة وفترة الشباب، إلى كسر مقوله "لو الشاب يعرف لو الشيخوخة تستطيع" أين نستطيع في النهاية للوصول إلى أمة متصالحة ومتماضكة بالطاقات الشبانية والأفكار والإبداع ستكون حتماً أمة أقل غباء أو أكثر تطوراً وإبداعاً. كما يؤكد أنه حالياً لا يوجد دليل على أن هذا ممكناً، ولكن على سبيل المثال، تم التمكن بالفعل من زيادة عمر الفئران المعدلة وراثياً بنسبة 80%، من خلال القضاء على خلايا الشيخوخة، وهذا سيفتح الآفاق مستقبلاً أمام التكنولوجيا الحيوية، وما هو مؤكد أن التاريخ مفتوح ولن يغلق في وقت قريب، ويذهب فيري أيضاً إلى أن النقد الفلسفى يشير إلى أن الحياة غير المحددة بالموت أو حتى المفتوحة على فترة زمنية طويلة ستفقد كل معناها، يفترض أن الإنسان مبرمج للكسل وعدم الفعل، ناهيك عن المشكلات الواقعية المتعلقة بالتركيبة السكانية أو علم البيئة أو الاقتصاد السياسي، وكلها مرتبطة في النهاية بقضية الاكتظاظ السكاني الناتج عن تحقق أهداف الإنسانية المتحولة².

يؤكد فيري أيضاً أنه لا يمكن تجاهل الاعتراضات العلمية على إمكانية موت الموت، وذلك بسبب فائدته من وجهة نظر داروينية، وأيضاً بسبب أن الكائن الحي هو جسم معقد لا يحتمل الصعوبة، بحيث قد يؤدي إصلاح أجزائه بشكل منفصل إلى آثار سلبية متسلسلة قد لا يمكن السيطرة عليها. بالإضافة إلى ذلك يعتبر الدماغ البشري معقداً لدرجة أنها لا نستطيع أن نتصور كيف يمكن تباطؤ عملية الشيخوخة التي تحدد الدماغ مع التقدم في العمر، إلا أن أنصار الإنسانية المتحولة ينفون وجود أي سبب عقلي لوضع حدود مطلقة مسبقة للبحث العلمي³، خاصة إذا نظرنا إلى التقدم الذي تتحقق في مجال علم الأحياء في الآونة

¹ شريف بن زينب، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 11، عدد 1، 2024، ص 402.

² Entretien avec Luc Ferry, en ligne : <https://sfgg.org/media/2018/10/entretien-exclusif-avec-luc-ferry.pdf>

³ Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p49.

الأخيرة. فلا يوجد شيء يؤكد أن البحث حول عمليات الشيخوخة لن تشهد تقدماً مماثلاً في العقود أو القرون القادمة.

الخلود الرقمي: تظهر فكرة الخلود الرقمي في أدبيات العلوم المعرفية والمعلوماتية من خلال خلود العقل، هذا الأخير الذي يعبر عن جوهر هويتنا بعيداً عن الجسد الذي يعتبر عقبة مادية اتجاه تحقيق الخلود، فهو مجرد وعاء حامل للمعلومات يمكن التخلص منه وتعويضه بأي حامل إلكتروني كجهاز كمبيوتر أو أي شريحة¹.

تعطي آفاق الإنسانية المتحولة تصوراً مزدوجاً تقنياً وفلسفياً، إذ يتصور مروجهاً أولاً: تعزيز الإنسان وقدراته الجسدية والحسية والمعرفية والعاطفية والأخلاقية، ثم يتم السعي لتحرير الجسم البيولوجي، لأن تحسيننا الحالي بالألم، المعاناة، المرض والموت، وبالتالي النقص والنهاية. وأخيراً يعتبر التعايش بين البشر والروبوتات والبشر الآليين أمراً لا مفر منه، وبناء على ذلك فإن آفاق الإنسانية الجديدة هو "قتل الموت" لتحقيق الخلود السيبراني، وهذا يشير إليه تحليل وفهم دوافع الإنسانية المتحولة بوضوح، الذي يتجه نحو تمثيل غير مسبوق للجسم البشري وتحوله في علاقته بالآلة يتشكل في مجتمعاتنا المعاصرة، ما يجعل فكرة بناء إنسان في المختبر أكثر قوه وذكاء وتحكم في حالاته العاطفية الحسية، وقدراً على العيش لفترة أطول بكثير، هي فكرة ذات معنى كبير، إنها ليست سوى مفهوم كامل للإنسان مهدداً بالزوال، في هذا الصدد يبدو أن التعبير "إنقاذ الروح"، حتى في معناها الحرفي يتکيف بشكل كبير مع هذه التحولات².

يتم العمل على نقل معلومات العقل البشري وبيانات الدماغ إلى جهاز كمبيوتر كنوع من الخلود الفكري وتجاوز الحاجة إلى الجسد، فهو مجرد حامل فقط، بفضل التقدم التكنولوجي وهذا ما وضحته شركة جوجل سنة 2013 م، إذ تنبأ بأنه سيتم تحقيق نوع جديد من الخلود يسمى بالخلود الرقمي من خلال استنساخ العقل، بل اتجه البعض إلى القول بإمكانية استنساخ الإنسان بعد موته ثم زرع رقاقة أو شريحة محملة بوعيه وذكرياته داخل دماغ المستنسخ الذي يعيش منذ الوهلة الأولى من حياته بخبرة الإنسان السابق.³

¹ ميشيو كاكو، مستقبل العقل: الاجتهد العلمي لفهم العقل وتطوره وتقويته، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2017، ص 322، 323.

²Jean Guilhem Xerri, **Qu'est-ce que le transhumanisme ?** pastoralia,N°5,dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, ,mai 2015, p8.

³ حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص ص 131، 132.

تكمّن الفكرة الجوهرية هنا حسب ميتشيو كاكو في أن نقل الوظائف العقلية العليا للإنسان والمتصلة بالدماغ والجهاز العصبي تماماً من تفكير وذكر وشعور... إلخ، باستخدام الإلكترونيات التي تضاهي ما يحدث في الشبكة العصبية للدماغ، من شأنه أن يخلص الإنسان من معicات الخلود وإطالة العمر أي المرض والعجز وتوقف الأعضاء داخل الجسد عن وظائفها... ويسمى كاكو هؤلاء البشر بـ "الحملين"¹.

يشير بوستروم إلى أن الطريق للخلود بواسطة التعديل البيولوجي ليست الأسلوب الأمثل إذا يصفها بأنها مؤقتة تساعد فقط على تخفي بعض النقصان والعجز وفي المقابل إطالة العمر، أما الطريقة الرقمية فهي الأمثل والأفضل لبلوغ الخلود عن طريق التخلص من الموت في حد ذاته²، ويسمى راي كيرزوويل المرحلة التي يتحقق فيها الخلود الرقمي أين يحملوعي الإنسان حتى مشاعره على آلة أو روبوت أو جهاز بمرحلة التفرد التكنولوجي Singularity. كما أنه أسس مدرسة فكرية تعنى بالتحول البشري وتحقيق الخلود في جانبه الرقمي وأطلق عليها "معهد التفرد التكنولوجي" الذي يحظى اليوم باحترام كبير بين الرؤساء التنفيذيين في كاليفورنيا. وبصفته مهندساً ومخترعاً وكاتباً ومحاضراً، يعمل كيرزوويل منذ عام 2013 في كشوفات جوجل، حيث يقود مشروعه سرياً للغاية حول واجهات حاسوب - آلة، وقد كرس نفسه تماماً لتحقيق أكبر أحلامه: تعليم دلالات اللغة البشرية للآلات من أجل تسريع تطوير ذكاء اصطناعي أكثر تعقيداً، وهو هدف وفق لـ كيرزوويل سيتم تحقيقه بحلول عام 2040، حيث ستتفوق الآلات على الذكاء البشري، مهددة الطريق لعصر جديد، عصر التفرد التكنولوجي.

أسس عالم الكيمياء الحيوية البريطاني أوبيري دي جراري Aubrey de Grey (1961-) في عام 2009 في ماونتن فيو، في قلب وادي السيلikon، مؤسسة SENS، وهي منظمة غير ربحية تعمل في السعي وراء الخلود، كما أثر كتابه "إنماء الشيخوخة" بشكل كبير على النقاش حول إطالة العمر بشكل جذري، حيث أسقط العديد من المحرمات حول حتمية الموت وأقنع العديد من رواد أعمال الاقتصاد الجديد بأن الاستثمار في مكافحة الشيخوخة ليس بالأمر الغريب. وفي عام 2011، أرسل الملياردير الروسي ديمتري إيتسكوف إلى عدد من أغنى زملائه في جميع أنحاء العالم رسالة يدفعهم فيها إلى الاستثمار في البحث عن الخلود، وفي

¹ ميتشيو كاكو، مستقبل العقل، ص 207.

² أولغا تشيفيركوفا، ديكاتورية المستثيرين، ص 331.

وقت لاحق من ذلك العام، أُسس مبادرة 2045، وهي مشروع يهدف إلى تحقيق أكبر حلم للتحول البشري بحلول ذلك التاريخ: تحميل العقل، وهو نقل الوعي البشري إلى دعامة رقمية أبدية لا يمكن كسرها.

4- اتجاهات الإنسانية المتحولة:

إن الخوض في أسس حركة الإنسانية المتحولة يضعنا أمام اتجاهين أساسين هما:

الاتجاه الأول: ما بعد الإنسانية Post- Humanism: يمثل الاتجاه العام الذي يضم تحته كل الحركات والتيارات الفلسفية التي تناولت الإنسان الحالي ومركزيته.

الاتجاه الثاني: الإنسانية المتحولة كاتجاه يدعو إلى تغيير حالة الإنسان الجسدية والنفسية من خلال الاستعانة بـ تقنية البيو تكنولوجيا.

وكما ذكرنا آنفا هناك تداخلاً كبيراً بين هذين الاتجاهين ولكل منهما تفرعاته الخاصة، ومن بين الاتجاهات العديدة التي تفرعت عن مفهوم ما بعد الإنسانية، نجد:

A- ما بعد الإنسانية الأخلاقية Ethic- Post humanism

هذا التيار الذي يتعامل مع الكائن البشري كجزء من مجموعة فاعلين في الطبيعة بحيث تربطه معهم روابط في الحياة، وبهذا فهي تلغي مركبة الإنسان عن بقية الأشياء، كما تهتم بدراسة أخلاق الحيوان والبيئة والآلة... وغير ذلك، بهدف إضعاف الهوة بين الإنسان وبقية الكائنات.

B- ما بعد الإنسانية التكنولوجية Techno-Posthumanism

وهي حركة فلسفية وثقافية تركز على استخدام التكنولوجيا لتحسين القدرات البشرية، كما تمثل دراسة في الأصول الإبستيمولوجية والميتافيزيقية للتكنولوجيا وكيفية تأثيرها على الوعي البشري وآلياته. لقد تعزز هذا التيار أكثر مع ظهور فلسفة "التكنيك" حيث استخدمت هذه المفردة لأول مرة من قبل فريدريك جوزيف هربرت، ومن بعده جاك إلول Jack Elul (1912-1994) وبيتير سلوتردايك Peter Sloterdijk كمجال بحث في العلاقة بين الآلات والأجهزة التي تعزز قدرات الإنسان¹.

¹ Jhon Sekar Jeyaraj, Is transhumanism a threat to human existence, Bodhi international journal of research in humanities, arts and science, vol8, october 2023, pp11, 12.

يصبوا أنصار هذا الاتجاه إلى الإعلاء من القدرات الإنسانية بواسطة التقنيات الفائقة للتغلب على كل ما ينقص حياة الإنسان من عجز ومرض وألم. ويعتبر هذا التيار الأبرز لحركة ما بعد الإنسانية والأقرب إلى الإنسانية المتحولة، وبرغم جذوره التي ترجع إلى أفلاطون من خلال تناوله موضوع التقنية والآلية، إلا أنه لم يتبلور بشكله الحالي إلا مطلع القرن الحالي، خاصة مع الفيلسوف الألماني مارتن هيدنغر، الذي كانت التقنية أهمل انشغالاته، وكذا تجلت في أعمال الفرنسي ميشال فوكو، خاصة في محاضرته "تقانة الذات"، إذ يمثل خطابه وتحليلاته حولها جوهر الفكر ما بعد الإنساني¹.

وقد تعمقت أفكار هذا الاتجاه أكثر مع دونا هاراوي في بيانها الذي أصدرته سنة 1985 "بيان السايورغ"، إذ طرحت فيه فكرة السايورغ أو الإنسان الآلي، كتجاوز للتصور الالكتروني الديكارتي، إذ من خلاله تلغى جميع الحدود والثنائيات: ذكر-أنثى، إنسان-حيوان، إنسان-آلة². لا يهتم أنصار هذا التيار بمجرد تجاوز قدراته البيولوجية المحددة فقط، بل يتوقعون إعادة صياغة مفهوم الإنسان جذريا.

جــ ما بعد الإنسانية الأدبية / الثقافية:

تتركز على الآثار الثقافية لما بعد الإنسانية، مثل: الفن والأدب والسينما وهو الاتجاه الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الكائنات الحية المتطورة والآلات الذكية، وبين العملية السيميائية وتصويرها على أنها كائنات مثلها مثل الإنسان قادر على إنتاج العلامات اللغوية وتأويلها. لهذا فأدب ما بعد الإنسانية يشمل مواضيع عدّة يصعب اختزالها، وتُنظر للذات الإنسانية كجزء من سلسلة متراقبة، سواء كانت حيوانية أو شبيهة بالإنسان أو أكثر من الإنسان. الإنسان الفائق أو الآلة الذكية وتستحضر الأعمال الأدبية فاعلية الكائن البشري ضمن عالم أوسع من الذوات والكائنات، ونجد من أهم الأعمال التي ركزت على العالم السيميائي للકائنات الحية شعر جون كلير John Clare، وبعض قصائد ثيودور روثلk (1908-1963) Theodore Roethke، ورواية الجرذان Pack Rat لجون دانيال Daniel 1920-1964، وDan Brown، وروایة الجرذان Pack Rat لجون دانيال Daniel 1920-1964.

¹عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، مجلة التجديد، مجلد 25، عدد 49، مالزيما، 2021، ص 203.

.204 المراجع نفسه، ص 2

٦٢

³ Jhon Sekar Jeyaraj, **Is transhumanism a threat to human existence**, pp 11, 12.

تتمظهر أفكار نزعة ما بعد الإنسانية الأدبية أيضاً من خلال التلاحم بين التقنية والأدب، وهو الأمر الذي تخض عنه أجناساً أدبية جديدة، أطلق عليه بصيغة العموم "الأدب الرقمي أو الإلكتروني" الذي يمثل نوذج واضح للأدب ما بعد الإنساني، من قبيل: النص المتشعب، والرواية التفاعلية، والساير بنك¹، والشعر التوليدى، والنص الممزوج، والمدونات الإلكترونية، والتغريد الأدبي في موقع التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك، انستغرام، منصة إكس...اخ².

يضم الأدب ما بعد الإنساني مجموعة واسعة من الأساليب والطرق، فكثيراً ما تتسم الروايات ما بعد الإنسانية ببني سردية وتقنيات روائية تجريبية، قد يعكس هذا التجريب الطبيعة الجزئية أو السائلة لهوية الموضوع في عالم ما بعد الإنسانية، وقد يستخدم المؤلفون طرقاً سردية غير خطية، أو وجهات نظر متعددة، أو أشكالاً سردية غير تقليدية لتحدي أساليب التمثيل الكلاسيكية وتعتبر رواية "نيورو مانسر" New Romancer لويليام جيلسون William Jilson، عملاً أساسياً في أدب "الساير بنك" ومقدمه لموضوعات ما بعد الإنسانية. حيث توظف أسلوباً جزئياً وجزءاً لاستكشاف تأثير التكنولوجيا والفضاء الإلكتروني على الهوية الذاتية للإنسان كما أنه غالباً ما تظهر عناصر الخيال العلمي و"الساير بنك" بشكل بارز في أدب ما بعد الإنسانية، قد تشمل هذه العناصر تقنيات متقدمة وواعقاً افتراضياً ومناظر طبيعية حضارية بائسته، مما يخلق خلقة مذهلة بصرياً و موضوعياً لموضوعات ما بعد الإنسانية، لهذا تمثل رواية "نيورمنسر" بشكل بارز عناصر الخيال العلمي وأدب "الساير بنك" في السياق الما بعد إنساني³، وتعكس موضوعها الأساسي المتمثل في الكائن الهرجي وغموض الحدود بين الإنسان وغير الإنسان.

وتقع العديد من الأعمال الأدبية ما بعد الإنسانية في مستقبل بائس أو توفيقي، مما يسمح للكتاب باستكشاف عواقب التكنولوجيا المتقدمة والتحولات المجتمعية. غالباً ما تخلق هذه الأعمال شعوراً بالقلق والتوتر يعكس المعضلات الأخلاقية والوجودية التي تطرحها ما بعد الإنسانية. مثلاً: تدور أحداث رواية فيليب ك. ديك Phillip K. Dick (1928-1982) "هل تحلم الآلة الكهربائية بخراف كهربائية؟" في مستقبل بائس حيث أدى التقدم التكنولوجي إلى خلق بشر صناعيين يعرفون بالنسخ المضاهاة. تستكشف

¹ Cyberpunk هو نوع من أنواع الخيال العلمي مشهور بتركيزه على عالم التقنية المتطرفة. (ينظر: <https://www.noonpost.com>)

² عادل خيس الزهري، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، ص 212

³ Robert Ranish, Stefan Sorgner, **Introducing post_transhumanism**, p 24.

الرواية، المعضلات الأخلاقية والوجودية التي تظهر عندما يطمس البشر والنسخ المضاهاة الحدود بين الهوية والوعي والإنسانية، مما يعكس الاهتمامات المركزية لما بعد الإنسانية في إطار مستقبلني يتسم بالقلق والتوتر¹. كما تطرح أسئلة فلسفية أنطولوجية تخص الطبيعة الإنسانية والتعاطف وما يعنيه أن تكون إنسانا في عالم يسكنه "الأندرويد"، وبجداً فهي تُشْرِكُ القراء في نقاشات فلسفية من خلال مناجاة الشخصيات الذاتية والخطاب التحفيزي للتفكير حول آثار الذكاء الاصطناعي وما بعد الإنسانية مما يجعلها استكشافاً ثرياً لهذه الموضوعات في سياق أدبي.

تشير هذه المحاولات الأدبية الأولى بوضوح ليس فقط في حقيقة الاهتمام الكبير بقضايا تحسين الحالة البشرية سواء من المنظور الاجتماعي أو البيولوجي ولكن أيضاً جميع أشكال العوائق المترتبة على هذه المعالجات. كما تسير عمليات البحث الأدبية أو بالأحرى القصص المصورة التي ظهرت في القرن العشرين بشكل مختلف قليلاً، مثل شخصيات "باتمان" و"سوبرمان" و"سبايدر مان"، لنذكر أكثرها شهرة؛ تجسد شخصية "باتمان" التي خلقها "بوبكين" والذي هو حامي مدينة "جواثام" عنصرین: اللياقة البدنية لشاب والتكنولوجيا العالية، بفضل القطع الثرية التي تجعله مدافعاً لا يقهرون عن السلام في مدينته. أما في حالة "سوبرمان"، يبدو أننا نتعامل مع مقاييس مختلف لأن البطل يأتي من الفضاء الخارجي، وأفعاله كذلك كونيه في كثير من الأحيان؛ يتمتع سوبرمان نفسه بالرغم من كونه إنسان، بقوة عظمى بفضلها لا يمكنه فقط الطيران والبقاء في فراغ الفضاء، ولكن أيضاً القيام بأنشطة مستحبة بالنسبة للناس العاديين. وأهم شيء في هذه الحالة هو دمج كل هذه الامكانيات الخارقة للطبيعة في كائن حي يشبه الإنسان. آخر نوع من الأبطال الخارقين المثاليين هو "سبايدرمان"، إنه مراهق تعرض للدغة عنكبوت في رحلة مدرسية، ونتيجة لذلك يخضع جسده للعديد من التحولات في المظهر الخارجي، بحيث تجعل منه مدافعاً آخر للمدينة المهددة.

في جميع هذه الحالات هناك سيناريو متشابه للغاية، مجتمع بشري مهدد من قوة شريرة شيطانية إلى حد ما، وقوات الأمن الرسمية التي لا تستطيع السيطرة عليها، ويظهر المدافع بإمكانيات القتال متجاوزاً قيود البشر. في هذه الحالة، نحن نتعامل مع الرؤية الكلاسيكية للترانساوحة، من ناحية يتم اختزالتها إلى التصور الأمني للمتلقي الشاب للثقافة الشعبية، ومن ناحية أخرى، فهي تفي بالوظيفة الأيديولوجية للحامي المفرط الذي يعيد الانسجام الاجتماعي المفقود.

¹ Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, pp 5, 6.

د- ما بعد الإنسانية النقدية الفلسفية Critical-philosophical Post- Humanism

يمثلها مجموعة من الفلاسفة والملحدين ما بعد الحداثيين، الذين حملوا لواء نقد وتقويض النظر للإنسانية والأسس التي قامت عليها، وفي مقدمتهم فريديريك نيتше، وكارل ماركس، ميشيل فوكو، ونעם تشومسكي Noam Chomsky (1928-)، وجاك ديريدا، وجان فرانسوا ليوتار، وجان بودريار Jean Baudrillard (1929-2007)،¹ وبذلك شكل فكرهم البناء النظري لأفكار ما بعد الإنسانية بجميع اتجاهاتها.

وقد اتجهت جهودهم نحو تفنيد المفهوم الكلاسيكي الأنواري الديكارتي للذات الإنسانية التي اخصرت في مقولات جوهيرية: الحرية، الوعي، الاستقلالية، الحقوق، هذه الصفات التي تنطبق فقط حسب مفكري الأنوار والحداثة على الإنسان الذكر الغربي الأشقر المتحضر، هذا ما شكل حجر أساس نقدم لهم هذه النزعة، وقد حاولوا تجاوزها، من خلال الاعتراف ببقية الذوات واللغات التي لا طالما وضعت على الهامش من قبيل: النساء، السود، ذوي الاحتياجات الخاصة... وغيرهم²، وبالتالي الوصول إلى تعريف الإنسان وفق منظور جديد غير إقصائي أو اختياري، ومن هنا بدأ الحديث عن ما بعد الإنسان.

هـ- ما بعد الإنسانية الكائنية الطبيعية Animot Post humanism

يعزى استخدام هذه المفردة أو هذا المعنى إلى الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا، والمراد به الفلسفة التي تنظر إلى الإنسان على أنه جزء من الطبيعة أو الكون، هذا الأخير الذي يتشكل من عناصر وعوالم وكائنات حية تتساوى مع الإنسان في الفاعلية نحو الوجود، فالكوارث التي تسبب بها الإنسان نتيجة غطرسته التي ورثها من الإنسانية كالحروب والاستعمار... الخ، تسقط عنه حالة القداسة والأفضلية التي حضي بها كثيراً؛ مع إعادة النظر في دور الطبيعة في تكوين ماهية الإنسان³.

وتؤكد لويس وسلنج Louise Westling أن هذه الاتجاه ارتسمت معالمه أكثر مع كتابات دريدا، في أواخر حياته وتحديداً كتاب "الجنسانية" سنة 1983م، و"الحيوان الذي أكونه" سنة 2002، الذي دعا من

¹Rosi Braidotti, **Posthuman critical theory**, chapter 2, in : critical posthumanism and planetary futures, new delhi : springer india : imprint : springer, 2016, pp 16, 21.

²روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ص 72.

³Luc Ferry, **Le nouvel ordre écologique**, p 125.

خلاله إلى التخلّي عن فكرة أن الحيوان لا يملّك وجودا متجانسا مثل الإنسان، وعليه، لابد من الاعتراف قبل كل شيء بأن كوننا غني بالكائنات الحية التي تحيط بنا وتستحق التقدير.¹

ويظهر هذا أكثر في استنكاره للاستخدام اللغوي لـ(ما) أو (من) للتمييز بين العاقل وغير العاقل، وهذا دفع به لاقتراح مصطلح Animot، ليشير بها إلى التفاعل الذي ينتج من علاقة الإنسان وعالم الحيوان². ثم إن هذه الأفكار تأثر بها تيار النقد البيئي الذين ساروا على نفس خطى دريدا، في إلغاء الحدود بين الإنسان والبيئة، كاشفين عن خطره عليها، في مقابل الاعتماد على قيم غير مركبة وغير اختزالية، مما يفضي إلى التعامل مع الكون بوصفه حاضنة لعوالم أخرى غير البشر.

يذهب فيري في هذا السياق إلى أنه لا ينبغي النظر إلى التكنولوجيات المتطورة من قبل الإنسان كجزء مندمج في الطبيعة الأم، بما هي حدث عارض غير متوازن مع الطبيعة، بالعكس علينا أن ننظر إليها باعتبارها مستوى عال من الوعي أو كذكاء وفكر كلي تتمتع به الطبيعة ذاتها³.

¹عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية، ص 198.

²Louis Westling, **Littérature, environment, and the posthuman**, Nature and literary & cultural studies, eds, catrin gersdorf & sylva mayer, Rodopi,B,V, Amesterdam & New york, 2006, p 373.

³Luc Ferry : **La révolution transhumaniste**, p p 56, 57.

ثالثاً: الرصد التاريخي للتصور الفلسفي للإنسانية المتحولة.

إن التوقي البشري لاكتساب قدرات جديدة غير مسبوقة توق قدیم قدم نوعنا البشري ذاته، إذ أنه طالما جاهدنا بغية توسيع حدود وجودنا البشري في المستويات الاجتماعية والجغرافية والعقلية كافة، وثمة ميل طاغ ومستديم لدى بعض الأشخاص للبحث عن منعطف يمكننا من خلاله تجاوز أي معضلة وجودية أو محدودية يمكن أن تطال الحياة البشرية أو السعادة البشرية أيضاً. ومع مرور التاريخ شهدت البشرية العديد من المحاولات والاقتراحات التي ساعدت على تحقيق فكرة الخلود والكمال سواء من خلال الدين أو الإيمان أو عن طريق الفلسفة والعلم.

1- البحث عن الخلود في الفكر القديم:

اهتم البشر منذ القدم بفكرة الخلود وبحثوا عن الطريق إليها. فطالما رفض الإنسان طبيعته وسعى لتجاوز ذاته، هذا ما يمثل الرغبة في الأبدية، ومع تطور دماغ الإنسان وإدراكه لاحتمالية الموت، أخذ البشر يبحثون عن الحياة الأبدية كبديل عن الواقع. ورغم أن الديانات السماوية قد بشرت الإنسان بالخلود الروحي أي الحياة الأبدية بعد الموت، سواء في الجنة أو النار، إلا أنه منذ تواجهه يتوجسه الخوف من الشيخوخة والموت، فأقبل ساعياً للبحث عن الطرق الكفيلة بإبعاد الشيخوخة عنه، وإطالة العمر فبني المعابد والمدافن الضخمة على أمل العودة إلى الحياة¹.

لا يوجد شيء أربعب الإنسان منذ القدم مثل الخوف من الموت لما فيه من ألم فقد الأحبة وكل ما نرغب فيه، هذا ما دفع بالبشرية أن تبحث عن الخلود إلى غاية الآن، فكيف السبيل إلى ذلك؟ من خلال تقنية تطليل عمر الإنسان كالسحر، لم يستطع الإنسان بلوغها بعد لكنها أملا يلوح في الأفق، بينما نقترب إليه شيئاً فشيئاً، وعبر مراحل الفكر الإنساني اختلفت التفاسير حول ماهيتها وطبيعتها وكيفية الحصول عليها.

إن الرغبة في الحياة والخوف من الموت والسعى للخلود واقع تعيشه الإنسانية جماء، وطبيعة مغروسة في كل فرد لدينا، وقد عبر عنها السومريون قبل خمسة آلاف سنة في قالب أسطوري سميت بـ"ملحمة جلجامش Gilgamesh" التي وصفها فييري بأنها أول رواية أدبية دونت في تاريخ البشرية مثلت الصراع الأزلي

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 251.

بين الفناء وبين إرادة الإنسان في محاولاته للتشبث بالوجود والبقاء، هذا ما جعلها تحمل متخيلاً فلسفياً، إذ تروي لنا قصة هذا الملك العظيم "جلجامش" حاكم مدينة "أوروك" Uruck الذي يكتشف تقريباً في نفس الوقت الحب الجنوبي واختبار الموت المروع للشخص المحبوب، إنما في الأساس قصة عن الصدقة، وربما العاطفة التي نجدها نادراً في الأدب الروائي، وبعد أن عرف السعادة في الحب وأن يكون محبوباً، يشهد هذا الملك بعجزٍ وفاة صديقه "انكيدو" Enkidou مما يدفعه إلى التفكير في معنى الحياة، في البداية يتساءل بشكل أساسي في سياق الدين، ويبدأ في البحث بشكل يائس عن الخلود وعن علاج للموت، وقد سمع عن رجل اسمه "وتانا بيستي Utanapisti"، الذي نجا من الطوفان وأصبح خالداً بفضل الآلهة، ينطلق للعثور على هذا الشخص كمحاولة لسرقة سره، ولكن قريباً يدرك أن سعيه هو عبث وأن الخلود لا يمكن الوصول إليه بشكل نهائي، سينتقل بعد ذلك من مسألة يمكن اعتبارها دينية (السعى للخلود) إلى مسألة علمانية فلسفية (كيفية قبول الموت دون التخلّي عن سعي الحياة الجديدة)¹. إذن لم تكن ملحمة جلجامش إلا تمثلاً لذلك الصراع الأبدى بين الموت ورغبة الإنسان في الخلود، ذلك الإنسان الضعيف والمش الذي يحاول دائماً التمسك بالحياة مدفوعاً بغريرة حب الحياة وحفظ البقاء، حيث تساءل جلجامش: أيُكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟ فأجابت صاحبة الحانة: إلى أين تسعى يا جلجامش؟ إن الحياة الأبدية لم تخلق للبشر الذين قدرت لهم الآلة الموت واستأثرت لها الخلود في الحياة². ومن المؤكد أن هذا الملك كان يسعى إلى تدخل سحري بدلاً من تدخل له أصل أو سبب علمي والأخير هو الأساس بالنسبة لحركة الإنسانية المتحولة، وحسب فيري كثيراً ما يُسْتَشْهِدُ بالبحث عن الخلود باعتباره واحد من غايات هذه الحركة.

تعد ملحمة "جلجامش" أول من أكدت سعي الكائن البشري للخلود من جهة، ويقينه آخر الأمر بأن هذا الخلود لن يتحقق عن طريق الاستمرارية الجسدية، بل باستمرارية الأثر الطيب والفعل الصالح. وهنا تلمح هذا الإسقاط الفلسفى الذى ينطوى على ثنائية متضادة، إذ لطالما تم تصوير المسى البشري لتجاوز المحدوديات الطبيعية الحاكمة باعتبارها مسعى ينطوى على ازدواجية ما يمكن توصيفه بمفهوم الغطرسة، ثم يدافع هؤلاء الذين يرون في هذا المسعى سيندفع خارج سقف المحددات الطبيعية الضرورية لإدامة الحياة البشرية، وبالتالي ستكون مجلبة لبعض النتائج العكسية إذا ما تحققت بالفعل على أرض الواقع. يمكننا أن نلاحظ شيئاً من هذه الثنائية في الميثولوجيا الإغريقية أين سرق "بروموثيوس" النار من "زيوس" كبير آلهة

¹Luc Ferry, *Mythologie et philosophie : les sens des grands mythes grec*, Plon, le fiagro, 2016, pp 540,541.

² ملحمة جلجامش، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرؤوف عوني، مؤسسة هنداوى، القاهرة، (ط1)، 2017، ص80.

الإغريق وأعطها للبشر الفانين، الأمر الذي ترتب عليه تحسين دائم للوضع البشري بسبب مفاعيله وتأثيراته¹.

يعتبر ألم وحسرة فقد الأحبة كذلك من أهم العناصر التي دفعت بالفراعنة القدماء إلى ابتكار آلية التحنط حفاظاً على أبدانهم بعد الموت كنوع من الخلود الجسدي، وبنفس الدافع مصحوباً بالرغبة في العيش إلى الأبد سعى اليونانيون القدماء إلى تطوير السحر والكيمياء وطرائق التعزيز في طبيعة الكائن البشري بغية الانتقال بهم إلى حال أفضل². حيث نجد تخليات فكرة البحث عن الخلود في الفكر الأسطوري الإغريقي، وتحديداً في قصة البطل الأسطوري (آخيل)، وتدور أحدها في محاولة والدته (سيتيس) أن تجعله خالداً، ما دفع به إلى إدخاله في نهر الخلود (ستيكس)، لكن الماء لم يصل إلى منطقة الكعب، فأضحت تمثل نقطة ضعفه. كما ورد أيضاً في الروايات الأسطورية الإغريقية أن المشعوذة (سيرس) عرضت على (أوليس) من خلال المرأة، أن يعيش معها إلى الأبد فقط بشرب جرعة ماء سحري، على أن فكرة ماء الحياة أو المشروب السحري كما يسميه البعض، والذي يعطي لشاربه حياة أبدية خالدة، آمنت بها الكثير من الحضارات وذُكرت في الكثير من الأساطير والروايات والقصص القديمة، كقصة "إسكندر ذي القرنين" في القرن الرابع قبل الميلاد، هذه الشخصية التي اختلف حولها المؤرخون فيمن يكون، إلا أنهم اتفقوا في سعيه للبحث عن ماء الخلود لينعم بحياة أبدية إلا أنه فشل في بلوغ ذلك³.

إن ولع الإنسان القديم بالخلود ونسجه قصص وروايات عن تقنيات تمكنه من بلوغ هذا المراد، والتي ترتحت بين ماء سحري أو نبته سحرية... إلخ، هذا ما أدى إلى ظهور فكرة حجر الفلاسفة أو ما يعرف بـ"الإكسير" في الحضارات القديمة، هذه المادة التي تمكن حسبهم من معالجة الأقسام والألام، ومنح الحياة مع تدميدها وتحويل المعادن الخيسية إلى ثمينة، قد دأبت جميع الحضارات في البحث عنه ومنها الحضارة الإسلامية، وبفضل هذه الأبحاث توصلوا إلى علم الكيمياء والاطلاع على خواص المعادن، مثل أعمال جابر بن حيان الذي يعتبر حسب ويل ديورانت صاحب كتاب "قصة الحضارة" له الفضل الكبير في إلهام أوروبا بالكيمياء وسحرها ومعرفة إكسير الحياة ومنذ تلك اللحظة سعت شعوبها لكشف سره وأريقت لأجل ذلك الدماء وارتكتبت أبشع الجرائم نذكر أشهرها القصة الواقعية التي قمت تسميتها بـ"كونتيسة الدم"، حيث

¹ مصطفى صمودي، من جل جامش إلى نيتشه: بحث في الثقافة العامة، دار رسان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 2015، ص 20.

² محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 244.

³ حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص ص 72، 74.

مُثلّت وقائعاً في فيلم سلوفاكي سنة 2008، بطلتها أميرة وكونتيسة هنغارية إيزابيل باثوري، التي وصفت بالسفاحه وعاشت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، حيث أقدمت على خطف وتعذيب وقتل أكثر من ستة مئة فتاة، بهدف الاستحمام في دمائهم إيماناً منها بأن مثل هذه الطقوس تحقق لها طول الحياة وتمكنها من التغلب على الشيخوخة¹.

يعتبر حجر الفلاسفة حجراً أسطورياً مثل "نبلة جلجامش" و"إكسير الحياة" و"ماء الخلود" الذي سُيَّجَتْ حوله الروايات والقصص في العديد من الحضارات، وبحث عنه الكثير من الفلاسفة والعلماء أمثال إسحاق نيوتن Issac Newton (1643-1727) إلى أن جاء الكيميائي الفرنسي أنطوان لافوازье Antoine Lavoisier (1743-1794) في القرن الثامن عشر، وأسقط الستار عن كل هذه الخرافات وجعل من الكيمياء علماً حقيقياً². ومن هنا آمن العقل البشري بأن العلم هو المفتاح السحري وقدرنا الوحيد لتحقيق أحلامنا ورغباتنا، بل وحل مشاكلنا أيضاً، وهذا اتجه الطب اليوم لمعانقة التكنولوجيا سعياً لتحقيق إطالة العمر وتطوير القدرات وبلغ الكمال.

إن التطور العلمي والتكنولوجي في الألفية الأخيرة، خاصة في مجالى الطب والبيولوجيا، جعل تلك الأحلام اليوتوبية القديمة تقترب من التتحقق، من خلال تطوير ميدان الصحة بالقضاء على الأمراض وارتفاع متوسط العمر، هذا ما جعل الكثير من الفلاسفة والعلماء يضعون مشاريع ويسسرون حركات وجمعيات لتحقيق حلم الخلود³. فهذا الباحث أوبيري دي غراي يعتقد أن الإنسانية ستتمكن من بلوغ الخلود البيولوجي بواسطة الأبحاث والتجارب المستجدة والمتطورة حول الشيخوخة وإمكانية تأخيرها أو القضاء عليها، ذلك أنها السبب الأول للموت، وغيابها يؤدي إلى إطالة أمد الحياة.

يمكّنا أن نتساءل هنا: هل يمكن الإنسان من تحقيق هذا الحلم القديم بمساعدة العلم الحديث؟ تقع مسألة إطالة عمر الإنسان ضمن أهم أولويات الإنسانية المتحولة، فلا يصح أن يظل الإنسان الفائق أو إنسان ما بعد الإنسانية يعني من قصر العمر وأمراض الشيخوخة، وإنما كان يتميز عن الإنسان الحالي في شيء لذلك يبذل علماء وخبراء الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية كثيراً من الجهد لإطالة عمر الإنسان الجديد والتغلب على الأمراض، لكن ينبغي التأكيد على أن قهر الموت بصفة نهائية وتحقيق حلم الخلود ما

¹ حسن الخطاطر، الخلود البيولوجي، ص ص 77، 79.

² بن زينب شريف، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، ص ص 402، 403.

³ حسن الخطاطر، الخلود البيولوجي، ص 113.

زال بعيداً رغم محاولات ما بعد الإنسانيين، أملأ في تحقيق ذلك في يوم من الأيام، إذ أن قضية الحياة والموت تقتصر على قهر الشيخوخة في الوقت الحاضر، وإطالة عمر الإنسان الجديد أطول وقت ممكن¹. وما نخلص إليه أنه إذا كنا نجد أصولاً للتفكير المتواافق مع حركة الإنسانية المتحولة في النصوص البشرية القديمة، فإن عصر التنوير الأوروبي هو الذي يعزى إليه الفضل في فتح الطريق أمام بداية فلسفة الإنسانية المتحولة.

2-السعي نحو تحقيق الاتكمال في الفكر الحداثي:

شهد عصر الأنوار ميلاد فكرة الاتكمال Perfectibilité، التي اخترطت ضمن مشروع سياسي يهدف إلى اجتثاث البشر من تبعيتهم لعلم سابق هو عالم اللاهوت، أو عالم الطبيعة، وهنا تجد فكرة التحسين Amélioration والتدعير Enhancement مبررها الفلسفية، وإطارها النظري المؤسس لها في فلسفة الإنسانية المتحولة، لأن الطبيعة والإنسان، لم يعودا في منظور الأنوار الجديدة مكتملين، بل يحتاجان إلى عمل، وتطوير وإعادة بناء وتشكيل من أجل تحسينهما باستمرار، بيد أن الكمال أصبحى اليوم فكرة بيولوجية فقدت كل دلالتها السياسية.

إن فلسفة الحداثة والتنوير عبرت عن الصراع ضد الدين والمجتمع، لهذا تم النظر إلى التحسين والتطوير كمشروع اجتماعي وسياسي يصبو لتغيير الأوضاع الاجتماعية وسيطرة المتعاليات والطبيعة وإحلال المساواة والعدالة والحرية، ولقد كان مقال "حول كرامة الإنسان" لبيك دو لا ميراندول وقعه الكبير في إرساء آفاق تطور الإنسان لبلوغ الكمال المنشود، حيث اعتبر أنه بإمكان الإنسان أن يخلق نفسه ويرتقي بها نحو الأفضل والأحسن، وهكذا تتحقق إنسانيته².

كما أثرت أفكار الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت حول آلية الجسد البشري في مخرجات الطب والفيزيولوجيا المعاصرین، وساهمت في استباحة الكيان الفيزيقي للإنسان تقنياً وأخلاقياً، فأماماً تقنياً من خلال امكانية إجراء إصلاحات وتعديلات وتغييرات على أجسادنا بغرض تعزيزها، وأماماً أخلاقياً: من خلال سقوط القداسة والتعالي المنوطان بجسد الإنسان، إذ أصبح ينظر إليه على أنه مجرد مادة للاختبار³.

¹ روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ص 63.

² فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 289.

³ محمد جديدي وآخرون، البيوأтика وطبيعتنا الإنسانية المنشدة، ص 139.

نظر الإنسان إلى نفسه على الدوام على أنه كائن لين من ومتلك قابلية للتحسين غير محدودة، وقد تجذرت هذه الرؤية حقبة التسويير والحداثة ومع الإنسانية، ويرجع الفضل في وضع هذه المفردة إلى روسو، عندما اعتبر أن الإنسان لا يخضع لأي حتمية طبيعية أو غيرها تحدد مصيره، مخالفاً بذلك الرؤية المسيحية والفلسفة اليونانية. على أن التطور والتغيير حسبه يتخد شكلين، إذ لا يمثل بالضرورة التقدم والتحسين، فقد يأخذ منحى التدهور كذلك¹.

إن دراسات الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسواهتمت كذلك بفكرة الكمال الإنساني خصوصاً في كتابه "خطاب المساواة"، عام 1755 الذي تتبع فيه تطور الإنسان من الحالة الوحشية إلى مرحلة الحضارة الحديثة، مؤكداً أن الإنسان إذا ما حرم من كل الخصائص التي تميزه عن غيره من الكائنات بعيداً عن مجتمعه، لن يكون أكثر من مجرد حيوان يعتمد في معيشته وحياته على استخدام المخ، ولذا فإن الملكة المميزة للإنسان في الحقيقة العمل للوصول إلى الكمال وهذه العملية لا تنتهي، لأن العقل الإنساني يستطيع أن يتطور نفسه وينمو بغير حدود إلى مالا نهاية كما أن التطور العقلي يخلق رغبات وحاجات جديدة... وهكذا².

هاجم روسو في كتابه "أصل التفاوت بين الناس" و"العقد الاجتماعي" و"المتوحش النبيل" جميع الجوانب التقنية للقرن الذي كان يعيش فيه، وأخضع كل شيء امتدحه أسلافه إلى النقد والتحليل وخلاصة ما قال: (إن التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والتجاري ونظم الحكم الحديثة لم تحسن أخلاق البشر بل جعلته أسوء مما كانوا عليه، وأن الترف والجشع والغرور وحب الذات والحرص على المصلحة الشخصية وكلها إفرازات رديئة للحضارة، ويرى المؤرخ البريطاني أورنولد تويني Arnold Toynbee (1889-1975) أن أول جملة من العقد الاجتماعي لروسو تنص على أن الإنسان يولد حراً ولكنه مكبلاً بالقيود في كل مكان، هذه القيود التي فرضها المجتمع الحديث بمؤسساته العقلية، العلمية والتقدمية، وإذا كان المفكرون ابتداءً من توماس هوبز Tomas Hubes (1588-1679) ومن أتوا حكموا على المؤسسات والممارسات الاجتماعية القائمة بمعايير العقل، ففي حركة التناقض جذري أخضع روسو العقل نفسه للنوع ذاته من النقد الذي قام به

¹ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 281.

² أشرف وتنسيق محمد جيدى، البيوأтика وطبيعتنا الإنسانية المثضة، ص 251.

³ جون جاك روسو، أصل التفاوت بين البشر، ترجمة: عادل زعبيتر، مؤسسة هنداوى، المملكة المتحدة، (ط)، 2013، ص 37.

الفلسفه باسم العقل، وكان ما اكتشفه روسو أن العقل في الحقيقة وبالكامل ليس شيئاً طبيعياً، فالعقل عنده هو الملكة التي أغوت الإنسان بالتخلي عن حالة الطبيعة ليصير متمدناً وهي صفة مريبة بكل تأكيد.¹

أهـى الفيلسوف الاجتماعي والرياضي الفرنسي دو لا ماركيز كوندورسيه Le Marquis de Condorcet (1743-1794) في سنه 1794 متألـيف كتابه الشهـير "مخطط لـوحة تاريخـية لـتقدـم العـقل البـشـري" Tableau historique des progrès de l'esprit humain esquisse et prospectus والـذي نـشر سـنة 1795 مـبعد وفـاته، والـذي عـرض فـيه نـظرـته التـفـاؤـلـية لـمستـقـبـلـ الـبـشـرـيـةـ الـتـيـ تـسـيرـ فـيـ خطـ التـطـورـ حيث تـتـبعـ نـموـ وـتطـورـ الـجـنـسـ الـبـشـريـ خـلـالـ الرـمـنـ، وـذـلـكـ عـبـرـ تـسـعـ مـراـحـلـ مـتـمـاـيـزـةـ، تـبـدـأـ بـرـحـلـةـ الـعـشـيرـةـ الـبـادـائـيةـ وـتـتـنـهـيـ بـرـحـلـةـ الصـحـوـةـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيثـ الـذـيـ تـطـرقـ فـيـهـ إـلـىـ اـكـتـشـافـ عـصـرـهـ، أـمـاـ الفـصـلـ الـعاـشـرـ وـالـأـخـيـرـ الـمعـنـونـ بـ"مـقـطـعـ حـولـ اـنـطـلـانـطاـ"ـ فـقـدـمـ فـيـهـ تـبـيـأـتـهـ حـولـ الـمـسـتـقـبـلـ الـذـيـ سـيـكـوـنـ عـلـيـهـ الـبـشـرـ²ـ،ـ حيث يـتحققـ تـقـدـمـ وـكـمـالـ الـإـنـسـانـيـ،ـ كـمـاـ عـبـرـ فـيـ رـغـبـتـهـ فـيـ اـرـتـقاءـ الـجـمـعـيـ الـبـشـرـيـ بـوـاسـطـةـ الـعـلـمـ وـالـتـقـنـيـةـ.

يـؤـكـدـ كـونـدـرـسـيـهـ أـنـ النـوـعـ الـبـشـرـيـ يـسـيرـ دـائـماـ نـحـوـ التـقـدـمـ وـلـوـ بـشـكـلـ بـطـيءـ،ـ إـذـ أـنـ التـقـدـمـ يـمـثـلـ حـتـميـةـ تـارـيـخـيـةـ لـلـمـجـمـعـ الـإـنـسـانـيـ،ـ أـمـاـ التـرـاجـعـ فـيمـثـلـ صـفـةـ عـرـضـيـةـ يـلـغـيـ مؤـقـتاـ قـانـونـ التـقـدـمـ،ـ فـتـارـيـخـ الـحـضـارـاتـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ تـرـابـطـ مـسـتـمرـ،ـ فـكـلـ جـيلـ جـدـيدـ يـقـومـ بـالـاعـتـمـادـ عـلـىـ الـجـيلـ الـذـيـ يـسـبـقـهـ،ـ وـبـهـذاـ يـضـمـنـ التـقـدـمـ نـحـوـ الـكـمـالـ الـذـيـ لـاـ يـخـضـعـ لـأـيـ قـوـةـ مـاـ عـدـاـ عـاـمـلـ الزـمـنـ،ـ حـيـثـ يـقـوـلـ فـيـ مـقـدـمـةـ كـتـابـهـ:ـ "ـوـتـدـلـ كـلـ الدـلـائـلـ عـلـىـ أـنـاـ قـادـمـونـ عـلـىـ عـصـرـ سـوـفـ يـشـهـدـ أـعـظـمـ الـثـورـاتـ الـتـيـ يـحـقـقـهاـ النـوـعـ الـبـشـرـيـ...ـ إـنـ عـصـرـ التـنـوـيرـ الـذـينـ نـعـيـشـ فـيـهـ يـضـمـنـ لـنـاـ أـنـ هـذـهـ الـثـورـةـ سـتـكـونـ مـنـطـوـيـةـ عـلـىـ السـعـادـةـ،ـ وـلـكـنـ بـشـرـطـ أـنـ نـعـرـفـ كـيـفـ نـسـتـخـدـمـهـاـ وـنـسـخـرـ لـهـاـ كـلـ قـوـانـاـ"³ـ.ـ وـحـسـبـهـ فـكـلـ مـرـحـلـةـ مـنـ مـراـحـلـ تـقـدـمـ الـعـقـلـ الـبـشـرـيـ لـهـاـ سـماـقـاـ الـمـيـزةـ الـتـيـ تـمـيزـهـاـ عـنـ سـابـقـاـتـهـاـ مـنـ حـيـثـ الـأـفـكـارـ،ـ الـعـلـومـ،ـ الـأـخـلـاقـ،ـ نـمـطـ الـعـيـشـ...ـ إـلـخـ،ـ هـذـاـ مـاـ يـثـبـتـ فـكـرـةـ التـقـدـمـ،ـ وـيـعـبرـ كـونـدـرـسـيـهـ عـنـ مـسـتـقـبـلـ الـبـشـرـيـةـ بـالـسـمـاتـ وـالـمـلـلـ الـعـلـيـاـ الـثـلـاثـ:ـ الـعـالـمـيـةـ،ـ الـإـجـتمـاعـيـةـ،ـ وـالـأـخـلـاقـيـةـ،ـ حـيـثـ قـالـ:ـ "ـإـنـ آـمـالـنـاـ فـيـ الـحـالـةـ الـمـسـتـقـبـلـةـ لـلـنـوـعـ الـبـشـرـيـ يـمـكـنـ تـلـخـيـصـهـاـ فـيـ هـذـهـ النـقـطـ الـثـلـاثـةـ الرـئـيـسـيـةـ:ـ الـقـضـاءـ عـلـىـ دـمـ

¹ قاسم الحبشي، فـكـرـةـ التـقـدـمـ وـفـلـسـفـةـ الـمـسـتـقـبـلـ:ـ أـلـفـنـ توـفـلـرـ فـوـذـجاـ،ـ مجلـةـ الجـمـعـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ الـمـصـرـيـةـ،ـ عـدـدـ 31ـ،ـ صـ 354ـ.

² صلاح عثمان، الداروينية والأنسان: نـظـرـيـةـ الـنـطـورـ مـنـ الـعـلـمـ إـلـىـ الـعـولـةـ،ـ منـشـأـةـ إـلـسـكـدرـيـةـ،ـ (ـدـطـ)،ـ 2001ـ،ـ صـ 134ـ.

³ السيد محمد بدوي، مـخـطـطـ تـارـيـخـيـ لـتـقـدـمـ الـعـقـلـ الـبـشـرـيـ لـكـونـدـرـسـيـهـ،ـ الـهـيـةـ الـمـصـرـيـةـ الـعـامـةـ لـلـكـتابـ،ـ مصرـ،ـ (ـدـطـ)،ـ 1995ـ،ـ صـ 46ـ.

المساواة بين الدول، وتقديم فكرة المساواة بين أفراد شعب واحد، وأخيرا التحسين الخلقي للإنسان¹. معبرا بذلك عن رغبته في التخلص عن أنواع المظالم التي شهدتها في عصره.

أكَد كوندورسيه كذلك على ضرورة التعليم العام باعتباره أساس كل تقدم، حيث نادى بضرورة توسيع الدولة تعليم الأطفال والشباب والمعاقين على السواء، وتلك دعوة ثورية وتقدمية إلى حد كبير إذا ما قيَست بالعصر الذي ظهر فيه، وإذا ما قيَست أيضاً بالدعوة الداروينية الحديثة التي محورها "البقاء للأصلح"².

نخلص هنا إلى أن كوندورسيه حاول تقديم متخيل استشرافي لمستقبل البشرية قائم على حتمية التقدم العقلي البشري، وتنمُّي هذه النزعة التفاؤلية في أفكاره من خلال أمنياته الثلاث التي يأمل في تحقُّقها مستقبلاً، وهي: قيام المساواة بين الأمم، المساواة بين أفراد الشعب الواحد، الكمال الحقيقى والواقعي للإنسان الذي يتحقق فقط بتحقيق الشرطين الأولين، وهذه النهاية حتمية حسبه، إذ لا توجد إمكانية للتدحرج أو التقهقر أو الانحطاط، وهو مستمر بشكل لا ينْهائي يمكن أن يتباطئ، لكن يستحيل توقفه خاصة وأن الإنسان بفضل العلم وتطبيقاته تمكن من إزاحة عرقل التقدم والذي نجد تجلياته في العلوم والفنون واللغة والعلوم الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والتعليم والطب³. كما أنه ينوه إلى أن هناك تجل آخر للكمال الإنساني يتمثل في تطور الإمكانيات البيولوجية للكائن البشري خاصة الحسية والعمليات العقلية، لكنها مرهونة بحدود لا يمكن تجاوزها، ويشير في نفس السياق إلى أن التقدم المستقبلي في المجال الطي خاصة الوقائي والعلاجي منه، سيؤدي إلى زيادة متوسط عمر الإنسان عن العصور السابقة، إلا أنه لن يصل إلى الخلود، هذه الفكرة التي ستفتح الأفق فيما بعد مع حركة الإنسانية المتحولة إلا أن فلاسفتها آمنوا بإمكانية إلغاء أي محدودية تعيق الإنسان عن الكمال.

يؤمن كوندورسيه من هذا المنطلق بأن إنسان المستقبل سيكون أقوى وأسعد وأكثر ذكاء من إنسان اليوم، وما على البشرية إلا التحرر من مختلف القيود والعوائق حتى تسير في أفق التقدم وتحقيق الكمال الاجتماعي والأخلاقي من خلال: الحقيقة، الفضيلة، السعادة، خاصة وأن الإنسان يتقدم من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية بفضل عقله وطبيعته الخيرة لذلك هناك أمل في ارتقائه على الدوام حد بلوغ الكمال، فالتاريخ هو حصيلة نشاط الإنسان وخبراته تسير في حركة تقدمية خطية صوب الكمال والسعادة.

¹ المرجع نفسه، ص 98، 99.

² المرجع نفسه، ص 48.

³ عاطف وصفى: كوندورسيه، سلسلة نوابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، (دت)، ص 101، 102.

ويتجه فيري بالاعتقاد إلى أن كوندرسيه لا يحتمل قابلية التحسن في التغيرات السياسية والاجتماعية، بل يطأ كذلك على الطبيعة بما في ذلك الطبيعة البشرية، ويستشهد ب المسلمين كوندرسيه التي تنص بأنه يجب على الجنس البشري أن يتحسن، سواء من خلال اكتشافات جديدة في العلوم والفنون، ونتيجة لذلك بشكل ضروري في وسائل الرفاهية الشخصية والازدهار المشترك، أو من خلال التحسين الفعلي للقدرات الفكرية والأخلاقية والبدنية. ويعقب فيري على هذه الأفكار بأنه وعلى الرغم من التطور الضعيف للعلوم في عصره إلا أنه كان يعلم بإمكانية زيادة الإمكانيات الطبيعية ليس فقط الاجتماعية والسياسية للإنسان¹.

أخذت فكرة الكمال الإنساني مع النظرية التطورية منحى آخر بيولوجي، متخلية عن الأبعاد السياسية والاجتماعية التي أشاد بها فلاسفة قبل ذلك. ويعتقد أصحاب التطور العضوي أن التطور في مختلف الأنواع كان نتيجة التغير والنمو والتعديل والتكييف والتطور حسب داروين وأتباعه قد لا يتضمن التقدم Progress أو التدهور Regression وإنما يشير إلى التحولات التي يخضع لها الكائن البيولوجي من أجل التكيف مع الظروف البيئية².

بدأت نظرية التطور الكلاسيكية مع عالم الحيوان والنبات جان لامارك (1744-1829) من خلال تفنيده للتصنيف الطبيعي للકائنات الحية الذي كان سائدا وفي المقابل تسليط الضوء وتوجيه الأنظار نحو علاقة التطور بالعوامل البيئية، فهذه الأخيرة حسبه تجبر الكائنات الحية للتكييف معها موضحا فكرته بطول رقبة الزرافة.³

لقد تبلورت نظرية التطور أكثر مع أفكار البيولوجي الانجليزي تشارلز داروين التي عرضها في مؤلفه "أصل الأنواع" الصادر سنة 1859م، الذي بين فيه أن الكائنات الحية في صورتها الحالية هي نتيجة تحولات وتحولات في بنيتها البيولوجية منذ آلاف السنين بفعل صراعها فيما بينها من أجل البقاء، هذا الصراع الذي يسعى فيه كل نوع لمواكبة التغيرات التي تطرأ على البيئة، ليصير من الكائنات التي يجري عليها الانتقاء أو الانتخاب الطبيعي Natural Selection. لهذا قد تضطر لتبديل بعض صفاتها لتحقيق التكيف، وهنا يورث صفاتها الجديدة إلى أفراد نوعه القادمين، أما الكائنات التي لا يمكنها التأقلم مع العوامل البيئية الجديدة بتغيير

¹Luc Ferry : La révolution transhumaniste, p30.

²صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، ص 22

³الشيخ مرتضى فرج، الداروينية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مصر، ط 1، 2017، ص 15، 16.

طبيعتها أو بعض من صفاتها سيؤول مصيرها إلى الانقراض¹، ومعنى ذلك أن الطبيعة تعمل كقوة انتخابية تقضي على الضعيف، ليتكون نوعاً جديداً من الأحياء منسجمين مع بيئتهم الجديدة، وهذه الأفكار التي تتمحور كلها حول فكرة التطور الطبيعي وقد أطلق عليها الفيلسوف الامريكي المعاصر دانييل دينيتDaniel Dinnit بالفكرة الخطيرة.

لقد أكد داروين أنه مقتنع تماماً أن الكائنات الحية ليست ثابتة، وإنما تنحدر الأنواع التي يمكن أن نعتبرها من نفس الجنس، من سلالة الأنواع الأخرى، على أساس نفس مبدأ التنوع الذي يسري على كائنات نفس النوع، فنحن حين ندرس الكائنات الحية من ناحية علاقتها العضوية وتوزيعها الجغرافي وتعاقبها الجيولوجي، ر بما نصل إلى نتيجة مهمة وهي أنها لم تخلق بشكل منفصل كل على حدى، وإنما انحدرت من أنواع أخرى من الكائنات، فالكائنات جميعها متطرورة وتشد أنواعها وأجناسها بعضها إلى بعض صلة قرابة وطيدة، وعلاقات بيولوجية محددة، وأنها لم تصل إلى ما هي عليه في شكلها الحاضر وبنائها الحالي إلا بعد تطورات كثيرة وتحولات عديدة في شكلها الخارجي وبنيتها الداخلية منذ أزمان سحيقة وعبر ملايين السنين².

يفسر داروين هذه الظاهرة بقوله أن الأفراد من كل نوع يولد عدد يزيد عما يمكن أن يكتب له البقاء، ولما كان هناك صراع من أجل البقاء يتكون باستمرار، فإنه يترب على ذلك أن أي كائن، لو تغير بطريقة طفيفة على نحو مفيد، في ظل الأوضاع المعقدة للحياة، التي ينتابها التغير في بعض الأحيان، مثل هذا الكائن ستكون له فرصة أفضل للبقاء، ومن ثم يصبح من الكائنات التي يجري عليها الانتقاء الطبيعي، إذ أنها تكون قادرة على التكيف مع التغيرات التي تحدث في البيئة. ومن ثم تنتقل هذه الصفة الجديدة إلى أفراد الأجيال القادمة عن طريق الوراثة، أما الكائنات التي لا يحدث فيها هذا الفارق العرضي فإنها تنفرض في المدى الطويل³. إذن في الصراع من أجل البقاء إنما يتم الفوز للفرد الذي تؤهله صفاته مثل الشجاعة، القوة البدنية، السرعة، الذكاء... الخ للبقاء.

¹ المرجع نفسه، ص ص 16، 17.

² تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظہر، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، (دط)، 2018، ص ص 182، 183.

³ المرجع نفسه، ص ص 210، 215.

لقد دعت نظرية التطور الداروينية إلى إعادة النظر في قيمة الإنسان التي خلعها عن نفسه دينياً وفلسفياً، باعتباره سيد الكون وغاية الحياة، مثلما أعاد نيكولا كوبنيك Nicolas Copernic (1473-1543) النظر في مكانة الأرض وجعلها مجرد كوكب صغير في مجرة فلكية مركزها الأرض¹.

بعد نظرية داروين التي ترك فيها سؤال أصل الإنسان مفتوحاً، قد أعقبتها محاولات كثيرة لعلماء وبيولوجيون قدموا دراساتهم حول هذا الموضوع لعل من أبرزهم عالم البيولوجيا الإنجليزي طوماس هنري هيكسلي (1825-1890) الذي يعتبر من أكبر مناصري الداروينية - كما ذكرنا آنفاً - إلى درجة أنه وصف نفسه بأنه "كلب داروين الحارس"، كما أكد على التطور لدى الإنسان ليتجاوز بعده الطبيعي وجعل منه بديلاً للإيمان الديني، هذه الأفكار تأثر بها كذلك حفيده البيولوجي الإنجليزي جوليان هيكسلي خاصية في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) Man in the modern world والذي أسهب من خلاله في تحديد جملة الصفات الفيزيقية البيولوجية التي ميزت الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، والتي هيئاته للتطور والارتقاء. ونجد من أهمها نمو الدماغ أو المخ².

هذه الأفكار التي جعلت من جوليان هيكسلي الأب الروحي لنزعـة الإنسـانية المتحـولة، غير أن أنصار هذه النـزعـة يـشـجـعونـ البـشـرـ علىـ اـنتـزـاعـ مـصـيرـهـمـ الـبـيـولـوـجـيـ منـ قـبـضـةـ التـطـورـ الأـعـمـىـ العـشـوـائـيـ الدـارـوـيـيـ،ـ الذـيـ تـهيـمنـ عـلـيـهـ الطـبـيـعـةـ المـتـرـوـكـ لـهـ،ـ وـقـدـ يـأـخـذـ وـقـتـاـ أـطـوـلـ لـيـتـحـقـقـ وـلـاـ يـمـكـنـ لـلـإـنـسـانـ التـحـكـمـ فـيـهـ،ـ وـمـنـهـ يـتـجـهـ التـطـورـ وـفـقـاـ لـلـإـنـسـانـةـ المـتـحـوـلـةـ نـحـوـ تـجاـوزـ قـدـرـاتـ الـإـنـسـانـ الـبـيـولـوـجـيـ وـالـعـقـلـيـ وـالـخـرـوجـ مـنـ الشـكـلـ الـحـالـيـ لـهـ،ـ هـذـاـ مـاـ أـكـدـ عـلـيـهـ مـاـكـسـ مـورـ فـيـ العـدـيدـ مـنـ الـمـنـاسـبـاتـ عـلـىـ ضـرـورةـ تـسـرـيـعـ وـتـيـرـةـ التـطـورـ مـنـ خـلـالـ التـدـخـلـ فـيـهـ تقـنـيـاـ³.ـ وـعـلـيـهـ فـهـدـفـ الـإـنـسـانـةـ المـتـحـوـلـةـ وـفـقـاـ لـمـورـ هوـ تـعـدـيلـ التـصـمـيمـ الـأـعـمـىـ لـلـطـبـيـعـةـ كـمـاـ كـانـ لـأـفـكـارـ دـارـوـيـنـ صـدـىـ لـدـىـ العـدـيدـ مـنـ فـلـاسـفـةـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ الـذـيـنـ اـسـتـقـبـلـوـهـاـ بـصـدـرـ رـحـبـ وـجـعـلـوـهـاـ منـطـقاـ لـأـفـكـارـهـمـ،ـ أـمـثـالـ المـفـكـرـ الـأـلـمـانـيـ كـارـلـ مـارـكـسـ وـسيـغـمـونـدـ فـروـيدـ،ـ وـنيـتـشـهـ،ـ حـيـثـ أـشـارـ فـروـيدـ فـيـ أـحـدـ مـحـاضـرـاتـهـ إـلـيـ تـأـثـيرـ هـذـهـ النـظـرـةـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ الـحـدـيثـ وـاعـتـبـرـ أـنـ مـنـ إـفـراـزـاتـهـ اـجـتـاثـهـاـ مـكانـةـ الـإـنـسـانـ الـمـرـمـوـقـةـ فـيـ نـظـامـ الـخـلـقـ وـأـنـ لـهـ طـبـيـعـةـ بـهـيـمـيـةـ،ـ مـاـ عـمـلـ عـلـىـ تـصـدـعـ مـركـزـيـةـ الـإـنـسـانـ.ـ كـمـاـ اـسـتـفـادـ مـنـهـاـ نـيـتـشـهـ قـبـلـ ذـلـكـ لـيـحـوـلـهـاـ إـلـيـ دـعـوـهـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ أـخـلـاقـ الـضـعـفـاءـ أـوـ الـعـبـيدـ،ـ لـيـحلـ مـحلـهـ أـخـلـاقـ الـإـنـسـانـ الـأـعـلـىـ أـوـ

¹صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، ص 115.

²المراجع نفسه، ص 96.

³محمد جديدي، الأفق البيوأيقي، الجزء 2، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2021، ص 27.

السوبرمان .لهذا وصف القرن الثامن عشر بأنه عصر التفكك الجدي في مسألة مستقبل الإنسان، خاصة مع الثورة البيولوجية الداروينية، التي ألمت الفلسفة وعلى رأسهم نيتشه بالتفكير في أمر هذا الكائن الذي نسميه الإنسان في مستقبله على ضوء القيم الجديدة. النابعة ليس من الدين وإنما من العلم.

لقد تلقى نيتشه¹ عن داروين فكرة الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل البقاء ليحولها إلى دعوة للقضاء على الأخلاق المسيحية، التي كان يسميها بأخلاق العبيد، لكي يحل محلها نوع آخر من الأخلاق هو أخلاق الإنسان الأعلى Superman، وهو الشخص الذي يجب أن ينظر إليه العالم على أنه مصدر المعرفة والسيطرة والقوة، وهو أيضا الشخص قادر على التخلص من معوقات أخلاق العبيد.².

إن الإنسان وفق منظور العدمية النيتشوية، ذات هشة محقرة، يقدس الأوهام ولذلك يذهب نيتشه إلى ضرورة التخلص من كل ما حملته فلسفة الأنوار والفلسفة الحداثية التي أعلت من شأن الذات باعتبارها واعية عاقلة وأحاطت من قيمة الجسد وهذا ما شكل سبب عدميتها كما ذكرنا آنفاً.

فإذا كان عهد الحداثة المتأخرة عهد "الإنسان الأخير"، وإذا كان العهد الذي يليه عهد الصراع ضد هذا الإنسان الأخير، فإن العهد الذي نحن سائرون إليه عهد ما بعد العدمية أو عهد الإنسان الأعلى، أي عهد محاربة آثار العدمية ومخلفاتها والمقصود بذلك تجاوز الإنسان الأخير نحو الإنسان الأعلى، والحال أن الإنسان الأعلى هو إنسان المستقبل، الذي شأنه أن يحرر الناس من المثال، وأن يخرجهم من قرف إرادة العدم والعدمية، وأن يعيد إلى الأرض غياتها وإلى الإنسان أمله³. مع العلم أن الإنسان الأعلى عندنا شيء ليس المقصود به الإنسان المثالي أو العقري، إنما الإنسان الأعلى هو نمط من الاكتمال الأعلى، الذي عارض به الإنسان الحديث الأخير كما رسمته المسيحية والعدمية، فالإنسان الأعلى هو الإنسان المقوم، يهب الوجود قيمة، بحيث لن تعود القيم التي تنہض عليها حياته فيما أبدية مطلقة ميتافيزيقية، وإنما أصبحت فيما تجريبية مؤقتة⁴.

¹ إن الرجوع إلى نيتشه بعد أن عرضناه في البحث السابق كان بمدف الكشف عن موقف فيري وحركة الإنسانية المتحولة عموماً من فكرة الإنسان الأعلى.

² الشیخ مرتضی فرج، الداروینیة، ص 25.

³ محمد الشیخ، النقاشات الفلسفية القارية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيوتقنية، مجلة التفاهم، مجلد 17، عدد 63، يناير 2019، ص 152، 153.

⁴ المرجع نفسه، ص 159.

إن فكرة "الإنسان الأعلى" كما صاغها نيتشه والتي شكلت أحد ركائز فلسفته، فقد ارتبط مفهومه إذن بالتحرر الكامل للإنسان من القيم الأخلاقية والدينية السائدة. غير أن صورة هذا الإنسان الأعلى لم تكتمل عنده إلى النهاية، الأمر الذي دفع العديد من الفلاسفة مثل فوكو وهيدغر، ولوك فيري إلى وضع تصورات عن هذا "الإنسان الأعلى". وقد اشتق نيتشه صورة الإنسان الأعلى من القوة، فالقوة عنده كل شيء، والإنسان الكامل أكبر فضائله الشجاعة والإقدام، لا التواضع ولا الرحمة، وأسمى ما فيه هو إرادته وثبات عاطفته.

3-التكنولوجيات الفائقة وما لات الإنسانية:

سعى الإنسان دائماً للتكيف والتأقلم مع عالمه الخارجي، هذا ما دفع به إلى توظيف مختلف قدراته العقلية والحسية لبلوغ هذا المسعى وإحداث تغيرات جذرية على البيئة والطبيعة التي يعيش فيها. لكن نظراً لتضاءل بعض قدراته ومحدودية الأخرى أو كما قال أفالاطون بأن الإنسان موجود بين منزلتي الكمال المطلق والنقص المطلق، وهو الأمر الذي جعله مفظوراً على حب الكمال والسعى نحو التخلص من النقص، ما أفضى به إلى الاستعانة بالأدوات والوسائل المتعددة، والتي استخدمتها لأغراض مختلفة كالحماية وحفظ البقاء، البحث عن الغذاء والبحث عن السكن، وكون الإنسان منذ وجوده لم يكن راضياً عن نفسه ولا قانعاً بإمكانياته، ومع إدراكه محدودية هذه القدرات الممنوعة بدأ يتنازل عن مميزاته وينحها للآلات والأدوات، فبدلاً من استخدام يديه في قطف الثمار من الأشجار وتسليقها، أصبح يستخدم الأغصان للقيام بنفس المهمة وهو واقف في مكانه كنوع من الإقرار بعجز إمكانيات النوع الإنساني، وهكذا توالت الامتدادات المصنعة لإتمام نقص الإنسان، مثل: السيارات والتلسكوب والسماعات والنظارات وغيرها، غير أن سيناريو الامتدادات Extrntions المكملة للنواقص البيولوجية للإنسان أخذ منعرج آخر في القرن الماضي، اتجه نحو تجاوز محدودية العقل الإنساني وتحلت في اختراع الحاسوب، هذه الامتدادات التي حاولت تعطية وتعويض القصور والعجز الجسدي والعقلي للإنسان سميت بـ"التقنية" وسي العصر المصاحب لها بـ"الحضارة التقنية"¹. هذا الحال الذي وصل إليه الإنسان بفضل البحث العلمي والاكتشاف التكنولوجي مكنه ليس فقط من السيطرة على الطبيعة وتطويق ظواهرها، وإنما من تعديل طبيعته البيولوجية أيضاً للخروج من حالته الهشة والضعيفة إلى حالة القوة.

¹ مدحت محفوظ، حضارة ما بعد الإنسان، مصائر العرق البشري في عصر الآلات الحية الفائقة الذكاء، دار الكتب القومية، 2006، (دم)، (دط)، ص ص 43، 46.

يرى فيري أننا نعيش حالياً ظهور وتقارب متزايد التكامل لعدة ثورات في مجال العلوم والتكنولوجيا والتي ستؤثر على جميع قطاعات الحياة البشرية خاصة الطب والاقتصاد، وتمثل هذه العلوم المتقاربة بالرغم من اختلاف تخصصاتها في التكنولوجيا النووية Nanotechnology، التكنولوجيا الحيوية Biotechnology، المعلوماتية Informatics، الحوسية والبيانات الضخمة)، والعلوم المعرفية أو الادراكية (الذكاء الاصطناعي)، هذه الفروع والتخصصات اختصرت في NBIC وأصطلاح عليها إجمالاً بالعلوم المتقاربة أو التكنولوجيات الفائقة، والتي نجد تمثيلاتها في الروبوتات، الطابعات ثلاثية الأبعاد، العلاجات الترميمية باستخدام الخلايا الجذعية، التهجين، ... الخ¹.

لقد تم التعرف رسمياً وإعلامياً على الفروع المشار إليها بالحروف الابتدائية لكل فرع NBIC، من خلال تقرير أعدته مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية NSF بالتعاون مع وزارة التجارة سنة 2002م، حيث تم تحديد التكنولوجيات والصناعات والمشاريع الأكثر تأثيراً في المستقبل².

إن أيديولوجية الإنسانية المتحولة استفادت كثيراً من هذا التطور التقني لبناء تصورها حول المستقبل أو المرحلة التالية من تاريخ البشرية، ويمكن تحديد أهم التطورات العلمية والتكنولوجية والتي تمثل جلياً سياقاً لتأسيس النزعة الإنسانية المتحولة فيما يلي:

أ- النانو تكنولوجيا : Nanotechnology

شهدت البشرية العديد من الثورات العلمية آخرها الثورة العلمية الخامسة والتي اصطلاح عليها بـ "التكنولوجيا النانوية أو النانو تكنولوجي" حيث مرت جميع مجالات الحياة نظراً لسرعة انتشارها. إذ يتوقع الخبراء أن النانو تكنولوجي ستتمكن من تغيير حياة الإنسانية جذرياً بفضل تطبيقاتها التي كان ينظر إليها قريباً على أنها مجرد خيال علمي خاصٌّ عند التقائها مع التكنولوجيا النانوية التي ترتبط بشكل مباشر مع حياة الإنسان³.

إن مصطلح النانوتكنولوجيا nanotechnology في اللغات الأجنبية ينقسم إلى لفظتين إغريقيتين التي تعني بالإنجليزية Dwarf، أي قزم وهي ثمرة اجتماع عدة تخصصات علمية مثل الهندسة والكيمياء Nanos

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 163.

²أشراف وتنسيق محمد جديدي، البيوأтика وطبعتنا الإنسانية المنشورة، ص 153.

³محمد غريب إبراهيم عميش، النانوبوليوجي عصر جديد من علوم الحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (طب)، 2012، ص 5، 7.

والبيولوجيا والفيزياء. و **Technology**، و التي تعني علم الصناعة أما في اللغة العربية فهي تقابل التسميات التالية: التقانة النووية، تقنية المنشآت، تكنولوجيا الصغار، تكنولوجيا التقرؤمات والتكنولوجيا المتناهية الصغر¹.

ظهر مصطلح النانو تكنولوجيا في محاضرة للفيزيائي الامريكي ريتشارد فينمان Richard Feynman (1918-1988) بعنوان (هناك متسع في الأسفل: دعوة للدخول إلى مجال جديد في الفيزياء) سنة 1959م، في الجمعية الفيزيائية الأمريكية، والتي وجه فيها الأنظار إلى أهمية الإمكانيات المأهولة المحتملة من وراء استخدام البنى والتصميمات فائقة الصغر، ومع أنه لم يضع هذا المصطلح بشكله اللغوي الحالي "نانو تكنولوجيا" إلا أنه مهد له نظرياً. وقد بُرِزَ هذا المصطلح تحديداً في سبعينيات القرن العشرين عام 1974م، مع الباحث الياباني نوريyo تانيجوشي Norio Taniguchi (1912-1999) في بحث له يحمل عنوان " حول المفهوم الأساسي للنانو تكنولوجيا"².

يتساءل لوک فيري عن المقصود بحرف N الذي يبدأ به اختصار NBIC؟ ويجيب بأنه تجل لثورة في عالم الفيزياء الكلاسيكية أطلق عليه اسم تكنولوجيا النانوية نسبة لكلمة "نانو" والتي تعتبر وحدة قياس للأشياء المتناهية في الصغر بحيث أن النانومتر يمثل ملياراً من المتر، إذ يمكن تمثيله بأن كائن بحجم النانو متر له سمك أصغر بخمسين ألف مرة من سمك شعرة، ويستشهد بالتعريف الذي قدمته الجمعية الملكية للهندسة في تقريرها المخصص لسنة 2004م حول تقنيات النانو، إذ ورد فيه: "علم النانو هو دراسة الظواهر والتلاعب بالماد على المقاييس الذرية والجزئية الكبيرة، حيث تختلف الخصائص بشكل كبير عن تلك التي لوحظت على نطاق واسع"³.

أما من الناحية الاصطلاحية فأشمل تعريف قدم لها من طرف المبادرة الوطنية الأمريكية للنانوتكنولوجيا NNI والذي ورد فيه: "تطور الأبحاث والتقنيات على مستوى الذرة والجزيء عند مستوى قياسات بين 1 و 100 نانومتر لشرح وفهم الظواهر وسلوك المواد عند هذا المستوى النانوي، بهدف تخليق

¹ المرجع نفسه، ص 13.

²فتح الله شيخ، محمود موسى، قصة النانوتكنولوجيا حاضرها ومستقبلها، المكتبة الأكاديمية، مصر، (دط)، 2009، ص ص 17، 19.

³Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p165.

واستخدام تركيبات وأجهزة ونظم صغيرة الحجم تمتلك خصائص ووظائف جديدة¹، أي أنها تعامل مع المواد والمعدات فائقة الصغر وذلك بتحضيرها واستخدامها في التطبيقات المختلفة.

ويذهب فيري إلى أن دمج هذا التخصص وتقنياته المتطورة مع مجال الصحة والطب والبيولوجيا يولـد لنا "طب النانو" وهو فرع واعد للغاية و مليء بالتقنيات المتقدمة وبفضلـه قـامت أيدـيولوجـية الإنسـانـة المـتحـولـة، ويـوضـحـ ذلكـ بأنـهـ يـشرـ بـوجـودـ عـلاـجـاتـ مـسـتـهـدـفـةـ وـمـنـظـمةـ لـخـلـفـ الـأـمـرـاـضـ وـالـأـطـرـافـ الـاـصـطـنـاعـيـةـ الـمـصـغـرـةـ بـجـمـيعـ أـنـوـاعـهـاـ،ـ إـدـخـالـ قـطـعـ أـثـرـيـةـ إـلـىـ الـدـمـاغـ أوـ زـرـعـ آـلـيـاتـ نـانـوـمـتـرـيـةـ فـيـ جـسـمـ الـإـنـسـانـ لـأـغـرـاضـ طـبـيـةـ،ـ أـدوـيـةـ الـنـانـوـ الـتـيـ تـتـجـهـ مـبـاـشـرـةـ نـحـوـ الـخـلـاـيـاـ الـمـرـيـضـةـ...ـ هـذـاـ الـأـمـرـ حـسـبـ فيـرـيـ سـيـجـعـلـنـاـ نـشـكـكـ فـيـ تـصـورـنـاـ لـإـنـسـانـيـتـاـ وـالـتـسـاؤـلـ حـوـلـ مـعـدـنـ الـتـهـجـينـ الـذـيـ نـرـغـبـ فـيـ تـأـسـيـسـهـ بـيـنـ الـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ وـالـطـبـيـعـةـ؟ـ بـيـنـماـ هـوـ جـامـدـ وـخـاـمـلـ وـمـاـ هـوـ كـائـنـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاـةـ؟²

إن النانو تكنولوجـيـ أوـ ثـوـرـةـ الـعـلـمـيـةـ الـجـدـيـدـةـ لـيـسـتـ مـجـرـدـ اـتـجـاهـ عـلـمـيـ جـدـيـدـ يـقـدـمـ خـدـمـاتـ وـإـضـافـاتـ للـعـلـمـ،ـ بـلـ هـيـ ثـوـرـةـ تـفـتـحـ الـآـفـاقـ الـمـسـتـقـبـلـيـةـ لـجـيـءـ إـنـسـانـ جـدـيـدـ،ـ هـذـاـ يـعـتـبـرـ هـذـاـ الفـرـعـ الـعـلـمـيـ منـ أـهـمـ الـمـجـالـاتـ الـتـيـ يـعـولـ عـلـيـهـاـ كـثـيرـاـ خـبـرـاءـ التـحـولـ الـإـنـسـانـيـ لـتـحـقـيقـ مـسـاعـيـهـمـ الـتـيـ يـرـمـونـ إـلـيـهـاـ،ـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ قدـ عـبـرـ عـنـهـاـ مـيـتـسـيـوـ كـاكـوـ بـقـوـلـهـ:ـ يـدـعـيـ أـنـصـارـ تـكـنـوـلـوـجـيـاـ الـأـجـهـزـةـ الـنـانـوـيـةـ أـنـهـاـ قـدـ تـعـطـيـنـاـ أـيـضاـ نـوـعـاـ مـنـ الـخـلـوـدـ،ـ فـهـمـ يـعـتـقـدـوـنـ بـتـجـمـيدـ إـلـيـانـ بـعـدـ الـمـوـتـ،ـ وـمـنـ ثـمـ اـسـتـخـدـامـ أـجـهـزـةـ إـنـسـانـ آـلـيـ جـزـيـعـيـةـ تـعـكـسـ تـلـفـ الـخـلـيـةـ الـخـتـمـ الـذـيـ يـمـدـعـ عـنـدـمـ تـحـطـمـ الـبـلـوـرـاتـ الـجـلـيـدـيـةـ جـدارـ الـخـلـيـةـ؟³.

بـ- الـبـيـوـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ:

إن الـبـيـوـ تـكـنـوـلـوـجـيـاـ فـيـ الـاشـتـقـاقـ الـلـغـويـ هيـ نـتـيـجـةـ تـأـلـفـ كـلـمـتـيـنـ يـونـانـيـتـيـنـ الـأـوـلـيـ بـيوـBiـوـ وـتـعـنـيـ الـحـيـاـةـ،ـ وـالـثـانـيـةـ تـكـنـوـلـوـجـيـاـ الـتـيـ تـعـنـيـ عـلـمـ الـصـنـاعـةـ،ـ أـمـاـ مـنـ حـيـثـ الـمـعـنـيـ الـاـصـطـلـاحـيـ فـهـنـاكـ تـعـرـيفـاتـ مـتـعـدـدـةـ لـهـذـاـ الـحـقـلـ،ـ فـهـنـاكـ مـنـ يـعـرـفـهـاـ بـأـنـهـاـ التـدـخـلـ الـتـقـنـيـ فـيـ حـيـاـةـ وـجـسـمـ الـإـنـسـانـ،ـ وـنـجـدـ تـجـليـاتـهـاـ فـيـ زـرـعـ الـأـعـضـاءـ وـالـأـنـسـجـةـ،ـ الـخـلـاـيـاـ الـجـذـعـيـةـ،ـ التـعـدـيلـ الـجـيـنـيـ،ـ الـاسـتـنـسـاخـ...ـ وـغـيرـهـاـ.⁴

¹ محمد غريب إبراهيم عميش، النانوبيلوجـيـ عـصـرـ جـدـيـدـ مـنـ عـلـمـ الـحـيـاـةـ، صـ 14

² Luc ferry, La révolution transhumaniste, p 167.

³ مـيـتـسـيـوـ كـاكـوـ،ـ مـسـتـقـبـلـ الـعـقـلـ،ـ صـ 344

⁴ محمد طاهر، الـبـيـوـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ وـمـسـتـقـبـلـ الـإـنـسـانـ،ـ صـ 33

تعرف البيوتكنولوجيا بأنها فرع علمي يضع تحته عدة تخصصات أبرزها الطب والبيولوجيا والتكنولوجيا، هدفها تسخير التقنيات الحديثة للتدخل في البشر والكائن الحي بصفة عامة، وتعتبر الهندسة الوراثية أهم فروعها التي فككت شفرة الخريطة الجينية للإنسان، وهو الأمر الذي أتاح إمكانية معالجة الجينات وتعديلها أيضاً¹، لهذا يعول عليها كثيراً دعاة الإنسانية المتحولة، كما تعد أحد الفروع الأربع التي تسمى بالتقنيات الفائقة أو العلوم المتقاربة NBIC التي يقوم عليها المستقبل الإنساني إذ ساهمت مخرجاتها في تغيير حياة الإنسان.

يعبر الحرف B من NBIC عن مجال التكنولوجيا الحيوية، ووفقاً لـ فيري يمكن أن نلمس أهميتها بالنسبة للإنسانية المتحولة من خلال الإنجازات التي قدمتها ثورة الهندسة الوراثية التي مكنت من التعرف على الجينوم البشري² أو الخريطة الجينية للإنسان التي من خلالها يمكن التحكم في الصفات الوراثية المشكلة للطبيعة البيولوجية للكائن البشري، إذ يمكن حذف بعض الصفات غير المرغوب فيها كالمتلازمة التي تسبب الأمراض الخطيرة، وهنا يتساءل فيري: هل لدينا الحق في تعديل الجينوم؟ حسبه يعبر هذا السؤال عن جوهر الإنسانية المتحولة التي يميل مؤيدوها إلى الإجابة بالإيجاب بشرط اتخاذ الاحتياطات الضرورية لتجنب المخاطر وراء ذلك، وكما يذهب فيري إلى أن هذا المشروع الواعد تكلم به المؤسسات والمخابر خاصة في الو.م.أ، وبتجدر الإشارة إلى أن تكلفة تسلسل الجينوم البشري الأول في عام 2000 بلغت 3 مليارات دولار، بينما تبلغ في الوقت الحالي 3000 دولار، ومن المتوقع أن تنخفض إلى أقل من 100 دولار قبل نهاية العقد، هذا يعني أنه سيكون من الممكن معرفة الحمض النووي للشخص مع أي تشابهات محتملة بنفس سهولة إجراء فحص الدم، ولكن ربما لا تكمن أهمية هذا المجال في معرفة الحمض النووي فقط، بل في الاكتشافات الحديثة، مثل آداة "كريسر كاس 9" Crispr-Cas9³ وتشمل كذلك "تقنية المقص"، التي بفضلها أصبح من الممكن

¹ منيرة علي الجنزوري، التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية، دار المعارف للطباعة والنشر، 2008، ص 11.

² كلمة تتكون من جزأين: الأول GEN وما خودة من أصل إغريقي Genos وتعني المورثة بمعنى أصل السلالة، وهي عبارة عن قطعة صغيرة تكون متواجدة في نواة الخلية الجسدية المسئولة عن ظهور الصفات الوراثية المميزة للبشر، أو متواجدة في الخلية الجنسية المسئولة عن نقل الصفات الوراثية بين الأجيال، والثاني OME أو الصبغي الحامل للجينات البالغ عدده 46 كروموسوم. (ينظر: إيريك ب. وايدمير، مادة الحياة: وصف مختصر للجزئيات التي تجعلنا نعيش بالحياة، تر: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2014، ص 9)

³ أو تقنية التحرير الجيني، وهي من أبرز وأحدث تقنيات الهندسة الوراثية تستخدم في التعديل الجيني للمادة الوراثية، حيث تقوم على بروتين كاس 9 الذي يشبه المقص الجزيئي الذي يقوم بقطع الجين المسؤول عن المرض واستبداله بجين سليم. (ينظر: طارق يحيى قايل، في رحاب الثورة البيوتكنولوجية، منظمة المجتمع العلمي العربي، ط 1، 2019، ص 27)

"قص" و"لصق" الحمض النووي، بل وحتى تهجينه بسهولة مثل تصحيح خطأ إملائي أو نقل جملة باستخدام برنامج معالج النصوص، وتفتح هذه الأداة آفاقاً واسعة في مجال الجراحة الحيوية، حيث يمكن إخفاء أو تشغيل جين معين أو تعديله أو إزالته أو تهجينه، ما يفتح إمكانيات لا حصر لها، وإن لم تكن حاضرة بعد أمام الهندسة الوراثية البشرية¹. وعليه فالهندسة الوراثية كمبحث علمي لم تتوقف عند حدود تخلص الإنسان من بعض الأمراض وإنما سعت إلى إطالة أمد حياة الإنسان، بل سعت إلى إنتاج الإنسان داخل المختبر.

يمكن القول انطلاقاً من هذا بأن البيو تكنولوجيا ترتبط بالمعارف والمعلومات التي سبقتها، فهي نتيجة تراكمية لجهود وأبحاث الكثير من العلماء المخصصين في مجال البيولوجيا والطب والكيمياء والفيزياء والتكنولوجيا، وغيرها من العلوم، وجذورها تعود إلى النظرية التطورية ثم قوانين الوراثة وصولاً إلى ثورة التحكم الجيني في أواخر القرن العشرين.

لقد فتحت هندسة الجينوم البشري آفاقاً واعدة حول إمكانية إعادة تركيب وبناء الكائن الحي البشري كلية، حسب نموذج مبتكر غاية في التحسين والكمال، وذلك من ناحية الصفات البيولوجية والخصائص النفسية والعقلية تمكنه من القوة الجسدية والذكاء الخارق والعمر الطويل².

إن ظهور فرع التكنولوجيا والتي تجري الأبحاث فيها حول الروبوتات النووية، وهي أجهزة عالية الدقة توضع داخل الجسم في دم المريض، ويكلّن دورها في الكشف عن أي خلل عضوي أو أي عدوٍ ثم العمل على إصلاحها، وترمي الأبحاث في هذا المجال إلى تخفيض معدل الوفيات وكذا احتمالية الإصابة بالأمراض خاصة الخطيرة منها، مثل: السرطان³. هذا ما شكل نقطة تحول في مجال البيو تكنولوجيا التي حولت مسار المجال البيوطبي من العلاج إلى التحسين والتعزيز والإعلاء من خلال التحامها بالفروع والتخصصات الأخرى.

جـ-المعلوماتية : Informatic

ويتعلق الأمر هنا بالحرف الثالث "I" من "NBIC" ، والتي تشير إلى مجال المعلوماتية، وحسب لوك فيري فإن قسم البيانات الضخمة "Big Data" يمثل أكثر تجلياتها، تشير البيانات الضخمة إلى كمية هائلة من المعلومات المنظمة أو غير المنظمة، العامة أو الخاصة، التي تتدفق باستمرار عبر الشبكات العالمية وت تكون هذه

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 168, 169.

² محمد جيدى وآخرون، *البيوتيقا وطبعتنا الإنسانية المنشئة*، ص 136.

³ حسن الخاطر، *الخلود البيولوجي*، ص 128.

البيانات من رسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية وتصفح الإنترنت والتفاعلات على وسائل التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك، منصة X، لينكدين... والبيانات من الأجهزة المتصلة بالإنترنت. لقد زاد حجم البيانات الرقمية بشكل كبير في السنوات الأخيرة، حيث لم يعد يتم قياسها باليبيتا بait (10¹⁵ بايت) ولا حتى بالاكسابايت (10¹⁸ بايت) بل بالزيتا بايت (10²¹ بايت)، وإعطاء فكرة عن الطبيعة المذهلة لحجم البيانات التي تتجول باستمرار عبر "الويب" يكفي أن نعرف أن "البيتا بايت" كان يمثل بالفعل ما يعادل 2 مليار صورة فوتوغرافية بدقة متوسطة، ثم إن المعلومات التي يمكن استخلاصها من البيانات الضخمة هي ذات استخدامات متنوعة لا حدود لها، ويمكنها أن تخدم أغراض أكثر تنوعاً بدءاً من علاج الأوبئة والتعامل مع الكوارث الطبيعية وإدارة أقساط التأمين، أو مكافحة الجريمة إلى تسلسل الجينوم البشري، بما في ذلك تنظيم النقل الجوي وحركة المرور على الطرق والسيارات ذاتية القيادة و مكافحة السرطان و المراقبة المنزلية للمرضى وكبار السن والإعلانات المستهدفة أو اختيار و مراقبة فعالية المواقع التي يحتفظ بها فريق المرشح في الحملة الانتخابية¹.

إن اكتساح المعلومات جميع المجالات مكن الإنسان من ولوج عصر جديد من معالجة المعلومات وتخزينها وإجراء عمليات حسابية معقدة تتطلب عقولاً جبارة وأرمنة طويلة، كل ذلك في ثوانٍ معدودة وبدون تعب، بل تمكن المعلوماتية من تسيير مؤسسات بأكملها، ناهيك عن كونها أضحت أداة فعالة في الحروب المعاصرة وفي صناعة العوالم الافتراضية، ولا ننسى هنا مساهمة الذكاء الاصطناعي في نمو هذا المجال العلمي.

إن عصرنا الحالي يسير نحو خيار التكنولوجيا الرقمية كاستراتيجية والمعلومات كثروة، فحجم المعلومات التي كانت تخزن في عقل الإنسان كذكريات أصبحت بدونفائدة، إذ انصب الاهتمام حول حفظها خارجياً أي في جهاز إلكتروني منفصل عن الإنسان، فالتحول نحو حوسبة الحياة الإنسانية جعلت الإنترت بمثابة همزة وصل بين جميع العقول والحواسيب الإلكترونية ما أفضى إلى خلق عالم افتراضي متكملاً، وذلك بالاعتماد على جعل الموجودات الطبيعية والواقعية وحتى الذوات الإنسانية إلى معلومات رقمية مخزنة في شكل سلاسل عددية². كما يتوقع خبراء التحول الإنساني أن تغير تكنولوجيا المعلومات ليس فقط طريقتنا في

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 171, 172.

²بشرى زكاغ، عصر المعلومات وظاهرة الإنسوب أو الإنسان المعدل حاسوبياً، مجلة أفكار، عدد 7، المغرب، يونيو 2016، ص 96.

العمل أو اللعب، بل حتى الجوانب الأعمق في حياة الإنسانية فيما يخص هويتنا وأجسادنا وطباينا وأخلاقنا¹.

-العلوم المعرفية أو الادراكية : Science Cognitive

يتمثل الحرف الأخير "C" من الاختصار "NBIC" في العلوم المعرفية أو الإدراكية، ويعتبر الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence أبرز تجلياتها، الذي يمثل فرعاً من فروع علم الحاسوب، وقد اعتبره مؤسسه جون مكارثي John Makarthy (1927-2011) سنة 1956 بأنه علم و هندسة و² صنع آلات ذكية، ويكتمن هدفه الجوهرى في خلق ذكاء آلي يحاكي ويضاهي الذكاء البشري ويتجاوزه إن أمكن ذلك، من خلال صنع آلات أو تصميم عمالء ذكاء قادرٍ على فهم الوظائف الموكلة إليهم، مع إنجازها بدقة تامة ويعتبر معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (M/T) من أهم المختبرات العالمية الرائدة في مجال تصنيع الروبوتات، الذي يعتبر من أهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي AI.

ووفقاً لـلوك فيري ينبغي أن نفرق بين الذكاء الاصطناعي الضعيف وهو حقيقة واقعة بالفعل، إذ يقتصر دوره على حل المشكلات ويمكنه تقليل الذكاء البشري ولكن ميكانيكيًا فقط، أما النوع الثاني والمتمثل في الذكاء الاصطناعي القوي الذي لا يزال حسبه مجرد خيال علمي أو يوتوبيا، لأنه يعبر عن ذكاء آلي قادر ليس فقط على تقليل الذكاء البشري ظاهرياً ولكن أيضاً على امتلاك عنصرين بشريين هما: الوعي الذاتي والعواطف، كما يوحى الذكاء الاصطناعي إلى فكرة نقل الوعي الإنساني من الدماغ البشري إلى حاملات إلكترونية أو رقمية مثل مفتاح USB.³

¹ خالد العبادي، عندما يغير عالم المعلومات الجديد حياتنا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017، ص 37.

² Nick Bostrom, E. Yadkowsky, **The ethics of artificial intelligence**,

<https://nickbostrom.com/ethics/artifucial.intelligence.pdf>

³ Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p157.

رابعاً: الإنسانية المتحولة من الخيال إلى التجسيد.

يعتقد البعض أنه حتى لو بدا الأمر مجرد خيال، فإن حالة ما بعد الإنسانية التي يشير إليها مور تشير، في الواقع، إلى حقيقة قد تحدث بشكل معقول في المستقبل: إمكانية تحويل البشر إلى نوع حيوي محسن. ستجعل التطورات الجينية من البشر المتحولين ذوي مواهب عالية، وشباب دائم، وغير معصومين من الخطأ، عملياً مثاليين وخلالدين. في هذا العالم الجديد الجريء الذي تهيمن عليه العلوم التقنية، والمبني على أركان الثورة ما بعد الإنسانية، سيعيش البشر الفرديون الضعفاء والناقصون جنباً إلى جنب مع البشر المبرمجين، والمعصومين والمثاليين، وكذلك مع السبيورغ. هذا سيكون بلا شك غروراً للنوع البشري، الذي يُقلل إلى وضعية الخضوع والعبودية بسبب تفوقه الجسدي والفكري على النوعين الآخرين – البشر المتحولين والرجال الآليين.

١ _ الإنسانية المتحولة في أدبيات الخيال العلمي والفن:

إذا كان العلم بوابة المستقبل فإن الخيال العلمي مفتاحه السحري، فالعلم غالباً ما تنبأ به الخيال العلمي، وفي المقابل قدم الكثير من الحقائق الجديدة التي ألمحت كتاب الخيال العلمي¹. وعليه فإن أدب الخيال العلمي ليس كأي كتابة أخرى عن العلم، فهو يتطلع إلى الأمام حيث تنظر الأنواع الأخرى عادة ما تنظر إلى الخلف. كما أن له عدة أنواع نجد ما يتقطاع مع موضوعنا هو أدب الخيال العلمي التنبؤي وليس أدب السحر والشعودة والأسطورة .

إن الخيال العلمي ككل أدب ينقل أيديولوجية ما، وقد انعكست التيارات العلمية والتقييمات المعاصرة لهذا القرن فيه، فكثير من قصص وروايات وأفلام الخيال العلمي تعطي الانطباع بشكل أكثر عمق عن أن التقدم العلمي هو المحرك الوحيد للتتطور² .

في هذا السياق، يمكن القول بأن أدبيات الخيال العلمي (SF) بدأت بالظهور تزامناً مع ظهور العلم والتقانة وتطورهما، بحيث كان دائماً مرتكناً بقضايا العلم الذي يكتب فيه، لهذا نجد أن أبرز ما يميز القرن العشرين أن هذه القضايا أصبحت متعلقة بالإنسان بالدرجة الأولى، من حيث هويته ومستقبله ومصيره... إلخ، خاصة بعد الانفجار الذي شهدته التكنولوجيا في مجالات الطب والبيولوجيا والكمبيوتر

¹ جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل: أدب الخيال العلمي، ترجمة: رؤوف وصفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (دط)، 2005، ص 11.

² جان غاتينييو، أدب الخيال العلمي، ترجمة: ميشيل خوري، طلاسدار، دمشق، ط١، 1990، ص 160.

والروبوتات لهذا كثُر الحديث عن الأشخاص الآليين Robots، أو الإنسان المهجن Cyborg، أو الإنسان المسخ... وغيره. وقد تكلم عن موضوع الآلين كنسخ معدنية للإنسان عام 1920 التشيكوسلوفاكي كارل كابيك K. capek (1890-1938) في أعماله التي حاول فيها أن يعطي لحة أو إجابة عن سؤال: هل يخشى أن يحل الكائن الآلي محل الإنسان البشري؟ وأن يسلب منه مكانته؟ وقد عبر عن تشاوئمه المضاد للعلم. وهكذا توالت الأعمال الأدبية والفنية والسينمائية التي تتحدث عن حدود العلم، ومستقبل الإنسان في ظل المستجدات والاكتشافات التقنية والعلمية، بل وحتى انعكاساتها على البشرية. ولعل هذا ما قصده الإنجليزي الدوس هيكسلي في مقدمة سلسلته "أفضل العالم": «إن موضوع أفضل العالم ليس تقدم العلم بحد ذاته، وإنما تقدم العلم بتأثيراته على الكائنات البشرية»¹.

لقد ساهمت كتابات أدباء الخيال العلمي في إنعاش اتجاه التحول الإنساني وما بعد الإنسانية بالأحلام والطموحات والخيالات الجامحة، فالخيال العلمي المحتفي بمفهوم التقدم والتجاوز لكل الاعتبارات حتى وإن كانت أخلاقية أو دينية، ألم المفكرين والفلسفه والسياسيين ومنهم فرصة مشاهدة كيف يبدو المستقبل البشري في ظل التطورات التكنولوجية. على أساس أن الخيال شرط الإبداع، فلو لم يتخيل الإنسان الطيران، لما تحقق له هذا الحلم عبر التقنيات، لذلك فهناك خيال يدعو إلى التفاؤل بالمستقبل والإمكانات العظيمة المتاحة أمام الإنسان، وهناك اتجاه متشارم ومتroxof من المستقبل، وتعد رواية "فرانكشتاين Frankenstein" للكاتبة البريطانية ماري شيلي Marry Shelley (1797-1851) سنة 1818 بداية أدبيات الخيال العلمي، وهذا وقد ساهمت "هوليود" في تقليص المسافة بين أدبيات الخيال العلمي والجمهور من خلال إنتاج سلسلة ضخمة من الأفلام والمسلسلات حول قضايا ومواضيع البحث الداعية إلى الإنسانية المتحولة أو ما بعد الإنسانية، مثل الكوارث، التحسين البشري، التعديل الجيني، الاستنساخ، تحويل الدماغ، والتخطاطر وغير ذلك.

ففي رواية الكاتبة ماري شيلي الصادرة سنة 1818 م (فرانكشتاين: أوبرومثيوس) حيث تدور أحداث الرواية حول شاب يدعى "فيكتور فرانكشتاين" المولود عام 1818م، والذي ينجح في إحياء مخلوق مرعب يخلقه من أجزاء جثث بشرية بواسطة التكنولوجيا، فتخرج مخلوق بحية بشريه ومتجاوز للحدود البيولوجية للبشر. ومن هنا، تتبع الرواية

¹ جان غاتينييه، أدب الخيال العلمي، ص ص 41، 43.

قصة هذا المخلوق وعلاقته بحالقه والعواقب الوخيمة التي تنتج عن تجربته الخطيرة، وتعتبر هذه الرواية من أهم الأعمال الأدبية في القرن 19 وتدخل في إطار أدب الرعب والخيال العلمي، وكذلك أول عمل أدبي تناول فكرة التطور التجاوز للإنسانية والعلاقة بين الإنسان والتطور والتكنولوجيا¹.

أما رواية "1984"، فهي من تأليف الكاتب البريطاني جورج أورويل (George Orwell) 1903-1950)، وتم نشرها في عام 1949م، وتدور أحداثها حول مجتمع خيالي يسمى أوشينا، حيث تسيطر الأنظمة الشمولية والتكنولوجية على كل شيء وتحكم في حياة الأفراد وأفكارهم وأفعالهم، فالرواية تتبع قصة شخص يدعى (وينستون سميث) الذي يحاول الانتفاض ضد النظام القائم، وهي تعد من أوائل الأعمال الأدبية التي تناولت موضوع ما بعد الإنسانية والتطور التكنولوجي².

تعمق بعض نصوص الخيال العلمي غالباً في فكرة تجاوز القيود البشرية من خلال التكنولوجيا أو الهندسة الوراثية أو وسائل أخرى، يستكشف هذا الموضوع إمكانية تطور البشر لتعزيز قدراتهم البدنية والإدراكية، إذ تصور رواية "عالم جديد شجاع" (Brave New World) 1932 لـ ألدوس هيسكسلி - وهي تمثل الجزء الأول من سلسلة عوالم رائعة- مجتمعاً بائساً، حيث تستخدم التكنولوجيا للهندسة الوراثية وتكييف الأفراد لأدوار محددة في المجتمع، كما تستكشف الرواية عواقب استخدام التكنولوجيا لتعزيز قدرات السلوك البشري والتحكم فيها، حيث يتم تصميم البشر وتربيتهم وراثياً منذ الولادة لتناسب أدوار مجتمعية محددة ولقمع الفردية، إذ يستخدم المجتمع تقنية الإنجاب المتقدمة لإنتاج مواطنين بسمات وقدرات محددة، وبالتالي تجاوز حدود التكاثر الطبيعي البشري، ويتم تصنيف الأفراد في هذا المجتمع إلى خمس فئات متفاوتة، كل منهم مصممة لدور معين في المجتمع، تقع فئة "الألفا" في أعلى التسلسل الهرمي وتليها فئة "بيتا" وقد تم تصميمهم وراثياً ليكونوا أذكياء و المتعلمين، أما في الطبقة الدنيا نجد فئة "جاما" التي تشير إلى الطبقة الشعبية، والطبقة الأخيرة تشمل فئتي "دالتا" و "الإبسيليون" اللتان تم تصميمهما ليكونا أقل ذكاء وأكثر ملائمة للمهام الوضيعة، ويحملن صفات قبيحة لهذا ت تعرض بويضات المنترين لهذه الفئة للبرد وتوقف نموها³. كما يتطرق الكاتب أيضاً لمكافحة الشيخوخة والأمراض، من خلال أخذ الحقن لزيادة نسبة الكالسيوم والمغنيسيوم أو نقل دم الشباب، وهناك فئة أخرى تسمى المتوحشون أو المتمردون، وهم أفراد قرروا محاربة هذه التحسينات

¹ ريهام حسن، ما بعد الإنسانية، الرقمية، بعد ما بعد الحداثة: الجنس الأدبي وتحولات العصر، مجلة روابط رقمية، عدد 1، 2018، ص 78.

² علال أحمد وخن جمال، ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الإنسانية، مجلة أبحاث، مجلد 6، عدد 1، 2021، ص 146.

³ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 110.

وبعاتها، لهذا فهم يختبئون في محبيات غير حضارية بعيداً عن التكنولوجيا ويتباعدون عن الحياة العادلة يقودهم شخص اسمه "برنارد ماركس"، هذا ويتم استخدام مفهوم عملية متطابقة متعددة من بوابة بشرية واحدة مما يتتجاوز كذلك القيود الطبيعية للتکاثر البشري، هذا وتشير الرواية أسئلة أخلاقية وفلسفية عميقة حول استخدام التكنولوجيا لتجاوز القيود البشرية، في حين أن هذا المجتمع قد قضى على العديد من المشاكل المرتبطة تقليدياً بالوجود البشري، مثل المرض والفقير، إلا أنه ضحى أيضاً بالفردانية والعمق العاطفي والاستقلالية الشخصية¹. وعليه تعد رواية عالم جديد شجاع بمثابة قصة تحذيرية حول المخاطر والعواقب المحتملة لتعزيز القدرات البدنية والمعرفية من خلال التكنولوجيا والهندسة الوراثية. وقد تم اقتباس الكثير من موضوعات وأفكار هذه الرواية لإنجاح فيلم Divergent من إخراج "بيل بيرجر"، وتم اصداره عام 2014م، حيث تدور قصة الفيلم حول عالم مستقبل ينقسم فيه الناس إلى فئات مختلفة حسب شخصياتهم وميولهم، وتتبع القصة شخصية تدعى (كريس) التي تكتشف أنها تنتمي إلى فئة نادرة تسمى "المتمردون" وتحاول الحفاظ على هويتها والتغلب على النظام الفاسد، ويصور الفيلم مواضيع مثل الهوية والتمرد والسيطرة والتحرر منها، مما يجعله يندرج تحت فئة أدب ما بعد الإنسانية².

مع بدايات القرن العشرين، وترافقاً مع تطور العلوم البيولوجية والجراحة التجميلية والأطراف الصناعية، أصبحت مثل هذه الموضوعات وما يمثلها مصدر إلهام للعديد من مؤلفي وكتاب الخيال العلمي. ونجد من أشهرها قصة "عالم النسيان رقم 90" لبرنارد وولف، وكذا قصة "من؟!" لأجيز بودريلز³، وال فكرة الجوهرية لكلاهما هي المزاج بين الكائنات البشرية والأطراف الاصطناعية، لشير قضية: ما الإنسانية؟ وإمكانية تغيير طبيعة جسم الإنسان؟ وما الذي يجعل الإنسان إنساناً؟

تتميز العديد من الروايات بشخصيات أو كيانات تمثل اندماجاً بين المكونات البشرية والآلية، وتحوّل الحدود بين العضوي والاصطناعي، وتحدى هذه الكائنات الآلية التعريفات التقليدية للإنسان. فهذه رواية "الخدعة البصرية" (1984) لويليام جيبسون، هي رواية رائدة في مجال "السايرينك" قدمت مفهوم الكائن الآلي واندماج البشر مع التكنولوجيا. في الرواية (كيس) هو بطل الرواية وهو قرصان كمبيوتر سابق أصيب جهازه العصبي بالضرر بسبب نشاطاته السابقة. يتم توظيفه من قبل صاحب عمل غامض لتنفيذ عملية

¹Littérature et transhumanisme

<http://unmondesanshuman.wordpress.com/litterature-et-transhumanisme/>

² تمت مشاهدة الفيلم عبر تطبيق نيتفليكس وأعطته الباحثة قراءة فلسفية.

³ جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل، ص 78.

سرقة في الفضاء الإلكتروني، وهو شبكة واقع افتراضي. لمساعدته في هذه المهمة، يخضع كيس لتعديلات جراحية ليصبح "راعي البرامج"، تشمل هذه التعديلات زرع منفذ مايكروسوفت في رأسه مما يسمح له بالاتصال مباشرة بالفضاء الإلكتروني. يتم تعزيز جسد (كيس) وعقله وربطهما بالเทคโนโลยيا، مما يطمس الحدود بين العضوي والاصطناعي. كما تضم الرواية أيضاً شخصية (مولى ميليونز)، وهي من مقاتلتي الشوارع الذين لديهم تحسينات سيرانية واسعة النطاق، بما في ذلك شفرات حلقة قابلة للطي تحت أظافرها وعدسات معكوسة مزروعة فوق عينيها. تجسد شخصية (مولى) اندماج المكونات البشرية والآلية، وتتحدى التعريفات التقليدية لما يعنيه أن تكون إنساناً. لهذا تعتبر رواية "الخدعة العصبية" عملاً كلاسيكيًّا من أدب الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث تستكشف موضوعات الفضاء الإلكتروني والسيبرنيكا وتأثير التكنولوجيا على الهوية البشرية¹، لقد كان لها تأثير كبير في تشكيل نوع ساير بانك، وكان لها دور فعال في مناقشات حول ما بعد الإنسان في عالم متقدم تكنولوجياً.

أما في رواية "الشتات" (1997) من تأليف جورج إيغان، فهي تشکك في استقرار وفردانية الهوية البشرية، حيث تدرس كيف يمكن أن تكون الهوية مجرأة أو سائلة أو موزعة عبر كيانات مختلفة، بما في ذلك الآلات والحيوانات والنظم البيئية مثال مقنع على عمل ما بعد الإنسان، وتشير إلى التجزئة وسيولة الهوية عبر كيانات مختلفة، بما في ذلك الآلات والحيوانات والنظم البيئية. كما يتعقد إيغان في عالم مستقبلي حيث يتعايش ويتفاعل الوعي الرقمي وأشكال الحياة الاصطناعية وكيانات ما بعد الإنسان². هذا وتتحدى الرواية المفاهيم التقليدية للهوية الفردية، حيث يمكن للشخصيات تحمل وعيها في أشكال مختلفة، بما في ذلك الأجسام الآلية والواقع الافتراضي، يمكنهم أيضاً تعديل هوياتهم وتجاربهم حسب الرغبة، مما يؤدي إلى شعور شديد بالسيولة والتوزيع بالذات.

تناول الكثير من أعمال الخيال العلمي الموجهة فلسفياً موضوع طبيعة الإنسان وفكرة تحميل عقل شخص ما استناداً إلى فكرة نسخ نمط معلوماته كالذكريات والصفات الشخصية في حاسوب فائق، هذا ما

¹ Jhon Sekar Jeyaraj, **Is transhumanism a threat to human existence**, p7.

² Ibid , p8.

جسدته رواية "مسخ المخ" لروبرت ساويRober Sawyer، حيث يسعى "جاك سوليفان"، الشخصية الرئيسية، إلى تجنب الموت وتحقيق الخلود من خلال نسخ مخه، ويحاول تحويل عقله في جسم اصطناعي¹.

تدرس بعض الروايات التفاعل بين العالم الطبيعي والتقدم التكنولوجي، وتطرح أسئلة حول تأثير التكنولوجيا على البيئة وإمكانية ظهور أشكال جديدة من الوعي البيئي. في رواية (أوريكس وكرييك)، يرسم(أند) مستقبلاً بائساً حيث أدى التقدم العلمي والتكنولوجي الحيوي إلى خلق الكائنات المعدلة وراثياً والتلعب بالعالم الطبيعي. تتبع الرواية قصة (سنومان)، أحد الناجين من كارثة عالمية، يتأمل ماضيه والأحداث التي أدت إلى سقوط الحضارة البشرية. كما أن الشخصية المركزية في السرد هي (كرييك)، وهو عالم لامع يقوم بإنشاء كائنات حية معدلة وراثياً تعرف باسمCrakers، تم تصميمها لتكون في مأمن من الأمراض وليس لديها ميل للعنف وتعيش في وئام مع الطبيعة. رؤية (كرييك) هي تصميم نسخة جديدة محسنة من البشرية تعيش بسلام مع البيئة، وتشير الرواية إلى عوائق التجارب العلمية والتلعب البيئي. إنها تستكشف التوتر القائم بين التقدم التكنولوجي والمسؤولية البيئية²، بالإضافة إلى إمكانية أن تخلق البشرية علاقة أكثر انسجاماً مع العالم الطبيعي من خلال التكنولوجيا الحيوية، إنها تجسّد الموضوع ما بعد الإنساني لتأثير التكنولوجيا على البيئة وإمكانية ظهور أشكال جديدة من الوعي البيئي.

ثم إنه مثل هذه الروايات غالباً ما تتصارع مع المعضلات الأخلاقية المتعلقة بالتحسينات التكنولوجية والهندسة الوراثية، ومعاملة الكيانات غير البشرية، إنها تشجع القراء على التفكير في الآثار الأخلاقية لهذه التطورات. لقد تم تعين رواية Girl (2009) من تأليف باولو باسيغالو في مستقبل حيث وصلت التكنولوجيا الحيوية إلى مستوى من التطور يتضمن إنشاء كائنات معدلة وراثياً، بما في ذلك "الأشخاص الجدد" أوWindups، تم تصميمهم وراثياً لخدمة الاحتياجات الإنسانية، لكنهم يثرون أيضاً أسئلة أخلاقية معقدة حول معاملتهم وحقوقهم. الرواية تعد بمثابة قصة تحذيرية حول المخاطر الأخلاقية للعبث بالطبيعة البشرية، وتعرض أيضاً موضوع الإنسانية المتحولة، وتميز بين الشخصيات البشرية والكائنات المعدلة وراثياً³. كما تستكشف الرواية قضايا متعلقة بالهندسة الوراثية والقرصنة البيولوجية واستغلال الكيانات غير البشرية لأغراض الكسب المادي، وتحدى القراء للتفكير في الآثار الأخلاقية لإنشاء واستخدام أشكال

¹ سوزان شنايدر، الخيال العلمي والفلسفة من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الاصطناعي، ترجمة: عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2011، ص 20.

² Jhon Sekar Jeyaraj, Is transhumanism a threat to human existence, p6.

³ Ibid, p 8, 9.

الحياة المصممة صناعيًا، وتحتل الأسئلة الحيطة بحقوق ومعاملة الشخصيات المصنوعة مكانة محورية في القصة، مما يدفع القراء إلى التفكير في الأبعاد الأخلاقية للتطورات ما بعد الإنسانية. وكذا تعمل الرواية كمثال يحفز الفكر في أدب ما بعد الإنسانية، ويعامل مع المعضلات الأخلاقية، ويشجع القراء على التفكير في عواقب التطورات البيو تكنولوجية لكل من البشر والكيانات غير البشرية في عالم المستقبل.

أما عن رواية "دورة حياة كائنات البرامج" (2010) للكاتب تيد شيانغ، فهي تتعقب في عالم الذكاء الاصطناعي والوعي الرقمي، حيث تدور القصة حول تطوير الرقميين، وهم كيانات رقمية تم إنشاؤها للتفاعل مع البشر والتعلم من تجاربهم. يثير هؤلاء الرقميون تساؤلات حول اللغة والتواصل وقيود الفهم. تتبع الرواية تحديات وتعقيدات تعليم وتربية هذه الكائنات الرقمية، التي تطور أشكالها الخاصة من التواصل والتعبير، ويستكشف عمل شيانغ كيفية تطور اللغة والتواصل في سياق الذكاء الاصطناعي والكيانات غير البشرية، مؤكداً على الحدود المتغيرة لفهم والاعتبارات الأخلاقية لإنشاء حياة رقمية تشعر، ثم تتحدى الرواية القراء للتفكير في تداعيات التكنولوجيا على اللغة والتواصل¹، بالإضافة إلى الأسئلة الأخلاقية والفلسفية المرتبطة بتطوير الذكاء الاصطناعي الذي يصل إلى الوعي الذاتي ويطمس الخطوط الفاصلة بين أشكال التعبير والفهم البشري وغير البشري.

إن أكثر مواضيع الخيال العلمي شيوعاً هم الرجال الآليين Robots، حيث يتم استكشاف علاقتهم مع الإنسان مبدعهم، وماذا يحدث إذا انقلب المخلوق على الخالق؟ فمنذ كارل كابك، كانت الغلبة دائماً للآليين على حساب البشر، إلى أن وضع إسحاق أسيموف Isaac Assimov (1920-1992) "قوانين الأنسنة الآلية"، وذلك بمنع أي آلي يعرض إنساناً للخطر². هذا وتجسد لنا رواية "مدينة" (1952م) للكاتب الأمريكي كليفورد سيماك Clifford Simak (1904-1988) رؤى مؤسس الإنسانية المتحولة نيك بوستروم، من خلال استشرافها مستقبل الإنسان الذي سيتحول إلى ما بعد الإنسان من خلال هجر طبيعته البيولوجية الجسدية واستبدالها بكيانات آلية أو رقمية، حيث استبدل سيماك في روايته وجود الإنسان بوجود الكلاب، أو ما أسماه ما بعد الكلب³.

¹ Ibid, p9.

² جان غاتينيو، أدب الخيال العلمي، ص 83.

³ إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 23، العدد 3، ص 149.

تعتبر رواية فيليب ك. ديك Philip K. Dick "هل يحلم الأندرويد بخراف كهربائية؟" (1968) مصدر إلهام لفيلم الخيال العلمي الشهير "بليد رانر Blade Runner" يقدم (ديك) مفهوم الأندرويد، وهي كائنات اصطناعية متقدمة للغاية يصعب تمييزها عن البشر في المظهر والسلوك، والشخصية الرئيسية (ريك ديكارد)، هو صائد جوائز مكلف بتدمير الأندرويد الخارجين عن القانون الذين هربوا إلى الأرض. وتحظى الرواية بسلة عميقة حول طبيعة الوعي وحدود الإدراك، بينما يطارد (ديكارد) الأندرويد، يبدأ في التشكيك في الآثار الأخلاقية والفلسفية للتمييز بين البشر والأندرويد، ويتصارع مع مفهوم أنه حتى الكائنات الاصطناعية التي يكلف بتدميرها قد تمتلك شكلاً من أشكال الوعي، مما يقوده إلى التساؤل حول معنى الشعور الحقيقي.¹ وهنا تتحدى الرواية القراء للتفكير في الجوانب الأخلاقية والفلسفية للذكاء الاصطناعي، وإمكانية وصول الآلات إلى الوعي الذاتي، وتؤكد على غموض الإدراك والهوية البشرية في عالم يصبح فيه الحد الفاصل بين الإنسان والآلة أكثر ضبابية، مما يجعلها مثلاً جوهرياً لأدب الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية.

نجد كذلك رواية (سيد الضوء) للكاتب زلزي تعالج موضوع تجاوز البشرية. حيث تدور أحداث الرواية حول مجموعة من الناس لهم قوى خارقة نتيجة بقائهم على قيد الحياة بعد حرب دمرت الأرض. بفضل التقنيات ما بعد النووية التي يمتلكونها، أصبحوا آلة وبنوا حضارة في كوكب آخر. لكن أحدهم رفض اضطهاد هذه الفئة الخالدة ضد الجنس البشري العادي، فقرر الكفاح ضدهم². ما نستشفه من هذه الرواية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الخلود والقدرة العلمية، وكذا محاولة تجاوز ثنائية: البشر-الآلة أو بشر-فضائيين المميزة للفكر الإنساني.

إضافة إلى أن العديد من الروايات تناقش عوالم ما بعد نهاية العالم أو عوالم بائسة، حيث أدى التقدم التكنولوجي إلى اختيارات المجتمع أو تحديات وجودية، وسلط الضوء على العواقب المحتملة للتقدم التكنولوجي غير المقيد. رواية "الطريق" (2006) لكورماك مكارثي هي رواية كئيبة تستكشف منظراً طبيعياً مدمرة وخرابياً في أعقاب حدث كارثي غير محدد، على الأرجح نهاية العالم النووي، تتبع القصة أباً وابنه الصغير أثناء رحلتهما عبر هذا العالم القاتم والمعادي، حيث يكافحان من أجل البقاء، في حين أن رواية "الطريق" لا تعمق في التطورات التكنولوجية المتقدمة، إلا أنها تجسّد نموذج ما بعد نهاية العالم، إذ تصور لنا عالماً آخر فيه المجتمع البشري وأصبحت الموارد شحيحة، ويجب على الناجين مواجهة معضلات أخلاقية وأبسط جوانب الوجود

¹ Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, pp 5,6.

² جان غاتيميو، أدب الخيال العلمي، ص 93.

البشري. كما تسلط الضوء على العواقب المحتملة للتقدم التقني غير المضبوط وتدھور البيئة¹، وتعكس أفكاراً حول قدرة تحمل الإنسان وهشاشة الحضارة، والرابط الدائم بين الوالد والابن. في حين أن السرد لا يرکز على التطورات التكنولوجية المتقدمة، إلا أنه يقدم عالماً ما بعد نهاية العالم يتشكل نتيجة آثار الأنشطة البشرية غير المراقبة، وهو مصدر قلق رئيسي في أدبيات التحول الإنساني.

وفي نفس السياق، نجد بعض النصوص الروائية تستكشف العلاقة المتغيرة بين البشر وأجسادهم في سياق التحسينات التكنولوجية والواقع الافتراضي والتجارب الرقمية، وتساءل حول الحدود الجسدية. حيث تدور على سبيل المثال أحداث رواية الكاتب ويليام جيبسون "الضوء الافتراضي" (1993) في عالم ما بعد البنك الإلكتروني (الساير بانك) القريب، حيث يكون الواقع الافتراضي المتقدم والتقنيات الرقمية تأثير عميق على التجارب البشرية والجسدية. تقدم الرواية مفهوم "الضوء الافتراضي"، وهي تقنية تسمح للأفراد بتجربة الواقع الافتراضي غامر لدرجة أنه يطمس الخط الفاصل بين العالمين الرقمي والمادي، تتناول القصة شخصيات تنتقل في عالم يتشابك فيه العالم الافتراضي والواقع المادي². وهنا تثير الرواية أسئلة حول تأثير التكنولوجيا على الإدراك البشري وطبيعة الجسد ودمج التكنولوجيا في التجارب البشرية.

تصور رواية الخيال العلمي "سنو كراش" (1992) للمؤلف نيل ستيفنسون عالم قریب من المستقبل، حيث أدى تطور الإنترن特 إلى عالم افتراضي متعدد الأوجه يُعرف باسم "الميتافيرس". في هذا المجال الرقمي، يتولى الأفراد شخصيات افتراضية يتفاعلون في بيئه عبر الإنترن特 متعددة الأوجه. وتستكشف الرواية كيف أعادت هذه التكنولوجيات التحويلية تشكيل المجتمع والثقافة والتفاعل البشري، وتعمق في مفهوم "سنو كراش"، وهو دواء له تأثير عميق على كلا العالمين الافتراضي والواقعي. فيقدم بذلك عمل ستيفنسون مجتمعاً تتلاشى فيه الحدود بين الواقع والافتراضي، ويكون فيه تأثير التكنولوجيا على الوجود البشري عميقاً. من خلال استكشافها للتداعيات المجتمعية للميتافيرس وتأثير التكنولوجيا على المعايير الثقافية، تعمل الرواية كنص ما بعد إنساني مميز³. إنه يتحدى القراء للتفكير في كيف يمكن للتقدم التكنولوجي أن يعيد تشكيل الوجود البشري والمعنى، سواء في المجالين الافتراضي أو المادي؟ وكيف تتكيف المجتمعات مع هذه التحولات الثقافية والاجتماعية والأشكال الجديدة من الوجود؟

¹ Jhon Sekar Jeyaraj, **Is transhumanism a threat to human existence**, p 9.

² Ibid, p10.

³ Ibid, p 11 .

وغالباً ما يجمع أدب الإنسانية المتحولة والبعدية بين العديد منها لخلق روايات غنية ومحفزة للتفكير، ويشجع هذا النوع القراء على التشكيك في المعايير المعمول بها والتفكير في تداعيات عالم تتغير فيه الحدود الفاصلة بين الإنسان وغير الإنسان باستمرار.

إن الكثير من الروايات في هذا المجال تمت ترجمتها إلى أفلام سينمائية تستشرف المستقبل، لعل من أقدمها وأبرزها فيلم "أنا روبوت" I Robot الذي تم عرضه لأول مرة سنة 2004، من إخراج أليكس بروياس Alex Broyas، من بطولة "ويل سميث" Will Smith، والذي يستشرف مستقبلاً يقوم على توظيف الذكاء الاصطناعي وما قد يتربّ عنه من مشاكل أخلاقية وواقعية. حيث أن قصته مستوحاة من رواية الكاتب الأمريكي إسحاق آزيموف (عظميوف)، وفي الحقيقة هي مجموعة قصصية صدرت سنة 1950م، حيث تحدث فيها تحديداً عن مستقبل الحياة البشرية في مدينة شيكاغو الأمريكية سنة 2035م، أين تشهد صناعة الروبوتات أوجها بحيث يتشكل صراع بين البشر والآلات الذكية¹.

لقد منحنا الخيال العلمي ألف لحة عما يمكن أن يكون الإنسان في المستقبل. فهذا فيلم "شفرة حلاقة" Blade Runner وهو فيلم أمريكي من جنس الخيال العلمي، ومن إخراج "ريديلي سكوت" سنة 1982م. وقد أخذ فكرة هذا الفيلم من رواية فيليب ك. ديك المذكورة سابقاً "هل يحلم الأندرويد بالخراف الكهربائية؟". وقد لاقى هذا الفيلم نجاحاً باهراً مما أدى إلى إعادة إخراجه عدة مرات، حيث تدور وقائعه حوالي عام 2019م، بمدينة لوس أنجلوس، أين تغمر مياه الأمطار الغزيرة اليابسة، مما يدفع السكان إلى البحث عن كوكب آخر للعيش فيه لأن كوكب الأرض أصبح غير صالح لذلك².

أما فيلم "لوسي" Lucy (2014)، عالج موضوع ما بعد الإنسانية والتحول البشري من خلال فكرة تسليل الأدمغة البشرية لوضعها في الآلات. حيث يروي قصة البطلة (كيس) التي كانت تحمل دواء CPH4 ملتصقاً بعدها، وعند القيام بخطفها، تلقت ضربة على منطقة البطن أفضت إلى تمزق كيس الدواء، مما أدى إلى ارتفاع قدراتها الذهنية مثل التخاطر وتحريك الأشياء عن بعد. وتصل في نهاية المطاف إلى الحد الأخير من قدراتها الذهنية، وبهذا المستوى العقلي الفائق يختفي جسدها ليقوم جوهراً بتصنيع كمبيوتر فائق، ثم تنزيله مع جميع المعلومات الجديدة التي اكتشفتها بدماغها المتقدم، وتركت المعلومات لبقية البشرية

¹ بشري بلبعلي، تطور الإنسان: التقدم المادي والتدهور الروحي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017، ص 60، 61.

² فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 81.

لتتعلم منها، وعندما تتساءل الشخصيات الأخرى أين ذهبت؟ ترسل رسالة تقول إنها الآن في كل مكان، مما يشبه القدرات الإلهية¹.

نجد كذلك فيلم الخيال الأمريكي "شريط تقرير الأقلية" Minority report "من إخراج ستيفن سبيلبرغ"، وقد تم عرضه عام 2002، واستوحى قصته من رواية لفيليب ك. ديك التي تحمل نفس عنوان الفيلم. تدور أحداثها حول التنبؤ بمستقبل مدينة واشنطن عام 2054، التي يحدث فيها تمرد سبيراني، ويستطيع بشر متاحلون اسمهم "البريكورغيون" أن يتبنوا بالجرائم بفضل قدرتهم على التنبؤ بالغيب².

يشير الفيلم السينمائي The last generation to die المعروض سنة 2015 إشكالية مصير الإنسان، إن كان سيتمكن من البقاء في هذا العالم القديم الإنساني، أم سيغير نحو عالم "ما بعد الإنسانية" الذي سيؤول إليه مصير البشرية، هذا الفيلم الذي ساهم في إعداده أحد أهم منظري ومؤسسي الإنسانية المتحولة ماكس مور، ما يعني أنه يقع في حقل الفلسفة المتوازية مع خط التطورات التكنولوجية بكل أبعادها³. بالإضافة إلى فيلم الخيال العلمي "رحلة إلى مركز الذاكرة" Total Recall "الذي أخرجه بول فرهوفن سنة 1990م، وأحداثه مستوحاة من قصة "ذكريات للبيع" للروائي فيليب ك. ديك، حيث يستشرف المستقبل وتحديداً سنة 2084، وتسرد قصة شخص يريد السفر إلى المريخ الذي يعيش فيه سكان خاصين به. لهذا فهو يتفق مع شركة برمجيات تتckلف بزرع ذكريات اصطناعية في دماغه. أما الفيلم السينمائي "الصورة الرمزية" Avatard فهو يعتبر جنس كوكب أوبرا الصادر سنة 2009م، من تأليف وإخراج "جيمس كاميرون". إذ يمكن مشاهدته بتقنية الأبعاد الثلاثية 3D، وأحداثه تتمحور حول عام 21541 في كوكب باندورا العملاق الغازي في نظام الفاستوري⁴. وهنا نلمس تصورات استشرافية لعالم ما بعد إنسانية، أين يتم تعزيز الإنسان.

على عكس الأفلام، نادرًا ما يُؤخذ مجال الموسيقى بعين الاعتبار عند تحليل قضايا ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة، على الرغم من أهمية هذه الموضوعات بالنسبة للعديد من وجهات النظر المهمة موسيقياً، كما يوضح ستيفان لورينز سورجنر كيف تظهر هذه القضايا في الأعمال الموسيقية والأوبرالية على سبيل

¹ إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص 152.

² فرانسوا جاكوب، الإنسان في مهب التقنية، ص 81.

³ قمت مشاهدة الفيلم في تطبيق نيتيفليكس وأعطيته الباحثة قراءة فلسفية.

⁴ المرجع نفسه، 81.

المثال من قبل مايكل نيمان، وفيليپ جلاس، وريتشارد فاغنر، أوسفين هيلبيج. وكذا كيف يتم استخدام التقنيات لأغراض التأليف، على سبيل المثال "عين الآلة" لNeil Haribsson (1982)، وكيف تتلاشى الحدود التقليدية بين التأليف والأداء، مثل "جايبي ديل فال". ولماذا وكيف يتم استخدام التقنيات الناشئة في المقطوعات الموسيقية، على سبيل المثال "كرافتورك" أو "بيورك"¹. وفي جميع الحالات المختلفة، يتم معالجة التحديات الوجودية والأخلاقية المطروحة.

أما في المجال الفني، فإن محاولة إيجاد جذور ما بعد الإنسان في الفن تظهر في محاولة الجمع بين الجسد الإنساني والتكنولوجيا أو أجزاء غير بشرية كالحيوانات أو الحشرات أو المعادن، وهي أفكار تم طرحها قبل التقنيات الحيوية في نبوءات الأساطير القديمة، مثل "أبو الهول"، "الرجل والقنطرة"، سيران الحوراء"، "مصالحة الدماء"، "المستذئبين"، و"السايبورغ"². وقد اختلفت ردود الأفعال الصادرة عن الفنانين والأدباء اتجاه فكرة الإنسان المتحول وما بعد الإنسان بين من يحتفي بقدوم هذا العصر ومن يتوجس الخوف ويتقد هذه الحالة .

لقد عكف بعض الفنانين في بداية ظهور الفن السوريالي في القرن التاسع عشر على تصوير ما بعد الإنسان من خلال اختلاطه بالأكياس والآلات، في موقف سخرية مثل عمل "رينيه ماغريت René Magritte" ، حيث قدم في لوحته صورة أنف ممدوّن داخل أنبوب أداة التدخين، مشيراً إلى اتصال الأنف بالرأس الذي يدخن نفسه. كما لجأ فنانو آخرون في أعمالهم الفنية إلى دمج الإنسان بالдинاميكية، فنجد مثلاً "أمبروتو بوكيوني" Umberto Boccioni بعنوان الاستمرارية في الفضاء، حيث جسد ذلك في عمله الفني المتمثل بالجسم البوكيوني Boccioni، ذراعين، دلالة على الدور الذي ستلعبه الآلات في جسد الإنسان. ويمكن اعتبار الروبوتات التي تؤدي وظائف إنسانية أوضح مثال عليها³.

يتناول دونالد ب. أو ما ثونا Donal B. Omathona في مقاله: "قضايا ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة" ، موضوعات ما بعد الإنسانية البارزة في هذا المجال الفني. إذ يتم التركيز بشكل خاص على موضوعات مثل فهم التقنيات (ستار تريك)، والنزعة المركزية البشرية (مثل أعمال Blade runner بلaid رانر أو رجل المثوية الثانية أو أنا روبوت). وكذا المشاكل المتعلقة بالتقنيات، مثل فيلم متروبوليis أو التحكم في

¹ Robert Ranish, Stefan Sorgner, **Introducing post_tranthumanism**, pp 24, 25.

² أسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص 145.

³ المرجع نفسه، ص 146.

التتطور مثل أعمال دكتور "جيكل وسيد هايد" وأنا أسطورة، أو (2001: أوديسة الفضاء وأفاتار). وكذلك، موضوع الظلم كأعمال: "آلة الزمن" و"عالم جديد شجاع"، "جاتاكا"، أو موضوع تحديد الجسد في أعمال: البدلاء وسماء الفانيلا¹، بحيث يتعرف القارئ على بعض من أهم موضوعات ما بعد الإنسانية والتحول الإنساني.

يُعتبر الأسترالي ستيرلاك من أبرز الفنانين التعبيريين المهتمين بتبيان إمكانيات الأعضاء البشرية، وتحسينها للقيام بوظائف جديدة. وقد اختص في الفن الجسدي الذي ينجز فيه بين الجسد البيولوجي ومكونات إلكترونية أو روبوتية، من منظور أن الجسد البشري لا بد من تجاوزه. لهذا، فهو يعتبر أحد مروجي الإنسانية المتحولة فنياً، حيث يعمل على الترويج الفني والثقافي للكشفات الجارية في حقل البيوتكنولوجيا ومحططاتها لتعديل الإنسان². لهذا نجد من أشهر مشاريعه قيامه بزراعة أذن ثلاثة ثلاثية الأبعاد تحت جلد ذراعه الأيسر، والتي تحتوي على ميكروفون ورقة إلكترونية وظيفتها أنها تمكن الجميع في أي مكان كانوا من سماع ما تلتقطه من أصوات بواسطة الإنترنيت، وبهذا يتم تطوير القدرات السمعية للعديد من الأشخاص وليس فرداً واحداً فقط. والقصد من ذلك هو التأكيد على فائدة التكنولوجيا في تحرير الإنسان من قيود الزمكان وقيوده البيولوجية.³.

لقد تناول الأدباء والفنانون كذلك قضايا المخاطر الوجودية للبحث العلمي والتكنولوجي على مستقبل الإنسان كخطر سيطرة الذكاء الاصطناعي، والإرهاب البيولوجي، والإرهاب الإلكتروني، وتقنيات النانو وغيرها. وقد صاغوها في شكل أعمال فنية، إذ نجد على سبيل المثال مشروع "دليلبقاء على قيد الحياة بعد الإنترنيت" Post internet sur vival، هذا الكتاب الذي يضم أعمال العديد من الأدباء والفنانين كدليل لمستقبل البيئة والإنتروبوبسين من خلال محاولة تجاوز الجسد البيولوجي إلى الجسد الآلي، والذي يتمثل في سايبورغ. وحسب توبي Neilson Toby أن المخاطر الوجودية والأخلاقية للتتمرّكز البشري أو الإنترروبوبسين يمكن تخطيها من خلال الانتقال إلى إنترروبوبسين مع بعد الإنسان، أين يمثل هذا النموذج المبتكر الجديد انفراضاً للإنسان، حيث يرسم توبي شكلين لما بعد الإنسان في هذا النوع الجديد للإنسان: أحدهما

¹ Robert Ranish, Stefan Sorgner, **Introducing post_transhumanism**, p26.

² ريهام حسني، ما بعد الإنسانية الرقمية، بعد ما بعد الحادثة: الجنس الأدبي وتغولات العصر، ص 77.

³ يمكن مشاهدة هذا العرض وعرض آخر من خلال هذا الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=ZNdv8i1w9NC>.

تكنولوجي والآخر بيئي. هذه الأفكار التي يعتقد بها نيلسون توي نجد لها تحسيداً في فيلم (نيا: المرأة الاصطناعية)، حيث وجود بقايا كوكب من نفايات المستهلكات البشرية عبر قرون، وقد تمكّن أحد سكانه من النجاة، وهي(نيا) التي على الرغم من شخصيتها اللاجنسيّة، لديها أيضًا جهاز إلكتروني مدمج في دماغها يجعلها قادرة على التواصل مع والدها (المتحكم عن بعد). هذا ويوضح الفيلم جشع الرأسماليين والعلماء لنقل الجينات غير البشرية -من نيا-للجنس البشري، مما يؤدي إلى انفراط البشر طوعاً دون إرادة حرّة منهم¹.

كما نجد من أبرز القضايا المستقبلية الاستشرافية التي تخيلها الفنانون للدلالة على الواقع الجديد للإنسان والتي عبروا عنها بأعمال فنية في معارض خاصة بما بعد الإنسان، لعل أهمها المعرض الذي نظمه تاجر الأعمال الفنية جيفري ديتتش Jeffrey Deitch بعنوان "ما بعد الإنسان" سنة 1991م، والتي صور فيه أشكال التقدّم التكنولوجي الحيوي والحاوسي والذكي التي شكلت مفهوم الإنسان المعاصر².

تم تنظيم معرض " فوق الإنسانية " Superhumanism في صيف 2012، في مجموعة ويلكوم بلندن، عرضت فيه مجموعة من الوسائل والأدوات ومجسمات تشير إلى أفكار الإنسانية المتحولة. مثلاً، كان هناك تمثال صغير "الطائر للايكاروس" ، "كرمز للتعزيز البشري" ، وكذلك أجهزة مختلفة يعتقد أنها تمثل تحسينات مبكرة، مثل النظارات، وطعم الأسنان، وأحذية الجري، وأطراف اصطناعية، وصور لأبطال خارقين من القصص المصورة، وشريحة إلكترونية مشابهة لتلك التي زرعت في ذراع كيفن وارويك، وكرسي متحرك آلي يتتحرك من تلقاء نفسه عبر الغرفة، وأخيراً مقاطع فيديو تعرض بعض المشهورين بالتعزيز البيولوجي، أمثل: "جولييان سافولييسكو" ، "جون هاريس" ، "أندي ميا" ، "أندرس ساندبيرج" ... وغيرهم³.

2. الإنسانية المتحولة في المخبر:

إن الأفكار التي تدعو إليها حركة الإنسانية المتحولة لم تعد مجرد خيال، بل واقع. فحسب لوك فيري، هناك تجارب حقيقة تثبت ذلك، لعل من أبرزها قيام فريق من علماء وراثة صينيون في 18 أبريل 2015 بإجراء تجربة على 83 جيناً بشرياً بهدف إصلاحها أو تحسينها، وذلك بالاعتماد على تقنية "المقص".

¹ إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص ص 151، 152.

² المرجع نفسه، ص 148.

³ المرجع نفسه، ص 149، 150.

عمليات قص ولصق تسلسل الحمض النووي قد تقدمت وتطورت بشكل كبير مؤخراً، حتى أن التكنولوجيا الحيوية أصبحت قادرة على تعديل التراث الوراثي للأفراد تماماً كما يتم فعله منذ فترة طويلة لحبوب الذرة والأرز والقمح من تعديل وراثي عليها. وبالرغم من هذا، فإن فيري يؤكد أن تعديل الإنسان لم نصل إليه بعد، لكن الأبحاث جارية ومتسرعة في هذا الصدد¹. ولويوضح ذلك، يورد لنا فيري مثال عن مرض التهاب القرنية retinitepigmentaire، الذي أدى إلى الإصابة بالعمى للعديد من الأشخاص داخل فرنسا وخارجها، مما جعل مؤسسة ألمانية تعمل على تطوير رقاقة إلكترونية تسمح، بمجرد أن تُزرع خلف شبكية العين من استرداد بصره جزئياً، وهذا من خلال تحويل الضوء إلى إشارات كهربائية وتنقلها إلى الشبكية عن طريق قطب كهربائي لتصل إلى المخ، أين يتم ترجمتها إلى صور².

لقد تمكّن العلماء من خلال مجموعة الأبحاث من امتلاك القدرة للتلاعب الجيني من أجل إطالة الحياة. حيث صرّح مدير قسم أبحاث طب الشيخوخة في كلية الطب بجامعة "إلينوي" illinois في الـو.م.أ البروفيسور أندري بارتک Andret Bartke، في مقال له بعنوان: "الجينات المطيلة للعمر والعلاقات بين هرمون النمو والنمو مع الشيخوخة"، أنه من خلال مجموعة من الدراسات التي أقيمت على الخميرة والديدان والذباب، توفرت أدلة كثيرة على وجود جينات تتحكّم بالشيخوخة وطول الحياة³.

وفي نفس السياق، تمكّن العلماء في سنة 2000 من إطالة عمر كائن حي عن طريق العقادير. حيث أقيمت التجربة على ديدان مجهرية بعدما تم فك رموز جيناتها، وأكّدت التجارب التي أقيمت حول جيناتها أن 40 بالمائة منها تتطابق مع تلك الموجودة عند الإنسان. وتوصّل العلماء في النهاية إلى أن العقادير كان بإمكانها أن تساهم في إطالة العمر. كما اكتشف فريق من الباحثين في جامعة "كونتيكت" connecticut الأمريكية نهاية سنة 2000 جيناً جديداً اسمه العلمي "أندي" Andi، الذي باستخدامه ازداد عمر ذبابة الفاكهة، التي جيناتها تتشابه مع جينات الإنسان بنسبة كبيرة. هذا بالإضافة إلى اكتشاف جين "Oct4" أو "ينبع التشبيب" الذي يؤخر الشيخوخة نوعاً ما⁴.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 4.

²Ibid, p 9.

³سفيان عمران، البيوأтика ومستقبل الإنسان عند فرنسيس فوكوياما: تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، مجلد 13، عدد 22، الجزائر، 2022، ص 514.

⁴طارق قايل، البحث عن إكسير الحياة: شباب دائم في القرن الحادي والعشرين، مجلة التقدم العلمي، العدد 98، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2017، ص ص 16، 17.

تمكن معهد مكافحة السرطان في مدرسة الطب "جامعة هارفارد" في عام 2010م، من تшибيب الفئران من خلال تثبيط إنتاج "جزيئات التيلوميراز" التي تفرزها الفئران بشكل طبيعي، والتي تبطئ عملية الشيخوخة. وبإعادة تفعيلها لوحظ من قبل الخبراء أن الدوائر العصبية التالية لدى فئران التجارب قد استعادت وظائفها واسترجعت فعاليتها، وكذا قد تجددت أعضاء الطحال والكبد والأمعاء. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتم فيها الكشف عن سيرورة الشيخوخة يمكن عكسها¹. وقد تم وضع الفكرة في سيناريو فيلم قصة "بنجامين باتونBenjamin Button"، حيث يستعيد البطل "Brad Pitt" شبابه بمرور الوقت. إنما فكرة ملهمة بالنسبة للإنسانية المتحولة، هذا ما جعل الباحث أوبيري دي غراي في مشروعه SENS يحدد السبع أسباب للشيخوخة، ما يعني أنها مجرد عرض.

هذا ما شجع أبحاث الإنسانية المتحولة على السعي لتطوير تجربة خلق كائنات حية وحيدة أو متعددة الخلايا، والشحن، وتنمية الإحساس بالسعادة، وتعزيز الإدراك والذكاء، والإعلاء من القدرات الجسدية. هذه المهام هي محاولة لتحقيق إكسير الحياة الذي حلمت به الإنسانية من أجل إطالة العمر وعلاج الأمراض، أو تحقيق "ينبوع التшибيب" المؤثر للحلم البشري بالخلود، مع فارق أن الإكسير والينبوع هما مجرد أحلام وتخيلات، في حين أن مشروع الإنسانية المتحولة هو مشروع علمي تكنولوجي فعلي، يتأسس بدعم أيديولوجي وسياسي ومالي فعلياً من طرف الشركات المتعددة الجنسيات ووادي سيليكون Valley، بحثاً عن الإنسان المعدل Amélioré، أو المقوى أو المستزاد Augmenté، إما بالتحسين أو التهجين.

من جانب آخر، أنشأ طبيب الأعصاب جون دوناهو John Donahoe (1960-) مع فريقه واحداً من أول أجهزة واجهة الكمبيوتر الدماغية التي أطلق عليها اسم "لعبة الدماغ" لفك الارتباط بين الأفكار والعمل. إذ قام جون بزراعة جهاز "بوابة الدماغ" في (مات ناجل)، المصاب بالشلل الرباعي، والآن أصبح قادراً على التحكم في مؤشر الكمبيوتر مباشرةً بعقله. لذا فإن فكرة الكمبيوتر بأكمالها هي مساعدة الشخص المصاب بالشلل ليتمكن من التحرك مرة أخرى، أو يكون قادراً على التواصل أو التفاعل مع العالم. حيث حقق جون دوناهو هذا الإنجاز باستخدام أجهزة الكمبيوتر لقراءة إشارات الدماغ داخل جمجمة(مات). وقد تم تطوير أول تقنية للقيام بذلك في عشرينيات القرن العشرين. إذ اخترع الطبيب النفسي الألماني هانز بيرجر Hans

¹ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 83، 84.

Berger (1873-1941) أداة أطلق عليه اسم "خطط كهربائية الدماغ" EEG، يقيس الجهاز النشاط الكهربائي للدماغ من خلال الجمجمة، ويمثله خطوط معقدة على الرسم البياني، حيث اختر جون دوناهو الخطوط التالية الصعبة للغاية، وهي فك الرموز البيانية العقلية للشخص لتحرير جسده.

كما نجد شخصية نيل هاربيسون Neil Harbison، الذي يعتبر أول تشخيص لمفهوم السايبورغ، إذ تم الاعتراف به قانونياً، حيث ولد بمرض عمى الألوان، وقد تمت زراعة جهاز هوائي في جمجمته يمكنه من التغلب على إعاقته من خلال سماع الألوان بواسطة هذا الجهاز، بل وقد وسع من نطاق حواسه اللونية بإدراج الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية في جدول أصوات الألوان¹.

كما تم تجهيز شخص آخر بأطراف روبوتية اصطناعية يتم تسييرها عصبياً، بعد أن فقد ذراعيه إثر صعقة كهربائية، وتم ذلك في مختبر "أوتوبوك" Ottobock بالنمسا الرائدة على مستوى العالم في صناعة الأطراف الاصطناعية². وقد تمكنت الفنانة المتخصصة في البيوآرت (فن البيولوججي) والباحثة الهولندية جليلة السعدي من تصميم جلدا بشريا من حرير العنكبوت، قوي إلى درجة عدم اختراقه من قبل رصاصة تطلق بسرعة 329 مترا في الثانية³.

لقد أصبحت أفكار التحول البشري أيضاً قضية ذات أهمية متزايدة في أخلاقيات البيولوجيا الطبية الأكademie. ويشارك عدد غير قليل من خبراء أخلاقيات البيولوجيا ذوي التوجهات الليبرالية، غالباً ما يكون لديهم تعاطف مع أخلاقيات النزعة النفعية، والمشار إليهم أحياناً باسم "البيو ليبراليين". وخلال العقدين الماضيين، أنتجت العديد من المؤلفات حول القضايا الأخلاقية والقانونية للاستخدامات غير العلاجية للتكنولوجيات البيولوجية. ويشمل ذلك أسئلة تمس المرضى الذين يستخدمون أدوية نفسية أو العقاقير للحفاظ أو زيادة الوظائف الإدراكية، أو الآباء الذين يختارون لأبنائهم صفات جينية معينة، وعموماً تحمل هذه النقاشات حول التحسين البشري تشابهات مع خطاب الإنسانية المتحولة. وعلى الرغم من أن التحول الجذري للإنسانية ليس هو المحور الأساسي لجميع البيو ليبراليين، فإن البعض منهم يرجون علاجية باستخدام تقنيات التحسين المتطورة، ويعتبرون استخدامها واجباً أخلاقياً.

¹ خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، ص 627.

² فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 82.

³ المرجع نفسه، ص 83.

3.أعضاء وجمعيات الإنسانية المتحولة:

إن أهداف الإنسانية المتحولة بعضها قابل للتحقق على المدى القصير والمتوسط، والبعض الآخر أقل قابلية للتحقق. وعموماً، من غير المناسب اعتبارها مجرد تكهنات أو خيال علمي، حيث يتمتع ممثلو الإنسانية المتحولة بالموارد المالية والخبرة العلمية والتكنولوجية ووسائل التطوير الهائلة. ثم إن أغلب ممثليها أعضاء في الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة أو في هيئات أخرى مشابهة في الــو.م.أ. وكذا فلاسفة ورياضيين وعلماء كمبيوتر، ينتمي معظمهم إلى جامعة ستانفورد (كاليفورنيا)، وتمويلها شركات صغيرة وكبيرة في وادي السيليكون¹.

لقد بدأت حركة الإنسانية المتحولة في التعريف عن نفسها أكاديمياً منذ عام 1980م بجماعي كاليفورنيا ولوس أنجلوس، أين تم تأسيس تنظيم ضخم برئاسة ناتاشا فيتامورو FM-2030 اللذان نظما عدة اجتماعات وندوات لسنوات عدة، إلى أن أعدت ناتاشا فيتامور حصة تلفزيونية عن الإنسانية المتحولة بعنوان² "Tranconturey Update"

لم تكتسب الإنسانية المتحولة زخماً كحركة إلا مع تأسيس الإنترنيت كشبكة اتصال عالمية واسعة النطاق، خلال التسعينات. تأسست العديد من المؤسسات والهيئات المحلية التي ساهمت في نشر أفكار الإنسانية المتحولة، نجد أبرزها:

أ-معهد الأكستروبيا: Extropy institute

تأسس في أوائل التسعينات، وتحديداً سنة 1992، من قبل ماكس موربجية زميله توم مورو TomMorrow، حيث قاما معاً بتحرير مجلة لنشر أفكار الإنسانية المتحولة، تُسمى Extropy منذ عام 1988م. والمهد من هذا المعهد هو تحفيز المجتمع للاندماج ضمن هذه النزعة والدعوة إلى استغلال التقنية لتجاوز حدودنا الفيزيقية والنفسية والعقلية، ويظهر هذا من خلال مبادئ ماكس مور التي تم ذكرها سابقاً.³

ب-الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة (WTA)

¹Vévinique Bontemps, pour l'équipe de rédaction, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Bruxelles, mais 2015, p 8.

² محمد جيدى وآخرون، البيوتيقا وطبعتنا الإنسانية المنشئة، ص 148.

³ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 252.

منظمة دولية غير ربحية تأسست سنة 1998، على يد نيك بوستروم وديفيد بيرس David Pearce (1959-)، بهدف مواصلة النضال من أجل إضفاء الصبغة الرسمية على هذه الحركة، وقبل أن ينحرف بوستروم عن التيار الرئيسي للإنسانية المتحولة في السنوات الأخيرة، كان صوتاً أكاديمياً رائداً في هذه الحركة في العقد السابق، خاصة من خلال دوره كمدير لمعهد مستقبل الإنسانية في جامعة أكسفورد، الذي جعل الإنسانية المتحولة في متناول جمهور أكاديمي أوسع. وتترأس الجمعية اليوم ناتاشا فيتامور، وتشرف كذلك على تحرير وإدارة ونشر مجلة H+ Magazine.¹ وتعتبر هذه المنظمة من أشهر مؤسسات الإنسانية المتحولة، وقد قدمت تعريفاً لها معترفاً به على نطاق واسع. وعلى الرغم من حذف هذا التعريف في الإصدار الأخير (3.0) لها إلا أنه لا يزال يلخص العناصر الأساسية لهذه الحركة، حيث تعرف التحول البشري كما يلي: "حركة فكرية وثقافية تؤكد إمكانية تحسين الحالة الإنسانية بشكل جذري من خلال العقل التطبيقي، خاصة من خلال تطوير وجعل التقنيات متاحة على نطاق واسع للقضاء على الشيخوخة وتعزيز القدرات الفكرية والجسدية والنفسية للإنسان بشكل كبير".²

تعتبر الإنسانية المتحولة اليوم هي شعار لمجموعة متنوعة من الحركات الثقافية والسياسية والفلسفية وال الرقمية، والتي تعزز الرؤى التكنولوجية المستقبلية حول تجاوز علم الأحياء البشرية. حيث تسعى لتوظيف التقنيات الفائقة لتعزيز قدرات الإنسان وصولاً به إلى مرحلة ما بعد الإنسان. لهذا فإن جل أهدافها تنحصر في النقاط التالية:

-استشراف مستقبل بشري أفضل من خلال تخطي المحددات الجسدية للإنسان.

-إحلال التوافق بين التكنولوجيا والإنسان، أي أنسنة التقنية.

-الإقرار بحق الإنسان في تعديل وتعزيز قدراته البيولوجية.

-عدم انجذاب حركة الإنسانية المتحولة لأي أيديولوجيا أو مذهب قومي أو سياسي.³

ج-منصة الأخلاق والتكنولوجيات الناشئة: IEET

¹ محمد جيدوي وآخرون، البيوأтика وطبيعتنا الإنسانية المنشطة، ص 148.

² Nick Bostrom et al. **The Transhumanist FAQ**, v2.1. World transhumanist Association. Webpage : nickbostrom.com/transhumanist.pdf

³ مارتن ريز، ساعتنا الأخيرة: إنذار من عالم، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 384، 385.

تأسست في عام 2004 مبادرة من نيك بوستروم وجيمس هافر، وتعتبر IEET اليوم أحد أهم المنصات للإنسانية المتحولة، حيث تعزز الشكل الليبرالي الديمقراطي لهذه الحركة والذي يسمونه "التكنوبوليكتيكية". وتنشر IEET أيضاً مجلة إلكترونية محكمة بعنوان journal of Transhumanism وهي واحدة من أبرز الهيئات الأكادémie لأفكار سابقاً باسم Journal of Evaluation and Technology الإنسانية المتحولة.

د- جمعية تيكنوبروغ : "Technoprog"

تأسست سنة 2007، بفضل جهود فريديريك فريديريك بالمونت Frédéric Balmont، وستيفان جوناري Stéphane Gounari، وألبرتو ماسالا Alberto Masala، حيث يؤمن فلاسفتها بأن مشروع التحول الإنساني يسعى إلى الارتقاء بالإنسان بيولوجياً وذهنياً من منطلق أن الطبيعة البشرية لم تكتمل بعد. تضم أغلب فلاسفة وعلماء ومحترفي كمبيوتر في أوروبا، وتمثل الاتجاه المعتدل للإنسانية المتحولة الذي لا يريد الخروج والنأي بعيداً عن قيم ومبادئ إنسانية الأنوار: الحرية، المساواة والكرامة، لهذا فهم يرفضون أي شكل من أشكال التطرف في استعمال التقنية، وحضرت أهدافها في الدفاع عن مستقبل أفضل للإنسانية، كما صرَّح بذلك رئيسها الحالي مارك رو Marc Roux.¹ ونجد من أبرز مثالٍ لهذه الحركة الفيلسوف الفرنسي لو克 فيري الذي حاول أن يضفي عليها الصبغة الإنسانية.

هـ- جامعة التفرد التكنولوجي : Singularity University

، قام صاحب كتاب "الفرد التكنولوجي" راي كيرزوبل مع بيتر ديمينديس منشئ جامعة الفضاء الدولية (INU) في سنة 2009 بتأسيس "جامعة التفرد"²، التي تحمل شعار "اجعل المستقبل ممكناً" ، والتي تقع في "وادي السيليكون" ، في مركز أبحاث ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) الداعمة مالياً لها، كما تتلقى الدعم من مؤسسة (X-Priz) وهو صندوق متخصص لدعم الابتكارات الثورية التي تهدف إلى تحسين حياة البشرية جماء. لهذا، تعتبر تيار ذو توجه ليبرالي رأسمالي متأثر ببراغماتية جون ديوي John Dewey (1859-1952) وشارلز ساندرس بيرس Peirce، وفعالية جيريمي بانتام Jeremy Bentham (1748-1832).

¹Béatrice Jousset-Courtrier, Le transhumanisme, p24.

²موقعها الرسمي: <http://Singularity.org>

هو التعريف بأهداف حركة ما بعد الإنسانية ولفت الانتباه إلى التقنيات الناشئة، خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي والآلات الذكية والروبوتات والسايبورغ¹.

نجد من أبرز منفذي مشروع الإنسانية المتحولة في روسيا (حركة روسيا 2045) وهي حركة اجتماعية يرأسها د. إيتسكوفي، تعمل مع حزب (التطور 2045) والتجمع الدولي (مبادرة 2045) على مشروع "أفاتار"Avatar، ويشمل المراحل التالية:

-من 2010 إلى 2015: إنشاء نسخة اصطناعية من جسم الإنسان تدار ذهنياً باستخدام واجهة عصبية.

-من 2020 إلى 2025: إنشاء نسخة اصطناعية من جسم الإنسان، يمكن زراعة دماغ له في نهاية الحياة.

-من 2030 إلى 2035: إنشاء نسخة اصطناعية للشخص الذي ينقل إليه الوعي في نهاية الحياة.

-من 2004 إلى 2045: إنشاء جسم ثلاثي الأبعاد.²

ولقد تم تقديم مشروع تقارب العلومNBIC رسمياً في الو.م.أ سنة 2002، في الوقت نفسه الذي اعتمد فيه بيان الإنسانية المتحولة. بعد أن قام أكثر من 50 باحثاً أمريكياً بطلب من المجلس القومي الأمريكي للعلوم والتكنولوجيا بالتخطيط لمستقبل الحضارة الإنسانية، نتج عن ذلك تقرير من 400 صفحة سنة 2003 بعنوان "تقريب التكنولوجيات لتعزيز الفرص البشرية"، يحتوي على مشاريع ضخمة حول توسيع قدرات وإمكانيات العقل والجسد البشري.³

يشكل وادي السيليكون Silicon Valely، الواقع في إحدى مناطق خليج سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، الحالة الأكثر انطباقاً لمعنى أن تكون التكنولوجيا العالية هي القدرة المستقلة الذاتية التي تتجه لنفسها وصياغة «عالم آخر» بساكنيه وببياته ولوازمه. في هذا الوادي، تقيم شركات التكنولوجيا العملاقة وغيرها التي يفوق عددها 1000 شركة، منها Apple, Intel, Tesla, Facebook, Twitter,

¹Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, pp 61, 62.

²فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 274، 275.

³المراجع نفسه، ص ص 263، 264.

وفيه جامعةStanford التي تخرج علماء الوادي والمبرجين والباحثين، وفيه مختبرات التقانة الحيوية، ومراكيز الأبحاث والمعاهد، وتجسد فيه وحدة الحروف الأربع NBIC. ويعتبر "ملوك الوادي" هم أصحاب هذه الشركات، وملوكها، وعلماؤها، والمبرجون، والمهندسوون هم من أوصلوا الخوارزميات إلى تشكيل الرحم الرقمي، وهم تحديداً من يتحكمون بالفضاء السيبراني في جنباته. إذ لا يتحركون كملوك أو أمراء أو نبلاء، بل يتصرفون كآلة نتيجة تحكمهم في التقنيات المعاصرة.

لقد نالت حركة الإنسانية المتحولة من وجهة نظر لوك فيري الاعتراف العالمي السياسي والعلمي والثقافي بعد جهود ونقاشات كبيرة من قبل مؤسسيها سواء في الو.م.أ أو في الاتحاد الأوروبي. ويمكن إجمال هذه الجهود في أربع تقارير كبرى:

-التقرير الأول: أعده مختصون من الو.م.أ سنة 2002، ونشر سنة 2003 تحت عنوان "تطاير التكنولوجيا الموجهة إلى زيادة القدرات الإنسانية: النانو تكنولوجيا، البيوتكنولوجيا، تكنولوجيا المعلوماتية، والعلوم المعرفية" أو NBIC، حيث تم التعريف بهذه العلوم وتقنياتها، ولفت الانتباه إلى ما يمكن حدوثه في حال تقاربها. هذا الأمر الذي تم وصفه من قبل أنصار التحول الإنساني بالتفاؤلي والإيجابي وأنه سيحسن من حياة البشرية بشكل لا يمكن وصفه.¹.

-التقرير الثاني: تم تحريره هذا المقال سنة 2003 من طرف لجنة البيوإتيقا الأمريكية تحت عنوان: "ما بعد العلاج: البيوتكنولوجيا والباحث عن السعادة". هدفه التعقيب على التقرير الأول الذي يبدو فيه شدة الافتتان والولع بالعلوم المتقاربة ومخرجاتها، دون محاولة لضبطها أخلاقياً، هذا ما أثار حفيظة البيومحافظين الذين حذروا كثيراً من هذه التقنيات الميسّرة حسب وصفهم، لهذا عمل هذا التقرير على تخفيف حدة الصراع بينهم وبين البيوتقديمين.²

-التقرير الثالث: يعتبر أول تقرير أوروبي مخصص للإنسانية المتحولة، تحت إشراف المفتش "فيليب بيسكين"، وقد حرر سنة 2004 تحت عنوان: "الטכנولوجيات المتقاربة تمثل مستقبل المجتمعات الأوروبية"، والأفكار الواردة في هذا التقرير تتوافق مع الاتجاه البيولوجي الحافظ، محاولة التمسك بتقاليد إنسانية الأنوار التي تقرر بالتحسين في الجانب الاجتماعي والسياسي. أي أنه يعارض فلسفة الإنسانية المتحولة التي تنادي بالتحسين

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p16.

²Ibid, pp 16, 17.

البيولوجي والسياسي الفردي، إلا أنها لا تنظر إليها كأطروحة خرافية ميتافيزيقية أو يوتيوبية، بل تعتبرها واقع لا مفر منه.¹

-التقرير الرابع: حُرر من قبل مجموعة من باحثين وفلاسفة ألمان وكنديين، أمثال جيلبرت هوتوا، سنة 2009 تحت عنوان: "تحسين الوجود الإنساني"، وقد صدر عن البرلمان الأوروبي، يميل هذا التقرير إلى التفاؤل بهذه التقنيات المعاصرة، مع الإقرار بأن مشروع الإنسانية الانتقالية أمر واقع لا يمكن التملص منه.²

وكراءة نقدية يمكن القول أنه حتى ولو تمكنت هذه التقنيات الفائقة من إعادة تشكيل كياننا البيولوجي، فإن العضوية البشرية هي كل منظم وفق منطق غائي، وكل رغبة أو محاولة لتعديلها أو إعادة تشكيلها خلافاً لما هي عليه بالطبيعة، فإنها تعلن عن فنائها، فتأتي الإنسانية بالمضرة والشقاء بدل المصلحة والسعادة، وعليه فمن الخطأ المخاطرة عبر الانزياح من وراء غاية مبتدلة وهي التعزيز، لا يزال مناصري الإنسانية المتحولة يسعون للكمال مهما كان الثمن، لكن هذا المسعى يتعارض بشكل مطلق مع من يحترمون الطبيعة الأصلية التي وهبها الله لنا.

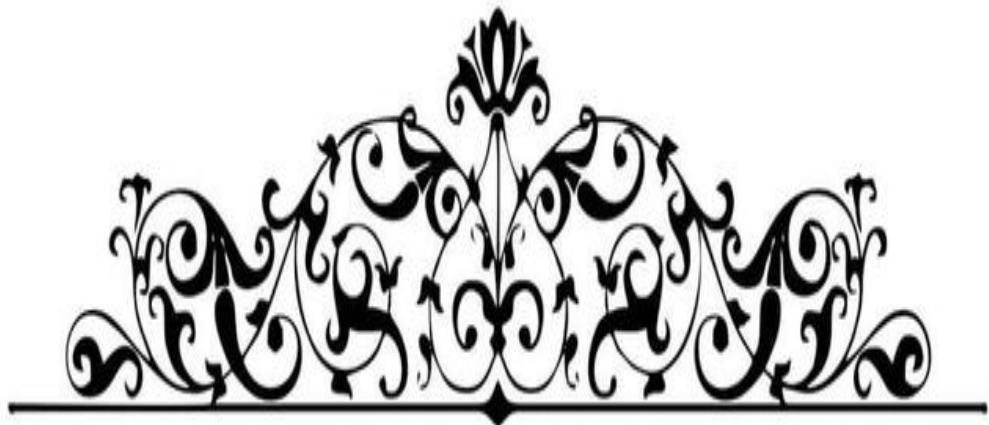
¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p17.

²Ibid, p18.

خلاصة:

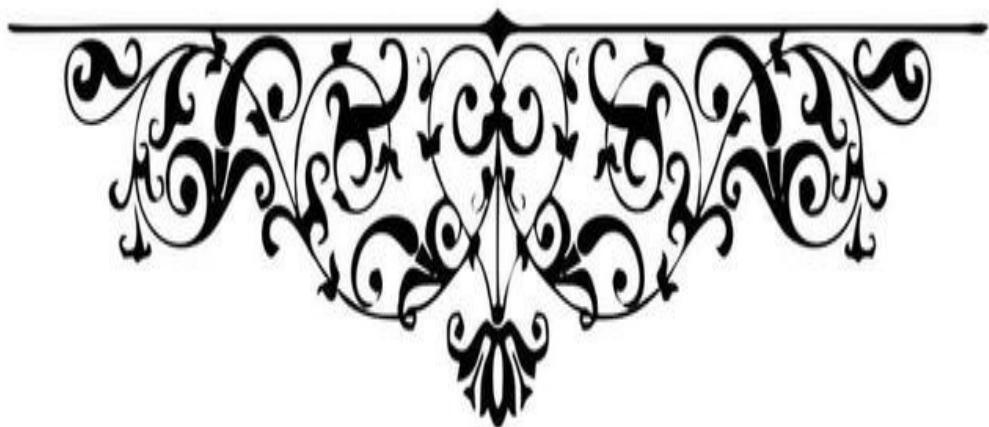
من خلال ما ورد في ثنايا هذا الفصل نتوصل إلى النتائج التالية:

- تعتبر الإنسانية المتحولة وفقاً لرأي فيري مصححة لمسار النزعة الإنسانية ومتجاوزة لعيوبها.
- يعتبر فيري أن الإنسانية المتحولة مشروع هدفه الإعلاء من القدرات العادلة للإنسان، مع الحافظة على كيانه البيولوجي، وبهذا تختلف عن ما بعد الإنسانية التي تهدف إلى إنتاج نوع جديد يمثل القطيعة مع الإنسان بالمفهوم الحالي.
- للإنسانية المتحولة جذور فكرية وفلسفية عبر مراحل تاريخ الفكر الإنساني.
- إن هذا الادعاء الذي كان سابقاً مجرد خيال علمي، أصبح اليوم أقرب إلى الواقع خاصة مع ثورة التقنيات الفائقة، إلا أن أهدافها لا تزال في نطاق التجارب المخبرية.



الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة

عند لوک فیری



أولاً: التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية

1. التصور البيولوجي الكيميائي
2. التصور الآلي للإنسان
3. التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان

ثانياً: الإنسانية المتحولة والاقتصاد

1. من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني)
2. نهاية الرأسمالية أو الليبيرالية المتطرفة
3. الإنسان الفائق هو الرأسمال

ثالثاً: الإنسانية المتحولة والسياسة

1. الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟
2. السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان
3. التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة

رابعاً: الإنسانية المتحولة والدين

1. الجذور الدينية للإنسانية المتحولة
2. التفردية أو البحث عن دين جديد
3. الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة

تمهيد:

مع تسارع التقدم البيو تكنولوجي تبدو البشرية وكأنها على أبواب تحولات جذرية تعيد تشكيل التجمعات البشرية على غرار ما حدث منذآلاف السنين عندما أدت التحولات القائمة على خوارزميات الانتقاء الطبيعي أو غيرها إلى تغييرات في بنية وطبيعة ووعي الكتل البشرية، وتطورها من تجمعات بدائية حجرية إلى مجتمعات بشرية زراعية، فصناعية، فمعرفية، ومنها إلى مجتمعات تعتمد على العقل والذكاء الاصطناعي واستخدام الإنسان الآلي بشكل واسع. لذا فمن الطبيعي، وكما حدث مع كل تحول من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن عصر إلى عصر آخر حدوث اهتزازات وتحولات اجتماعية واقتصادية، ومؤخراً سمح الانتقال من العصر الصناعي إلى العصر القائم على المعرفة ومن السيطرة على الطبيعة من قبل البشر إلى التحكم والتعديل في الطبيعة البشرية في حد ذاتها بحدوث تغييرات جذرية في طبيعتنا وحيتنا الإنسانية، وفي نماذجنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية كذلك. فالتقدم التقني الذي ينجم عن تطلعات الإنسانية المتحولة المدعوم بزيادة رغباتنا الفردية، يتوجه بشكل طبيعي نحو المعانى التي تفرضها هذه القيم الجديدة. فهل ستتمكن من تحمل هذه التغييرات؟ وهل فعلاً تصب جميعها في صالح الإنسان؟

أولاً: التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية

يستخدم مصطلح "الإنسانية المتحولة" للإشارة إلى الإنسان المتجاوز لطبيعته وحدوده البيولوجية أو المستنسخ أو المندمج مع الإنسان الآلي أو نصف الآلي، أو بشكل أوسع دمج العضوي باللإعاضوي أو الطبيعي مع الاصطناعي، وإعادة تصنيع الكائنات الحية البشرية من خلال الإعلاء من قدراتها حد التفوق على كل ما هو طبيعي. مع الأخذ في الحسبان أن إمكانيات "الإنسان الفائق" لا تزال في نطاق التجارب الخبرية والخيال العلمي¹، على الرغم من وجود بعض التجاوزات والمحاولات الجادة، والتي سيكون لها الأثر البالغ في تحويل مستقبل الإنسانية، وهذا ما أطلق نقاشات واسعة حول الإنسانية المتحولة على مستوى العالم.

إن الحديث عن صياغة إنسان فائق ومعدل جينياً يسبقه الحديث عن التقنيات المعاصرة التي بدأت مع الهندسة الوراثية، حيث تم اكتشاف أسرار الخريطة الجينية للإنسان، مما ساعد على التدخل الجيني في المادة الوراثية، ناهيك عن تطور فرع البيوتكنولوجيا والعلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي والحوسبة مع تقاربها.

التعديل الجيني: من خلال التدخل البشري في الجانب العضوي البيولوجي الوراثي بهدف تخليق أو إعادة تكوين بشر بقدرات عالية.

التعديل السiberاني - العضوي (الآلبي): ويتمثل في تبديل أعضاء عضوية بأعضاء اصطناعية أو المزج بين القدرات الآلية والجسم البشري، أو تحويل كيان اصطناعي آلي إلى كيان شبه بشري أي هندسة بشر من طبيعة عضوية ومزودة بأعضاء آلية ذكية.

التعديل الرقمي -الافتراضي: يتجسد في السعي إلى نقل ونسخ وتخزين وعي وإدراك وذكريات الإنسان في جهاز آلي رقمي مثل: الشرائح الإلكترونية، الحواسيب... الخ².

١- التصور البيولوجي الكيميائي:

^١ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، ص 244.

² المرجع نفسه، ص ص 16، 17.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وعقب النجاح الذي حققه الثورة البيولوجية في خمسينيات القرن الماضي بعد اكتشافها تركيبة المادة الوراثية DNA، حيث فتح المجال لبروز تكنولوجيات مستحدثة أكثر جرأة من سابقتها، وتمثلت في الهندسة الجينية ومختلف تطبيقاتها، كالاستنساخ، وتحسين النسل، والعلاج الجيني، والخلايا الجذعية، وغيرها من الممارسات التي كان غرضها علاج وتجنب الصفات غير المرغوب فيها. لكن تطور الأبحاث في مجال الوراثة والجينات، ومع ظهور الثورة البيوتكنولوجية وتحالفها مع التقنيات الفائقة الأخرى طرح مشكلة ما يعرف ب NBIC، مما أدى إلى الاتجاه نحو خلق إنسان بمواصفات جديدة وغير معهودة، أي الرغبة في تغيير الطبيعة البشرية¹. هذا ما يمثل جوهر مشروع الإنسانية المتحولة، الذي يروم إلى التحسين والإعلاء من القدرات البشرية الفيزيقية المحدودة. بفضل التقنيات الحيوية من إطالة العمر وتأخير الشيخوخة والذكاء الاصطناعي... إذن فهو يتجاوز علاج الأمراض فقط.

لقد راود العقل البشري - كما ذكرنا سابقاً - حلم الخلود وتمديد العمر والتتمتع بقدرات جسمية وذهنية ممتازة وتجنب الآلام والأمراض، لهذا سعى العلماء إلى التدخل الاصطناعي في طبيعة الكائنات الحية كتغيير جيناتها أو استنساخها، ما أفضى إلى ظهور "علم الأحياء الاصطناعي" الذي تحدث عنه أول مرة العالم الفرنسي ستيفان لو دوك Stephane Leduc (1853-1939) في ورقته البحثية "Etude de la Biophysique" سنة 1912، وفيما بعد، وتحديداً سنة 2004 تم تبنيه من طرف البيولوجيين، وقد تطور عبر المراحل التالية:

-مرحلة التكنولوجيا الحيوية الأساسية: والتي كانت سائدة خلال سبعينيات القرن الماضي، أين كانت الأبحاث جارية حول التعديل اليدوي لجينوم الكائنات الحية الدقيقة والحيوانات الأليفة، وكذلك بعض النباتات والبذور الزراعية، وفي هذه المرحلة كانت بدايات عملية الاستنساخ.

-مرحلة البيولوجيا التركيبية أو الاصطناعية: في هذه المرحلة بدأت محاولة التدخل في المادة الوراثية DNA للإنسان قصد العلاج من الأمراض المستعصية والعقم، وحتى تمديد العمر، وهنا بلغت عمليات الاستنساخ الحيوي الاصطناعي ذروته لأغراض علاجية وعلمية، وتمثل بالتحديد في استنساخ خلايا وأنسجة بشرية أو حيوانية، كما ظهرت محاولات لتكوين كائنات حية جديدة مستنسخة وراثياً، على عكس التطور الطبيعي الذي نادت به الداروينية.

¹ محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 230.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

-**مرحلة المشاريع الجينومية التخليقية:** هنا ظهرت الأبحاث حول تخليق أعضاء بشرية عضوية تعويضية لسابقتها التالفة، وقد سارت الأبحاث أبعد من ذلك، محاولة تخليق أجنة بشرية أو تعديل خصائص البشر والإعلاء من قدراتهم وتحسين نسلهم، والتدخل في الإنجاب، وهذا بعد التمكّن من فك الخريطة الجينية للإنسان¹.

نجد من أهم الممارسات التي عملت على تعديل الإنسان بيولوجياً للإعلاء من قدراته الجسمية والعقلية والنفسية "تحسين النسل" Eugenics، هذه الكلمة التي تتألف في الأصل اللغوي من كلمتين يونانيتين: الأولى (eu) تدل على الفرد الطيب أو الحسن أو نبيل العرق، وتعني وراثي أو مكون أو مولد أو جينات. وبالجمع بينهما نصل إلى: تحسين النسل، وهي تشير إلى التقنية القائمة على اختيار الأجنة أو السلالة المرغوب بها بناءً على صفاتها الإيجابية، بواسطة التكاثر بين الأفراد الحاملين لصفات جينية حسنة حالياً من الأمراض الوراثية والعاهات الخلقية². وبهذا المعنى، فهي فكرة قديمة تتقاطع مع فكرة الإيمان بوجود فوارق فردية بين البشر.

يمكن أن نميز نوعين من تحسين النسل، الأول إيجابي وينحصر في رفع معدل الخصوبة والتكاثر لدى الأشخاص الذين يمتلكون صفات وراثية متفوقة، ولنمسم أساليبه في التلقيح الاصطناعي والاستنساخ. والثاني سلبي يتمثل في خفض الخصوبة والتكاثر لدى الفئات التي تميز بالقصور والمرض والعاهات، من أساليبه الإجهاضات والتعقيم³.

ومع تطور علم البيولوجيا، خاصة في القرن 19، وتوازيًا مع النظرية التطورية لداروين، قد تم نحت مصطلح تحسين النسل بمفهومه الحالي من قبل ابن خالته العالم الإنجليزي فرنسيس غالتون Francis Galton (1822-1911)، الذي تأثر بنظرية التطور كثيراً، ومنطلقه أن هناك عدم تكافؤ طبيعي بيولوجي بين البشر، وعما أن القدرات الجسمية والعقلية لا تُمْتَحِن للإنسان بل يكتسبها بفعل الانتقاء الطبيعي، لهذا لا بد من الاختيار الاصطناعي للأشخاص نظراً لقصور وبطء الانتقاء الطبيعي، لهذا أعلن صراحة أن إنجاب

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 195، 198.

² محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 92، 99.

³ جون جlad، التطور البشري المستقبلي: تحسين السلالات في القرن 21، ترجمة محمود المليجي، المبدأ للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2013، ص 33.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأزواج الذين يعانون عيّناً أو نقصاً يعتبر جريمة¹. مما جعله يعتبر أن القيود الاجتماعية التي فرضتها الحضارة المعاصرة تعرقل سير التطور البشري، إذ إنها تحافظ على نسل السلالات الضعيفة². وعليه، لا بد من نوع من التعقيم القسري لهذه السلالات حتى نضمن سير التطور نحو الأقوى والأصلح، أي السلالات القوية الحالية من الأمراض، كنوع من حصر التكاثر فقط لفئة العباقة والعلماء والأدباء.

هذا النوع من التحسين الذي يقوم على التعقيم الإكراهى تبنته العديد من الجمعيات ومراكز البحث تحت إشراف العلماء والمختصين في الو.م.أ وأوروبا، الذين قاموا في هذا الصدد بتجارب لاستنسال سلالات بشرية جديدة بصفات وراثية خارقة. هذا الهوس الذي أخذ منحى سلبي وخطير جداً، خاصة مع بداية القرن 20، حيث تجسدت اليوجينيا في أ بشع صورها على يد النازيين، خاصة بعد إصدار الزعيم الألماني أدolf Hitler (1889-1945) مرسوماً ينص على إجبارية تعقيم العائلات التي تعاني من أمراض عضوية وراثية أو تشوهات خلقية كنوع من التصفيه العرقية³. بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد الكشف عن جرائم وبتجارب النازيين، تلاشت أفكاره، خاصة بعد صدور بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، التي جرمت مثل هذه الممارسات لأن فيها حط من كرامة الإنسان. ولكن مع مطلع سبعينيات القرن الماضي، إلى غاية وقتنا الراهن، تجدد ثوبه في شكل نزعات تنادي بالإنسان الفائق أو الجديد، وخاصة بعد اكتشاف مكونات المادة الوراثية. بُرِزَ النوع الجديد من تحسين النسل والذي وصف بالإيجابي أو الشامل، لأنَّه يرمي إلى علاج الأمراض الوراثية للجميع دون تمييز عرقي بعيداً عن التعقيم القسري. لكن مع طغيان العلم ذو الاتجاه الليبرالي والنيو ليبرالي والرأسمالية، تحولت اليوجينيا من تقنية علاجية إلى تقنية صناعية في إطار الممارسة التجارية.

ينتقد لوك فيري تحسين النسل العنصري، فهو من جهة ليس قائماً على أساس علمي، ومن جهة أخرى ينكر المساواة الأساسية بين الناس، إضافة إلى أنه لا يحترم استقلالية الوالدين، إذ إنه يمثل نوعاً من الإصلاح البيولوجي الذي يتم تفزيذه بواسطة الدولة، بينما تدعو حركة الإنسانية المتحولة إلى إعادة النظر في مسألة تحسين النسل، من خلال التأكيد على الحرية الفردية والأبوية والكرامة المتساوية للناس، والاهتمام الأساسي بتصحيح عدم المساواة الطبيعية المحتملة، أو كما يسميهما فيري اليانصيب أو الحظ الطبيعي، وفي

¹ أولغا تشيتيفيريكوفا، ديكاتورية المستربين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها، ص 74، 75.

² محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 94.

³ المرجع نفسه، ص 96.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذا السياق، يؤكد فيري على أن دور العدالة التوزيعية إلى اليوم يقتصر على إعادة التوازن التعويضي للعديد من الاختلافات والطبقية الاجتماعية، كمكافحة التمييز العنصري (الجنس والانتماء العرقي) أي اليانصيب الاجتماعي. لكنها لم تستطع التدخل في اليانصيب الطبيعي، لهذا لطالما تعاملت معه خارجياً فقط من خلال التعويض المالي والرعاية المجانية والتعليم الخاص وما إلى ذلك. لهذا تكفلت حركة الإنسانية المتحولة بإصلاح هذا الخطأ الطبيعي. وحسب لوك فيري، يكون ذلك بواسطة أن يوفر علم الوراثة إمكانية متزايدة لتصحيح التفاوتات الطبيعية نفسها، إما عن طريق منعها أي تحسين النسل الإيجابي الذي يدعمه مشروع التحول الإنساني. لهذا سيكون الأمر يتعلق بالانتقال من إعادة توزيع الموارد الاجتماعية البحثة إلى إعادة توزيع الموارد الطبيعية (الجينات). والسؤال الذي يمكن أن يُطرح في هذا السياق: هل ينبغي التدخل باسم العدالة وتكافؤ الفرص في اليانصيب الطبيعي؟ يجيب فيري على لسان الإنسانية المتحولة بالإيجاب¹، إذ أنها تعتبر الإصلاح البيولوجي واجباً أخلاقياً، ولكن بمعنى متساوٍ وتحسيني، غير حكومي ومعترف بحرية من يرغب في اللجوء إليه. وهذا ما يعنيه شعارها "من الحظ إلى الاختيار".

تبني الإنسانية المتحولة إذاً شعار "من الحظ إلى الاختيار". هذا ما يجعل منها نوعاً جديداً من علم تحسين النسل، والذي يختلف عن النوع القديم بالكامل ومن جميع النواحي. ويورد فيري أربع اختلافات أساسية بين التحسين الذي تدعو إليه حركة الإنسانية المتحولة وتحسين النسل الشمولي أو القاتل، وهي كالتالي:

- التحسين الذي تعتمده الإنسانية المتحولة ليس دولياً ولا يعتمد على الدولة، بل يستند إلى حرية واختيار الفرد. وهذا يعني الانتقال من القرعة الطبيعية غير العادلة والعشوانية إلى اختيار الإرادة البشرية الحرة.
- ليس عنصرياً أو تمييزياً كذلك، بل على العكس يهدف إلى مساواة الظروف، لأنه يسعى إلى إصلاح الظلم الواقع على البشر بطبيعتهم العمياء.
- يندرج ضمن منظور ديمقراطي، مضيفاً المساواة الجنسية إلى المساواة الاقتصادية والاجتماعية.
- على خلاف تحسين النسل النازي، لا تهدف الإنسانية المتحولة إطلاقاً إلى القضاء على الضعفاء أو المعاقين، بل تسعى لإصلاح وزيادة الصفات الإنسانية التي توزعها الطبيعة².

¹ Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p42.

² Ibid, p 41.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يخلص فيري هنا إلى أن الانتقادات التقليدية الموجهة إلى مشروع الإنسانية المتحولة، على اعتبار أنه تكريس وتكملة لمشروع تحسين النسل القديم بصيغة جديدة، غير مقنعة. حيث يرفض نظرهم هذه الضيقة، ويعتبر أن التحسين الذي تعمل عليه هذه الحركة أخلاقي وإيجابي. إذ يتساءل في هذا الصدد: من سيرفض إصلاح الجينات المسببة والناقلة للأمراض الخطيرة في اليوم الذي يصبح فيه ذلك ممكناً في جينوم الخلايا الجنينية؟ ومن سيرفض تحسين مقاومة الجسم البشري للشيخوخة وزيادة قدراته الفكرية والإدراكية، وحتى منع الجنس البشري من خلال التهجين قادرات فائقة من جميع جوانب الحياة؟¹.

ويمكّنا أن نلمس علاقة التعديل البيولوجي بمشروع الإنسانية المتحولة بالحديث عن مشروع الاستنساخ، الذي عرف انتشاراً واسعاً نهاية القرن الماضي، والذي يعتبر إضافة جديدة في ميدان البيوتكنولوجيا، وهو في الأصل امتداد لمنجزات الهندسة الجينية²، خاصة بعد نجاحه على مستوى الحيوانات. حيث اتجهت الآراء المؤيدة له نحو استنساخ البشر، وهذا كوسيلة للقضاء على الأمراض الوراثية وإعادة بعث الحياة من جديد، خاصة بعد فقدان عزيز، وكذلك الطموح نحو ترسیخ فكرة تخليد الجسد³. لهذا وصفه الفيلسوف الفرنسي جان بودريyar بخلق الإنسان المصنوع المصطنع عن طريق الشفرة الوراثية.

إن الحديث عن الاستنساخ البشري Clonage humain، كمبحث عملي دقيق يصعب نوعاً ما تبسيطه علمياً، فهو يتطلب تفصيلاً علمياً كبيراً، لذا يمكن أن نعرف الاستنساخ بأنه توليد كائن حي مشابه تماماً للكائن حي آخر، أو تصنيع كائن حي يكون نسخة طبق الأصل عن الكائن الأصلي. وتعتبر هذه الظاهرة موجودة منذ القدم في الطبيعة لدى الكائنات أحادية الخلية⁴. وهناك نوعان من الاستنساخ: الأول علاجي، الهدف منه ليس الحصول على مستنسخ، بل خلايا جذعية جينية؛ والثاني تكاثري، هدفه خلق كائن حي للنوع البشري⁵.

إن الاستنساخ الذي نقصده في دراستنا هذه هو الاستنساخ اللاجنسي أو التكاثري، فعلى خلاف التكاثر الطبيعي الناتج عن التزاوج بين الذكر والأُنثى. يسعى العلماء لتجسيد طريقة أخرى للتکاثر، بحيث

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 41, 42.

²يبقى الإشارة هنا إلى أن الاستنساخ لا يعني الهندسة الجينية، فهو أيضاً من أبرز تقنيات البيوتكنولوجيا، فالهندسة الجينية دورها نقل الجينات المرغوب فيها من كائن حي إلى كائن آخر، بينما الاستنساخ هو عملية نسخ كائن حي كامل الصفات ليصبح نسخة طبق الأصل.

³محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 100.

⁴أوديل روبير، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثياً، ترجمة: زينة دهبي، مكتبة المجلة العربية، الرياض، ط1، 2015، ص 8.

⁵المراجع نفسه، ص 94.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يمكن صنع نسخة طبق الأصل عن كائن إنساني معين يحمل نفس صفاته، هذه العملية تسمى الاستنساخ البشري بعد نجاحه في النباتات والحيوانات، وقد تم التفاؤل بهذه التقنية بعد نجاحها على الثدييات، خاصة بعد إعلان العالم ايان ويلموت Ian Wilmut (1941-2023) مع فريق عمله سنة 1997م عن نجاح استنساخ النعجة "دوللي"، وذلك بواسطة نقل نواة بويضة مستخلصة من خلية جسدية مجمدة، أخذت من ضرع النعجة الأم الأصلية، ونقلها فيما بعد إلى بويضة منزوعة النواة، وأخيراً تم زراعتها في رحم الأم البديلة، وهذا دون تدخل ذكري¹. وبعد ذلك توالت الأبحاث والتجارب حول استنساخ العديد من أنواع الحيوانات، حتى المنقرضة منها. بل وسعى علماء آخرون في إطار مشروع الجينوم إلى استنساخ الكائن البشري مثل "إنسان نايندرتال"، الذي انقرض منذ أكثر من 30,000 سنة². هذا، ويتوقع العلماء بأن الاستنساخ سيتمكننا من إعادة التكوين الجيني للأعضاء البشرية، كتحليل قلب اصطناعي مكون من أنسجة بشرية، أو كلية، أو رئة، وزراعتها داخل جسد الإنسان. وهو حسب مناصريه يضمن الوصول إلى الخلود، ويعثّر الأمل في استرجاع طفل أو إنسان غالٍ اختفى أو على وشك الموت، ناهيك عن مساعدة الأزواج الذين يعانون العقم.

وعلى غرار الاستنساخ، يسعى البيولوجيون إلى تطوير تقنيات أخرى تتحدى قوانين الطبيعة، كالمهندسة الوراثية ومشروع الجينوم البشري، بهدف تغيير ألفبائية الجينوم للكائن الحي عامة والبشري خاصة.

يتضمن جسم الإنسان على أكثر من ستون ألف مليون خلية³، بحيث تشكل كل خلية كتاباً ضخماً يتكون من مائتي ألف صفحة. هذا الكتاب المعجزة الربانية يمثل كتاب الحياة الحامل لعلامات القدر الوراثي لكل خلية، أي الصفات والخصائص، وهو ما يعرف بالجينوم Génome أو المخارطة الوراثية للبشر⁴. وتعتبر سنة 1953 حدثاً عالمياً في تاريخ البيولوجيا، وذلك بقيام الأمريكي جيمس واطسون James Watson (1928-) والبريطاني فرنسيس كريك Francis Crick (1916-2004) بإنشاء فرع الهندسة الوراثية كتقنية تعمل على نقل المادة الوراثية من خلية إلى أخرى، أو تعديلها أو تغييرها من أجل علاج الأمراض، وذلك من خلال معرفة الصفات الجينية للإنسان الموجودة في الحمض النووي لكل فرد، أو ما يعرف بالشفرة

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 202، 204.

² المرجع نفسه، ص 213.

³ الخلية عنصر تكولوجي أساسي من عناصر أجسام الكائنات الحية يخزن المعلومات الجينية.

⁴ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 105.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الوراثية¹ Code Génétique. وبفضل الانفجار البيو تقني،تمكن العلماء عام 2003 من فك 80% من رموز الشفرة الوراثية للإنسان، ومعرفة كامل أسرار الحياة الموجودة داخل كل خلية من خلايا جسم الكائن الإنساني، ومنه الحصول على المزيد من المعلومات حول تموقع وتسلسل الجينات البشرية الموزعة على 46 كروموسوم. وهذا ما عرف بمشروع الجينوم. وقد تم نشر أول صورة للحمض النووي بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني سنة 2012م. والحديث عن البيو تكنولوجيا يحيينا بطبيعة الحال إلى الحديث عن أهم تطبيقاتها الحيوية الحديثة، ما يعرف بالتعديل الجيني بوصفه عملية تقوم على معالجة وتعديل الجينات بهدف تعديل مواصفات الكائن الحي.

إن الهندسة الجينية، أو ما يسمى التعديل الجيني، الذي يتم على أساس نقل الجينات من كائن إلى آخر ليكتسب الكائن المستحدث صفات محددة من جينات الكائن الأول، وعليه، فهذه التقنية تشجع على تغيير المادة الوراثية للكائن الحي بهدف تحسينه وأকسابه قدرات فائقة². هذا الانكشاف الهائل في مجال الجينات، جعل هذا العصر يوصف بعصر الجينوم، حيث تم فتح آفاق واعدة في الطب العلاجي لمواجهة مختلف الأمراض المستعصية، وفي الطب التنبؤي كذلك. والأبعد من ذلك هو التطلع إلى عصر ما بعد الجينوم، أين أصبحت السعي نحو إنسان خالٍ من الأمراض، وإطالة العمر لأمد بعيد، وتأخير الشيخوخة، تاهيك عن تغيير الصفات الجينية الجسدية بهدف تحسين الجنس البشري³. وبهذا، فتحت تقنيات التعديل الجيني مرحلة جديدة في إعادة كتابة الشيفرة الوراثية وإدخال إصلاحات وتعديلات على مواصفات البشرية، وهذا ما جعل البيولوجيون يسعون إلى فبركة الحياة أو صناعة الحياة الإنسانية أو تغيير مسارها.

تعتبر عملية استنساخ الجينات المرحلة الأولى من مراحل تقنية التعديل الجيني من خلال قص جين معين بواسطة بروتين أو إنزيم معين، ووضع الجين المرغوب فيه أو المطلوب محله. وتعرف عملية قص الجينات ونقلها من خلية إلى أخرى بالتعديل الوراثي أو الجيني، والتي نجحت كثيراً على النباتات ثم الحيوانات⁴. ومنذ اكتشاف المادة الوراثية المتمثلة في التركيب الجزيئي للحمض النووي DNA، والأبحاث تسعى لإنشاء تقنيات قادرة على التحكم بالمادة الوراثية للكائن الحي، خاصة الإنسان منها. ونجد من أبرز التقنيات التي توصلت

¹ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 32.

² عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 215.

³ محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 109.

⁴ أوديل روبير، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثياً، ص 35.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إليها هذه الأبحاث تقنية التحرير الجيني Gene Editing Technique المشهورة بتقنية المقص واسمها العلمي كريisper Cas 9. إذ تعد هذه التقنية من أفضل وأدق الطرق المستخدمة من قبل هندسة الوراثة في إطار التعديل الجيني مقارنة بطريقتي "نيوكليز" أو "إصبع الزنك"، و"الإنزيمات"، حيث مكنت هذه التقنية من تعديل تسلسل الحمض النووي الريبيوزي في مجموعة واسعة من خلايا الكائنات الحية، خاصة البشرية منها. لهذا يعول كثيراً عليها من الخبراء في مجال التعديل الجيني والتحسين الوراثي، خاصة بعد تطويرها سنة 2012 من قبل جينيفر دودنا Jennifer Doudna (1964-) وإمانويل شاربنتيه Emmanuelle Charpentier (1968-)، من خلال الكشف عن بروتين اسمه "كاس 9" يمكن توجيهه مباشرة نحو الأماكن الصحيحة لقص الحمض النووي غير المرغوب فيه. وهكذا يمكن تغيير الحمض النووي لأي كائن حي، بما في ذلك الإنسان، دون تغيير في تسلسل "الدنا". وقد حققت هذه التقنية أولى نجاحاتها سنة 2015 من خلال تصحيح طفرة مرتبطة بمرض ثيروسينوميا Tyrosinemia، الناتج عن تراكم الحمض الأميني في الجسم، يمكن أن يصيب الإنسان من الفئران. وبهذا، فتحت الباب أمام هندسة سلالات جديدة من الحيوانات والنباتات المعدلة جينياً لمقاومة مختلف الأمراض¹. هذا، وقد أعلن كريج فنتر Graig Venter (1946-) في 20 ماي 2010 عن تصنيع أول خلية اصطناعية بإدراج كروموسوم اصطناعي مليون قاعدة كيميائية بواسطة البرمجة الحاسوبية في بكتيريا متزوعة الحمض النووي². وتوصلت النتائج إلى إمكانية قيام هذه البكتيريا المصنعة بالوظائف الحيوية العادية. وهذا ما جعل الباحثين يؤمنون بإمكانية فبركة الإنسان أو هندسة حياة اصطناعية مصممة مسبقاً بعيداً عن الانتقاء الطبيعي الدارويني.

تحول الاهتمام مع مشروع الإنسانية المتحولة نحو هندسة جينية للإنسان حسب نموذج فائق، إذ طبقها مجموعة من علماء الصين سنة 2015 على أجنة بشرية في بداية تشكيلها من خلال تعديل وإزالة الجينات المريضة وغيرها من التجارب. وقد ازدادت الآمال في هذا المجال بعد تطويرها مؤخراً بعد اكتشاف بروتين كاس 13Crisper-Cas 9 بدلاً عن كاس 9.

يهدف التعديل الجيني الوراثي في الأساس إلى تعزيز القدرات البشرية عن طريق التدخل في طبيعته. وعملية التعزيز هذه تشمل جانبين في الإنسان، الجانب الأول يشمل الإعلاء من القدرات البدنية الفيزيقية

¹محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص ص 140، 142.

²لورانس ألكسندر، الإنسانية البعدية في مقابل البيولوجيين المحافظين، ترجمة: خديجة حلفاوي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017، ص 47.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والتجميلية، كالقدرات الحركية، القوة، السرعة، ورشاقة الحركة وتحمل البرودة والحرارة، أو تجديد الشباب، وغيرها. أما الجانب الثاني يشمل الإعلاء في القدرات العقلية والنفسية للإنسان، وكذا المعرفية والوجودانية، حيث تعمل على تعزيز زيادة قدرة الإدراك الحسي، والذاكرة، والتفكير، والذكاء، والخيال وكذا تعزيز المزاج وسمات الشخصية. وهناك ثلات تقنيات أساسية للتعزيز البشري بيولوجيا: الأعضاء الصناعية، والمعالجة الصيدلانية، والهندسة الجينية. هذه الأخيرة تراهن عليها كثيراً حركة الإنسانية المتحولة، وهي ترتبط كثيراً بمشروع الجينوم. لهذا، فهي تقوم أساساً على التعديل الجيني بواسطة التلاعب والتحكم في الشفرة الوراثية للإنسان DNA، خاصة من خلال عمليات جينوم الخلايا الجرثومية التي أثبتت فعاليتها على الفتران في اكتساب جينات فائقة. وهذا ما أوحى للعلماء بتوظيفها في فكرة الأطفال المصممين¹. وهذه كلها تعزيزات وتعديلات غير علاجية تتخطى الوضع السوي للصفات الوراثية أو للطبيعة البشرية عموماً.

يمنح التعديل الجيني للإنسانية فائدتين: التخلص من الأمراض المختملة وراثياً، وتغيير الخصائص البيولوجية للإنسان ككل. وبهذا، فهو يشير معنى "أفضل العالم" على طريقة الدوس هكسلي. والسؤال الذي نطرحه هنا: هل سيتوقف مشروع الجينوم عند هذا الحد فقط؟ يبدو أن الأمر يتعدى ذلك إلى استخدام مخرجات التقنيات الحيوية من أجل تغيير شروط الحياة العضوية للإنسان، أي تغيير البنية الوراثية للકائنات البشرية، وبمعنى أوضح، السعي لتصنيع الكائن البشري مخبرياً. هذا الأمر يدعمه لوك فيري كثيراً، فهناك مصوغ للتعديل الجيني وفقاً له، يتمثل في الإيمان المطلق بالتقدم، مشابه لذلك الذي كان يحرك الفلسفه والعلماء في عصر النهضة. فإذا كانت الإنسانية في عصر النهضة قد تمكنـت بالفعل من الانفصال عن الطبيعة، فلماذا تتوقف عند هذا الحد الجيد؟ ولماذا لا نذهب حتى النهاية في مجال التحسين؟ وما هو أسوأ أخلاقياً من الاختيار الدارويني الذي يقضي على المنحرفين والضعفاء، والذي أشاد به النازيون؟ هذا، ولا يمكن إغفال بعض الأفكار السلبية غير المتوقعة وغير المرغوبة في أبحاث الهندسة الجينية البشرية، ولكن هذا ليس سبباً كافياً للامتناع عنها، خاصة وأن الأمر نفسه ينطبق تماماً إذا قررنا الإبقاء على الوضع الحالي، فقد يؤدي إلى تدهور وترابع طبيعتنا، وهذا يعني أن مشروع السيطرة على المادة الوراثية الخاصة بالإنسان ينبغي أن يستمر حتى النهاية إذا أردنا حقاً تجنب تدهورها بشكل لا رجوع فيه². وهذا نجد في هذا السياق ميل

¹ جان كير برج أولسن وآخرون، *موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا*، ترجمة: شوقي جلال، المركب القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018، ص ص 272.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p50.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

المولعون بالเทคโนโลยيا الجديدة، من كبار المدراء والتنفيذيين للشركات المتعددة الجنسيات، إلى التفاؤل بهذا التقدّم.

ويذهب فيري إلى أبعد من ذلك، فالتعديل الجيني أو تحسين النسل المعاصر، الذي أصبح ممكناً بفضل البيوتكنولوجيات الفائقة. لم يعد مجرد خيار، بل ضرورة مطلقة لبقاء النوع الإنساني، بسبب عجز الاختيار الطبيعي، خاصة بالنسبة للدول المتقدمة بيوبطياً، إذ أن نهاية الانتقاء الدارويني هي حالة غير مسبوقة في تاريخ العلم، فالإنسان أضحت مثل باقي الأنواع الأخرى، ليس محفوظاً ضد التراجع، ومن الأمثلة على ذلك: فقدان حاسة الشم؛ فهذه الحاسة لدينا اليوم أقل بعشرين ألف مرة من حاسة الشم لدى الكلاب، ومع ذلك، قبل بضعة ملايين السنين، لم تكن أقل كفاءة من الثدييات الأخرى. وفي ظل هذا الضعف في الانتقاء الطبيعي، فإن تدهور الجينوم الخاص بنا سيؤثر بشكل خاص على نظامنا العصبي المركزي، وهذا فإن الطب التكنولوجي القادم ليس خياراً، بل ضرورة، هذا ما يؤسس لشرعية الانتقال من الحظ (اليانصيب الطبيعي) إلى الاختيار (القرارات البشرية) ويجعله أمراً لا مفر منه إذا أردنا تعويض تأثيرات الانحدارات السلبية لل اختيار الطبيعي المنظم بالفعل من قبل المجتمعات المتحضرة¹.

وهناك حجة واقعية حسب فيري تثبت أن التعديل الجيني، كما أقره مشروع التحول الإنساني مرغوب فيه، إذ إنه بمجرد فتح إمكانيات الإصلاح البيولوجي، سيكون الأمر مغرياً للأباء والأمهات الذين يرغبون فعلاً في تحسين نسلهم حتى لا يتعرضوا للتهميش مقارنة بالآخرين. لكن حسنه هذا لا يعني تجاهل الجانب الأخلاقي مثل هذه الممارسات، إذ لا بد من مناقشة الأمر من عدة جوانب².

توازياً مع تقنيات التعديل الجيني، تطورت كذلك تقنيات جينية تسمح بالتحرير الجيني للأجنحة البشرية والقصد من ذلك إنجاب أطفال معدلين وراثياً ومعاوصفات مرغوبة ومحددة مسبقاً. ففي عام 2019، أعلن الباحث الصيني هيجيانكوي Jianku H. (1984-) عن ازدياد تؤم إناث "لولو" و"تاتا"، معدلتين وراثياً، حيث تم قص "الجين" المسؤول عن مرض نقص المناعة المكتسبة HIV بمساعدة تقنية المقص Crisper Cas 9³. وعليه، وبعد نجاح تطبيق التعديلات الجينية على النباتات والبذور الزراعية، وكذا على الحيوانات الأولية، اتجهت نحو تطوير تقنية جينية تتيح إعادة هندسة الجنس البشري من خلال تصميم أطفال وفق

¹Ibid, p 43.

²Ibid, p 43.

³عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 229.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الطلب بشكل مختلف عن التوالي الطبيعي، وذلك بتحديد صفات وخصائص وراثية مسبقاً. ويتم ذلك بواسطة تغيير بعض جينات الأجنة البشرية في الأسبوع الأول من التلقيح، مثل لون البشرة والعيون، وشكل الجسد، وأملاك العقلية، وحتى إمكانية مقاومة الأمراض والفيروسات الخطيرة. وهناك طريقة يعتمدتها الكثير من البيولوجيين اليوم، تمثل في تخصيب عدة بويضات ومن ثم اختيار البويضة التي تحمل أفضل الجينات وإجراء تعديلات جينية عليها¹. ولقد تم التوصل إلى تقنية التشخيص الجيني قبل الزرع (PGD)، التي تمكن من تحديد جنس الجنين ومدى استعداده الوراثي للأمراض. هذه التقنية تدعمها العديد من الدول، مثل بريطانيا وأستراليا، إذ تسمح تشييعاتها للأزواج الذين لديهم تاريخ عائلي للإصابة بمرض وراثي بانتقاء الأجنة المزروعة الخالية من جين المرض². ويفاعل خبراء التحول الإنساني بأن يصبح في المستقبل استخدام هذه التقنية لاختيار أجنة ليست فقط خالية من الأمراض الوراثية، ولكن أيضاً تمتلك جينات تؤدي إلى الإعلاء من القدرات العقلية كالذكاء والانتباه والذاكرة وحل المشكلات، وجسدية مثل الطول، ولون العينين، وللون البشرة.

لقد جرى استخدام تقنيات مختلفة لتشجيع الخلايا الجذعية الجنينية البشرية، والتي يمكن أن تصبح نوعاً من الخلايا وأن تجتمع ذاتياً من دون الحاجة إلى حيوانات منوية أو إخصاب. وبهدف ضبط هذه الأعمال، باشرت "جامعة كمبريدج" إلى إطلاق مشروع لتطوير أول إطار حوكمة لنماذج الأجنة البشرية القائمة على الخلايا الجذعية³. خاصة وأن أهمية الخلايا الجذعية تأتي من نقطتين أساسيتين:

- فهي تميز بالتجدد آلياً، أي أنها تتكرر باستمرار.

- قادرة على إنتاج العديد من الخلايا المختلفة، خلايا عصبية، كبدية أو جلدية، أو رئوية...

وتتساهم أيضاً في علاج العديد من الأمراض المستعصية وتدعيم الأعضاء المتضررة، أو التالفة، وحتى في تحديد الشباب. كما يتطلب العلاج بالخلايا الجذعية الجنينية أبحاث جدية ومعقماً حول هذه الخلايا، خاصة وأنه قد يتم اللجوء إلى تعديل الأجنة البشرية، ما يطرح تحديات أخلاقية فيما يخص مصير الأجنة الفاسدة أو الأجنة التي تم استخلاص الخلايا الجذعية منها. في أوت 2004، سمحَ هيئة الخصوبة والأجنة

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 199.

² نيك بوسنوم وستيفن بكنو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: العقول الرقمية والأخطار العالمية، ص ص 222، 223.

³ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 226، 227.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

البشرية ببريطانيا لعدد من البيولوجيين "جامعة نيوكاستل" بتكونين أجنة بشرية للقيام بأبحاث علاجية عليها، قصد معرفة مدى قدرة الخلايا الجذعية -من خلال حثها- على التمايز إلى خلايا تنتج "الأنسولين"، ودامت هذه التجارب مدة عام¹.

إن التقدم في مواصفات الإنسان الفائق قد يحمل معه تقدماً على صعيد مقاومة الشيخوخة والمرض، وصولاً إلى تحقيق الخلود وتحدي الموت. سيقابله تحديد للتوازن الطبيعي للنوكب، ما خلق معه تحديات أكثر تعقيداً وخطورة. لذا، لابد من التساؤل: ماذا سيحدث إذا تمكن الإنسان بنفسه من استبدال خوارزميات لها هندسة الانتقاء الطبيعي التي يعتقد أنها ساهمت في تطور الطبيعة والكائنات والحكومة بالقدرة والإرادة الإلهية، بعمليات وخوارزميات ترسيم وتصميم مسبق جديدة، محسومة بإرادة الإنسان نفسه، وتسمح بترسيم الحياة من النطاق الطبيعي إلى النطاق الاصطناعي، وبلغ مرحلة إعادة تكوين المادة والحياة؟ فعلى الرغم من الانزلاقات الأخلاقية والدينية والاجتماعية للتعديل الجيني وتحرير الأجنة وراثياً، التي حذر منها العديد من الفلاسفة ورجال الدين والقانون باعتباره تدخلاً في الإرادة الإلهية وتغييراً للطبيعة البشرية، إلا أنه دافع عنه الكثير من العلماء والبيولوجيون. فمن حق الآباء الذين يحصلون على أطفال بواسطة الإنجاب الاصطناعي أن يحصلوا على جين معدل وراثياً، تجنيباً للأمراض الخطيرة مثل أمراض القلب والسرطان والسكري. أما مع أنصار الإنسانية المتحولة، فقد توسيع الأهداف نحو صناعة بشر بقدرات فائقة.

ما هو مؤكّد بالنسبة لـ فيري هو أن هناك طريقاً مفتوحاً أمام هذا المشروع التحسيني سيكون من الصعب إغلاقه. وبطبيعة الحال، تشير مثل هذه الاحتمالات ردود فعل سلبية كثيرة أولاً، من الأديان واللاهوت التقليدي اللذان قد يفقدان جزءاً كبيراً من وجودهما؛ وثانياً من قبل النولاديت Neo-laddits وهي الحركات المناهضة للتكنولوجيا، وثالثاً من قبل الفلسفات الروحية التي تعتبر أن الإنسان ليس بأي حال من الأحوال كائناً خارقاً للطبيعة، بل على العكس تماماً، يتم تحديده بالكامل من خلال بنيته البيولوجية، ناهيك عن الجوانب الأخرى: الديغراهية، والاقتصادية، والبيئية، والمتأفيزيقية، والأخلاقية، والسياسية، من هذا المنطلق نجد أن الفلاسفة واللاهوتيون التقليديون -كما يصفهم فيري- يبذلون قصارى جهدهم لإفشال هذا المشروع الثوري عن طريق استدعاء المقدّسات التي ستحدثها تلك الخطوة الجريئة في الطبيعة الإنسانية المقدّسة. وهنا نلمس أن فيري ينظر بإيجابية إلى ما يمكن أن ينتجه هذا المجال من البحث، فالتحسين

¹أوديل روبير، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثياً، ص ص 100- 108، 109.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

البشري بواسطة التعديل الجيني أمر طبيعي، لأنه فلسفياً الإنسان ذو طبيعة مادية. لهذا، فإن أي محاولة لإضفاء صبغة معنوية أو أخلاقية أو روحية متعلالية فهي دون جدوى. وبناءً على ذلك، فالجينوم البشري حسبه ليس مقاماً مقدساً، وما دامت التعديلات التي يمكن أن تقوم بها تسير في الاتجاه الصحيح، وهو اتجاه حرية وسعادة الإنسان، فليس هناك سبباً لرفضها، بل يجب تشجيعها.¹

لابد من التساؤل في هذا الصدد: ماذا سيحدث فيما لوتمكن الإنسان بنفسه من استبدال خوارزميات هندسة الانتقاء الطبيعي، التي يعتقد أنها قد ساهمت في تطور الطبيعة والكائنات، والحكومة بالقدرة والإرادة الإلهية بعمليات وخوارزميات ترسيم وتصميم مسبق جديدة ومحكومة بإرادة الإنسان نفسه، وتسمح بترسيم الحياة من النطاق العضوي إلى النطاق الاعضوي وبلغ مرحلة إعادة تكوين المادة الحية؟

2- التصور الآلي للإنسان:

إن الحالة الراهنة للأبحاث العلمية تنقلنا بالفعل إلى ما بعد الإنسانية، لقد مضى أكثر من خمسون عاماً على ظهور "السيبورغ"، المخلوق نصف إنسان ونصف روبوت، في عالم الخيال العلمي. منذ ذلك الحين أنجبت العقول الخصبة للكتاب والمخرجين العديد من الشخصيات الخارقة، التي تمثل الإنسانية المتحولة: الرجل الذي يساوي ثلث مليارات، روبوكوب... وغيرهم. ولكن لم يعد كل هذا مجرد خيال علمي بالنظر إلى التقدم المحرز في مجالات البيولوجيا، الكيمياء، علم الأعصاب، الروبوتات والمعلوماتية، بحيث أصبح بالإمكان الحديث عن "أدوات" أو "آلة" Automatisation الإنسان بمعنى التقني للكلمة.².

تميزت الستينيات من القرن الماضي بشكل خاص بظهور خيال هندي من الـ.و.م.أ، وتحديداً في عام 1962 نشرت مجلة الخيال العلمي Planète مقلاً عن السيبورغ اختصاراً إلى Cybernetic وهي كلمة ابتكرها مانفريد كلينز Manfred E.Clynes (1925-2020) وناثان كلينز Nathan S.Kline للإشارة إلى الإنسان المعزز بالأجهزة الميكانيكية والإلكترونية، ويرى ألكسندر مواتي Alexandre Moatti (1959-) في هذه الخطابات حول الإنسان الآلي عالمة على الانزلاق من البيولوجيا التطورية إلى الإلكترونيات فيما يتعلق بتصور الإنسان المعزز في المستقبل.³.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 40,50.

²Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p 7.

³Alexandre Moatti, *Aux racines du transhumanisme : France 1930-1980*, Odile Jacob, Paris, coll, "Histoire", 2020, p 184.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في نفس الحقبة، فكر المهندسون-في خضم سباق غزو الفضاء- في ربط البشر بالآلات قادرة على التنظيم الذاتي لتمكينهم من الحفاظ على توازن علاقتهم مع بيئه معادية وغير معروفة، وهكذا نشأ مفهوم "السيبورغ". في البداية، كان المصطلح يشير إلى مجرد ربط الإنسان بأجهزة ارتجاعية أي قادرة على تعديل سلوكها بناء على البيئة، وقد تم ابتكار هذا المصطلح للإشارة إلى التفاعل بين رائد الفضاء والتكنولوجيا داخل الصاروخ، وأصبح يستخدم لاحقاً لوصف الكائن المجنّن، والآن يشير إلى الاقتران بين الإنسان والآلات¹.

بدأت الروبوتات تحل تدريجياً محل الإنسان، والإنسان نفسه يصبح أكثر فأكثر مثل الآلة، وتتصبح علاقاته مع الآلات الذكية أكثر اندماجاً، فنحن نتجه نحو مجتمع وظيفي يتتحول فيه الفرد إلى جزء تقني ويصبح بعبارة أخرى "قطع غيار" ضمن لغز تكنولوجي هائل. فحقائق هذا المجتمع الجديد أصبحت تماماً هندسية، مخططة، رقمية وخارجية، إذ لم تعد المعرفة العلمية وحدها التي أصبحت مؤتمته، حتى طريقة عيشنا ووجودنا أصبحت كذلك.²

لقد كانت بداية انطلاق التقدم في صناعة الإنسان الآلي، أو ما يصطلح على تسميته بالروبوت Robot عام 1977 مع إطلاق مركبة الفضاء التابعين لوكالة "ناسا" فوياجر الأولى والثانية Voyager 1,2، حيث تمكنا بقدرة عالية على التجوال بين كواكب المجموعة الشمسية ومواجهة الصعوبات والتحديات، ما لفت الانتباه إلى إمكانية تفوق الآلة على البشر.³

يتجه أغلب العلماء إلى أن تطور الحياة العضوية منذ تكوين الأرض كان خاضعاً لـهندسة بيولوجية محكمة بعمليات الانتقاء الطبيعي التي رسمت ملامح تطور الكائنات الحية من "الأميبيا Amibes" إلى الزواحف والثدييات إلى الكائنات الحية العاقلة، وحتى اليوم شهدت عدّة تغييرات جينية وهرمونية ارتفع معها الكائن البشري من الإنسان الأول Homo-eractus بمختلف فروعه إلى الإنسان العاقل Homo-sapien الذي أخرج لنا الإنسان الآلي والتخصيب والاستنساخ والهندسة الجينية وإعادة التركيب والتجديد وإلى أبعد من ذلك.⁴

¹Béatrice Jousset-couturier, **Le transhumanisme**, p 13.

²Ibid, p 5.

³ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 64.

المجمع نفسه، ص 179

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وإذا كانت البشرية قد اعتمدت على الهندسة الحيوية لتعديل جينات البشر وتحسين مستويات الوعي والتفكير وكذا الإعلاء من القدرات الجسدية، فإن الهندسة العضوية-السيبرانية اتجهت صوب دمج الأجساد البشرية مع أدوات وتجهيزات غير عضوية¹، كاستخدام أطراف اصطناعية Bionique مساعدة أو عدسات مساعدة للعين أو زرع جهاز منظم لضربات القلب أو نانو روبوت يتجلو داخل الشرايين لإصلاح الأضرار المحتملة، ولقد اخترع علماء بريطانيون من "جامعة غالاكسو" بشرة إلكترونية قادرة على الشعور بالألم لتغليف يد آلية.

وبناء على رغبة الإنسان في تعزيز قدراته والقضاء على الضعف والعجز، اتجه صوب الاستفادة من التقدم الحاصل على صعيد تقنيات الذكاء الاصطناعي والهندسة السيبرانية العضوية والإلكترو-حيوية، لتصنيع أدوات مساعدة على ترميم الأعضاء البشرية أو استبدال التالفة منها. فالهندسة السيبرانية العضوية يلتحم فيها العضوي باللاعضوي، وينتج عنها في حال توسيع استخدامها صناعة إنسان نصف آلي أو هجين "بيولوجي-آلي" أو "عضوی-لاعضوي" بقدرات قد تفوق قدرات الإنسان الطبيعي أو قد تمنح الإنسان البيولوجي قدرات إضافية تضعه في مرتبة أعلى من مرتبته الطبيعية، ما يفرز مجتمعاً "بشري-آلي" بقدرات ومواصفات عالية².

يهدف خبراء التحول الإنساني إلى تجاوز القيود البيولوجية والروحية للإنسان، الأمر الذي قد يفضي إلى تجاوز الإنسانية نحو ما بعدها من خلال الإنسان المعزز تقنياً ومنه دخول عصر السايبورغ الذي يعبر عن اندماج الآلة مع الإنسان نتيجة تخطي الجسم وتغييره بطرق عديدة، حيث تمنح هذه الإمكانيات الناتجة عن التحام الجسم مع التكنولوجيا إمكانيات جديدة ومتطرفة للجسم البشري لم يعرها من قبل. لهذا يوصف السايبورغ بأنه تجميع مركب بين الجسم الحي والآلة، فهو الإنسان ذو الجسم المعدل تكنولوجيا، وقد عرفت دونا هاراوي السايبورغ في بيannya: "كائن حي سيرابي هجين من الآلة والكائن الحي، مخلوق من الواقع الاجتماعي ومخلوق متخيل"³.

وتذهب هاراوي إلى أن السايبورغ لا يعبر فقط عن تجاوز الحدود الجسدية والإعلاء من إمكاناته تكنولوجيا، بل هو رمز للقضاء على التعصب العرقي والطائفي والجنسي والاجتماعي الذي نادت به المركبة

¹عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 183.

²المراجع نفسه، 177.

³فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 97، 98.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأوروبية الأنثروبولوجية، حيث لم يعد أي معنى هنا لاعتبار الجسد مكاناً لما هو نفسي واجتماعي، فهو بالأحرى بنية للتحكم والتعديل، ويعني التدخل في هندسة الجسد لتوسيع وعيه في العالم، وتدخل البيو-تكنولوجيات في الجسد بحيث لم تعد تضاف إليه بل تشكل هويته، فهي تحول من وعاء إلى مكون، وعلى هذا النحو فهي لديها القدرة على تقسيم النوع الإنساني، فلم يعد يميز الإنسان تطوره النوعي، بل أن التطور أصبح مرهوناً بتدخل التكنولوجيا بالجسد.

نجاح هذا الأمر ارتبط بوجود تقنية جديدة لفك شيفرة العالم، وهي السيبرانية التي نشأت من "مؤتمرات ماسي" التي جمعت عدة باحثين متعددي التخصصات في أربعينيات القرن الماضي تحت إشراف عالم الرياضيات نوربرت وينر، الذي اعتبر أن البشرية كانت تشهد ولوج عصر الاتصالات بعد العصر الصناعي خاصة مع إنشاء أول آلة لمعالجة البيانات الضخمة وهي: الحاسوب، وقد شاع مفهوم السيبرانية أكثر بعد إنشاء شبكة الإنترنت وتوسعتها.¹

نقوم أحياناً باستبدالأعضاء معينة بأجهزة تكنولوجية أكثر مقاومة وكفاءة منها بغية علاج مرض ما، وبالتالي فإن الحدود بين الشفاء والتحسن هي حدود يسهل اختراقها، فالأطراف الاصطناعية يمكن أن تمنح قدرات جسدية متفوقة، ومن المحتمل أن يفتح هذا التحسن الطريق أمام التحولات إذ لم يعد شكل الأطراف الاصطناعية يتبع الأشكال الفيزيولوجية فقط بل قد يرتبط بأجهزة أخرى غير موجودة بشكل طبيعي في جسم الإنسان، ومن الأمثلة النموذجية عن التعزيز الآلي للإنسان: الهيكل الخارجي الآلي، إنه نظام يرتديه الشخص على جسده، ويتم التحكم فيه بواسطة كمبيوتر متصل ببعض مراكز الدماغ، يرسل هذا الأخير إشارات إلى الكمبيوتر الذي يتحكم بدوره في حركات الهيكل الخارجي، ويحتوي هذا الأخير على العديد من المستشعرات التي تجمع المعلومات الأساسية للحفاظ على التوازن وتنفيذ الحركات، ويتم إرسال هذه المعلومات إلى الكمبيوتر الذي بدوره يعيد إرسالها إلى الدماغ، يسمح مثل هذا النظام لشخص معاق بالمشي أو مساعدة العمال في نقل الأشياء الثقيلة، ويمكن حتى استبدال بعض أعضاء الإنسان الطبيعي بأعضاء اصطناعية مقتنة بالدماغ، ليتم تشكيلها حسب الرغبة، ولقد اكتسبت التجارب المتعلقة بالاقتران وواجهات الدماغ والآلة أهمية كبيرة اليوم، فقد قام بعض الأشخاص مؤخراً مثل نيل هارييسون بزرع أجهزة استشعار بالأشعة تحت

¹ المرجع نفسه، ص ص 99، 100.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

المحماء للحصول على أحاسيس جديدة¹، وهنا يمكننا فهم الفرق تماماً بين الجراحة الترميمية التي تختتم وحدة الجسم والتقنيات التي تهدف فقط إلى زيادة الإنسان ثم تحويله إلى سايبورغ.

يعتبر نجاح حالة المريض ميشال روكيتي Michel Roccati (1991) الذي أصيب بسلل نصفي بسبب انقطاع حبله الشوكي، لكنهتمكن من المشي بفضل عمليات زرع النخاع الشوكي من خلال استخدام شريحة الكترونية ترسل نبضات كهربائية إلى عضلات المريض تقلد عمل الدماغ، هذا ما يؤكد إمكانية الحصول على قدرات عالية هجينة من خلال التحام القدرات البشرية مع القدرات الآلية. كما جرت أول عملية زرع قلب اصطناعي عام 1982 للمريض بارني كلارك Barney Clarke (1921-1983) من مدينة "سياتل"، الذي كان يعاني من قصور في عضلة القلب، حيث تم نزع قلبه الطبيعي ووضع آخر اصطناعي محله، وقد عاش المريض 112 يوماً، وقد شكلت هذه العملية اختراقاً علمياً بارزاً لتعقيدها، وفتحت المجال أمام دمج الأعضاء الاصطناعية بالجسم البشري². كما قدم السيراني كيفن وارويك Kevin Warwick (1954-1982) نفسه كأول سايبورغ حقيقي، من خلال قيامه بزراعة شريحة معدنية صغيرة تحت جلد ذراعه لإمداده بإحساسات جديدة³، ولطالما صور الخيال العلمي التقنية تفكيكياً قاتلاً للجسد في علاقة اغتصاب وعنف خلافاً للسيرانية التي تنظر للتقنية كامتداً للجسد العضوي للإنسان.

إذاً كان من الشائع اليوم استخدام التقنيات الحيوية-السيرانية لتحسين القدرات البشرية الطبيعية وتحديد أعضاء من الجسم البشري، هل سيتوقف الإنسان أمام ذلك؟ هل سيكون بمقدور الإنسان نفخ روح آلية في هيكل أو جسد إنسان آلي تكون موازية للروح البشرية، ومنحه وعيَا بشرياً كاملاً أو شبه كاملاً مع كل ما يرافق ذلك منوعي بالأحاسيس والعواطف والإدراك والحس السليم؟ هذا هو التحدي المستقبلي لعلماء الذكاء الاصطناعي الذين وإن نجحوا في صناعة روبوتات بقدرات تفوق البشر في مجالات محددة ولكنها تفتقر إلى الإبداع البشري.

لقد مكنت التكنولوجيات المعاصرة المأخوذة من بعض مفاهيم ووظائف الدماغ البشري مثل تقنيات الشبكات العصبية Neural Net Works وتقنية التعلم العميق Deep Learning من تحسين قدرة الآلات

¹ Dominique Lambert, **Enjeux scientifique du transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : Le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015, p10.

² عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 184، 185.

³ فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 207، 208.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

على التعرف على الأشياء من خلال ابتكار أدوات لاقطة للأحاسيس ومعالجة الإشارات الصادرة عنها، كما يسعى العلماء إلى إدخال محفزات بشرية كالنية والرغبة لتصبح الآلات قريبة للبشر¹، وهنا نتساءل: هل يمكن محو الحدود القائمة بين الإنسان الطبيعي والإنسان الآلي؟ وهل يمكن التوصل إلى هندسة إنسان آلي يتمتع بوعي ذاتي أي مدرك؟

تمكن باحثون يابانيون في عام 2021 من صنع روبوت طفل آلي مصمم ليتصرف كطفل بعمر 10 سنوات باسم إيبوكي Ibuki مدعم بالذكاء الاصطناعي الذي يمكنه من استخدام عضلات وجهه المطاطية لتغيير تعابيره كنوع من تقليد البشر، لكن وبخلاف الإنسان الطبيعي الذي يستجيب تلقائياً لأي نوع من المشاعر بواسطة وعيه الذاتي، فإن السلوك العاطفي للإنسان الآلي يتم بواسطة برمجة وتسجيل معظم الاستجابات العاطفية الممكنة وفي أكثر الحالات². وفي المؤتمر الصحفي للإعلان عن مشروع المستقبل الجديد "ن يوم" Neom في المملكة العربية السعودية عام 2018، أطلت الصبية الآلية "صوفيا" تجيب على أسئلة الحاضرين بذكاء ومنطق مقررونا بتعابير جسدية متقدمة وموزعة للاحتسامت، ولقد شكلت الآلية صوفيا صورة عن ملامح صناعة إنسان آلي قادر على اتخاذ قرارات وموافق استناداً إلى قدرات تحليلية تجعل منه إنساناً لاعضوياً مزوداً بعقل اصطناعي ويتمتع بذكاء اصطناعي، لو قدر له الحصول على الروح والمشاعر لانطلقت عملية صناعة كائنات ذكية منافسة للمخلوقات العضوية وتكون مجتمع آلي في مقابل المجتمع الإنساني الذي يسود الكوكب بذكائه وقدراته وفكرة ووعيه وإرادته، التي لا تتوقف عند هدف واحد، بل تطال الكون وما فيه وما خلفه³. وتماشياً مع ذلك، سمح التقى العلمي الحاصل، خصوصاً في مجال البيو-تكنولوجيا والنانو-تكنولوجيا وفي غيرها من العلوم من ابتكار أدوات وتجهيزات ذكية ونانوية مساعدة، يمكن زراعتها في أجساد البشر لتنحthem قدرات مفقودة أو لتعزز من قدراتهم الموجودة، ما جعل الباحثين يسعون إلى أنسنة الإنسان الآلي وذكائه الاصطناعي مع الإبقاء على مركزيته البشر من خلال تطوير تقنيات جديدة موجهة نحو دعم قدرات البشر في فهم التنبؤ بسلوكيات الإنسان الآلي لتجنب انفلاته.

بالتواءzi مع هذا التيار البحثي الذي يتوجه نحو إنسان متحول بواسطة أجهز تكنولوجية، من المهم الإشارة أيضاً إلى وجود تيار مماثل الذي ينطلق من الآلات، ويحاول جعلها تقترب أكثر فأكثر من الخصائص المنسوبة إلى الإنسان "أنسنة الآلة"، حيث تتردد أصوات الأبحاث حول الإنسان الآلي مع تلك التي تسعى إلى إنتاج روبوتات بشرية، هذا وتستمر العلوم والتكنولوجيا اليوم بشكل كبير في هذا النوع من الأبحاث بسبب

¹ عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 114.

² المرجع نفسه، ص ص 159، 160.

³ المرجع نفسه، ص 163.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الضروريات الاقتصادية التي تدعوا إلى استبدال البشر بالآلات التي يفترض أنها تتصرف مثلهم¹. وتبدو هذه الظاهرة مثيرة للاهتمام لأنها تظهر أن المرجع الإنساني لم يختلف، بل على العكس، إنه نوع من مفارقة عصرنا الذي يحلم بتجاوز الإنسان إلى حالة يصبح فيها الإنسان آلة، ولا يمكنه التخلص من رغبته في أن تصبح آلات في المستقبل على صورة ما هو عليه الآن تحاول التكنولوجيا على سبيل المثال توسيع الروبوتات البشرية بسلوكيات تحاكي التعبير عن المشاعر الإنسانية، وتزويد الروبوتات المستقلة بأدوات الذكاء الاصطناعي التي تسمح بتقليد القرار القانوني أو الأخلاقي، هذا ما شكل رهان الأبحاث المبهرة والمتسرعة للذكاء الاصطناعي والروبوتات، اللذان اقتحما ميدان البيو-طب خاصة فيما يتعلق بمحاكاة الدماغ البشري أو تحويل الدماغ الاصطناعي بمستوى من الوعي البشري في محاولة لإضفاء نوع من الأنسنة على الإنسان الآلي وتقريبه من الإنسان الطبيعي كمؤشر للانطلاق نحو صناعة بشر آلين أو أشباه آلين أو حتى شبه طبيعين.

يسعى هذا التيار إذن إلى حياة وذكاء اصطناعيين بحيث يميزان إنساناً آلياً أو آلة بشريّة منحوتة على مقاييس أحلام وأوهام الإنسان الحالي، وترتبط الأبحاث العلمية التي تغذي هذه الأفكار بالتقدم الأخير والمهم الذي تم إحرازه في مجال التخصصات المشار إليها بالحروف الأولى NBIC والتفاعل والتقارب الكبير فيما بينها، حيث توفر هذه الأبحاث معلومات مفيدة للعلم الأساسي وللتطبيقات التكنولوجية، إذ تسمح الروبوتات بحماية حياة البشر وتخلصهم من المهام الخطيرة للغاية كالبيئات الملوثة أو استكشاف الفضاء أو المهن الشاقة والسريعة أو المعقدة بالنسبة لهم، لكن يمكن أن يؤدي الروبوت إلى نوع من الإعجاب الذي يقود الإنسان إلى التخلص عن عدد معين من صلاحيات اتخاذ القرار².

حاول مختصون أوروبيون وأمريكيون في هذا الصدد القيام بزرع رقاقات إلكترونية مباشرة في الأدمغة البشرية لتحقيق نوع من التواصل الفكري بين الإنسان والآلة، وهذا ما حدث بالفعل عندما تمكنا من تركيب ذراع آلية لفتى عمره 15 وحدث هذا سنة 1960 في المؤتمر العالمي للإلكترونيات الحيوية في موسكو، وقد تمكنا بالفعل هذا الفتى من استخدام ذراعه الآلية، ما فتح آفاق تطبيق برامج كهرو-حيوية في جسد الإنسان، وتطوير العلوم الإلكترو-حية التي تبحث في بيولوجيا الطبيعة الحية وإمكانية تقليلها من قبل الآلة³. ولكن المثير هو إمكانية خروج الآلة العاملة بالذكاء الاصطناعي عن برنامج العمل المحدد لها بواسطة الإنسان، واتخاذها لقرارات ذكية تحاكي فيها عقله ما يعني تفوقها على صانعها.

وبفضل التطور التقني تحسنت القدرات الحاسوبية للآلة وصاحبها تطور الذكاء الاصطناعي للإنسان الآلي، حتى أصبح مؤهلاً لأداء وظائف ومهام صعبة على الإنسان، حيث تم تأسيس أول صيدلية تحت

¹Dominique Lambert, *Enjeux scientifique du transhumanisme*, pp 10, 11.

²ibid, p 11.

³عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 81.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إشراف روبوت سنة 2011، في مدينة سان فرنسيسكو، إذ تمكن ببراعة من توفير احتياجات المرضى من الأدوية وتسجيل بياناتهم دون أخطاء¹، ولم تقتصر وظائف الروبوت المدعم بالذكاء الاصطناعي على تنفيذ ما يطلب منه ببراعة فقط، بل تجاوز ذلك إلى القيام بوظائف إبداعية مثل تلحين موسيقى كلاسيكية بواسطة برنامج معلوماتي ذكي.

في اعتقاد فيري إن فكرة الوصول إلى الخلود خارج البيولوجيا من خلال استبدال البشر بآلات ذكية من قبل ما بعد البشر، مع تخزين الذاكرة والشخصية على ما يشبه مفتاح USB مخيفة، خاصة إذا اعتبرنا أن أول القرارات التي ستتخذها الآلات الذكية ستهدف بلا شك إلى القضاء على ما تبقى من البشرية القديمة. تستند هذه الفرضية الأخيرة التي تحرك تيار التفرد التكنولوجي، والتي تقول بأنه من الممكن يوماً ما تخزين ذكائنا وذاكرتنا ومشاعرنا على الآلات المتطرفة للغاية، كما تم اقتراحه من عقيدة فلسفية تسمى "المادية التجسيمية" أي فكرة أنه لا يوجد في النهاية أي فرق لا يمكن التغلب عليه بين الدماغ البشري وجهاز الكمبيوتر مجهز بذكاء اصطناعي قوي، الأول سيكون ببساطة أكثر تعقيداً من الثاني، وعليه فهذه الفكرة بالنسبة لـ فيري فرضية ساذجة لا تستقيم فلسفياً².

يتخذ فيري موقفاً ناقداً وسلبياً اتجاه فكرة الإنسان الآلي أو السايبورغ التي ترجع إلى اخترال ديكارت للحيوان إلى آلة متطرفة في عصره، هذا ويعتقد فيري أن الأطروحة المادية تعتمد بالكامل على نهج سلوكي بحت لمشكلة الذكاء البشري، حيث تتمثل فرضيته الأولى أنه بمجرد أن تصبح الآلات المجهزة أخيراً بالذكاء الاصطناعي القوي قادرة على اجتياز اختبار تيورينغ³ بنجاح لن يكون هناك أي سبب لإجراء فرق جوهري بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، إذ يجب أن تتمتع الآلات المجهزة بهذه الطريقة بالوعي الذاتي وقدرة على تجربة المشاعر، بنفس الحقوق والواجبات القانونية مثلنا، نظراً لأنها ستتمكن من إظهار جميع سمات الحياة وكل الوعي وكذلك جميع المشاعر والعواطف التي تستطيع البشرية القيام بها ستكون مستقلة تماماً مثل البشر، ولكنها أكثر ذكاءً منهم بآلاف المرات، كما يشير إليه بالفعل حقيقة أن الكمبيوتر قادر على التغلب بسهولة على أبطال الشطرنج أو لعبة الذكاء الاصطناعي⁴. علاوة على ذلك يمكن للآلات العمل ليلاً ونهاراً والتطور باستمرار دون توقف والتعلم من أخطائها وتغيير نفسها بمرور الوقت والتکاثر وإظهار الفكاهة أو الشعور بالتعاطف، باختصار لإظهار جميع السلوكيات والمواصفات البشرية للعالم.

¹ المرجع نفسه، ص 76.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 88.

³ الاختبار الذي يشير إلى أن الشخص الذي يتحدث دون علم مع جهاز كمبيوتر لن يكون قادراً على تحديد ما إذا كان آلة أو إنساناً.

⁴ Ibid, p 89.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوک فيري

لنفترض مع "الواحديين الجدد"¹ أننا نجحنا في ذلك، ففي ظل هذه الظروف، على الأقل إذا كان المرء مادياً حقيقياً، فما هي الاختلافات بين الإنسان والآلة التي ستظل ذات صلة، خاصة من الناحية الأخلاقية؟ وهل يجب وضع إعلان حقوق الروبوتات على غرار إعلان حقوق الإنسان؟ يجيب مثلي الإنسانية المتحولة الذين يتّمون إلى تيار "التفرد التكنولوجي" بالإيجاب على هذه الأسئلة، ومع ذلك وباستخدام الفطرة السليمة البسيطة حسب فيري، التي تفرض علينا إجابة أخرى: حتى لو قلدتنا الآلات بشكل مثالي أو حتى بشكل أكثر من مثالي لأنها تفوق قدراتنا الحالية، فإن الآلة ستظل غير قادرة على تجربة المتعة والألم والحب والكراهية، وكذلك امتلاك وعي حقيقي، بالتأكيد يمكن أن تتصرف كما لو كانت كذلك، لكنها لا تشعر بأي شيء، والسبب وفقاً له لتجربة المشاعر يلزم وجود جسم أي كيان بيولوجي فيزيقي، وهذا ما جعل المعيار الخارجي السلوكى فقط غير كاف إن لم يكن ساذجاً ومحيراً. صحيح أنه يجب أن تكون قادرین على وضع أنفسنا مكان الآلة لعرفة ما تشعر به أو لا تشعر به للحكم على إنسانيتها، وهو أمر مستحيل بوضوح، والذي يسمح للإنسانية المتحولة التفردية باللعب على هذه الاستحالة هو المطالبة بأن الاختلاف لن يوجد بعد الآن، سيقول الروحي أنه حتى لو كان لديه هامش كبير من الاستقلالية، ستظل الآلة محصورة في برنامج مبرمج لكن مادياً متماسكاً، وهذا ما يمكن أن ينطبق على الإنسان الذي ينظر إلى دماغه على أنه ليس سوى آلة معقدة وأن مشاعره مبرمجة من قبل بنيته العصبية، وأن إرادته الحرة المزعومة ليست سوى خيال، لأن أفكارنا وقيمنا وخياراتنا المفترضة ليست سوى تأثيرات محددة تماماً لتاريخنا وبيولوجيتنا². وهنا بالضبط تكمن المشكلة، وهي أن الحتمية المادية مجرد فرضية ولكن فرضية حسب فيري لها ثغرات كبيرة إلى حد كونها غير علمية ومتناقضة، فكما أقرَّ كارل بوپر Karl Popper (1902-1994) فإن الحتمية ليست موقعاً علمياً على الاطلاق، بل هي مجرد تحيز ميتافيزيقي لا يمكن التحقق منه بتاتاً، لأنها لا تحدد طبيعة العلاقة بين السبب والظاهر بالضبط، فهي تفترض أن جميع أفعالنا محددة بأسباب كافية تخرج بعض الأحيان عن إرادتنا الواقعية أو بداعف معروفة أو غير معروفة لا واقعية، هذا ما يجعلها غير قابلة للتكتذيب، لأنها غير تجريبية، فهي تظل غامضة تماماً وخارج نطاق العقل، ولكن لا شيء يمكن أن يدحضها لأننا نتحدث عن مستوى خارج نطاق العلم وخارج التجربة، أي ميتافيزيقي. وحسب منظور فيري ينطبق نفس الشيء على أطروحة الآلات المفترض أن تصبح ذكية وواقعية بذاتها وقدرة على الشعور وعلى تخزين ذكائنا وذاكرتنا وعواطفنا، كما ينطبق على الحتمية المادية التي تدعمها، فهي غير قابلة للدحض بطبيعتها، لأنها تكتفي بالاحتفاظ بمعايير خارجية للمقارنة بين الإنسان والآلة، وهنا يمكن المراهنة على أنه في اليوم الذي سيتم صياغتها فيه بطريقة قابلة

¹ واحديين لأنهم لا يرون في الوعي سوى نتاج للمادة، أي أخْماً شيء واحد، والواحدية monism مبدأ فلسفى يرى أن الموجودات كلها واحدة في أساسها، وأن لها أصلاً واحداً.

²Ibid, p89, 90.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

للتكميّب، سيتم دحضها في غضون ذلك، ولن يبقى لها وضع آخر سوى وضع اليوتوبيا المادية كما كانت موجودة في الماضي.

هناك شكل آخر ممكن من أشكال التحول الإنساني وهو الإنسان المقترب ميكانيكيًا أو إلكترونياً بروبوت أو أكثر، ليُوسع مجالات عمله وإدراكه ومعالجته المعلومات، ويسمح لنفسه بالتجويم من قبل الآلات، وبالتالي يجب على العلماء أن يكونوا على دراية بمخاطر أنه يمكن توجيه أعمالهم نحو استبدال صانع القرار البشري بشكل جذري بالآلة¹، هذا ما يمثل أحد التحدّيات الرئيسيّة للباحثين اليوم، لهذا لا بد من معرفة كيفية تطوير تقنيات تساهُم بالفعل في مساعدة وتطوير الإنسان والمجتمعات دون الانزلاق نحو نكران الإنسان أو في الخضوع لأوهام القوة المطلقة.

يتجه تيار التفرد التكنولوجي بالعلاقة إنسان-تقنية إلى أقصى حد على منوال النموذج البيتشوي للإنسان الأعلى في خضم إنسانية عابرة تعلي وترتقي بقدرات الإنسان، بل قد دعا هانس مورافيك إلى تحويل دماغه في جهاز كمبيوتر.

3- التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان:

يعزز فيري - كما تطرقنا سابقاً - بين حركة الإنسانية المتحولة التي تدعوا إلى تحسين وتعديل الإنسان والإعلاء من قدراته الجسدية والعقلية والنفسية، والتي ترجع جذورها إلى إنسانية كوندورسيه وبيك دولا ميراندول، فهي تسعى إلى خلق إنسان متتطور وفائق، لكنها لا تدعوا إلى تغيير طبيعته جذرياً، وبين حركة ما بعد الإنسانية التقنية التي تدعوا إلى الخروج عن الطبيعة البشرية تماماً من خلال خلق نوع جديد قد يكون روبوتات أو أجهزة كمبيوتر، وهي ترجع في أصلها إلى الحركة التفكيكية التي أسسها الفكر الفرنسي سنة 1968، وانتقلت هذه الأيديولوجية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومثلتها عدة فئات من ما بعد الحداثيين، وعلماء البيئة والمنادين بالمساواة والنسوية ومؤيدي حقوق الحيوان، وقد أضافت شرعيتها الفكرية على الصواب السياسي في الجامعات الأمريكية بسبب انتقاداتها للإنسانية الكلاسيكية في جميع أشكالها.

تمثل حركة ما بعد الإنسانية التقنية شخصيات مثل عالم الرياضيات وكاتب الخيال العلمي فيرنور فينج Vernor Vinge (1944-2024)، وهانز مورافيك، وراي كيرزوبل، وإذا كانت الإنسانية المتحولة تدعوا إلى تعديل جيني مع الحفاظ على إنسانية الإنسان ويمثلها الإكستروبيين، فإن حركة ما بعد الإنسانية التقنية يمثلها أنصار التفرد التكنولوجي بزعامة كيرزوبل، فهي تدعوا إلى الخروج من الجانب البيولوجي والإنساني، وهذا ما يريد توضيحه مفهوم التفرد المستوحى من الفيزياء الرياضية والذي يشير إلى أنه ابتداءً من نقطة معينة في تطور الروبوتات والذكاء الاصطناعي سيتم تجاوز البشر تماماً واستبدالهم بالآلات مستقلة أو بالأحرى بظهور

¹Dominique Lambert, *Enjeux scientifique du transhumanisme*, p 11.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وعي وذكاء أفضل بآلاف المرات من الإنسان الحالي، ذكاء تمثله بالفعل الشبكات التي أنشأها جوجل وغافا .GAFA (Google, Apple, Facebook, Amazon)¹

تنظم ما بعد الإنسانية التفردية بذلك إلى بعض تيارات البيئة المعاصرة، وخاصة مع الفكرة التي طورها **جيمس لوفلوك** James Lovelock (1919-2022) في كتابه الشهير بعنوان "الأرض والكائن الحي": فرضية "جايا" سنة 1979 ، التي يقر فيها بأن الكوكب ليس فقط داعم للكائنات الحية، بل هو بمد ذاته كائن حي حقيقي يشبه الشخص الذي يفكر، يفكر في نفسه ويدرك نفسه من خلالنا، من خلال البشر الذين يكونون مثل عقله الفكري، فمفهوم الأم الأرض أو "جايا" كما سماها الإغريق في السابق هو واحد من أهم المفاهيم التي صاغها الإنسان على مر التاريخ، ومع تراكم المعلومات المتعلقة بالبيئة وتطور علم البيئة توصلنا إلى فرضيات تقول أن الكائنات الحية قد تكون أكثر من مجرد مجموعة من الكائنات تعيش في بيئتها الطبيعية (الأرض، الماء، الهواء)². فإذا كانت جزءاً من "جايا" يصبح من المهم أن نسأل: إلى أي مدى يكون ذكاؤنا الجماعي جزءاً من "جايا"؟ هل نحن كنوع بشري نشكل جهاز عصبي جايانى ودماغ قادر على إدراك تغييرات البيئة بوعيٍّ؟

بالرجوع إلى "ملحمة هوزيود" ، يجسد كوكب الأرض معنى الحياة كإلهة مقدسة بذكاء وأسم خاص، نحن كبشر جزء لا يتجزأ من الطبيعة، نحن فقط شظايا متناثرة، لكن على الرغم من الترابط المتزايد لاسيمما من خلال الشبكات الاجتماعية، لا ينبغي تصور العلوم والتقنيات التي نظورها على أنها قطعة أثرية معارضة للطبيعة، بل على أنها أعلى مستوى من الوعي باعتبارها ذكاءً عالمياً تكتسبه بنفسها، وبذلك تكون "جايا" كياناً، وفي هذه الحالة ستقوم البشرية من خلال أحد مكوناتها بتطوير المعرفة التي تمكنها من الحماية والتكيف والبقاء، حيث أدى تطور الإنسان العاقل بابتكاره التقني وشبكة الاتصالات الدقيقة بشكل متزايد إلى شحذ مجال إدراك "جايا" بشكل كبير، بفضلنا هي الآن مستيقظة ومدركة لنفسها، "رأت انعكاس وجهها الجميل من خلال عيون رواد الفضاء وكاميرات التلفزيون لمركبة فضائية تدور في مدارها، لم يكن هناك شك في أنها تشارك شعورنا بالدهشة والمعتعة، وقدرتنا على التفكير والتkenen بوعي، وفضولنا الذي لا يشيخ"³، إن هذه العلاقة الجيدة بين الإنسان و "جايا" لم تكتمل بعد، نحن لسنا بعد نوعاً جماعياً حقاً، مغلقاً ومروضاً، جزء لا يتجزأ من المحيط الحيوي لأننا كائنات فردية، لكن قد يكون مصير البشرية هو أن يتم ترويضه حتى تندمج أيديولوجية القوميات والعرقيات في حاجة ملحة للانتماء إلى مجتمع جميع المبدعين الذين يشكرون "جايا" ، إذن فهذه الأسطورة تستوحى منها نرعة ما بعد الإنسانية أفكارها في نبذ التمرکز البشري ورفض الحدود الجسدية المادية للإنسان وبالتالي لابد من تحقيق التفرد.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 37.

²Ibid, p 37, 38.

³Ibid, p 38.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بفضل الشبكات الذكية التي أنشأها شركة جوجل بالفعل، ليس فقط الذكاء الجماعي للعدد الكبير ليصبح مركزاً، ولكن سيناريوهات الخيال العلمي التي كان إسحاق أسيموف يعمل عليها لفترة طويلة ستصبح معقولة، لأن الآلات الذكية ستستولي حتماً على البشرية الحالية. وهنا تشير ما بعد الإنسانية ليس فقط إلى تحسين البشرية ولكن إلى تجاوزها الجندي على المستويين الفكري والبيولوجي، بحيث لن يكون لما بعد الإنسانية أي شيء بشرى عملياً، لأنه لن يكون متجلزاً في الحياة، ومنطق التكنولوجيات الجديدة هو في الأساس منطق التجريد من المادة، لذلك يفترض كيرزويل وتلاميذه أن الوعي سيكون خارج أي ركيزة بيولوجية جسدية، والتي سيكون من الممكن تخزين الذكاء والذاكرة والعواطف على وسائل الكمبيوتر من نوع لم يتم تخيله بعد¹.

علينا أولاً أن نفهم أن الشكل البشري، بما في ذلك الرغبة البشرية وكل تمثيلاتها الخارجية، قد يكون في طريقه للتغيير الجندي، وبالتالي يجب إعادة النظر فيه انطلاقاً من فكرة أن حدود الذات البشرية تبني بدلاً من أن تكون معطاة، من خلال تصور التحكم والتواصل والمعلومات كنظام متواصل، وهذا ما جعل علم السبريتيقا يغير جذرياً كيفية تصورنا للحدود الجسدية. كما علينا أن ندرك أن خمسماة عام من الإنسانية قد تكون في طريقها إلى النهاية، حيث تحول إلى شيء لا مفر من تسميته بـإنسانية ما بعد الإنسانية.

ما هو ما بعد الإنسان؟ يتم التفكير فيه كوجهة نظر تتميز بالافتراضات التالية:

أولاً، يفضل منظور ما بعد الإنسان النمط المعلوماتي على التجسد المادي، بحيث يُنظر إلى التجسد في ركيزة بيولوجية على أنه حادث تاريخي وليس حتمية للحياة.

ثانياً، يعتبر منظور ما بعد الوعي، الذي يعتبر مقعد الهوية البشرية في التقاليد الغربية منذ زمن بعيد قبل أن يعتقد ديكارت أنه عقل يفكر، مجرد عرض جانبي ثانوي، وهو طارئ تطوري يحاول الادعاء بأنه يمثل العرض الكامل في حين أنه في الحقيقة ليس سوى عرض جانبي صغير.

ثالثاً، يرى منظور ما بعد الإنسان أن الجسد هو الطرف الاصطناعي الأصلي الذي نتعلم جميعاً التلاعب به، بحيث يصبح تمديداً أو استبدال الجسد بأطراف اصطناعية أخرى استمراً لعملية بدأت قبل أن ولد.

رابعاً، والأهم من ذلك، بفضل هذه الوسائل وغيرها، يشكل منظور ما بعد الإنسان الكائن البشري بحيث يمكن دمجه بسلامة مع الآلات الذكية. في منظور ما بعد الإنسان، لا توجد فروق جوهرية أو حدود

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 38.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مطلاقة بين الوجود الجسدي والمحاكاة الحاسوبية، أو الآلية السيبرانية والكائن البيولوجي، أو أهداف الروبوت وأهداف الإنسان¹.

يفكر كيرزويل بعد الإنسان 2.0 بالفعل في الإنسان 3.0 بجسم مجهز بمحاسيب غير مرئية تلتقط إشارات من بيئات افتراضية، تكون واقعية بالنسبة لها تماماً كما لو كانت قادمة من العالم المادي، حيث يقول: "مع جسم الإصدار 3.0 قادر على التحول إلى أشكال مختلفة حسب الرغبة وعقل غالباً غير بيولوجي (...)" فإن مسألة ما يعنيه أن تكون إنساناً ستخضع لإعادة نظر جذرية². أما في كتابه *Humanity 2.0* يلخص المأزق الذي نواجهه بخصوص التكهنات ما بعد الإنسانية، فبعض البشر يوافقون على استبدال أعضائهم، ولكن بالنسبة لهؤلاء إذا تم المساس بالدماغ فهذا يعد لا إنسانياً. ومع ذلك لا تكمن جوهريّة الإنسان في قدرته على تجاوز حدوده؟ فقد خرج من كوكبه، والآن يستعد لتجاوز حدود بيولوجيته³.

إن السياقات الثقافية والتاريخية التكنولوجية التي يتم تضمين نظريات ما بعد الإنسانية التفردية فيها تشجع على خيال مماثل، لأننا أساساً معلومات فيمكننا التخلص من الجسم. والمركبة في هذه الحجة هي تصور يرى المعلومات والمادية ككيانات متميزة. هذه الفجوة تسمح ببناء تسلسل هرمي يعطى فيه للمعلومات الوضع المهيمن، بينما تأتي المادية في المرتبة الثانية. كما لو أنها لم تتعلم شيئاً من دريدا حول "الإضافية"، ويستمر النقاش حول التجسيد كما لو كان ملحاً يجب التخلص منه من المصطلح المهيمن للمعلومات، أو حادثة تطورية نحن الآن في وضع يمكننا تصحيحها.

تؤكد الرؤية ما بعد الإنسانية أنها نتاج تطور عشوائي، وتدعى إلى تعديل الجسم البشري بحرية، لتعويض "نهاية" الانتقاء الطبيعي الدارويني. لم يعد هذا الانتقاء موجوداً لدى الإنسان منذ أن بدأ في حماية نفسه من بيئته، خاصة من خلال ضمانبقاء الأفراد الذين كانوا في السابق سيتم القضاء عليهم بواسطة الانتقاء الطبيعي. ثم إن تراجعه يثير القلق بشكل خاص بشأن دماغنا، لأن التفكير والوعي، وهما خصائص للإنسان يعتمدان على تنظيم نظامه العصبي المركزي، الذي يتسم بتنظيمه الجيني بالتعقيد الشديد. بدون الانتقاء، لم يعد هناك سبب للحفاظ على قدراتنا الفكرية، فمن الممكن أن نفقد خلال 1000 عام قدرة رئيسية مثل البصر لدى الحيوانات التي تعيش في الظلام. يتم بناء الدماغ من خلال حتمية جينية، واستجابات للبيئة، وجرعة معينة من الصدفة. يأتي الذكاء بشكل كبير من القدرة الجينية لدماغنا على البناء وفقاً للمحفزات التي

¹Katherine Hayles, **How We became posthuman : Virtual Bodies in cybernetics, literature and informatics**, Library of congress cataloging in publication Data, Chicago, 1999, pp 2, 3.

²رأي كيرزويل، **عصر الآلات الروحية: عندما تتخطى الكمبيوترات الذكاء البشري**، ترجمة: عزت عامر، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ط 2، 2010، ص 97.

³Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, pp 6, 7.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يتعرض لها. يجب على كل عصيون جيد أن يقيم ألف اتصال. لهذا السبب، فإن بيولوجيا الوعي ليست مبنية حصرًا وفقًا لتعليمات جيناتنا. دماغنا لا يُبني من برنامج جيني صارم وثابت، بل من خلال اختيار الروابط العصبية المناسبة في بيئة معينة؛ لهذا السبب كل فرد فريد، وليس مجرد نتاج حتمي لجيناته. في هذه البيولوجيا للوعي والذكاء، يلعب الحمض النووي دور المنظم، فجيناتنا لا تحدد الوظيفة الفردية لعصبوناتنا، بل تعطيها التعليمات العامة. يمتلك جينومنا قوة تفوق بكثير حجم المعلومات التي يحتويها، مثل برنامج حاسوبي مضغوط. وهذا بالضبط لأن جيناتنا تنظم فقط مخططًا توجيهيًّا يجعل دماغنا حساسًا جدًا للطفرات الجينية. يمتلك كل شخص قدرات يمكن أن تتطور في بيئة معينة، أو قد لا تُعبر أبدًا. لكن ما هو مؤكد هو أنه لا يوجد جين للذكاء؛ ولهذا السبب لن نتمكن أبدًا من زيادته جينيًّا.¹

يؤكد جان-لويس مانديل Jean Louis Mandel (1946-) أنه حتى بالنسبة لخبراء الإنسانية المتحولة، فإن زيادة الذكاء ستعتمد على الآلة والجسم، كما توضح جميع هذه الآليات، فإن الوعي ليس نتيجة لمخطط منطقي. تسلسلات جينومنا التي تنظم دماغنا ليست مرتبة منطقية، بل هي عشوائية في الغالب وأحياناً متناقضة. كما يسعى جانميشيل ترونغ Jean Michel Trong حتى لإثبات أن الحياة التي بدأت مع مركبات الكربون يمكن أن تستمر تماماً مع وسائل أخرى، وأنها ليست مقيدة بالحمض النووي؛ مما يعني أن الذكاء ليس حاجة إلى الإنسان لوجوده، وأنه يمكن أن يجد نظاماً مثالياً في عالم الصناعات. ومن هنا اعتبر إنشاء الذكاء الاصطناعي بداية جيدة.

جاءت توضيحات غريغوري بيتسون Gregory Bateson (1904-1980) عندما أربك طلابه بدرس بسيط يشبه المعضلة، حيث سأ لهم ما إذا كان عصا الرجل الأعمى جزءاً من الرجل. كان السؤال يهدف إلى تحفيز التفكير. اعتقد معظم طلابه أن الحدود البشرية تُحدد بشكل طبيعي بواسطة الأسطح الجلدية. ولكن من المنظور السييرنطيكي الذي تبلور خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، تكون الأنظمة السييرنطيكية من تدفقات المعلومات. من هذه الزاوية، تنضم العصا والرجل إلى نظام واحد، حيث تقوم العصا بنقل معلومات أساسية عن البيئة المحيطة بالرجل. وينطبق الشيء نفسه على جهاز السمع للشخص الأصم، أو جهاز التحدث لشخص يعاني من مشاكل في النطق، أو خوذة مزودة بنظام تحكم بالتصوير لطائر مقاتل. هذه التعديلات التي تهدف إلى تعويض النواقص إلى التدخلات المصممة لتعزيز الوظائف الطبيعية. بمجرد تجاوز هذه الفجوة، يصبح من الصعب تحديد الحدود المفاهيمية للعملية. في بيانها السايبورغ، كتبت دونا هارواي عن إمكانية السايبورغ في زعزعة الفئات التقليدية بدمج الجهاز

¹Béatrice Jousset-Couturier, le transhumanisme, p 45, 47.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

السيبرنتيكي والعضوية البيولوجية، حيث ينتهي السايبورغ التمييز بين الإنسان والآلة وبين الإنسان والحيوان¹.

أعلن هانز مورافيك في كتابه "أطفال العقل: مستقبل الروبوت والذكاء البشري"، بأن تنزيل الوعي البشري إلى جهاز كمبيوتر سيكون قريباً ممكناً. ولتوضيح فكرته، يخترع سيناريو خيالياً يتم فيه تفتيت دماغ الإنسان بواسطة روبوت جراح في نوع من شفط الدهون القحفى، حيث يتم قراءة المعلومات في كل طبقة جزيئية أثناء بقريدها ونقلها إلى جهاز الكمبيوتر. في نهاية العملية، يكون التجويف القحفى فارغاً، ويستيقظ المريض الذي يسكن الآن في الجسم المعدني للكمبيوتر ليجد وعيه كما كان تماماً من قبل. فإذا افترضنا أن مثل هذا الانفصال ممكن، كيف يمكن لأى شخص أن يعتقد أن الوعي في وسط مختلف تماماً سيظل كما هو، وكأنه لا علاقة له بالتجسيد؟

اقتصر نوربرت وينر-في وقت مبكر من الخمسينيات- أنه من الممكن نظرياً إرسال إنسان عن طريق "التليغراف"، وهو اقتراح يقوم على نفس الافتراضات التي يستند إليها سيناريو مورافيك. ثم إن مبدعو "ستار تريك" يعملون من منطلقات مشابهة عندما يتخيلون أن الجسد يمكن أن يُفكك إلى نمط معلوماتي ويعاد تجميعه دون تغيير في موقع بعيد. كما أن جزءاً كبيراً من الخطاب حول علم الأحياء الجزيئي يعامل المعلومات كرمز أساسى يعبر عنه الجسد، وهو نجح له بعض التقاربات مع أفكار مورافيك. في الواقع، من السمات المميزة للحظة الثقافية الحالية هو الاعتقاد بأن المعلومات يمكن أن تنتقل دون تغيير بين ركائز مادية مختلفة².

يقوم الباحث ديفيد دالريمبل حالياً بتطوير ذكاء اصطناعي يعتمد على دماغ الإنسان للتقطاط كل التجارب والذكريات الفردية ونقلها إلى وسيط رقمي، وقد عمل على دراسة دودة الأرض Caenorhabditis Elegans، ويقدر أن الأمر يستغرق حوالي ثلث سنوات لنقل خريطة عقلها إلى كمبيوتر، بعد ذلك سيقوم بنمذجة دماغ سمكة الزرد، ثم الذبابة، وال فأر والقط والقرد، ليصل الإنسان خلال 20 أو 25 عاماً، وأعماله على هذه الدودة بالتعاون مع شركة Open Worm متقدمة جداً، إذا استمر سلوك هذه الدودة المحاكى في التوافق مع سلوك الحيوان الحقيقى، ففي أي وقت يمكن اعتبارها كائناً حياً بسيطاً³ سيكون الأمر قريباً إذا تم الاعتماد على التعريف السائد للكائن الحي الذي يستند إلى السلوك فإنها ستكرر نفس السلوكيات مع ردود فعل واقعية اتجاه بيئتها.

¹Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p 84.

²Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p 1.

³ Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, p173.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يقترح في كتابه "الإنسان واستخدام الإنسان للإنسان"، يقترح وينر نوربرت أن البشر ليسوا في الأساس عظاماً ودماءً وأعصاباً ومرسلات عصبية، بل هم أنماط من التنظيم. كما يشير إلى أنه على مدار الحياة، تتغير الخلايا التي تشكل الإنسان عدة مرات. لذلك لا يمكن أن تكون الهوية من الاستمرارية المادية. إذ "التحير أنسجتنا أثناء حياتنا: الطعام الذي نأكله والهواء الذي نتنفسه يصبحان لحمانا وعظمانا، والعناصر اللحظية من لحمانا وعظمانا تخرج من جسمنا كل يوم مع مخلفاتنا. نحن مجرد دوامات في نهر من الماء المتتدفق باستمرار. نحن لسنا مواد تدوم، بل أنماط تواصل ذاتها"¹. وبالتالي، لفهم البشر، يجب فهم كيف يتم إنشاء وتنظيم وتخزين واسترجاع أنماط المعلومات التي يجسدوها. بمجرد فهم هذه الآليات، يمكن استخدامها لإنشاء آلات سiberانية. إذا كانت الذاكرة في البشر هي نقل أنماط المعلومات من البيئة إلى الدماغ، فيمكن بناء آلات لتنفيذ نفس نوع النقل. حتى المشاعر قد تكون ممكنة للآلات إذا اعتبرت بأنها ليست مجرد ظاهرة جانبية عديمة الفائدة للأفعال العصبية، ولكن كآلية تحكم التعلم. باعتبارها أنماط معلوماتية، يمكن للآلات السiberانية والبشر أن يتعاونوا ضد القوى المزعزعة للضوضاء والإنترنت.

يجزم الكثير من العلماء باستحالة تحقيق الخلود البيولوجي، وهذا خلافاً للخلود الرقمي أو الآلي فهو أمر ممكن نظرياً، ويحدث هذا من خلال نقل وعي الإنسان إلى العقل الاصطناعي، أي تكوين نسخة إلكترونية تتضمن وعي اصطناعي مماثل للوعي البشري بعد الإحاطة واللامام بجميع بياناته الإلكترونية وحساباته وتغريداته ورسائله وملفاته، وعلامات الإعجاب والإعوجاج وكلماته المفضلة وأغانيه وأفلامه ويومنياته وما يحب وما يكره وصولاً إلى كل ما يتعلق به. لكن تكمن الخطورة في هذا المشروع في انتقال الإنسان من حالة كان يدرك فيها وعيه التراكمي من خلال الماضي والحاضر إلى مرحلة ينقل فيها وعيه إلى عقل اصطناعي في جسد إنسان اصطناعي يمكن التحكم به من قبل إنسان آخر، أو يزاول نشاطه بتحكم ذاتي من خلال وعيه المنقول له وليس من خلال وعيه الخاص². مع العلم أنه لا يمكن معرفة ما إذا كان الشخص الذي تم تخليله بهذه الطريقة سيتصرف وكأنه استمرار للشخص ما قبل الوفاة أو سيتصرف وفق وعي هجين بشري-آلي، ورغم صعوبة تحقيق هذه الفكرة إلا أن مشروع تجميع معلومات الإنسان وذكرياته ويومنياته في صندوق يسمى صندوق الموت، قصد استخدامه فيما بعد لإعادة احيائه بالاستنساخ الآلي أو البيولوجي، هو مشروع يعمل عليه ويدرس من كافة جوانبه، بالرغم من النقد الساخر الذي يتعرض له.

لقد عبر مارفن مينسكي Marvin Minsky (1927-2016) عن هذا الحلم بدقة عندما اقترح في إحدى محاضراته أنه سيكون من الممكن قريباً استخراج الذكريات البشرية من الدماغ واستيرادها، كاملة وغير

¹Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p 99, 100.

²عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 273، 275.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

متغيرة، إلى أقراص الكمبيوتر، الدلالة الواضحة هي أنه إذا كان بإمكاننا أن نصبح المعلومات التي بنيتها، يمكننا تحقيق الخلود الفعال¹.

أطلق ديميتري إتسيكوف مشروع "آفاتار" 2045 الذي يهدف إلى خلق الخلود السييري من خلال إنشاء صورة ثلاثية الأبعاد، فالخلود حسبه هو مجرد أثر جانبي، إنه مجرد وسيلة لتحويل وتحسين الوعي البشري، كما خلص إلى أن الإنسان المزود بجسم اصطناعي لن يؤثر على بيئته بنفس القدر، وبعد التخلص من أجسادنا لنحتاج إلى مأوى أو مسكن، ولن تحتاج أيضاً إلى استهلاك الموارد كما نفعل حالياً². هنا ما يمكن اعتباره دعوة بيئية جديدة.

يبدو أن التقنيات المتقاربة قادرة على تحقيق طموحات ما بعد الإنسانية في إطالة العمر وزيادة الأداء البشري، ولا تنقص المشاريع المتعلقة بالإنسان في إطار النانو تكنولوجيا: فطب النانو، من خلال اقتراح علاجات تقوم بها الروبوتات النانوية أو من خلال تطوير أدوية يتم تسليمها بواسطة نانوكبسولات، يسمح بتصور زيادة كبيرة في متوسط العمر المتوقع. وبالتالي مع ذلك، فإن التصميم المستقبلي للزراعات النانوية يوفر تحسين القدرات الحركية للجسم والقدرات المعرفية والإدراكية للدماغ. إن الرغبة في تعديل الإنسان وتحويله وتحسينه، كما تطمح تقارير NBIC، تفترض أن العلماء قد طوروا بالفعل تمثيلاً للجسم يتوافق مع مثل هذه الأبحاث، فكل العلوم، كما تشرح ماري هيلين باريزو، مصحوبة بأيديولوجيا كامنة³. يتم تحقيق الإمكانيات النظرية لتحويل الإنسان من خلال نقل نظريات المعلومات المستمدة من علم السبرنة، وهو علم التحكم في الأنظمة والاتصالات، إلى الكائنات الحية بأكملها، ما يؤدي إلى تكوين معلوماتي للإنسان. وهكذا لا يمكننا السعي لإعادة برمجة إنسان ما لم يتم تصوره مسبقاً من حيث المعلومات مما يسمح بإعادة برمجته. وقد أدى علم السبرنة، الذي بدأ في التطور منذ الأربعينيات من القرن الماضي، إلى تأثير كبير على تصورات الجسم من خلال دعم فكرة الاستمرارية بين الإنسان والآليات ذاتية التنظيم. ووفقاً لنوبرت وينر، مؤسس علم السبرنة، فإن الإنسان ليس سوى نظام معلومات: فالعقل، الذي يعتبر مكافئاً للدماغ، يصبح آلة تقتصر قدرتها على معالجة المعلومات. وبناءً على العبارة الشهيرة للفيزيائي جون أرشيبالد ويلر John Archibald Wheeler (1911-2008) "it from bit" ، التي تنص على أن جميع القوانين الفيزيائية يمكن ترجمتها إلى معلومات، فإن الكون بأكمله يصبح معلوماتياً، بدءاً من الجسم وصولاً إلى الخلايا والحمض النووي. وفي هذا الصدد، فإن تطوير الحاسوب ليس سوى نتيجة لهذا التصور للدماغ الذي ينظر إليه على أنه

¹Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p 13.

²Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, p172, 173.

³Marie-Hélène Parizou, **Biotechnologies, nanotechnologies, écologie, entre science et idéologie**, Versailles, Quae édition, 2010, p p 20, 22.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

"آلة" ذكية، مما يلغى التمييز بين الإنسان والحاшиб. وكما يؤكّد ديفيد لو بريتون David Le Breton قد تم رفع الحاسوب إلى مرتبة "الدماغ" ويتم تشبيه الدماغ بالآلة تفكّر¹.

يتراوّف التقارب NBIC مع برنامج ميتافيزيقي نشأ عن علم السبرنة، أين تتتجذر فكرة اصطناع الإنسان والحياة بشكل عام، والتي تعتبر ما بعد الإنسانية النتيجة الأيديولوجية لها. تساهم النانو تكنولوجيا، من خلال تصوّر الجسم كمجموعة من الآلات المبرمج، في إعادة تعريف جديدة للكائن البشري من خلال اقتراح علاقة جديدة بين الطبيعة والصناعة وإدخال الجسم في تمثيل معلوماتي يستعيره مشروع ما بعد الإنسانية.

تكتسب النانو روبوتات، التي بنيت على نموذج مستوحى من البيولوجيا، من خلال التقليد الحيوي، صفة "الطبيعة": فهي تتكون من قطع بيوكيميائية أو جزيئية، وتكمل أو تستعيد وظائف مخصصة للكائنات حية موجودة مسبقاً. يستند راي كيرزوويل في مقاله "الجسم البشري الإصدار 2.0" إلى أعمال طبيب النانو روبرت فريتاس الابن ليقترح استبدال خلايا الدم الحمراء بالروبوتات النانوية وبالتالي تحسين الأداء الخلوي². ستندمج النانو روبوتات بعمق داخل الجسم البشري، وبالتالي فإن الأشخاص الذين يخضعون مثل هذه العلاجات النانوية لن يكونوا قادرين على إدراك عمل هذه الآلات المصغرة نظراً لصغر حجمها الذي يجعلها غير قابلة للاكتشاف. وهكذا يظهر الجسم البشري، عند ملاحظته على مقياس النانومتر، للعلماء على أنه مجموعة مكونة من آلات نانوية جزيئية، إما طبيعية أو اصطناعية أو كليهما. وبالتالي، فإن برنامج NBIC، من خلال نقل النموذج المعلوماتي، يعتبر الإنسان كمجموعة من الأنظمة القابلة لإعادة البرمجة على غرار الآلة.

يفتح هذا التمثيل المعلوماتي للجسم الطريق لإعادة برمجه المحتملة. يستغل ما بعد الإنسانيون هذا الأمر، الذين يرون أن الجسم، بكونه ناقصاً، وعليه فهو بحاجة إلى أن يتکيف مع بيئته، وهذه الرغبة في التحول تجد صدى لها في الثقافة المعاصرة لأنها تستند إلى افتراض امتلاك الجسم وليس عيشه ويجب تحافظه. إن هذه الفكرة لامتلاك الجسم هي أساس العصر الحديث وظهرت في القرن السادس عشر مع أعمال فيزالي الواردة في كتابه "تركيب الجسم البشري"، وهي معاهدة في التشريح، حيث خلق تمثيلاً ضمنياً بين الإنسان وجسده فالإنسان يمتلك جسداً أكثر مما هو جسد، تأكّد هذا التمثيل الحديث في القرن السابع عشر حيث أصبح الجسم -الذي تم فصله عن الذات التي تجسده- يُنظر إليه على أنه آلية أو ساعة. يعتبر ديكارت الجسم إلى حد ما آلة زائدة عن الحاجة بينما تتجسد العقلانية في الروح. وتتجذر هذه الازدواجية التي أسست العصر الحديث بعمق في مجتمعاتنا المعاصرة ويصاحبها رفض حدود جسد يتم الاحتفاء به من قبل

¹David Le Breton, *L'adieu au corps*, Métailié, coll, 1999, p 84.

²Ray Kurzweil, *Human Body Version 2.0*, in [kurzweilai.net](http://www.kurzweilai.net/meme/frame.html?main=/articles/art0551.html), Février 2003, en ligne, <http://www.kurzweilai.net/meme/frame.html?main=/articles/art0551.html>

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مجتمع الاستهلاك ولكنه في الواقع يتم التقليل من شأنه ويشعر بأنه محدود¹. يوضح ديفيد لو بريتون، في كتابه "داعاً للجسد"، كيف تشهد بعض الممارسات المعاصرة، مثل الجراحة التجميلية والوشم وبناء الأجسام، على تصور للجسد كشكل يمكن تحويله، وكشكل مؤقت أو حتى عتيق يجب تحسينه². يندرج هذا الاتجاه نحو التحسين في ما يسميه آلان إهربيرغ Alain Ehrenberg (1950-) "عبادة الأداء". تنشأ هذه الإلزامية الجديدة في مجتمع تهيمن فيه المنافسة، وتشكل علاقاتنا الاجتماعية وتجعل الأفراد مسؤولين عن تحقيقهم الشخصي، مما يدفعهم إلى تجاوز أنفسهم باستمرار. وفي مواجهة حدود جسد لا يختاره، تصبح التكنولوجيا هي الوسيلة لتحقيق أداء أعلى.

بناءً على تحويل الأزدواجية الديكارتية إلى اعتبار كل من الجسد والروح آلات قابلة للملكيّة وإعادة البرمجة، يرسخ ما بعد الإنسانيون الرغبة في التحسين التقني من خلال نموذجين يعتمدان على فكرة "الكل قابل للتلاعب" من ناحية، من خلال الخطاب حول الذكاء الاصطناعي حيث يتجسد الجسد في الشبكات المعلوماتية أو في جهاز الكمبيوتر، ومن ناحية أخرى من خلال صورة السيورن حيث يتم التلاعب بالجسد تقنياً من خلال التكنولوجيات والتعديلات الجينية. وبالتالي، يدرج ما بعد الإنسانيون الإنسان في اصطناع الحياة حيث تخفي الفروق بين الطبيعة والصناعة.

يندرج مشروع ما بعد الإنسانية ضمن الرغبة في تكيف الإنسان مع عالم معاصر حولته التقنية من خلال تحريره من القيود البيولوجية التي تمنعه من التوافق مع التطورات التكنولوجية العلمية. إذ يوضح مفهوم التفرد التكنولوجي الذي سبق ذكره إلى أي مدى تشتت فكرة ما بعد الإنسانية في الاعتقاد بأن منحنى التقدم التكنولوجي خطٍ وأسيٌ، وبالتالي، فإن التطور البيولوجي للإنسان يصبح بطبيعة الحال خطيراً مقارنة بالتطور الأسوي للقوة الحاسوبية³. يؤكّد رأي كيرزوبيل على ضرورة تكيف الإنسان بأسرع وقت. ففي مواجهة تحول جذري للعالم ينشأ عنه شكل جديد من الذكاء الاصطناعي يتجاوز القدرات البشرية بكثير، وعليه يجب على الإنسان أن يتكيّف ويتطور إذا أراد أن يبقى⁴. وهي وجهة نظر يتبناها الفيلسوف والمفكر في مجال الذكاء الاصطناعي هانس مورافيك، والذي يرى أن البشر هم في الأساس آلات سيتفوق عليها في يوم من الأيام آلات أكثر كمالاً. وهكذا، وفقاً للباحث، فإن فرصبقاء الإنسان ضئيلة أمام الكائنات الاصطناعية التي تتميز بذكاء أعلى. فالجسم البشري، مقارنة بالآلة، أقل سرعة وأقل قوة، وعند النظر إليه من خلال منظور النموذج المعلوماتي، فإنه لا يصبح سوى آلية غير ماهرة وزائدة عن الحاجة، مهمتها حمل

¹Jean Baudrillard, *La société de consommation*, Gallimard, paris, coll "folio", 1990, p14.

²David Le Breton, *L'adieu au corps*, p 86.

³Nick Bostrom, *Transhumanism values*, 2001, en ligne, <http://www.nickbostrom.com>

⁴Ray Kurzweil, *The singularity is near : when humans transcend biology*, viking press, New York, 2005, p 67.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

العقل¹. لذلك، فإن الجسم البشري، بالنسبة لما بعد الإنسانيين، ناقص بشكل عميق، والتطورات في العلم والتكنولوجيا تميل إلى تعزيز هذا الشعور بعدم الرضا، بل وحتى الازدراء اتجاه جسده الخاص، حيث أن هناك العديد من الاحتمالات لتجاوز القيود المفروضة عليه. كما يعبر العديد من الباحثين في علوم النانو والتكنولوجيا الحيوية عن الرؤية نفسها في هذا الصدد.

نشرت الإيطالية دونا هاراوي في عام 1985 بياخا السايريني، وهو استعارة لتطور الإنسان التكنولوجي في مجتمع يتزايد فيه تأثير العلم والتكنولوجيا على بيئتنا، أين أصبحت الآلة أيقونة ثقافية لرؤية متغيرة للجسد. يؤكد الفنانون وكتاب الخيال العلمي على اندماج الكائنين لمواجهة تقادم الجسد في بيئه تتزايد فيها التكنولوجيا. إن مجال الفن، وهو مكان لتصادم تحولات العالم والرؤى التي مرتلكها، يكشف عن هذا التصور الجديد لجسد ناقص وقابل للكمال. من خلال اقتراح مراجعة قيم الإنسان والجسد، يعبر فنانون مثل أورلان وستيلارك، مع تأكيدهم على أن الجسد أصبح عتيقاً، عن هذه الرغبة في تجاوز الجسد بمساعدة التدخلات التكنولوجية، ودفعه إلى ما هو أبعد من إمكاناته الطبيعية لتكيفه مع بيئه جديدة تتميز الآن بالتقنية والمعلوماتية.

الشخصية المخورية في ما بعد الإنسانية، هو الإنسان ما بعد الإنساني الذي يمثل تتوسيع البرنامج ما بعد الإنساني، ويدل هذا المصطلح على كائن مستقبلي مُتحرر من جميع القيود والضوابط المتأصلة في الحالة الإنسانية، وهو نتاج اندماج الإنسان مع الوعود التي يحملها تقدم العلوم والتقنيات، ونتيجة لسلسلة من التحسينات التي تقدمها التقنيات الجديدة على الكائن الحي، وهي تعايش بين الذكاء الاصطناعي والوعي المحمّل². لم يعد يُنظر إليه بعد ذلك على أنه إنسان بمعنى الكلمة، بل ككائن مستقبلي تتجاوز قدراته الأساسية قدرات البشر الحاليين لدرجة أنه لم يعد إنساناً وفقاً لمعاييرنا الحالية³. وهكذا، سيكون هذا الكائن الجديد مزوداً بمجموعة من الأفكار والمشاعر والخبرات والأنشطة التي لا يمكن الوصول إليها بالنسبة للبشر العاديين.

يعتبر ما بعد الإنسان -بالنسبة لما بعد الإنسانيين- مرحلة جديدة من التطور، كما يضعون التكنولوجيا كضرورة أنثروبولوجية رغبة منهم في تكييف الإنسان مع بيئته التكنولوجية. واستناداً إلى نموذج داروين للتطور، يدرج ما بعد الإنسانيون في نهج أنثروبولوجي تقني كما حده بيتر سلوترديك، حيث يكون الإنسان هو نتاج أساليب تدخله الخاصة ويتوجه نحو شكل جديد من الإنسانية بفضل التقنية⁴. وبالنظر إلى أن نشر كتاب "أصل الأنواع" عام 1859 أدخل فكرة أن الإنسان بصورةه الحالية ليس ذرة

¹David Le Breton, **L'adieu au corps**, p 85.

²Transhumaniste FAQ, en ligne, humanity plus.org/learn/transhumanist.faq.

³Ibid

⁴Peter Sloterdijk, **Ladomestication de l'être**, Mille et une nuits, paris, 2000, p 22.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التطور، يستعيد ما بعد الإنسانيون نظرية تشارلز داروين ليضيفوا إليها مرحلة جديدة، وهي مرحلة تطور الإنسان بيده حيث يتم استخدام التكنولوجيا لتحسين الكائن البشري. وهكذا يتم تفسير التطور في ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى، يكون هناك ضغط بيئي يدفع الكائنات الحية إلى التطور من خلال الانتقاء الطبيعي، ثم في المرحلة الثانية، يتم وضع البيئة في خدمة الإنسان، ويغلب الإنسان على الصعوبات من خلال تحسين بيئته تقنياً، وأخيراً في المرحلة النهائية، يعود الإنسان إلى التطور، ليس تحت ضغط الطبيعة، بل بمحض إرادته، من خلال دمج التقنية، حتى يصل إلى مرحلة ما بعد الإنسان. وهكذا، وفقاً لميشيل سير Michel Serres (1930-2019)، تعمل التقنية هنا كداروينية خارجية حيث تؤدي الأدوات إلى تحويل الجسم. وبالتالي، فإن التقنية تسمح للإنسان بالتحرر من ضغط الطبيعة وآليات الانتقاء الطبيعي من خلال استئناف تطوره بيده¹.

بناءً على فكرة أن العالم بأكمله - بما في ذلك الإنسان - معلوماتي وقابل للترجمة بشكل عميق، يدعو ما بعد الإنسانيون إلى تحول ذاتي للإنسان بهدف إيجاد كائن جديد ليس لديه في النهاية الكثير من القواسم المشتركة مع الإنسان الحالي ولكنه أكثر تكيفاً مع بيئه متغيرة بفعل التقنيات الجديدة.

يتوقع خبراء التكنولوجيات الفائقة أننا نتجه نحو عالم جديد ذو طبيعة افتراضية تسيطر فيه التطبيقات والبرامج، وقد طرحت فايسبوك في الأسواق عام 2021 قناع الواقع الافتراضي الجديد الذي تتجاوز فيه تطبيقاته مجالات الألعاب نحو مجالات جديدة كالتدريب والتأهيل، مثل: تلقي دروس في الرياضة أو الموسيقى أو الرقص في بيئه افتراضية كالمسرح الافتراضي والمتاحف الافتراضي ... وغيرها، وفي هذا السياق تحدث مالك شركة فيسبوك مارك زوكربيرغ Mark Zuckerberg (1984-) عن الكون الفوقي Meta Univers، وهو واقع افتراضي يسمح بالتعاملات التجارية للسلع واستخدامها افتراضياً².

إن التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات قد ألغت الحدود، وقد ضاعفت الإمكانيات الإبداعية لعقلنا، وهي تغزو فضائنا من خلال "تفعيله". لقد قلب توسيع الإنترنت ليس فقط تنظيم تبادلاتنا على نطاق العالم، ولكن أيضاً طرق تفكيرنا وتصراتنا تجاه بعضنا البعض، حيث قمنا بتغيير بيئتنا بشكل عميق للغاية، كما أقر نوربرت وينر بأنه سنصل إلى درجة أنها يجب أن نغير أنفسنا³.

إن المجتمع الذي ينفتح علينا، مع الثقافة الرقمية التي نغرق فيها، يجعل كل الاحتمالات: ظهور ديانات جديدة، وتفتت المعتقدات، وتحولات بيولوجية وإلكترونية في الدماغ، والواقع الافتراضي، وصنع هويات جديدة، والتلاعيب بالصور والذكريات، وما إلى ذلك. لكن هذا المجتمع الجديد يتوجه أيضاً نحو

¹Michel Serres, **Hominscence**, le livre de poche, paris, coll, "littérature et documents", 2003, p 18.

²عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 50، 52

³Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, p 164.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

اندماج البشرية. يعتقد فييد داليمبل أن تجاوز الإنسانية يعني دمج أنفسنا داخل الشبكة، وعدم الاكتفاء بالاتصال بالإنترنت عبر لوحة المفاتيح فقط، بل أن نصبح جزءاً لا يتجزأ من الشبكة من خلال أن نصبح جزءاً من عالم الآلة. ألا يشعر رواد الإنترت، بفضل سحق المسافة والزمان، بالتضامن على نطاق كوكبي، من خلال تحقيق تقارب يجعل الاندماج العالمي أمراً ممكناً¹؟ لقد افتتح اليابانيون في طوكيو "مطعم الروبوت"، حيث يكون العرض من صنع الروبوتات والبشر على حد سواء.

تماشيا مع هذا الطرح فقد تغير مفهوم الأمن والدفاع واتجه النقاش حول المعارك الرقمية Digital Battles والحروب الإلكترونية والإرهاب الإلكتروني والأمن السيبراني، ما جعل الدول تنفق ميزانيات ضخمة لتطوير هذه التقنيات ولاختراع تقنيات مضادة لها². كما تعتبر الفيروسات الإلكترونية من أذكى الكائنات الاصطناعية، وهي تمثل كائناً حياً اصطناعياً مزوداً بذكاء اصطناعي وبإمكانه القيام بمناورات بارعة وخرق أشد التحصينات الإلكترونية. وحسب كيرزوبل ل لتحقيق ذلك، لابد من تعميق الأبحاث حول الدماغ الإنساني لفهم وظائفه ومحاولة تحاكاته بغية هندسة عقل اصطناعي واعي بعد الاعلاء من قدراته لمواجهة أمراض مستعصية مثل: آلزهايمر والخرف.

لقد أثارت نظريات كيرزوبل -على الرغم من تعقيدها المفرط- انتقادات واسعة من قبل العلماء إلى درجة أنه على عكس الإنسانية المتحولة التي لا تحتوي على أي شيء من الخيال الوهمي حسب فيري، فإن فكر ما بعد الإنسانية حول التفرد التكنولوجي أقرب إلى المدينة الفاضلة من العقلانية العلمية³، علاوة على ذلك تستند أيديولوجية التفرد إلى حد كبير على المادية الفلسفية التي هي مثل كل مادية تقلل بسذاجة من الوعي البشري إلى إعادة تشكيل ميكانيكية بسيطة للآلية الدماغية.

ينطوي المفهوم العامي الشائع لكلمة المادية على سمعة سيئة فهي، تشير عموماً إلى رؤية للعالم تفتقر إلى النظرة المتعالية والمثل الأعلى، فهي مذهب يهتم فقط بالمال والمتعة الرديعة، لكن من الناحية الفلسفية فإن المادية ليس لها علاقة بكل ذلك، إنما تعرف كموقف فكري يفترض أن حياة العقل تنتج وتحدد في نفس الوقت بواسطة واقع أعمق منها، أكثر مادية بالضبط، ببساطة تدافع المادية عن الرأي الذي يقول بأن جميع أفكارنا مثل معتقداتنا السياسية أو الدينية، وكذلك قيمنا الأخلاقية وحكمتنا الجمالية و اختياراتنا الثقافية ليست موضوعة ومسؤولية بحرية من قبلنا، فهي في الحقيقة مجرد منتجات غير مدركة لواقع أعمق يحددون دون علمنا، ببساطة يعتقد المادي أنه لا توجد استقلالية حقيقية للفكر، ولا شيء يشبه تجاوز أفكارنا فيما يتعلق ببيئتنا البيولوجية والتاريخية، بل مجرد وهم للاستقلالية، وتميز المادية بصفتين أساسيتين: التقلص والتحديد،

¹Ibid, p167.

²عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 51.

³Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 38, 39.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أين يتم تقليل الأفكار حتى العظيمة منها إلى الواقع المادي، الذي أنشأها مهما كانت تافهة¹، فمثلاً يسعى البيولوجي المادي للبحث عن الأسس الطبيعية للأخلاق أي الغرائز، وبهذا يتم التقليل من العظيم إلى التافه، ومن الوعي إلى اللاوعي، ومن الروحاني إلى المادي، ومن المطلق إلى النسبي.

بالنسبة إلى المادي، فإن الأفكار الروحية والمطلقة مجرد كذبة، فالكمال غير موجود، هناك فقط النسبية، فمن الناحية الأصولية يشير الكمال إلى ما هو منفصل عن كل شيء، ما هو متوفّق عن كل مادة، لكن المادية تقر بأن كل شيء نسي مرتبط بالواقع المادي، فجميع أفكارنا وقيمـنا تأتي من مصادر أخرى غير تفكيرنا الحر المستقل، إنـها تأتي من محـيطـنا الاجتماعي ومن تارـيخـنا وجـسـدـنا كما أشار إلى ذلك أفضل الفلاسفة الماديين في الوقت الحالي أندريه كونـتـ سـبونـفـيلـ Andri comte Sponville (1952-) لهذا ترفض المادية آلية الإرادة الحرة أو حرية الاختيار والمسؤولية، إذ نحن محدودون بـحـتـميـتين: اجتماعية وـبـيـولـوـجـيةـ، هذه الأخيرة والتي تسمى في التقاليـدـ الفلـسـفـيةـ بـالمـادـيـةـ الطـبـعـيـةـ أوـ الـحـتـمـيـةـ الطـبـعـيـةـ البيـولـوـجـيـةـ، وـتـعـتـقـدـ بـأـنـ الـورـاثـةـ هيـ مـنـ تـحدـدـ جـوـهـرـ ماـ نـخـنـ عـلـيـهـ، وـمـنـ هـذـاـ مـعـتـقـدـ المـادـيـ تـعـتـقـدـ مـاـ بـعـدـ إـلـإـنـسـانـيـةـ أـنـ الدـمـاغـ هوـ آلـةـ مـثـلـ أـيـ آلـةـ أـخـرىـ، فـقـطـ أـكـثـرـ تـعـقـيـداـ وـسـيـتـمـكـنـ الـكـمـبـيـوـتـرـ فيـ يـوـمـ مـاـ مـنـ تـفـكـيرـ مـثـلـنـاـ وـتـقـلـيـدـنـاـ وـرـيـماـ حـتـىـ الشـعـورـ بـمـشـاعـرـنـاـ وـعـوـاطـفـنـاـ، بـإـضـافـةـ إـلـىـ قـوـةـ حـسـابـيـةـ تـفـوقـ بـآـلـافـ مـرـاتـ قـوـتـنـاـ الفـكـرـيـةـ².

لا يخفـيـ فيـريـ رـفـضـهـ لـأـفـكـارـ ماـ بـعـدـ إـلـإـنـسـانـيـةـ فيـ رقمـنـةـ الـكـيـانـ الـبـشـرـيـ، وـوـصـفـهـ بـالـأـمـرـ السـخـيفـ مـنـ النـاحـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ، وـقـدـ أـعـلـنـ رـفـضـهـ لـأـفـكـارـ ماـ بـعـدـ إـلـإـنـسـانـيـةـ بـنـاءـ عـلـىـ رـفـضـهـ لـلـنـزـعـةـ الـمـادـيـةـ الـتـيـ تـلـغـيـ الـجـانـبـ الـرـوـحـيـ (ـالـوـعـيــ الـنـفـسـ)ـ فـيـ إـلـإـنـسـانـ، لـأـنـهـ مـثـلـهـ لـأـنـهـ لـأـتـرـىـ فـرـقـاـ بـيـنـ الـآـلـةـ وـالـدـمـاغـ وـبـيـنـ الـرـوـحـ وـالـمـادـةـ إـلـاـ فـيـ الـدـرـجـةـ وـلـيـسـ فـيـ طـبـعـيـةـ وـكـلـاـهـاـ يـتـنـقـضـانـ مـعـ إـلـإـنـسـانـيـةـ الـرـوـحـانـيـةـ لـأـسـيـمـاـ تـلـكـ الـتـيـ تـتـجـسـدـ فـيـ تقـالـيـدـ الـدـينـيـةـ.ـ وـلـتـوضـيـعـ ذـلـكـ قـدـمـ مـثـلـاـ عـنـ الـفـلـسـفـيـ جـونـ ستـونـ Jean Stauneـ الـذـيـ قـامـ فـيـ كـتـابـهـ (ـمـفـاتـيـحـ الـمـسـتـقـبـلـ)ـ بـتـلـخـيـصـ الـأـطـرـوـحـاتـ الـتـيـ دـافـعـ عـنـهـ كـيـرـزوـيلـ وـأـصـدـقـائـهـ بـنـزـاهـةـ فـكـرـيـةـ كـبـيرـةـ،ـ حـيـثـ يـبـدـأـ ستـونـ بـالـاعـتـرـافـ بـأـنـ فـرـضـيـةـ تـقـلـيـدـ الـرـوـحـ الـبـشـرـيـ بـشـكـلـ مـثـالـيـ مـنـ قـبـلـ الـآـلـاتـ هـيـ الـأـكـثـرـ شـيـوعـاـ بـيـنـ الـبـاحـثـيـنـ فـيـ عـلـومـ الـإـدـرـاكـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـخـبـراءـ فـيـ الذـكـاءـ الـاصـطـنـاعـيـ،ـ حـيـثـ أـنـ الـرـوـحـيـةـ إـلـإـنـسـانـيـةــ الـمـسـتـلـهـمـةـ مـنـ الـمـعـقـدـاتـ الـدـينـيـةـ وـالـنـزـعـاتـ الـضـدـيـةـ بـاسـمـ الـخـصـوصـيـةـ إـلـإـنـسـانـيـةـ وـالـتـيـ عـرـفـتـ دـائـمـاـ هـزـائـمـ عـلـمـيـةـ وـمـجـتمـعـيـةـ فـيـ الـقـرـونـ السـابـقـةــ الـتـيـ تـقـومـ عـلـىـ ثـنـائـيـةـ بـيـنـ الـرـوـحـ وـالـمـادـةـ تـمـلـلـ الـأـقـلـيـةـ بـشـكـلـ كـبـيرـ،ـ وـمـنـطـقـ ماـ بـعـدـ إـلـإـنـسـانـيـةــ الـتـفـرـديـةـ فـيـ ذـلـكـ أـنـهـ فـيـ يـوـمـ مـاـ،ـ وـمـنـ خـلـالـ درـاسـةـ مـتـقدـمـةـ لـلـدـمـاغـ سـتـمـكـنـ مـنـ فـهـمـ كـيـفـيـةـ عـمـلـ الـوـعـيـ،ـ وـبـالـتـالـيـ سـتـمـكـنـ مـنـ وـضـعـ جـهـازـ قـادـرـ عـلـىـ التـوـصـلـ إـلـىـ نـفـسـ مـسـتـوـيـ الـوـعـيـ،ـ وـبـالـتـالـيـ التـطـوـرـ الـذـيـ يـصـلـ إـلـيـهـ الـجـنـسـ الـبـشـرـيـ.ـ إـذـاـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ إـنـشـاءـ آـلـةـ تـعـادـلـ إـلـإـنـسـانـ فـيـ كـلـ شـيـءـ،ـ فـإـنـ الـعـاقـبـ سـتـكونـ

¹ibid, p 52, 53.

²Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 53, 54.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مذهلة ومرعبة وفقاً لـ**لوك فيري**، لأن هذه الآلة ملدة أربعة وعشرون ساعة في اليوم تتعلم من تلقاء نفسها وإعادة إنتاج وتصنيع آلات أخرى وتحسينها باستمرار، وقبل كل شيء ومثل كل كائن دارويني سيكون همه الأول هو القضاء على الكائنات التي من المحتمل أن تنهي وجودها وفي طليعتها نحن البشر، والأمر حسب فيري ليس مزحة البتة، فعند قراءة العريضة الموقعة في جوبلية من قبل بيل جيتس Bill Gates (1955-) وستيفن هوكينج Stephen Hawking (1942-2018) وإيلون ماسك Elon Musk (1971-) برفقة ما يقارب ألف عالم بارز لهذه المناسبة حول المخاطر المتزايدة للتدخل الاصطناعي الذي سيصبح قوياً، على سبيل المثال تلك الروبوتات القاتلة الشهيرة المبرمج، كما هو الحال بالفعل مع بعض الطائرات بدون طيار لتقرر بنفسها دون الرجوع إلى أي سلطة بشرية، من يجب القضاء عليه ومن يجب أن يعيش أو يموت. وما يلفت الانتباه في هذه العريضة حسبي هو أنها لا تأتي على أقل تقدير من شخصيات معادية للعلم أو التكنولوجيا، بل على العكس من ذلك من أنصار أو المؤلين بالเทคโนโลยيا، ولعل هذا ما جعل إيلون ماسك يقر بأن الذكاء الاصطناعي أكبر تحدٍ وجودي تم اختراعه للبشرية على الإطلاق¹.

¹ibid, pp 39, 40.

ثانياً: الإنسانية المتحولة والاقتصاد

قد يبدو للبعض -حسب فيري- نوعاً من الغرابة في وجود اتصال بين سؤالين مختلفين تماماً: سؤال المستقبل البيولوجي والروحي للهوية الإنسانية من ناحية، وسؤال الوضع الاقتصادي الجديد المرتبط بالإنسانية المتحولة من ناحية أخرى، خاصة بالنسبة إلى المجتمع الفرنسي، الذي هو متأخر في هذا المجال مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت سبّاقة ورائدة في مجال تكنولوجيات الإنسانية الفائقة. ولكن ما إن أطلع صناع القرار والسلطات العامة على هذه التقنيات الفائقة، وما لاها الاقتصادية، فبالغوا في الاهتمام بها حدّ وصفها بالحل السحري لجميع المشكلات.

1- من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني):

إنّ ثورة الإنسانية الفائقة التي قامت في المجال البيو-طبي في الأساس، صاحبتها ثورة في المجال الاقتصادي كذلك، والتي أطلق عليها فيري "ثورة الاقتصاد التشاركي". وقد أكد على وجود روابط لها عميقة وسرّية مع أيديولوجية الإنسانية المتحولة، ويظهر هذا الارتباط بينهما في أربع نقاط أساسية:

-لهماء خلفية (بنية) تحتية تكنولوجية مشتركة إلى حدّ كبير، فالاقتصاد التعاوني لا يعتمد على الجراحة الحيوية فقط، بل يعتمد كذلك على البيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء المتصلة، والذكاء الاصطناعي، والطابعات الثلاثية الأبعاد، والروبوتات مثل مشروع الإنسانية المتحولة؛ فهذه التقنيات تجعل عملهما ممكناً، وبدونها لم يكن من الممكن أن يرى التحسين البشري ولا الاقتصاد التعاوني النور.

-هناك ما هو أكثر من ذلك على مستوى فلسفياً بحث في كلا المجالين، ويتمثل في مدى الحصول على الحرية والمساواة والتحكم في مصير الفرد من قبل الإنسان في حد ذاته. فأما من ناحية التعديل البشري، فإننا نجد هنا تتحقق من خلال الانتقال من الصدفة أو الحظ الطبيعي إلى الاختيار -كما ذكرنا سابقاً-، ونفس الشيء يعني ما على جانب الاقتصاد التشاركي، فبفضل الشبكات الاجتماعية، تمكن الفرد من

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الحصول على حرية أكبر¹، إذ أن ما يأتي به الاقتصاد التشاركي من أفكار جديدة ليس المشاركة في حد ذاتها، بل الرجوع إلى التقنيات الرقمية في مجال الشبكات والاتصالات لبناء علاقات اقتصادية يشارك فيها المستهلكون في استغلال ما هو ملك للغير، فهو يشرح الفرصة للحصول على الأشياء والاستفادة منها دون الحاجة إلى شرائها². مثلاً، في مقابل دفع مبلغ ضخم لحجز غرفة في فندق، بإمكاننا أن نجد شريكًا في نفس الوضع ونشارك في سكن معين، أو في مقابل شراء سيارة باهظة الثمن، بإمكاننا مشاركة السيارات عبر تطبيق "أوبر". وما يفهم هنا أنَّ الأمر يتعلق بتحرير أنفسنا من القيود بجميع أنواعها بيولوجية كانت أو اقتصادية.

-في ظل هذه الظروف تكون المجالان المعنيان، أي التحول البشري و المجال الاقتصادي التشاركي، مدعومين على نطاق واسع، ليس فقط من خلال بنية تكنولوجية وفلسفية مشتركة، ولكن أيضًا من خلال بنية سياسية، وفي كلتا الحالتين فهي الليبرالية، مشوبة بالديمقراطية الاجتماعية إلى حد ما، أو حتى ليبرالية متطرفة خالصة ومتشددة تعمل سرًا على تحريك إرادة أولئك الذين يريدون وضع حد لنقل التقاليد المفروضة على الأفراد، ويوضح ذلك فيري بمثال عن حركة "الصانعين" الذين يريدون تحرير أنفسهم بشكل خائي من الأعباء الاجتماعية، وأحياناً أيضًا من التشريعات الوطنية، بصنع الأشياء بأنفسهم. لهذا، فهم يستخدمون كل الإمكانيات المتاحة من طابعات خماسية الأبعاد، والبرمجيات مفتوحة المصدر في الشبكات الاجتماعية، والمجتمعات الصغيرة المختارة بحرية، الكهرباء، والأثاث، والأجهزة المنزليّة، وما إلى ذلك، وباختصار، كل ما هو ضروري وكافي لرفاهيّتهم وعيشهم³.

-إن الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني يتاسبان تماماً مع الحركة الأساسية للديمقراطيات الغربية، وهو تطور بطيء ولكن لا مفر منه وسرع بشكل متزايد منذ نهاية القرن الماضي⁴.

هناك علاقة عميقة ودائمة بين البنية التحتية للعالم، أي الاقتصاد والإنتernet أفضت إلى ظهور اقتصاد جديد والذي يسمى الاقتصاد التعاوني، الذي يرمز له بالرمز الشهير GAFA (جوجل-G-أبل-A-فيسبوك-F-Amazon-A). بالإضافة إلى التطبيقات الجديدة عبر الويب والتي تربط بين الأفراد بطريقة لم تكن معروفة من قبل، على غرار شركات مثل Airbnb أو Uber أو Bla Bla Car أو AirCar. لاسيما أن هناك الآلاف منها تنشأ

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 22, 23.

²فضل عبد الكريم البشير، دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، عدد 9، قطر، أكتوبر 2018، ص .27

³Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 23.

⁴ Ibid, p 24.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

سنواً في جميع أنحاء العالم. ووفقاً للفيلسوف والباحث الأمريكي جيرمي ريفكين (Jermy Rifkin) (1945-) -والذي يستشهد بأعماله كثيراً لوك فيري حيث يوافقه في بعضها ويرفض بعضها الآخر - يرتبط هذا الشكل الجديد من الروابط الاجتماعية مباشرة بظهور تنظيم اقتصادي جديد، والذي أصبح ممكناً بدوره بفضل الثورة الصناعية الثالثة التي كان من غير المعقول التفكير فيها قبل انتشار الإنترن特. ووفقاً لتبؤاته، يجب أن تسمح هذه المعطيات الجديدة قريباً بتنظيم الحياة البشرية خارج نظام رأس المال، أي خارج الهيكلين المتربطين معها منذ القرن السادس عشر: الدولة والسوق، أو حكومات الدول الوطنية من جهة، ومن جهة أخرى، مجتمع مدني اقتصادي تجاري مكرس تماماً للربح¹. فبنية "الويب" ستؤدي إلى ظهور تنظيم اجتماعي وسياسي من نوع جديد، تتجمع فيه الأمم بأكملها في شبكات دولية ومجتمعية حيث سيستحفظ بعضها بغايتها الربحية، بينما ستصبح معظمها ميزانية وغير مادية على غرار ويكيبيديا.

بدا ريفكين متفائلاً في عرضه لما ستؤول إليه حياة البشر نتيجة إضفاء الصبغة الافتراضية على عدد كبير من أ направ التفاعل الإنساني، لكن حسب فيري، إن الحياة الافتراضية التي تنبأ بها ريفكين لم تكن بهذه المثلالية. فمن الأمثلة الكارثية التي تناقض الرؤية التفاؤلية التي طرحتها الكاتب هنا والمتعلقة بالاقتصاد الافتراضي، حيث أنتجت الحياة الافتراضية اقتصاداً هشاً سريع النمو سريع الانهيار. لقد أقر فيري بأن الكمال من المعلومات الذي أصبح متاحاً على الشبكة العنكبوتية وسيمهد الطريق نحو حالة من الامتثالية والعبودية الإرادية، وأن الثورة الرقمية التي تقدم إسهامات عظيمة النفع في مجالات متعددة كالطلب مثلاً، غير أن هذه الثورة وجهاً قبيحاً مقابلاً، وأن عالم البيانات الهائلة Big Data سيتتبع نموذجاً للدكتاتورية والرقابة الصارمة شبيهاً بما حكى عنه جورج أورويل في روايته "1984"، إلا أنه غير محسوب ولا متباعد².

إن انعكاسات الثورة الرقمية ليست إلا في بداياتها، وستنتهي بنا إلى حالة يكون فيها الإنسان مفصولاً عن نفسه وببساطة كائناً قابلاً للمراقبة المطلقة. وأنه رغم هذا التطور التقني الذي وصلت إليه البشرية، إلا أن مشاعر انعدام الأمن والقلق الدائم التي كانت تصيب الإنسان البدائي ستعود من جديد. ففي عصر الثورة الرقمية سيعود هذا الشعور، وستندعم عمليات المراقبة الدقيقة تشعيرات الدولة القومية والشركات صاحبة

¹Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution : How lateral power is transforming energy, the economy and the world*, Plagrave macmillan, London, 2011, pp 10,15.

²تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية: العالم الافتراضية وأثرها على الإنسان، آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، (دط)، 2022، ص 106, 105

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

النفوذ اللامحدود مثل جوجل وأمازون وغيرها. بل إن الجنس البشري نفسه سيعرض لتهديد وجودي في مقابل الآلة التي قد تخل محله وتتفوق عليه¹.

يعتقد ريفكين أن تكنولوجيات الثورة الرقمية، وفي مقدمتها الإنترن特 ومصادر الطاقة المتتجدة، يمكنها أن تقود البشر نحو مستقبل أفضل، وأن تقدم الكثير من الحلول للمازنق الكبرى التي تواجهها البشرية اليوم، ويرى أنها يمكن أن تخلقآلاف المشاريع والمؤسسات، مايسسمح بتشغيل العاطلين عن العمل عبر توفير ملايين الفرص. كما أنها ستفتح آفاقاً جديدة لعلاقات إنسانية أكثر افتتاحاً على الآخر، بدلاً من العلاقات التي أنتجها اقتصاد السوق والليبرالية العشوائية².

يستند ريفكين في موقفه هذا -حسب فيري- إلى فكرة أن العالم الغربي عرف في العصر الحديث ثلاث ثورات صناعية كبيرة، حيث ترتبط كل واحدة منها بثلاث ركائز أساسية: مصدر طاقة جديد يضاعف الإنتاج، وشكل جديد من التواصل بين البشر، وتنظيم اجتماعي جديد للإنتاج. هذه الثورات الثلاث من المفترض أن تؤدي إلى نهاية الرأسمالية³، ويمكن أن نوجزها في:

الثورة الصناعية الأولى، وهي ثورة الطباعة والبخار، حيث في نهاية القرن الخامس عشر اخترع غوتينبرغ Gutenberg آلة الشهيرة للطباعة. ولكن مع ظهور طاقة جديدة في ثمانينيات القرن 18، بدأت تتطور آلة الطباعة، حيث سمحت الطابعات الدوارة والطابعات الأخرى التي تعمل بالبخار لأول مرة في تاريخ العالم بإنتاج الصحف والمكتبات والمصقات بطريقة صناعية. وهكذا تطورت أشكال جديدة من التواصل بدءاً من السكك الحديدية، في حين يصبح التعليم العام والصحافة ممكنتين بفضل الكتب والصحف ذات التكلفة المنخفضة، وفي هذا السياق يتراجع العالم الريفي في مقابل انتشار التحضر والتمدن⁴.

-**الثورة الصناعية الثانية**، التي تأتي بعد الأولى بعشرة عام بفضل مصدرين جديدين للطاقة: محرك الاحتراق الداخلي (الاشتغال) والكهرباء. وهنا يفتح القرن التاسع عشر عصر تطور رأسمالية متسارع، صاحبها أشكال جديدة من التواصل مع الهاتف، والبرقية، ثم الراديو والتلفاز، وبالطبع السيارة والشاحنة

¹المرجع نفسه، ص 106.

²Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution*, p 5.

³Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 96.

⁴نادية جاسم الشمري، *التطورات الصناعية في أوروبا 1870-1914 وانعكاساتها على دول العالم*، مجلد 10، عدد 1، جامعة بابل للدراسات الإنسانية، 2020، ص 5.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والطائرة التي تقوم بشورة اللوجيستيات ووسائل النقل، بينما يستمر التمدن والتحضر في التزايد على حساب الريف والمناطق النائية، وتتحول الشركات إلى شركات متعددة الجنسيات¹.

-الثورة الصناعية الثالثة، التي نعيشها اليوم، تجمع مثل الأخرى مصادر طاقة جديدة وتحديداً طاقات خضراء أو متتجدة (الطاقة الشمسية، الجيوجرافية، الهيدروجيئية...) مع شكل جديد من وسائل الاتصال وهو الإنترن特 بمختلف أنواعها. وهنا يظهر تنظيمياً للحياة الاقتصادية جانبي وموزع، وهو تنظيم يجمع بين البعد العابر للحدود والتدرجى واللامركزي للحياة الاقتصادية والسياسية المرتبطة بظهور شبكات اجتماعية عالمية، بالإضافة إلى أدوات جمع وتحليل البيانات الضخمة التيتمكن من توسيع الاقتصاد التشاركي². وفي هذا السياق، يبدو أن انحسار الرأسمالية يظهر في الأفق.

يقوم الاقتصاد التشاركي كبنية تحتية على "الويب"، وبهذا يولد أوضاعاً جديدة للعلاقات الإنسانية تبدأ بشبكات التواصل الاجتماعي التي يتداول عليها مئات الملايين من الأفراد يومياً وسائل وصور وموسيقى وآراء من جميع الأنواع. نظام يبدو مجانياً، لكن كما أنه يسمح باستمرار جمع البيانات الخاصة التي تُتابع لشركات أخرى وتحقق أرباحاً هائلة.

يقف العالم على بداية عصر جديد في الصناعة والتصنيع، لا تقوده الآلة أو التقنيات الحديثة، فالثورة الصناعية الرابعة تقوم على الثورة الرقمية الثالثة التي حدثت منذ منتصف القرن الماضي، وتميز بدمج التقنيات التي تعمل على طمس الخطوط الفاصلة بين المجالات المادية والرقمية والبيولوجية. هذا ويشير مفهوم الثورة الصناعية الرابعة إلى الموجة الجديدة من الاستخدام للتطبيقات التي تستند إلى الصناعة في طورها الرابع من حيث استخدامها للتقنية، لاسيما في المجالات الحديثة مثل: الروبوتات، والذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وإنترنت الأشياء، وتكنولوجيا النانو، وـ"البلوك تشين" Blockchain، والحوسبة الكمومية، والمركبات المستقلة وغيرها، واستخدام هذه التكنولوجيا في الحياة اليومية. ويعني ذلك أن الثورة الصناعية الرابعة تستند إلى الثورة الرقمية التي تمثل اتجاهًا جديداً تصبح فيه التكنولوجيا جزءاً لا يتجزأ من المجتمعات، وأنها ستختلف عالماً تعاون فيه أنظمة التصنيع الافتراضية والمادية مع بعضها البعض بطريقة مرنّة على المستوى العالمي. وبذلك، فإن هذه الثورة ذات نطاق أوسع كثيراً من الآلات والأنظمة الذكية؛ حيث ستسبب وعلى التوازي في موجات من الاختراقات الإضافية لمجالات تتراوح من تسلسل الجينات إلى تكنولوجيا النانو، من

¹Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution*, p 43.

²جيروم ريفكين، الثورة الصناعية الثالثة: كيف تغير القوة الموازية الطاقة والاقتصاد والعالم، ترجمة: سعيد الحسينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، (دط)، (دت)، ص 35 - 69.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الطاقة المتتجدددة إلى الحوسبة الكومومية، إن اندماج هذه التقنيات وتفاعلها عبر المجالات المادية والرقمية والبيولوجية هو الذي يجعل الثورة الصناعية الرابعة مختلفة اختلافاً جوهرياً عن الثورات السابقة. وعليه، يرتبط مفهوم الثورة الصناعية الرابعة بأتمة الصناعة واقتصار الدور البشري فيها على المراقبة والتدقيق، الأمر الذي يضمن تحقيق الكثير من الإيجابيات لصالح البشر، مثل القدرة على رفع مستويات الدخل العالمي وتحسين نوعية الحياة للجميع¹.

يتفق فيري مع ريفكين في أن ولادة الإنترن特 الرباعي ساهمت في بناء الاقتصاد التعاوني، إذ أنه توجد الآن ثلاث شبكات إنترنط مختلفة وجميعها متصلة بعضها البعض ضمن شبكة رابعة، وهي شبكة الأشياء المتصلة، أين تجتمع إنترنط الاتصالات، وإنترنط الطاقة، وإنترنط اللوجستيات في إنترنط الأشياء المتكاملة، حيث تعمل معاً في نظام واحد. فبدون الاتصال، من غير الممكن إدارة النشاط الاقتصادي، وبدون الطاقة، من غير الممكن خلق المعلومات أو تغذية النقل، وبدون اللوجستيات، من غير الممكن تقدم النشاط الاقتصادي على طول سلسلة القيمة. إذن فمع تشكل الأنظمة الثلاثة العاملة على تشريح للكائن الاقتصادي الجديد، ومن المتوقع حسب ريفكين -خلافاً لما يراه فيري- ستؤدي هذه الفيزيولوجيا الجديدة ابتداءً من النصف الثاني من القرن الحالي إلى إما موت الرأسمالية بشكل كامل أو إلى انحسارها نهائياً، حيث ستكون مهيمنة عليها الشبكات المشتركة المتعاونة والاقتصاد التشاركي غير الربحجي². فإذا نظرنا إلى الإنترنط الأكثر شهرة والذي نستخدمه يومياً، أي إنترنط الاتصال، نجد أنه يتم تسuirه بشكل كبير من قبل الشركات GAFA، ويمكن إضافة إليها مجموعة واسعة من وسائل التواصل الاجتماعي مثل توير ولينكدين، بالإضافة إلى جميع التطبيقات التي تدعم الاقتصاد التعاوني على غرار أوبر وAirbnb وBlaBLA وCar وويكيبيديا... وغيرها الكثير، التي دورها جمع وإدارة مئات الملايين من ملفات الأفراد لأغراض تجارية أو غير تجارية مختلفة، وهم مجتمعون في شبكات متراقبة³. وتبصر هذه الإنترنط استخدامات مدفوعة مثل السلع التي نشتريها على أمازون أو الشقق المستأجرة على Airbnb، والبعض الآخر مجاني، مثل خدمات غوغل، فيسبوك، أو منصة X، حيث يمكن تصفح الشبكة مجانياً للمستخدم أين نقوم بالبحث على الويب أو النشر فيه دون دفع أي مال.

¹ تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية، ص ص 15، 20

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 99, 100.

³ Kristin Bremser and Maria de Mar Alonso-Almeide, *Sharing economy and tourism : lights and shadows* , mic 2017, venis, italy, mai 2017, p 96.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في المقابل يرفض فيري هذه الفكرة. ففي الحقيقة، هذه الخدمات المجانية يكون من ورائها أرباح هائلة، حيث تقوم هذه الشركات المزدهرة -التي تبدو غير مدفوعة بشكل زائف فقط- بجمع تدريجي لا حصر له من البيانات المتنوعة حول أساليب حياتنا، وتطلعاتنا، وصحتنا، وعيوبنا، ومخاوفنا، أو عاداتنا الاستهلاكية(هذا ما يسمى بالبيانات الضخمة Big Data) التي يتم بيعها بأسعار خيالية لشركات أخرى، مما يمكن هذه الشركات من تحسين استراتيجياتها في التواصل، والابتكار، والبيع، وتوجيه الإعلانات نحو عملائها وتخسيصها، لتوجيه الردود على أسئلة المستخدمين على الإنترنت بشكل متزايد بناء على السياق.¹.

يمكن القول بأن "الويب" الذي تم اختراعه بعد الإنترنت في بداية التسعينيات من القرن العشرين من قبل تيم بيرنر-لي Tim Berners-Lee وروبرت كايلو Robert Cailliau، هو تطبيق للشبكة العنكبوتية الذي سمح بالتواصل بين جميع المعلومات التي يمكن العثور عليها على الشبكة بينما كانت تكون منفصلة بسبب عدم وجود واجهة مشتركة، فالويب يستحق اسمه "الشبكة العنكبوتية العالمية"، وهذا بالطبع يعني أنه سيكون بمثابة بنية تحتية للاقتصاد الجديد (التعاوني أو التشاركي) عن طريق ربط جميع الأفراد الذين يرغبون في ذلك أينما كانوا في العالم وفي أي وقت من النهار أو الليل. وبعد ذلك يأتي "إنترنت الطاقة" المعروف بال شبكات الذكية. ربما تكون هذه النقطة التي أهدرت فيها أعمال ريفكين السياسيين المسؤولين عن هذه القضايا بشكل كبير، وتعتمد على فكرة أن المجتمعات، سواء كانت على مستوى مبني، شركة، قرية، أو منطقة، في النهاية يجب أن تنضم هذه المجتمعات الطاقوية لتغطية العالم بأسره، ويمكنها تنظيم شبكات على غرار الويب لإنتاج الكهرباء بأنفسها باستخدام الطاقة الخضراء والمتتجدة (طاقة الرياح والألواح الشمسية...) التي في العقود القادمة ستتنافس من حيث السعر والكفاءة المهيأكل المركبة التقليدية من نوع EDF. وكل مجتمع إذن يمكن أن ينتج ليس فقط كميات كافية من الطاقة لاستهلاكه الخاص، ولكن أيضًا التبادل مع الآخرين عن طريق تشبّيّهه بالإنترنت الأول، تلك التي تتعلق بالاتصالات، حيث يتم تخزين الفائض الذي تم توليده ثم مشاركته². ووفق فيري نحن لم نصل بعد إلى هذه المرحلة، إذ لم تحل مشاكل تخزين الطاقة، بالإضافة إلى تلك المتعلقة بتكلفة الاستثمارات الأولية الضرورية لتشغيل هذه الشبكات باستخدام الطاقات الخضراء. ومع ذلك، بمجرد إتمام هذه الاستثمارات ووضع البنية التحتية، تتجه التكلفة الهامشية لهذه الطاقات المتتجدة

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 100.

²جيروم ريفكين، الثورة الصناعية الثالثة، ص ص 58، 59.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بشكل لا محدود نحو الصفر، (حيث أن الرياح والشمس، حتى لو لم تكن دائمة موجودة، تعود بانتظام ولا تكلف شيئاً).

أما فيما يخص الإنترنت الثالث، وهو إنترنت اللوجستيات، الذي يتعلق بشكل خاص بقضايا النقل التي في الوقت الحالي لا تزال تعامل بطريقة غير منطقية؛ فمثلاً، نستخدم سياراتنا في المتوسط فقط 6% من الوقت، و94% المتبقية تكون متوقفة في مواقف السيارات، ونفس الشيء بالنسبة للشاحنات المخصصة لنقل البضائع، فغالباً ما تسير نصف مليئة. وهناك في اللوجستيات الحالية عيوب أخرى كثيرة ستحتفي إذا نظمنا النقل البري بواسطة الإنترت الأول والثاني: اتصال زائد طاقة.¹

إن الفرضية الرئيسية لـ فيري -تماشياً مع موقف ريفكين- هي أن أنواع هذه الإنترت الثلاثة تجتمع في واحدة، الرابعة وهي إنترنت الأشياء المتصلة؛ فمن المتوقع أن يكون هناك في عام 2030 ما يصل إلى 200 ريا 300 مليار جهاز متصل في العالم، فهي أجهزة ستجمع بشكل مستمر مiliارات من "البيانات الضخمة" حول جميع المواقع الممكنة والمتخيلة.

يؤكد فيري كذلك على أن الإنترت الرابع أو البيانات الضخمة Big Data لها إمكانيات هائلة وضرورية، بدءاً من الصحة أو الوقاية من جميع أنواع الحوادث حتى مكافحة الجريمة. والحقيقة أن مiliارات الأجهزة المتصلة بالفعل موجودة في قطاعات مهمة قد تزرع في المسakens، في المكاتب، في السيارات، في أسس المنازل، في جدرانها، في أسوار ساعاتها، في صناديق الفاكهة، في البراكين، في الطائرات، في الحيوانات، في البحيرات والمحيطات، في جسم الإنسان، في الطيور المهاجرة، في أنظمة الأمان، في كاميرات المراقبة، في المتاجر والأماكن العمومية، وغيرها... لأغراض متنوعة تتراوح بين توقع الجرائم والزلزال والانهيارات الثلوجية، ومكافحة السرطان، ومتابعة الأشخاص المسنين والمعاقين، ومواجهة الكوارث الإنسانية، والازدحام على الطرق. فإنترنت الأشياء يدمج البيئة المبنية والبيئة الطبيعية ضمن شبكة وظيفية متماسكة، فهو يسمح لجميع البشر وجميع الأشياء بالتواصل مع بعضهم البعض للبحث عن التأزر، ويسهل هذه التفاعلات من أجل تحسين كفاءة المجتمع مع ضمان الرفاهية العامة للكوكب. وهنا نجد آثار هؤلاء الناشطين في مجال التعزيز والتحسين البشري والشركات التي تقول هذه الأبحاث². على الرغم من أن المستفيدون من تلك التطبيقات حتى الآن انحصروا في قلة من المستهلكين القادرين على تحمل تكاليف العالم الرقمي والوصول إليه، إلا أنه

¹ المرجع نفسه، ص ص 69، 70.

²Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 102, 103.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يوماً بعد آخر تتسع دائرة المستفيدين من تلك الخدمات والمنتجات التكنولوجية الجديدة لتشمل فئات أقل دخلاً وأكثر تهميشاً، الأمر الذي يؤكد الإيجابيات الكبيرة التي يمكن أن تتحققها هذه الثورة لصالح البشرية. ورغم هذه الإيجابيات، إلا أن هناك الكثير من التخوفات حول النتائج السلبية لتلك الثورة، لا سيما في الأثر السلبي على التوظيف وفرص العمل؛ يتوقع أن تُسفر الثورة الصناعية الرابعة عن قدر أكبر من عدم المساواة، لا سيما في قدرتها على تعطيل أسواق العمل، نظراً لأن الأقمة تحل محل العمالة عبر الاقتصاد بأكمله، ما يجعل القوى العاملة في العالم بحاجة إلى رفع كفاءة وتعزيز مهارات. وأن العاملين في الجهات الرسمية وال العامة هم الأكثر حاجة إلى بناء القدرات، أي إلى رفع مستوى أدائهم الوظيفي وتعزيز كفاءاتهم ومهاراتهم العملية.

رغم الآثار السلبية المتوقعة للثورة الصناعية الرابعة على الوظائف والعمالة في العالم، إلا أنه توجد العديد من الإيجابيات الناجمة عن تطبيقاتها الواسعة؛ حيث توفر فرصاً كبيرة للمجتمعات البشرية كي تتحقق معدلات عالية من التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وتجدر الإشارة إلى أن الثورة الصناعية الرابعة تدور حول أكثر من مجرد تغيير مدفوع بالتقنيات، حيث إنها فرصة لمساعدة الجميع، بما في ذلك القيادة وصناعة السياسات والأشخاص من جميع فئات الدخل والدول، لتسخير التقنيات المتقاربة من أجل خلق مستقبل شامل محوره الإنسان. وبصفة عامة، يمكن القول إنه في المستقبل القريب ستؤدي تطبيقات الثورة الصناعية الرابعة إلى معجزة في جانب العرض مع مكاسب طويلة الأجل في الكفاءة والإنتاجية، وستنخفض تكاليف النقل والاتصالات¹.

بحلاد المزايا السابقة على الاقتصاد العالمي، يشير الخبراء إلى أن الثورة الصناعية الرابعة من شأنها أن تكون أكثر إنصافاً لفئة المهمشين اقتصادياً الذين صار بمقدورهم الوصول إلى مختلف المعلومات والخدمات بسهولة عبر شبكات رقمية. من شأن تلك الثورة أيضاً أن ترفع من كفاءة المؤسسات وتعجل من تطوير الخدمات الصحية، وربما أمكنها من معالجة أزمة تغير المناخ.

يُوافق فيري على فكرة ريفكين في أن الإنترن特 الرباعي أدى إلى ظهور الاقتصاد التشاركي أو التعاوني، والذي يتحقق حسبه من خلال ربط ثلاث عناصر أساسية معاً: الذيل الطويل، منطق التكلفة، والحداثة-الصرفية، أو تكلفة الحد الأدنى، مع ظهور شكل جديد من المجانية التي يصفها فيري -خلافاً لريفكين- بالوهبية. هذا، وينتهي أيضاً إلى أن هذه الصيغ قد لا يستصيغها غير المتخصص، لكنه بالرغم من ذلك عمل

¹ تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية، ص 223، 227.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوئي فيري

نجد أن برنامج iTunes يمكنه تقديم ملايين العناوين، بما في ذلك تلك التي تكون قليلة الشهرة وقليلة المبيعات، بدون تكلفة إضافية، وما يلاحظه أندرسون حسب ما يعتقده فيري، طبعاً، هو أن العناوين القديمة التي لم تكن من الأكثر مبيعاً تستمر تقريرياً إلى الأبد في البيع؛ بالطبع تباع بكميات قليلة، معنى أقل

¹ Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, pp 105, 106.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

من الأكثر مبيعاً، ولكن على الرغم من ذلك، فإنها ليست أبداً أو تقريباً صفر. ومنذ اللحظة التي تكون فيها التكلفة الهامشية للتخزين والتوزيع تساوي الصفر، فيبيع الكتاب الأكثر مبيعاً بـ مليون نسخة أو بـ ٤ مليون متنج غير مرغوب فيه بنسخة واحدة يعود إلى نفس النتيجة. فمثلاً، عندما يتم شراء من Amazon، أو بشكل عام عندما يتم التسوق عبر موقع التجارة الإلكترونية، يتم توجيهنا فور الانتهاء من عملية الشراء إلى روابط تقدم لنا العمالء الذين اشتروا هذا المنتج وقاموا أيضاً بشراء منتجات أخرى، مما يتاح الفرصة للبضائع التي تباع بكثيات قليلة ولكن مع ذلك بانتظام، والتي في النهاية، نظراً لكم المائل من العروض من هذا النوع، تنتهي ببيع كميات أكبر بكثير مما كانت عليه الكلاسيكيات التي كانت تحقق مبيعات كبيرة، حيث كان يُحجز لها محلات ورفوف. هذا ما يعنيه أندرسون بـ "الذيل الطويل"؛ فالسلسلة الطويلة من هذه المنتجات التي لم تعد تُعرض، ولكن من خلال استمرار بيعها بتكلفة هامشية صفرية، تنتهي بتحقيق أرباح أكبر من الأفضل مبيعاً. ومن الواضح أنه قبل العصر الرقمي، الذي يسمح فقط بالتخزين والتوزيع بتكلفة هامشية صفرية، كان من الصعب تصور هذا النوع من التجارة. هناك تعقيب لفيري حول هذه الفكرة، وهو أنه إذا كان يتعين تخزين جميع الأشياء التي يمكن شراؤها على Amazon، مثلاً، في متجر حقيقي، فإنه من الواضح سيكون أكبر مساحة مغطاة في العالم بحجم مدينة كاملة، مما يجعل النموذج الاقتصادي غير قابل للتطبيق.¹.

لكن السؤال الذي يمكن طرحه هنا: كيف يمكن تحقيق أرباح هائلة - كما تفعل الشركات الكبرى في مجال التكنولوجيا - على الرغم من أن عالم المنافسة الرأسمالية يدفع إلى ابتكار تقنيات تؤدي إلى تكلفة هامشية صفرية؟

في الواقع، هناك طريقتان لتحقيق ذلك: إحداهما تقليدية، والأخرى جديدة تماماً. فال الأولى معروفة جداً لدى علماء الاقتصاد وبعken توضيحها بمثال شفرات الحلاقة "جيلىت" Gillette؛ ففي أوائل القرن الماضي، أطلق King Camp Gillette شفرة حلاقة الأمان الشهيرة التي من المفترض أن تخل محل شفرات الحلاقة القديمة لحاقي ذلك الوقت. في البداية، لاقت فشلاً ذريعاً، حيث لم يتمكن من بيع سوى 51 شفرة حلاقة، ثم توصل إلى فكرة عدم التخلص عن منتجاته مجاناً، ولكن بيعها مقابل لا شيء تقريباً وبخسارة لموزعين خواص، بما في ذلك البنوك والشركات، لجعلها هدايا ترويجية. ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي الملحقات، لأنه لاستخدام شفرة الحلاقة من الضوري شراء شفرات الحلاقة القابلة للتخلص منها، وعلى هذه الشفرات

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 106, 108.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بحسب "جييليت" هوماش مربحة. وبالتالي، تولد شفرة العلاقة المجانية أرباحاً كبيرة من خلال كونها منتجًا جذابًا لمنتج آخر ضروري لعمله¹. نجد نفس المنطق اليوم عندما يتم تقديم هاتف محمول مجانًا بشرط أن تأخذ هاتفًا مع اشتراك هاتف لعدة سنوات، ونفس الشيء لوحدة تحكم ألعاب الفيديو أو آلة القهوة بأسعار مخفضة حتى نشتري الألعاب أو الكبسولات الازمة لاستخدامها. في هذه الحالة، فإن المجاني ليس في الواقع سوى مجاني زائف.

يختلف الأمر مع النموذج الذي أنشأته Google وفيسبوك، كذلك حتى لو كانت النتيجة هي نفسها، كسب المال من المجاني؛ لأن هناك، كما رأينا في تحليل "الذيل الطويل" أو "التكلفة الهاشمية الصفرية"، أصبح المجاني، على الأقل بعد الاستثمار، مجانيًا حقًا. لكن كيف لشركات مثل جوجل أو فيسبوك تزف مئات المليارات من الدولارات وتحقق أرباحاً مذهلة كل عام دون جعل المستخدمين يدفعون أي شيء؟ في الواقع، كما يقول شعار شهير الآن: "إذا كنت لا تدفع شيئاً ظاهريًا، فهذا يعني أنك المنتج"، وهي صفة تُنسب إلى الرئيس التنفيذي لشركة Apple Tim Cook (1960-)، الذي قصد من خلالها انتقاد أرباح فيسبوك وجوجل الخبيثة على وجه التحديد. فإذا لم يجعلونا ندفع أي شيء عند استخدام خدماتهم، فذلك لأنهم يجمعون من خلال تصفحنا المتنوع معلومات لا حصر لها عنا، يتم بيعها بأسعار باهظة الثمن للشركات التي تستخلص منها دروسًا قيمة لاستهداف عملائها. لذلك، نواجه ما يسميه خبراء الاقتصاد "أسواق ثنائية الجوانب"، جانب مجاني للأفراد، والجانب الآخر مدفوع للشركات. فيما هو القاسم المشترك بين جوجل والصحف المجانية وملفات pdf؟ هذه هي الأنشطة التي يتميز فيها أحد جانبي السوق -جانب المستهلكين - بالمجانية؛ إذ لا يتم الدفع عند استخدام محرك البحث جوجل، أو عند قراءة صحيفة مجانية، أو لعرض ملف pdf. لكن هذه الخدمات تستهدف أيضًا عمالء آخرين كالشركات التي ستضطر إلى دفع مبالغ باهظة مقابل وضع إعلان أو إنشاء ملف pdf. إذن جانب واحد من السوق مجاني، والجانب الآخر مدفوع. هذه هي السمة المميزة للأسواق ثنائية الجوانب². هذا هو أحد المصادر الرئيسية لقيمة "البيانات الضخمة" التي يتم بيعها للشركات، وتثير باستمرار بفضل مليارات الأجهزة المتصلة التي تنتشر باستمرار على الإنترنت. لذلك، فإن المجاني الوهمي مربح للغاية لأولئك الذين يتقنون فن استخدامه؛ حيث يتم إدارة الشبكات الاجتماعية المجانية ظاهريًا كشركات خاصة ذات غرض ربحي بحت، إذ نرى مدى ما إنتاج اقتصاد الشبكة الذي يتتطور بشكل كبير من خلال التقنيات الجديدة والأجهزة المتصلة، عالمًا يتميز بكل ما نريد باستثناء

¹ Ibid, p 109.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 109, 110.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

نهاية الرأسمالية. فما نعيشه في الاقتصاد الجديد هو، في نفس الوقت، موجة قوية من إلغاء القيود ومعادية للدولة (Uber poss مثلاً)، وظهور أرباح مجانية سريعة وضخمة كما يتضح من الأرباح الاستثنائية التي حققتها شركات مثل Airbnb وBla Bla Car وVente-Privee.com والعديد من الشركات الأخرى التي تربط الأفراد بالمهنيين التقليديين (في هذه الحالة الفنادق، والسيارات الأجرة، وشركات تأجير سيارات، والمتاجر الكبرى، وما إلى ذلك) متجاوزين الوسطاء -على عكس ما يزعم البعض عن نهاية الرأسمالية- فإن ما نشهده هو انفجارها المتشدد والتجاري تحت ستار مجانية لطيفة ومخادعة، سواء كانت شبكات اجتماعية كبيرة أو شركات ناشئة مبنية على نموذج Uber، فإن الهدف النهائي يظل هو نفسه، كسب أكبر قدر ممكن من المال في أسرع وقت ممكن.

يمكن طرح سؤالين رئисيين في ظل هذه الممارسات الجديدة: أولاً: من هو المالك الشرعي لهذه البيانات؟ هل هي كما يقول القانونيون "res-nullius" ، "شيء لا يملكه أحد" ، مثل الهواء في السماء أو مياه الأمطار التي تنتهي للجميع؟ ألا ينبغي أن تظل بدلاً من ذلك ملكية الأفراد الذين ينشؤونها؟ وثانياً: هل البيانات التي يتم جمعها من تصفحتنا المتنوع هي بيانات عامة أو خاصة؟ يمكن الوصول إليها للجميع، أم محمية بنظام وصول محدد؟

الحقيقة هي أن الغالبية العظمى من البيانات الشخصية مفتوحة اليوم أمام الشركات الكبرى لتكنولوجيا المعلومات، بدءاً من GAFA، ولكن أيضاً أمام الشركات الخاصة مثل Traget، Griteo، Axicon، التي تستحوذ على البيانات الضخمة لاستخلاص جميع أنواع المعلومات منها من خلال تحليلات خوارزمية، وتتاجر بها، أي تصبح حياتنا الخاصة عبارة عن بضائع، وهذا ما تعنيه عبارة: "إذا كان الأمر مجانيًّا فأنت المنتج" ، وبعبارة أخرى "إن لم تدفع شيئاً فأنت البضاعة" ، والمقصود بـ"أنت" أي بياناتك الشخصية التي تصبح "النفط الجديد" الذي يُباع بأسعار باهظة. لهذا يعتقد أنها جد بعيدون عن عالم الشبكات الاجتماعية غير الربحية والمعادية للرأسمالية¹.

لنفترض أن شركة التأمين الخاصة بنا تستطيع النظر إلى الآثار التي تركتها نحن أو أحبابنا على شبكة اجتماعية معينة، أو حتى البيانات التي باعتها لهم شركة متخصصة في هذه التجارة الجديدة، وبالتالي يمكن اكتشاف أنها مصابون بمرض خطير أو أن لدينا التزاماً سياسياً معيناً، أو عادات معينة، أو تفضيلات لا تناسبهم. وهنا سوف نجد أنفسنا محاصرين بالطبع تنفي الشركات الكبرى التي تتاجر بالبيانات الضخمة؛

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 112, 113.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بأنها "تحفي هوية" البيانات التي يتم جمعها، لكن الحقيقة هي أنه لا يوجد شيء على الإطلاق يسمح لنا بالتأكد من ذلك. ففيسبوك، مثلاً، تم اتهامه سابقاً بتزويد وكالة الأمن القومي الأمريكية. علاوة على ذلك، فإن فعل "تحفي الهوية" بحد ذاته مقلق، لأنه يعني أن البيانات ليست مجهرة الهوية بطبيعتها. وهكذا تم التنصت على جميع رؤساء الدول والحكومات الأوروبية على نطاق واسع، حتى في أكثر رسائلهم خصوصية، من قبل أجهزة الاستخبارات الأمريكية الكبيرة، خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2011، حيث أقرت الحكومة "قانون باتريوت" الذي يمنح السلطات الأمريكية الحق في الوصول المباشر إلى البيانات السحابية المخزنة على خوادم الشركات الأمريكية¹. وهنا يخلص فيري إلى أن المجاني مربح للغاية لأولئك الذين يتقنون فنون استخدامه، إذ تتم إدارة الشبكات الاجتماعية المجانية كشركات رأسمالية خاصة ذات أهداف ربحية بحتة. ولمواجهة صعوب هذه التقنيات الجديدة حسبه، سيكون علينا التفكير في قواعد جديدة إذا كنا نريد على الأقل إدخال الحد الأدنى من التنظيم الأخلاقي في هذه الأمور.

نجد كذلك هذه التطبيقات الكبرى على الويب مثل جوجل، فيسبوك، وتويتر، تستغل قواعد المشاركة التي حققت لهم نجاحاً كبيراً؛ لأنهم يبيعون بعد ذلك -إلى أعلى مزاد- البيانات الضخمة للمعاملات التي تمر عبرهم. والمشترون هم الشركات التجارية التي تستخدمنها للإعلان المستهدف، وحملات التسويق، وجهود البحث، وتطوير منتجات وخدمات جديدة، والعديد من المشاريع التجارية الأخرى. هذا، وتستغل هذه التطبيقات الموارد المشتركة لأغراض تجارية؛ بمجرد أن يتصل المستخدم بموقع "الويب" لشبكة اجتماعية، يتم على الفور التقاط إحداثيات المستخدم الحيوية دون علمه، على الأقل حتى الآونة الأخيرة، ويتم امتصاصها في الصوامع، وحبسها، وتتسويقها²؛ خاصة وأن هذه الشبكات عبارة عن شركات تجارية لديها مصلحة في زيادة أرباحها عن طريق بيع معلومات عن مستخدميها إلى جهات خارجية، بينما يتطلع المستخدمون إلى تحسين اتصالاتهم الاجتماعية. وبعبارة أخرى، تدير هذه الشركات "موارد اجتماعية مشتركة" كشركة تجارية. ينتهي فيري بعد هذا التحليل للاقتصاد التشاركي وأسسها إلى أن نبوءة ريفكين حول مجانية النت والموقع الاجتماعية ستؤدي إلى نهاية الرأسمالية غير واقعية؛ بل ما نشهد هو انفجارها الليبرالي المتطرف، أو التحريري التجاري، والذي ينتشر أمامنا تحت ستار المجانية. وحسبه، فإن خطأ ريفكين الأساسي هو الخلط بين القاعدة والاستثناء؛ فبالنسبة له يجب أن تكون القاعدة هي المجانية في اقتصاد تعافي غير ربحي. صحيح يمكن استحضار حالة ويكيبيديا كمثال، والتي تقدم خدماتها بدون ملفات تعريف الارتباط أو الإعلانات؛

¹Ibid, p 113.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 114.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بهذه الطريقة تبدو غير مهتمة حقاً، كما تفعل العديد من التطبيقات الأخرى مثل شبكات المرضى الذين يتعاونون بحرية لمشاركة تجاربهم وأمالهم واكتشافاتهم¹. لكن لا يمكن الخلط بين هذه الاستثناءات والقاعدة العامة التي تنص على أن المجاني لا يستخدم إلا لتوليد الأرباح، سواء كان الأمر يتعلق بشبكات التواصل الاجتماعي الكبير أو الشركات الناشئة المبنية على نموذج Uber، فإن الهدف النهائي كما هو الحال بالنسبة لأي شركة رأسمالية، يظل دائماً القيمة المضافة.

من المتوقع أن يؤدي التقدم التكنولوجي إلى إعادة تكوين المجتمعات وفقاً لشروط ومواصفات جديدة، من أهمها حدوث تغييرات في طبيعة وأنواع السوق وفرص العمل، وارتفاع وظائف ومهن ونشوء أخرى، والاستغناء عن موقع العمل الثابتة لصالح موقع عمل متحركة لا تحتاج إلى مكاتب وأبنية وتجهيزات مشتركة كبيرة، وضمور التجمعات السكنية الضخمة القرية من موقع العمل لصالح تجمعات سكنية أصغر، وانتقال للعيش في مناطق بعيدة عن المدن، ما يخفف الأعباء عنها والانتظار فيها. كما ستزدهر الوظائف المرتبطة بالتكنولوجيا المتقدمة والمجتمع المعرفي، وأهمها الوظائف الافتراضية، مثل مدير متجر افتراضي أو مصرف افتراضي، والوظائف المتعلقة بالذكاء الاصطناعي والروبوتات على أنواعها وصيانتها وبرمجتها وتطوير بنية الأعمال الخاصة بها. كما ستزدهر الوظائف المتعلقة بالنقل الذاتي من سيارات وطائرات وقطارات وهندستها وبرمجتها، وسيكون المهندسون المبتكرون والمصممون الأعلى أجراً، ومن بينهم مهندسو التكنولوجيا المتقدمة "بلوك تشайн"، ومهندسو الصناعات الثلاثية الأبعاد². وسيجري توظيف طاقات كبرى في مجال تطوير الحواسيب الكمومية والقادرة على التعامل مع الصوت والصورة ومع الأحاسيس والإيحاءات، وتقنيات تكنولوجيا "إنترنت الأشياء"، والصناعات الدقيقة والنانوية، وأنظمة الاستشعار عن بعد، ومصممي ومطوري المهن الذكية، والأبنية الذكية، ووسائل النقل الذكية، وفي مجال الطاقة الذكية.

في موازاة تطور الإنترت والذكاء الاصطناعي، ستزداد الحاجة إلى مطوري صناعة الأمن الإلكتروني والأمن السيبراني، وصناعة أسلحة دفاع وهجوم إلكترونية وسيبرانية وافتراضية، وبرمجيات حماية الممتلكات الاقتصادية والعسكرية وقواعد البيانات على أنواعها، بالإضافة إلى برامج مكافحة أعمال الغش والتزويد والتحليل وكشف حقيقتها وأصولها. وهذا ما سيطلب إعادة تكوين مهارات الشباب الجدد القادمين إلى سوق العمل وتزويدهم بهارات إضافية لتلبية الحاجة إليهم. ونتيجة استخدام تقنيات متقدمة في الكشف عن

¹ Ibid, pp 114,115.

² عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 57، 58.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأمراض وعلاجها وتطوير أجهزة دقيقة ومعقدة في التصوير والكشف والجراحة والعلاج، كالروبوتات الدقيقة الذكية وغيرها...، سيحتاج القطاع الصحي إلى عمال ذكية مزودة بشهادات ومهارات جديدة غير رائجة حالياً، ما يستدعي إعادة تعديل للبرامج التعليمية الصحية وإنشاء مختبرات جديدة، وغير ذلك لتخرج الكوادر المؤهلة للعمل في القطاع الصحي المتقدم¹. ومع ازدهار العملات الرقمية والافتراضية، وانخفاض العملات الورقية لصالح تبادل تجاري رقمي يخفف من وطأة التفاعلات المصرفية المباشرة وتعقيداتها ومشاكلها لصالح المصادر الافتراضية، سيحتاج العالم إلى وظائف وأصحاب مهارات جديدة تسمح بالتعامل مع البنوك الافتراضية والعملات الرقمية.

ساهم -فيما بعد- التقدم العلمي في مجال الفيزياء والكيمياء، وفي حقول الإلكترونيات والكهرو-مغناطيسيات في إدهاش العالم، ونشر المعلوماتية وأدواتها في كل منزل، وسيادة الذكاء الاصطناعي والروبوتات على الصناعة والزراعة، ودخولهما بقوه إلى سوق العمل، هذا ما يؤدي إلى نهاية الرأسمالية.

2-نهاية الرأسمالية أو الليبرالية المتطرفة:

يتسائل فيري: هل سنعيش، وكما يدعى ريفكين "المرحلة الأخيرة من الرأسمالية"؟ هل سيتزامن اختيارها مع نهاية العمل الذي سيحل محله الروبوتات والعالم الافتراضي؟ هل سنشهد ولادة ال"Couchsurfing" اي تبادل الشغف بين الأفراد، على غرار Airbnb؟ وال"CrowdSourcing" أي الاستهلاك التشاركي من قبل الأفراد الذين يتجاوزون Crowd Funding؟ والBla BLA Car؟ وربما حتى Love Surfing أي الحب التشاركي، غير المحتضر وغير التملكي؟ يصف فيري هذه الأفكار التي يدعو إليها ريفكين بالثالية، حيث انطلق من فكرة أساسية، وهي أن المنطق التنافسي للرأسمالية نفسها يجعل المنافسة تجبر الشركات الأخرى على فعل كل ما يلزم لخفض تكاليف الإنتاج وبالتالي تقليل الأرباح. ومع ذلك، يسمح لنا ظهور البيانات الضخمة والأشياء المتصلة بالتبادل بين الأفراد بتكلفة تقاد تكون معهودة لذلك سنقوم وفقاً لريفكين بدخول مجتمع جديد قريباً جداً، الذي سيكون قائماً في جميع جوانبه على قيم معاكسة لقيم الإنسان الاقتصادي الرأسمالي القديم. إذن في هذا العالم الرائع، المليء باللطف والإنسانية: سيحل التعاون محل الفردانية، سيحل الاستخدام المشترك محل الملكية الخاصة، الخدمات محل السلع، غير المادي محل المادي، الذكاء الجماعي محل الفردي، المجانية محل التجارة،

¹ المرجع نفسه، ص 59.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

ال دائم محل التخطيط، التعاون محل المنافسة، الاهتمام محل الأنانية، المشاركة محل التملّك، مراعاة الأجيال القادمة محل المدى القصير، التجارة العادلة محل استغلال العالم الثالث¹.

كل هذا سيحقق سعادة الإنسانية لأنها ستبدأ في التخلّي عن مكانها للشبكات، وستصبح الملكية أقل أهمية، وسيتم تحقيق السعي وراء المصلحة الشخصية من خلال جاذبية المصالح التعاونية، وسيتم استبدال الحلم التقليدي بالثراء الشخصي بالعمل من أجل تحسين نوعية الحياة المستدامة، وستصبح مشاركة المعلومات والقدرة على التنقل أكثر سهولة. وسيتم تلبية احتياجاتنا من خلال شبكات مفتوحة بدلاً من الشركات المركزية، وستتطور أشكال جديدة من التعاون، وستصبح منصات الإنترنت أدوات قوية للتغيير الاجتماعي، وسيتم استخدام البيانات لجعل حياتنا أكثر كفاءة واستدامة. لأنّ الإنترنّت يجمع بين الاتصالات والطاقة واللوجستيات في نظام واحد، ما يوفر لنا المعرفة والإدراك والأدوات المادية الالازمة لدمج البشرية جماء في شبكات عالمية متراقبة تغطي جميع جوانب المجتمع، من خلال ربط جميع الأنشطة البشرية بشبكة عالمية ذكية تخلق كياناً اقتصادياً جديداً -الاقتصاد التعاوني-. حيث اعتمد الكيان القديم للثورة الصناعية الأولى والثانية على مصفوفة الطاقة والاتصالات والشبكة اللوجستية التي تتطلب رأسمال ضخم، لذلك كان من الضروري تنظيمه في شركات مركزية ذات تكامل عمودي لتحقيق وفرة الكمية.

لقد أثبتت النظم الرأسمالي آلية السوق أنّهما أفضل الأدوات المؤسسية لتعزيز هذا النموذج. ولكن، الكيان الاقتصادي الجديد للثورة الصناعية الثالثة، أي الثورة التي تعتمد على الإنترنّت الرباعي، كما ذكرنا سابقاً، فهي تتطلب رأس مال أقل ورأس مال اجتماعي أكبر، إنّما تدمج أفقياً وليس عمودياً، حيث تعمل بشكل أفضل عندما يتم إدارتها من خلال الموارد المشتركة وليس من خلال آلية السوق الرأسمالية البحتة. بينما كان النظام القديم يعزّز المصلحة الشخصية المستقلة في السوق الرأسمالية، فإنّ النظام الجديد يعزّز التعاون العميق على الشركات المشتركة.

تعتمد هذه الفرضية بأكملها على فكرة أن رقمنة العالم ستؤدي حتماً إلى تكلفة هامشية صفرية ومعها إلى ربح أقل، حيث تكون الاستثمارات الأولية في الثورة الصناعية الثالثة أقل من الثورتين الأولىين. والمثال الذي يقدمه فيري هنا هو خدمة Tunes كما رأينا، بعد تعويض الاستثمارات، فإن تكلفة تخزين وتوزيع فيلم أو قطعة موسيقية تساوي صفرًا. بعبارة أخرى، إذا كان الأمر يتطلب 1000 بيع لأغنية لسداد تكاليف شراء الحقوق والتخزين وتوزيعها، فإن 1001 لا تكلف شيئاً. وفقاً لمنطق معروف لعلماء الاقتصاد

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 116.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الكلاسيكيين، فإن الأرباح تميل أيضاً إلى الصفر -على الأقل باستثناء هذا- وينسى ريفكين على الفور أن المنطق الصحيح فقط إذا كان بإمكان الجميع القيام بذلك، أي إذا ظهرت أعداد هائلة من المنافسين الذين يمكنهم أيضاً الإنتاج بتكلفة هامشية صفرية. لكن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة على الإطلاق. فقد يكون هذا صحيحاً يوماً ما في مجال بعض مصادر الطاقة، كما هو الحال بالفعل في مجال البث المباشر الذي ينافس البرامج مثل iTunes والذي على وجه التحديد، لهذا السبب قام بإنشاء موقعه الخاص للبث المباشر بعد أن لاحظ أن عدداً كبيراً من المستخدمين لم يعودوا يشترون الأفلام والموسيقى على منصة آبل Apple، لكنهم يشاهدونها ويستمعون إليها مجاناً من خلال البث المباشر، وهو أمر قانوني إذا كانت حقوق النشر مجانية أو إذا تم دفع اشتراك ضئيل.¹

يؤكد فيري على أن هذا الموقف بعيد كل البعد عن القاعدة، لأن اهتمام كل الشركات الرقمية هو بالضبط إنشاء حواجز مع silos وenclosures لحماية أنفسهم من المنافسة الشرسة ومن أجل إنشاء شبكة احتكارية. وهذه الغاية أربعة معايير ضرورية: الحجم، وكمية العرض المتاحة للشراء، ولكن أيضاً الابتكار في الجودة والخدمات -مع اللجوء المنتظم إلى براءات الاختراع- وكذلك العلامة التجارية. من الواضح أنه لأخذ هذه الأمثلة نجح Airbnb وBLA Bla Car وUber في إنشاء شبه احتكارات في مجالهم، أي سحق جزء كبير من المنافسة، بحيث يكون محاذة الربح مع الصفر عندما تكون التكلفة الهامشية نفسها صفرًا هي الاستثناء. ومرة أخرى، يجزم فيري بأن أطروحة ريفكين ستكون صحيحة إذا كان بإمكان الجميع الجميع الإنتاج بتكلفة هامشية صفرية، لكن ليس الجميع مثل iTunes وAirbnb وBLA Bla Car، فعلى النقيض من الاستثمارات الأولية الضخمة والمحفوفة بالمخاطر وعندما تم فرض العلامة التجارية فقد اكتسبت سمعة عالمية، ومن الصعب جداً منافستها، وهذا بالطبع يتحقق في العالم الحقيقي الذي لا يشبه بأي حال من الأحوال العالم المثالي الذي رسمه ريفكين حول نهاية الرأسمالية، الذي يصفه بالمذيان الأيديولوجي أو مجرد وهم. ففكرة أن الاقتصاد والتكلفة الهامشية الصفرية يعني نهاية الربح مضحكة وساذجة.².

إن الواقع حسب فيري أكد عكس ما تنبأ به ريفكين، ويرجع ذلك إلى سبب بسيط للغاية: تؤدي التكلفة الهامشية الصفرية إلى زيادة الابتكار، الذي يسمح على الدوام بإعادة إنشاء احتكارات مؤقتة، منها يتم استخلاص الربح، حيث يتم التحكم في كل سوق في الاقتصاد الرقمي لفترة من الوقت من قبل عدد قليل جداً من الجهات الفاعلة، أو حتى من قبل جهة فاعلة واحدة مهيمنة. على العموم، ويكتفي مقابلة

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 117, 118.

²Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 118.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بعض رواد الأعمال المؤسسين للشركات الناشئة في حياتنا للتأكد من أن عدم الاهتمام ليس فضيلتهم أو شغفهم الشاغل الأول. أما بالنسبة لمستخدمي خدمات منصات Airbnb وBla BLA Car وUber، فإن دافعهم الرئيسي -وهو مشروع تماماً- هو المصلحة والرغبة في توفير المال من خلال الوصول إلى خدمات عالية الجودة دون المرور عبر الوسطاء باهضي الثمن، في أي ما يتعارض مع روح التجارة للرأسمالية مع منطق الإنسان الاقتصادي¹.

في الحقيقة، يقودنا الاقتصاد التعاوني وفق رؤية فيري، هي أن الاقتصاد التعاوني يقودنا إلى عصر الرأسمالية الذي أصبح أكثر تنافسية من أي وقت مضى، وسيكون الليبرالي الحقيقي قادرًا على أن يتوجه، وهذا حقه، ولن يمنعه شيء في هذا العالم غير الجديد في نهاية المطاف من النضال بشجاعة ضد الاحتكارات، لكن لا ينبغي الإقرار بأن هذه هي الرأسمالية، بل على النقيض تماماً، هذا يعتبر ظهوراً للرأسمالية المفرطة الذي لا يبطل منطقه الأساسي بأي حال من الأحوال، المتمثل في تدمير الأخلاق.

هناك حجة أخرى قدمها ريفكين لدعم أطروحته حول نهاية الرأسمالية -والتي انتقدتها فيري كذلك- وهي أن شباب اليوم، على عكس أجدادنا، سيكونون مختلفين تماماً؛ سيفضلون الاستخدام على الملكية، والمشاركة على التملك، وال دائم على العابر، والاهتمام بالعالم على الأنانية، والبيئة على استنزاف الكوكب. وباختصار، سيعيشون على الحب والماء العذب، وسيصرفون تماماً عن عالم المال والربح، والإيثار سيتغلب على الفردانية. إذ إن شباب اليوم، ومن خلال ربطهم ببعضهم البعض في الفضاء الافتراضي والمادي، يزيلون الحاجز التجارية التي ظلت لفترة طويلة تفصل آخر الحدود الأيديولوجية والثقافية وتفصل بين الخاص والعام في نظام رأسمالي يعمل من خلال علاقات الملكية الخاصة. فانفتح لهم الجديد ينسف الجدران التي ظلت تقسم البشر لفترة طويلة، وشبكاتهم العالمية تربط جميع سكان الأرض وتنشر التعاطف². هذا، وواصل ريفكين التأكيد وكأنها علامة على نهاية الملكية الخاصة، وبالتالي الرأسمالية، فالشباب مثلاً يتخلون بشكل متزايد عن شراء سيارة خاصة مقابل الاتجاه نحو مشاركة الركوب أو Autolib³. لكن حسب فيري، هذا التخلّي المزعوم ليس بالطبع له أي علاقة على الإطلاق بأي تخلّي عن الملكية الخاصة، ولكن كل شيء يتعلق بحقيقة أن امتلاك مرکبة أصبح ببساطة لعنة بسبب التحضر الهائل للمجتمعات الغربية. فالتأمين ومواقف السيارات

¹Ibid, pp 119, 120.

²Ibid, p122.

³جيروم ريفكين، الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة، ترجمة: صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (دط)، 2009، ص .312

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والصيانة أصبحت الآن باهظة الثمن بل وربما يتعدى الوصول إليها بالنسبة للشباب، خاصة في المدن الكبرى. وعليه، فإن المثل الأعلى للتنقل السلس الذي كانت تجسده السيارة في الخمسينيات من القرن الماضي قد انقلب إلى عكسه، وفقاً لعملية يمكن لشخص هيجلـي أن يصفها بـ"الجدلية"؛ فازدحام المرور، والمحظورات المتعددة، والقيود المفروضة على السرعة، قد حلـت محلـ السيولة والحرية التي وعدـنا بها السيارة. وليس الهدف هو الاهتمام بالآخر.

إن العديد من الباحثين في دراساتهم حول موقع التواصل الاجتماعي أكدوا في النتائج بأنـها قد نشرـت الميل إلى الأنانية والانغلاق على الذات ومن الواضح أنه إذا كانت الأجيال الشابة تشـجـع Autolib أو BLA أو Bla Car أو Pop أو Hitch في الماضي؛ فليس ذلك على الإطلاق بدافع حـبـ المشاركة أو الاهتمام بالآخرين أو رفض الرأسمالية الوحشـية وغيرها من السـداـحةـ التي يتـسـاقـ لناـ منـ طـرفـ أفـكارـ Rيفـكـينـ. فـسـائقـ Uber zed مثلـاـ هوـ مـحـرـدـ مـدـرسـ فيـ الثـانـوـيـةـ يـتـحـولـ إـلـىـ سـائـقـ بـعـدـ سـاعـاتـ الدـوـامـ، لهـذاـ يـقـدـمـ تـكـلـفـةـ أـجـرـ أقلـ¹.

كما يذهب فيري بعد ذلك إلى مظهر آخر من مظاهر نهاية الرأسمالية حـسبـ Rيفـكـينـ -أـلاـ وـهـوـ نهايةـ العملـ - فيـ الـبـداـيـةـ، يـضـعـ فيـريـ تحـذـيرـاـ لـفـكـرـتـيـنـ مـوـجـودـتـيـنـ فيـ كـلـ مـكـانـ: أـوـلـاـ، أـنـ الـأـوـبـرـ AuUberـ وـرـقـمـنـةـ الـعـالـمـ مـفـهـومـانـ مـتـطـابـقـانـ عـمـلـيـاـ؛ ثـانـيـاـ، تـلـكـ الـتـيـ تـدـعـيـ أـنـ جـمـيعـ الـمـهـنـ قـابـلـةـ لـلتـرقـيـةـ أـوـ قـابـلـةـ لـلـرـقـمـنـةـ. لـفـهـمـ الـأـمـورـ بـشـكـلـ صـحـيـحـ، يـمـكـنـ القـوـلـ إـنـ هـنـاكـ العـدـيدـ مـنـ الـمـهـاـمـ مـتـكـرـرـةـ فيـ مـهـنـ مـعـيـنـةـ هـيـ الـتـيـ يـمـكـنـ رـقـمـتـهاـ، فـيـ حـيـنـ أـنـ أـغـلـبـ الـمـهـنـ بـعـيـدـةـ كـلـ الـبـعـدـ عنـ أـنـ تـكـوـنـ قـابـلـةـ لـلتـغـيـيرـ. وـلـنـكـوـنـ أـكـثـرـ دـقـةـ، يـمـكـنـ القـوـلـ أـنـ AuUberـ لـيـسـ رـقـمـنـةـ، وـمـثـالـ ذـلـكـ أـنـ Airbnbـ الـتـيـ تـمـكـنـ شـخـصـاـ مـاـ مـنـ مـشـارـكـةـ شـقـتـهـ مـعـ شـخـصـ آخرـ مـقـابـلـ رـسـومـ بـفـضـلـ تـطـبـيقـ رـقـمـيـ. وـلـكـنـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ التـجـارـيـةـ، الـتـيـ تـتـكـوـنـ مـنـ تـحـاوـزـ الـمـهـنـيـنـ التـقـليـدـيـنـ، لـاـ تـخـضـعـ لـلـرـقـمـنـةـ بـالـمـعـنـيـ الدـقـيقـ. وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـيـ، تـضـمـنـ الـعـمـلـيـةـ تـلـقـيـنـ بـعـضـ الـمـهـاـمـ الـبـسيـطـةـ، مـثـلـ فـرـزـ مـلـفـ الـعـنـاـوـنـيـنـ مـهـمـةـ كـانـتـ تـقـوـمـ بـهـاـ السـكـرـتـيرـيـةـ يـدـوـيـاـ قـبـلـ عـشـرـ أـوـ خـمـسـ عـشـرـةـ سـنـةـ، وـالـتـيـ يـقـوـمـ أـيـ كـمـبـيـوـتـرـ الـيـوـمـ بـتـنـفـيـذـهـاـ فـيـ أـقـلـ مـنـ ثـانـيـةـ وـاحـدـةـ بـدـلـاـ مـنـهـاـ. وـمـعـ ذـلـكـ، هـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ بـأـيـ حـالـ اـخـفـاءـ السـكـرـتـيرـيـةـ، بـلـ سـيـتـمـ تـلـقـيـنـ الـمـهـاـمـ الـمـيـكـانـيـكـيـةـ الـمـلـمـةـ لـلـكـمـبـيـوـتـرـ، وـلـكـنـ سـتـظـلـ مـهـنـةـ السـكـرـتـيرـاتـ قـائـمـةـ².

ثـانـ منـطـقـ الرـأـسـمـالـيـةـ هـوـ "ـالـإـبـادـاعـ المـدـمـرـ"ـ، بـعـنـيـ أـنـ الـابـتكـارـاتـ التـكـنـوـلـوـجـيـةـ تـمـكـنـ مـنـ زـيـادـةـ الـإـنـتـاجـيـةـ وـتـوـفـيرـ مـنـتجـاتـ وـخـدـمـاتـ جـدـيـدةـ باـسـتمـارـ. تـدـمـرـ الـوـظـائـفـ كـذـلـكـ باـسـتمـارـ، وـلـكـنـ يـقـيـ التـحدـيـ هـوـ أـنـ

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 122, 124.

²ibid, p 125.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذه الوظائف القديمة سيتم استبدالها بشكل دائم بوظائف أخرى يتم إنشاؤها على وجه التحديد من خلال الابتكارات. وبالتالي، فإن الرأسمالية هي عالم من الاقتلاع الدائم، ولكن من الخلق الدائم أيضاً، هذا ما يسميه فيري بالإبداع المدمر¹. فالأشياء الجديدة المستهلكة، وأساليب الإنتاج والنقل الجديدة، والأنواع الجديدة من التنظيم الصناعي، كلها من صنع المبادرة الرأسمالية.

إن فتح أسواق وطنية أو أجنبية جديدة، وتطوير منظمات إنتاجية من الصناعات الحرفية والتحويلية إلى الشركات المدمجة، هي أمثلة واضحة على عملية التغيير الصناعي الذي يحدث ثورة مستمرة في الهيكل الاقتصادي من الداخل، ويدمر باستمرار وظائفه العتيدة، ويخلق باستمرار وظائف جديدة. ما يلفت النظر في هذه الفكرة، في رأي فيري، هو أن لابتكار جوانب إيجابية تلك المتعلقة بالتقدم. ومع ذلك، هناك العديد من الجوانب السلبية لا تزال مرتبطة بشكل جوهري بمنطقها اللازم². فمن جهة ندرك، كم غيرت وسهلت الإنترنت حياتنا إلى حد أنه لا يفكر أحد الآن في الاستغناء عنها. ولكن بالنسبة للرأي العام، الذي ينظر إلى المدى القصير، ومنه لا يدرك مسبقاً الجوانب التقنية لابتكار على المدى البعيد، وبالآخر طبيعة تأثيراته المحتملة على الصحة، ومستوى المعيشة، والعمل، وحتى الحرية؛ إذ يلاحظ جوانبه السلبية كالتفكير الدائم للهيكل الاجتماعي، ومرونة مقلقة، وزيادة في البطالة، وصعوبة إعادة التأهيل، مما يجعل الابتكار يبدو أكثر تدميراً وليس إبداعاً.

من هنا أتت الانتفاضات التي رافقت دائماً حركة الإبداع المدمر الجوهرية للرأسمالية؛ مثلاً انتفاضات اللوديت (مناهضي التقنية) الإنجليز عام 1811، أو العمال النساجين الليونيين في عام 1831، الذين هاجموا آلات النسيج ودمروها لأنها، من وجهة نظرهم، لا تفعل سوى تدمير وظائفهم التي تعتبر في حد ذاتها تقدماً، لأنها تحرر البشر من المهام المتكررة والمملة، لكن بالنسبة لهم صورة للعدو نفسه، لهذا الخصم المخوف الذي هو البطالة. وفي ظل الأحداث الحالية، هناك حوالي 3000 مكتبة في فرنسا - مثلما حدث مع متاجر الأقراص - ستتعرض لهجوم مباشر من قبل أمازون. قد تخلق "أمازون" وظائف أخرى بالتأكيد، ولكنها ليست نفس الوظائف وتكون قليلة. كما أن إرسال رسائل البريد الإلكتروني في ثوانٍ إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة تكون صفريّة من حيث العمالة قد وجه ضربة قوية لخدمات البريد في جميع البلدان. فالرقمنة حلّت محل العمل البشري في قطاع الخدمات اللوجستية بأكمله. ثم إن الروبوتات والذكاء الاصطناعي قد يقضي على العمل البشري بسرعة في الخدمات، في السكريتيريات، وموظفو الوثائق والاستقبال، وكوكلاء السفر،

¹Luc Ferry, **L'innovation destructrice**, Flammarion, Paris, 2014, pp 13,14.

²Luc Ferry, **L'innovation destructrice**, pp 17, 20.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وموظفو البنوك، وأمناء الصناديق، والعديد من الموظفين الآخرين في الخدمات، قد اختفوا تقريباً خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، لأن الرقمنة قللت تكلفة العمل إلى الصفر تقريباً¹. كما تمثل المظاهرات العنيفة ضد النانو تكنولوجيا، وتحريب الأجهزة البيومترية في مدرسة جيف سور إيفيت، وتدمير حقول الذرة المعدلة وراثياً... كلها أعمالاً متطرفة مدفوعة بنفس المخاوف بشأن تأثيرات التقنيات الجديدة على الصحة والبيئة والحرفيات العامة، وتعكس هذه الأعمال وجود حركة احتجاج واسعة النطاق ضد المخاطر التكنولوجية، حيث تستعيد هذه الحركات المعارضة مصطلح العلوم والتكنولوجيا الذي حده جيلبرت هوتووا في السبعينيات في تأمل حول الأخلاق العملية، وتدين التحالف المتزايد بين العلم والتكنولوجيا ومنطق السوق، ويتمثل هذا التحالف بالنسبة لهم شكلاً من أشكال التدهور في البحث الأساسي، الذي يتم التخلّي عنه لصالح السعي وراء الربح فقط، والعلم الذي يخضع الآن لقيود التنافسية الدولية. وكما يلاحظ بيير بنوا جولي، فإن الخطاب العلمي الذي يهيمن عليه اليوم الخطاب التكنولوجي، ينطوي على مفارقة غريبة: فإذا كان العلم يدعى الحياد، فإن السياسات العلمية تندرج ضمن تصور نيوليبيرالي يتميز بخصائص براءات الاختراع، وإنشاء الشركات الناشئة، وخضوع نظام الابتكار بأكمله لمنطق التنافسية الاقتصادية. وبتنديدها برؤية قصيرة الأجل للعلم تهدف إلى أغراض اقتصادية بحتة، كما تنتقد حركة الاحتجاج هذه القادة السياسيين لعدم جعلهم الأولوية لاحتياجات الصناعة فحسب، والتخلّي عن القطاعات غير المرحبة اقتصادياً على الرغم من فائدتها للمجتمع، والتغاضي عن المخاطر المحتملة والأبعاد الأخلاقية الكامنة وراء التطوير التكنولوجي، وإهمال النقاش المدني². يمكن القول بأن انعدام الثقة في التطورات التكنولوجية، الذي عبرت عنه منظمات مختلفة خلال النقاش حول النانو تكنولوجيا، ينضم هنا إلى عدم الثقة لدى الحركات البديلة في العلم الذي ينظر إليه الآن على أنه ميل نحو النيوليبرالية.

دافع بعض خبراء الاقتصاد عن الافتراض الذي يقول بأننا قد نشهد الآن نمواً بدون وظائف، وصعود شركات من نوع Airbnb وأuber التي حققت أرباحاً هائلة دون خلق وظائف مأجورة، حيث تعمل هذه التطبيقات في الأساس على الإنترنت بواسطة خوارزميات قوية، مما يسمح بعميم كامل للعمل حيث تقلص حصة الإنسان، الذي يكلف كثيراً وغالباً ما يكون صعباً اجتماعياً هذا هو السيناريو الذي طورته العديد من مراكز الأفكار اليوم، التي تؤكد على أن الوظائف المهددة ليست فقط الوظائف اليدوية، بل جميع المهام، بما

¹ Ibid, p 37.

²Pierre Tambourin, *Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies*, le journal de l'école de paris du management, n°47, mars 2004, p32.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في ذلك الفكرية، طالما أنها متكررة بما يكفي لتنفيذها بواسطة الذكاء الاصطناعي، لروبوت أو كمبيوتر. بالإضافة إلى ذلك، إذا كانت هذه الأنظمة قادرة على هزيمة بطل العالم في لعبة "الشطرنج"، فمن الصعب أن نجد ما سيمنعها من تنفيذ عدد معين من المهام بنجاح، كموظفي البنك أو أمين صندوق وغيرها.¹

يرى فيري أن هناك بعض العرقيل أمام هذه التنبؤات، فمن الواضح أن الوظائف التي تتطلب عقراة ستبقى محسنة لفترة أطول. نفس الأمر ينطبق على المجال الطبي؛ يمكن أن تتم عملية تحليل العينات في المختبر، بالإضافة إلى عدد من الخدمات بشكل تلقائي ورقمي، مثل توزيع الأدوية، ولكن سيظل دور الطبيب حاسماً من حيث التحكم واستراتيجية التشخيص والعلاج، وكذلك العلاقة الإنسانية مع المرضى.

عندما نعود إلى مسألة الإبداع المدمر، نجد أنها تقاوم بشكل جيد تشاوئ نهاية العمل. وهذا لا يمنع بالطبع من العودة إلى المشكلة الاجتماعية والإنسانية التي تطرحها، فماذا نقول للكتاب الذين يغلقون محلاتهم بسبب منافسة أمازون، التي يعتبرونها غير عادلة؟ إنهم لم يديروا أمورهم بشكل سيء؟ إنهم يمارسون مهنتهم بشغف وموهبة، ومع ذلك يتquin عليهم إغلاق أبواب محلاتهم. أليس هذا غير عادل ولا يتحمل؟ خاصة أن الوظائف الجديدة التي قد تنشأ بواسطة أمازون لن تكون مناسبة لهم من حيث الذوق أو حتى المهارات. أو أن خبرتهم بأننا سنغلق أمازون كما أغلقنا Uber بطريقة ديماغوجية كمحاولة لتهديفهم، فهذا أمر سخيف. أولاً، لأنه غير ممكن، وثانياً، لأن مثل هذا الإجراء لن يحمل شيئاً على الإطلاق. لكن حسب فيري، لا يمكن إيقاف التقدم، فمثل هذا الإجراء هو محاولة لإيقاف نهر أمازون باستخدام مصفاة شاي. وعليه، فالخل في اعتقاده ليس حماية الوظائف المفقودة، بل في حماية الأفراد، خاصة من خلال التدريب المستمر على هذه التقنيات المعاصرة². فالاستدلال الشهير الذي يقول أن الآلات الحديثة تدمر الوظائف، حيث يؤدي تقدم التقنية إلى البطالة، يتم نفيه من خلال إظهار أن الدمار كان دائماً معضلاً بإبداعات جديدة. ولا شك أن التكنولوجيات الجديدة تعمل على تحسين حياتنا، لكنها تدمر أيضاً الوظائف دون تعويض كافٍ عن الخسائر.

إن الانتقال الذي نعيشه اليوم مختلف، لقد هاجر معظم العمال بالفعل من الصناعة إلى الخدمات، أو يتم ذلك داخل الخدمات حيث يحدث التحول الجديد. والسؤال هو: ماذا يحدث للعمال المهاجرين إذا توقفت إنتاجيتهم الجديدة؟ إن النتيجة واضحة، يتم تقليل إمكانية النمو بشكل كبير. من هنا تأتي ضرورة تعلم كيفية العيش بدون نمو. ومع ذلك، يقدم بعض خبراء الاقتصاد تحليلاً آخر؛ ليس فقط ستخلق

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 128, 129.

²Luc Ferry, *L'innovation destructrice*, p 53.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكنولوجيا الجديدة غواً ووظائفها كما لم يحدث في الماضي، بل يكفي التعامل بشكل عقلاني مع مشكلة سوق العمل حل مشكلة البطالة المؤلمة، كما فعلت سويسرا وألمانيا وهولندا والنمسا، فالحلول بسيطة: تعويض متناقض بشدة يشجع على العودة إلى الشاطئ، تشريعات جديدة للعمل المستقل الذي سيزيد تدريجيا - مقارنة بالعمل - الراتب، إعادة هيكلة عقود العمل، مرونة وتسهيل التوظيف، تقليص حاد في عدد القطاعات، نهاية العمل 35 ساعة وبعضها إلى 43 ساعة، وأخيرا تحسين التعليم الأولي وتوجيه التدريب المهني بشكل أساسي نحو العاطلين عن العمل¹. إذن لن تُدمر التكنولوجيا الجديدة النمو أو تزيد من البطالة، بل على العكس ستخلق الثروة والوظائف كما لم يحدث من قبل.

3- الإنسان الفائق هو الرأسمال:

إذا كان التطور في ظل الأمة والآلية هو نحو اقتصاد الخدمات، فذلك لأن أهم ما يميز الخدمات هو أنها تعتمد بصفة أساسية على العنصر الإنساني، وهكذا نرى أن الحضارة الآلية تنتهي لتصبح حضارة إنسانية، أي أن الأمة تتضمن تصعيديا للإنسان، ومن مظاهر هذا التصعيد في الحياة الاقتصادية الاهتمام بما يسمى باقتصadiات الموارد البشرية: التعليم، الصحة وإنقاذ البيئة².

إن الاهتمام بقيمة الإنسان قديم، حيث نجد فكرة ماركس حول أن الإنسان هو الثروة الحقيقة، كما نجد تصور مماثل عند جون ستيفارت ميل John Stuart Mill (1806-1873)، ولكن الاهتمام الحقيقي بهذا الأمر لم يظهر إلا حديثا جدا، حيث بين عالم الاقتصاد الأمريكي ثيودور شولتز Schultz (1902-1998) إلى أهمية الاستثمار في رأس المال الإنساني، وعلى وجه التحديد في ميدان الصحة والبيولوجيا، وقد أثارت أفكاره هذه ردود فعل كبيرة حتى أن البعض يعتبرها بمثابة مولد فرع جديد من العلوم الاقتصادية هو اقتصadiات الصحة. ومع الإنسانية المتحولة التي تأثرت بهذه الأفكار في جانبها المتعلق بالصحة والجمال، فإذا كان الاقتصاديون التقليديون قد اهتموا بمحض الأجر باعتباره المورد الذي يحمي وجود العمال، فإن النظرة المستحدثة لم تعد تقتصر على مجرد حماية هذا الوجود وإنما تتطلب أن تتوافر له كل أسباب الصحة، فالصحة الجيدة شرط أساسى لتحقيق قدرة الإنسان على المساهمة الجادة في الإنتاج³.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 132.

²حازم البلاوي، الأوتوميشن والاقتصاد، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، عدد 4، الكويت، 1972، ص 95.

³المرجع نفسه، ص 95، 98.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن الإنسان الجديد الذي بشرت به حركة الإنسانية المتحولة يعيد اكتشاف حقيقته وحقيقة العالم عبر محاوزة محدودياته البيولوجية والعقلية، والاقتصاد المعاصر يراهن عليه، فالإنسان الفائق هو الإنسان الأعلى إنتاجية، بفضل ما قام به من فتوحات إنتاجية جديدة في ميادين البيو تكنولوجيا والعلوم المعرفية والمعلوماتية.

لقد أطلقت شركة Affymétrix شريحة DNA تستطيع الكشف تلقائياً عن علامات السرطان وأمراض أخرى في عينة DNA. ستصل قوة أجهزتنا الحاسوبية إلى الإكسافلوب (مليار مiliar عملية في الثانية)، ثم الزيتافلوب (ألف مiliar عملية في الثانية)، ثم، وبشكل يدعو إلى الدهشة، اليوتافلوب (مليون مiliar عملية في الثانية) خلال سنوات قليلة. أما في عام 2013، طالب الأستاذ المحاضر في "جامعة ستانفورد" بالاجي إس. سرينيفاسان Balaji S. Srinivasan (1980-1973)، باستقلال "وادي السيلikon" فالطريقة الوحيدة لتحقيق إمكاناته الكاملة هي الانفصال. ودعا لاري بيج Larry Page (1973-)، بعد فترة وجيزة، إلى وضع جزء من العالم جانباً، من أجل التحرر من القوانين التي تعيق الابتكار واختبار تقنيات جديدة مثيرة للجدل، وفي هذا السياق، يستمر الليبرالي بيتر ثيل PayPal المؤسس المشارك لـ منذ عدة سنوات في مشروع مدينة عائمة مستقلة قبلة ساحل كاليفورنيا¹.

وكنموذج عن الاستثمار في الإنسان الفائق نجد شخصية نيل هاريسون، الذي زرع في دماغه جهازاً ثابتاً يسمح له ليس برؤية الألوان بل بسماعها، من خلال عملية تحويل أطوال موجية للألوان إلى أصوات، وهو أول إنسان يذكر في جواز سفره بأنه "سايبورغ". وبنفس الطريقة تقريرياً، وبعد نجاح ثورة الطباعة ثلاثية الأبعاد في الجراحة التجميلية، ووافقت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية على أدوية تم الحصول عليها باستخدام هذه التقنية. أعلنت مجموعة مستحضرات التجميل "لوريال" عن شراكة مع شركة Organovo، وهي شركة ناشئة متخصصة في تقنيات الطباعة الحيوية ثلاثية الأبعاد. ويهدف هذا التعاون إلى تسريع إنتاج عينات الجلد لاختبار منتجاتها الجديدة خلال خمس سنوات. وتصبح لوريال بذلك أول لاعب في عالم الجمال يتتحول إلى هذه التكنولوجيا. وهي أخبار جيدة جداً للحيوانات المخبرية، وهي حيوانات تجارب حية تستخدم في الاختبارات الجلدية، والتي من المتوقع أن ينخفض عددها بشكل كبير².

لقد تحولت النانو تكنولوجيا كمبادرة أمريكية من رؤية ثورية إلى واقع صناعي يحظى باهتمام متزايد، وأوشكت على أن تشكل الثورة الصناعية القادمة. حيث توّكّد النانو-تكنولوجيا، من خلال السماح بالتدخل في قلب المادة، مكانتها كعنصر أساسى للمشروع. في الواقع، إن دمج العلوم الأربع في

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, p174.

²Ibid, p175.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يصبح ممكناً من خلال الانتقال من النشاط البشري إلى المستوى النانوي مما يسمح بالتلاءع بالذرات والخلايا العصبية والجينات، وبالتالي، من خلال فهم الشفرة المعلوماتية للمادة، أي التحكم في الكل.¹

تتمتع النانو-تكنولوجيا والتكنولوجيا الحيوية بإمكانات هائلة لتغيير المجتمع. ويقدر البحث العلمي والاستثمارات في التطوير النانو-تكنولوجي حالياً بحوالي تسع مليارات دولار سنوياً لتطبيقات في العديد من المجالات: العلاجات والأدوات الطبية، وتحسين إنتاج الطاقة وتخزينها ونقلها، وتحسين الوصول إلى المياه الصالحة للشرب، والوقاية من التلوث والحد منه، وتطوير مواد أقوى وأخف وزناً، وغيرها. وتمثل التطورات في مجال البحث والتطوير في هذا المجال مصدر قوة كبير للعديد من الدول التي تدخل السباق، فضلاً عن كونها ميزة اقتصادية كبيرة. وفي الولايات المتحدة، لا توقف التمويلات المخصصة للمبادرة الوطنية للنانو-تكنولوجيا للبحث والتطوير في مجال النانو-تكنولوجيا عن النمو كل عام، حيث وصلت سنة 2012، إلى مبلغ 2.129 مليار دولار.² وإذا كانت بعض تطبيقات النانو-تكنولوجيا متوقعة على المدى الطويل، فإن البعض الآخر متاح بالفعل ويمثل مصدراً للاستثمار غير مسبوق. وبالتالي، فإن البرامج النانو-تكنولوجية تدرج بوضوح ضمن هدف التنافسية الاقتصادية حيث أن وعد تطوير الأسواق عديدة والإمكانات التي تتيحها علوم النانو شبه لانهائية. وقد أثارت هذه الإمكانيات اهتماماً اقتصادياً تدفع عنه، على سبيل المثال، تحالف الأعمال النانوية الذي تأسس في عام 2001، لدى الإدارة الفيدرالية والمبادرة الوطنية للنانو-تكنولوجيا.

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحرز تقدماً كبيراً في مجال التقنيات الناشئة، فإن أوروبا، وخاصة فرنسا، قد تأخرت في الثمانينيات، حيث أدركت السلطات العامة متأخرة الأبعاد الاقتصادية التي تحملها التقنيات النانوية الحيوية. تستهير فرنسا بأنها واحدة من الدول الرائدة في البحث العلمي، لا سيما في المجال الطبي الحيوي حيث لا يزال هناك تقليد من التميز يتضح من دور لويس باستور Louis Pasteur (1822-1895) في نشأة علم الأحياء الدقيقة، ودور الفرق الفرنسية في تحديد فيروس الإيدز وكذلك الاكتشافات في علم الأحياء الجزيئي. ومع ذلك، يعني البلد من تأخر معين فيما يتعلق بالتقنيات الناشئة.³ وهو وضع يعكس ليس فقط تأخر أوروبا في هذا المجال، بل يعكس أيضاً التفوق التكنولوجي الأمريكي.

تلعب الدولة في فرنسا دوراً محورياً في دعم البحث العلمي بينما تكون الروابط ضعيفة بين المجتمع العلمي والعالم الاقتصادي. وفي حين أن الأبحاث والاستثمارات العلمية والتكنولوجية تشهد انفجاراً في

¹Marina Maestrutti, *imaginaire des nanotechnologies*, Vuibert, 2008, pp 129-131.

²Gilles le Marois, *pour des nanotechnologies responsables*, Revue Industrie, n°101, Janvier 2005, pp 14,15.

³Pierre Tambourim, *Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies*, p 33.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الولايات المتحدة، فإن البحث العلمي الفرنسي، في مواجهة تراجع دور الدولة وتقليل غير مستعد لربط البحث بالشركات، يفتقر إلى الموارد المالية والسياسات العامة للبحث على المدى الطويل. ونظام البحث الفرنسي، المنتشر في مختلف الهيئات العامة، يفتقر إلى هذا التعديلية التخصصية الأساسية للبحث في العلوم الجديدة التي يتكون منها التقارب التكنولوجي¹.

إن توجه العالم الغربي اليوم خاصة الـ "و.م.أ." والصين نحو التقنيات الفائقة والرهان على الإنسان الفائق والمعزز تقنياً لتحقيق الازدهار الاقتصادي، دفع بفرنسا مؤخراً إلى تكثيف جهودها صوب هذا النمط من التقنيات، وفي إطار ضرورة تعزيز القدرة التنافسية الاقتصادية على الصعيد الدولي، تكسر فرنسا اليوم تقاليدها وتنضم بدورها إلى سباق النانو تكنولوجيا حيث تحتل مختبرات المفوضية الفرنسية للطاقة الذرية والطاقة البديلة مكانة مركبة، ولا سيما مع "مركزى البحث ميناتيك وكليناتيك" في غرونوبل عام 2002. وقد تم تمويل العديد من برامج البحث، منذ عام 2008، من قبل الحكومة الفرنسية التي أعلنت في عام 2009 إطلاق خطة بحثية متعددة السنوات في مجال النانو تكنولوجيا، وهي خطة نانو إنوف، بتمويل قدره 70 مليون يورو. وفي عام 2010، خصص القرض الكبير الذي أطلقه نيكولا ساركوزي Nicolas Sarkozy (1955-) جزءاً منه للبحث في النانو تكنولوجيا. وقد أكد ذلك على فكرة أن فرنسا، للحفاظ على مكانتها، يجب أن تدخل سباق الابتكار وأتنا، حسب قول آلان جوبير Alain Juppé (1945-)، "محكومون بالهروب إلى الأمام التكنولوجي".².

تماشياً مع هذا السباق نحو التطور المتتسارع للنانو-تكنولوجيا، تظهر النظرة شاملة على مختلف الوثائق أن موضوع الصحة هو الأكثر استثماراً في مجال هذا النوع من الأبحاث. ففي عام 2010، أظهر تقرير صادر عن وكالة السلامة الصحية الفرنسية مدى الاستثمار في موضوع "الصحة والرفاهية" مقارنة بجميع المنتجات التجارية التي تحتوي على جسيمات نانوية. في فرنسا، بدعم من البحث والتطوير في مجال النانو-تكنولوجيا والعلاج الخلوي، تتجه توجهات النظام الصحي نحو طب "مستقبلبي" جديد يتطور فيه نهج علاجي وتكنولوجي يعتمد على إمكانات التقنيات الجديدة، وهو ما يقترب من آفاق التقارب التكنولوجي التي طرحتها التقرير الأمريكي NBIC.³ أصبح مجال علوم الحياة والصحة أحد المجالات الرئيسية للاستثمار

¹Ibid, p31.

²Philippe Rouvillois, Guy le Fur, *la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?* la documentation Française, juillet 1999, pp 11, 14.

³Sarah Dubernet, *les besoins des industries de santé*, Appel des appels, comité locale Marseille, janvier 2011, en ligne : http://Marseille.appeldesappels.org/les-besoins-des.industries-de-sante-635.html#_ftm8

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

ويركز عليه جزء كبير من البحث العام الفرنسي. وهكذا، في 26 أكتوبر 2009، أسفر اجتماع للمجلس الاستراتيجي لصناعات الصحة دعا إليه رئيس الجمهورية عن إعلان نوايا يفيد بأن "الدولة تلتزم بمواصلة جهودها في مجال تخصيص وتبسيط وتوحيد أنشطة الاستثمار ونقل التكنولوجيا، ومواصلة دعمها للتحالف من أجل علوم الحياة والصحة، والوكالة الوطنية للبحث والأقطاب التنافسية، ومواصلة جهود إعادة تنظيم البحث العام" بينما يتزامن الصناعيون بالمساهمة في المهد夫 العام المتمثل في مضاعفة الميزانية المخصصة للبحث المشترك مع القطاع الأكاديمي في المجال الطبي الحيوي خلال ثلاث سنوات، أي مبلغ سنوي يبلغ 62.5 مليون يورو بحلول عام 2012 مخصص للبحث المشترك في علوم الحياة والصحة. أصبح تطوير التكنولوجيا الحيوية أولوية وطنية في فرنسا، حيث تتطور صناعة الرفاهية، ويتم تعريف الصحة الآن على أنها حالة من الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، ولا تقتصر على مجرد عدم وجود مرض أو عجز¹. هذا البحث عن الرفاهية من خلال الطب الحيوي، وهو أمر طبيعي في المجتمعات الغنية وتكنولوجيا متقدمة، يذكّرنا بالمشروع ما بعد الإنساني أين تتحدد السعادة باعتبارها المهد夫 النهائي لكل فرد. أصبح هذا الجانب الجديد من الصحة الآن أحد القطاعات الرئيسية للبحث والابتكار الوطني ويستخدم تقنيات جديدة، مثل النانو-تكنولوجيا والتكنولوجيا الحيوية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لإثراء مختلف مجالات الطب. هذه المجالات هي حالياً في قلب ميزانيات الوكالة الوطنية للبحث، بينما تسهل العديد من المنصات انتقالها إلى التصنيع. في عام 2005، أعد اتحاد الصناعات الدوائية الفرنسية تقريراً حول شكل الطب في فرنسا² في عام 2025. وتشمل توقعاتهم حبوباً ذكية وأجهزة استشعار نانوية واستنساخاً بشرياً وطبًا تجديدياً وبيولوجياً تركيبية وغيرها الكثير. وفي الوقت نفسه، تكتم المفوضية الفرنسية للطاقة الذرية والطاقة البديلة بالمعلوماتية الحيوية والروبوتات الحيوية والهندسة العصبية في إطار صناعة واجهات بين الإنسان والآلة والدماغ والحواسوب للتغلب على الشيخوخة والإعاقة. وهكذا، تنضم فرنسا إلى الآفاق الأمريكية للعيش لفترة أطول وبصحة جيدة والتي يحملها مشروع التقارب NBIC، وتدرج ضمن ما تعتبره سارة دوبيرنيه Sarah Dubernet "سياسة ما بعد إنسانية"³.

لقد حظي برنامج NBIC باهتمام مالي كبير من القطاعين العام والخاص، مما أدى إلى تطوير هذا البحث العلمي الفرنسي على صعيد صناعات الصحة، كما ثبتت الاتفاقيات المبرمة بين صناعات الصحة

¹Philippe Rouvillois, Guy le Fur, *la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?* pp 14,16.

أنا ذكر فرنسا وتأنّرها مقارنة بالو.م.أ. تماشياً مع طرح لوك فيري الذي يقترح التنظيم كحل لتجاوز مخاوف فرنسا وحتى أوروبا في هذا المجال.

³Sarah Dubernet, *les besoins des industries de santé,*

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والأقطاب البحثية الأكاديمية، وكذلك الجيش، والأهم من ذلك، المستثمرون الكبار من القطاع الخاص. ومع ذلك، كما يؤكد عالم الوراثة فرانسوا تادي Francois Taddei (1967-)، فإن فرنسا، وأوروبا ككل، تتسم بخدر أكبر تجاه الكائنات الحية، وبدلًا من الرغبة في تحسين الإنسان، تسعى بشكل أكبر إلى علاج الأمراض. وهكذا، نشرت المفوضية الأوروبية في عام 2004 تقريرًا بهدف معالجة البرامج المتعلقة بالنانو-تكنولوجيا في سياق أوروبي، بينما حاول برلن الاتحاد الأوروبي في عام 2009 وضع نهج أوروبي لمسألة تعزيز الإنسان من خلال التقنيات الجديدة المتقاربة. يتسم النهج الأوروبي بشكل أكبر بالاحتياط والتضامن والتنمية المستدامة، ويتم تصويره كاستجابة للبرنامج الأمريكي المستوحى من دعوة ما بعد الإنسانية.¹.

¹Brice Laurent, **Les politiques des nanotechnologies : pour un traitement démocratique d'une science émergente**, édition Charles leopold Mayer, Paris, 2010, pp 105, 110.

ثالثاً: الإنسانية المتحولة والسياسة

إن الإنسانية المتحولة لا تنضم إلى أي تيار أو حزب سياسي موجود، حيث تتنوع الاتجاهات والأفراد الذين ينطبق عليهم هذا المصطلح الذي يشمل ميولاً تتراوح من الاشتراكية إلى الليبرالية، وما يجمع بين هذه التنوعات هو الفكرة المشتركة للسعي غير المحدود عبر الوسائل التكنولوجية لتحسين الإنسان مع احترام الاستقلال الشخصي. تحت قيادة بوزتروم وزملائه، حاولت هذه الحركة إدخال التماسك والترابط في هذا النوع. لكن يجب فهمها أكثر كأيديولوجياً من كونها حزباً. كما أن هذه الحركة لا تعارض أي سياسة شمولية تتجاهل الاستقلال الفردي والأسري.

١- الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟

تسعى الإنسانية المتحولة لأن تكون حساسة تجاه المشاكل الاجتماعية الكبرى مثل الفقر، والظلم، وعدم المساواة، والبيئة. لكنها تعتبر أن التقدم التكنولوجي وتطبيقاته المصح بها بحرية في تحسين الجوانب البدنية والمعرفية والأخلاقية تشكل عاملًا أساسياً لمعالجة وحل هذه المشكلات. يجب ألا نتجنب تحسين الإنسان تحت ذريعة وجود مشاكل اقتصادية واجتماعية أكثر إلحاحًا. في الواقع، يجب خوض المعركة على الجبهتين: التقليدية التنموية والترانسهيومانية.

لا ينكر مناصري الإنسانية المتحولة أنه في البداية قد تؤدي تقنيات التحسين إلى زيادة عدم المساواة، لأنها ستكون متاحة فقط للأثرياء. ولكن هذا كان دائمًا هو الحال مع الابتكارات التكنولوجية: متاحة أولاًً لعدد محدود من الأفراد، ثم انتشرت وعممت، وأصبحت أقل تكلفة وأكثر أمانًا. بالطبع، يتطلب ذلك أن يدعم الاقتصاد (السوق) والسياسة (الديمقراطية) التقدم في هذا الاتجاه. كما أنهم يشددون على أنه لا توجد هنا مشاكل جديدة من وجهة نظر اجتماعية وسياسية: كما في الماضي، يمكن زيادة الضرائب ومحاولة تقليل عدم المساواة أو ترك السوق يتصرف. فالإنسانية المتحولة لا تشجع على جميع أنواع التحسين

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بشكل غير مبالٍ. إنما تدعم التحسينات "الجوهرية"، مثل الصحة الأفضل، وطول العمر الحسن، على حساب التحسينات المتعلقة بالوضع الاجتماعي التي يكون تأثيرها مقارنةً ومحلياً غالباً، مرتبطةً بعدم استفادة الآخرين منها: مثل الطول الأكبر، واللياقة البدنية، ومعظم التعديلات التي تعتمد على الموضة، والتلاعيب التجارية، أو حتى المنافسات الرياضية¹.

إن التحولات ذات الهدف التحسيني التي يقترحها خبراء التحول الإنساني هي تحولات جذرية وبعواقب غير قابلة للتنبؤ إلى حد كبير، مما يجعل التوقع لمستقبل المجتمع والبشرية محدوداً وغير مؤكد. لذلك، فإن المطلب الأول هو المتابعة اليقظة والتقييم المستمر. ثم إن إحدى التعبيرات القوية لحدود توقعات الإنسانية المتحولة هي فكرة "ما بعد الإنسانية": وهي تحول مفاجئ أو تدريجي لدرجة أن منتجات التحسين ستكون بعيدة للغاية عن حالتنا البشرية بحيث لن تكون مرتبطين بها بشكل كبير. من ما بعد الإنسان - الذي يمكن رؤيته ككائن وسيط عابر - إلى ما بعد البشري، الحدود غير واضحة وغير متوقعة².

2- السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان:

اعتمد تحسين ظروف الحياة في القرن التاسع عشر أكثر على الأفعال العلمية منها على الاجتماعية. ومع التطور المتزايد للتكنولوجيا، وخاصة في مجال الروبوتات والمعلوماتية التي تحدد جميع جوانب الاقتصاد، أصبحت هذه الظاهرة أكثر وضوحاً، حيث أضحى البيولوجي سياسياً وأخذ سلطة حقيقة. لهذا السبب، تؤثر حركة الإنسانية المتحولة على كل من الساحتين السياسية والاقتصادية العالمية والساحة العلمية. يسعى مؤيدو هذه الحركة إلى استخدام جميع الوسائل للتأثير، سواء على الأشخاص في السلطة أو على كيفية عمل بعض المؤسسات أو على توجيه البحث العلمي.

إن الخوف من التكنولوجيا يفوق قدراتنا، هذا ما اعترف به خبير الاقتصاد جان دو كيرفاسدو، فإذا استمررنا في تجاهل الواقع، سنفقد ازدهارنا المستقبلي دون أن نحقق أي شيء من الناحية الاقتصادية والسياسية. نحن نعيش من جديد غياب الاستراتيجية التي شهدناها مع علم الوراثة، نتيجة للتشريع المفرط، ورغبتنا المستمرة في عدم إغضاب أي شخص، بسبب مبدأ الاحتراز. هذا المبدأ الاحترازي، الذي يحظى بتقدير سياسي أوروبي، أصبح رد فعل مضاد للتكنولوجيا. ففي الوقت الذي تراكم فيه المعرفة والعلوم في

¹Gelbert Hottois, **Humanisme, transhumanisme, postumanisme**, Revista Colombiana de bioética, vol 8, N°2, université El Bosque, Colombia, 2013, p 153.

²Ibid, p 154.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

المختبرات بسرعة أكبر من القرارات المتخذة بشأن استخدامها، فإن الأساليب الحالية للحكم غير ملائمة لهذه الإدارة، ويجب وجود "برمجية سياسية" جديدة لكي يستعيد المجتمع الأوروبي خاصة السيطرة على هذا المستقبل. في كتابه "السيادة الرقمية" الذي صدر عام 2014، كان بيير بلانجور قلقاً من فقدان السيادة الفرنسية تحديداً أمام العملاقة الأمريكيةين. إن عدم معرفة القادة بالتقنيولوجيا الجديدة يجبرهم على إقامة سياسات دفاعية بسبب نقص التوقع، ومنع الأولوية للدفاع عن الماضي بدلاً من التنبؤ بنماذج اقتصادية وسياسية جديدة. يبدو أن همهم الوحيد هو الانتخابات القادمة، في حين يجب التفكير في الجيل القادم بدلاً من الانتخابات القادمة. قد تكون نتيجة السياسة المتمثلة في الحيطة والخذر المتتبعة من قبل الدول الكبرى كفرنسا هي خضوعها للقوى الضعيفة، فقد يصبح أسياد الأمس عبيد الغد، وستكون تقنيات NBIC هي الرافعات الجديدة للسلطة¹.

حظيت حركة الإنسانية المتحولة حتى الآن باهتمام النخب الفكرية في الولايات المتحدة بشكل خاص. يرى الكثيرون فيها وسيلة لإبراز تميزهم وحقهم في الهيمنة على بقية البشرية، خاصة إذا اعتبرنا السياسة بمثابة فن إدارة الشعوب قبل استخدامها. هناك ما يثير القلق، خاصة مع الزيادة المتوقعة في الصراعات بين الأغنياء والفقروء التي ستزداد في وقت قريب. سيثبت مثلي الإنسانية المتحولة في أمريكا الشمالية وجزء صغير من أوروبا أنهم هم الذين يحملون، بفضل تقنيتهم، قيم المستقبل للبشرية. لأن التلاقي الكبير للتقنيات NBIC يعد بوعود استثنائية، ولكنه يخفي أيضاً بعض المخاطر مثل السيطرة الشمولية، وشكل من أشكال العبودية لفئة من البشرية (التي سترفض "التحول")، أو حتى نهاية عالمنا. من الواضح أن معظم سكان الكوكب لم يبدأوا بعد في إدراك هذه الإمكانيات، وأن الغالبية العظمى من بدأوا في إدراكتها يستجيبون أولاً برفض تحمل هذه المسؤولية والمخاطر المرتبطة بها، فهذا مفهوم تماماً². ولكن، باسم ماذا بالضبط يمكن أن تبرر هذه الأغلبية منها عن أولئك الذين يرغبون في المضي قدماً في إحدى طرق الإنسانية الفائقة، طالما أن تجاربهم لا تتعارض بالطبع مع حرية أو سلامـة الآخرين؟

ظهرت مسألة ما بعد الإنسان في فرنسا بعد "قضية سلوترديك" ولم تخلُ من ردود فعل قوية. تعود أصول القضية إلى محاضرة ألقاها بيتر سلوترديك عام 1999 بعنوان "قواعد للحداثة البشرية"، حيث أشار الفيلسوف الألماني، متقدماً للإنسانية الحديثة، إلى شخصية "الإنسان الفائق" عند نيتها لاستحضار منظور

¹Béatrice Jousset-couturier, **Le transhumanisme**, pp 132, 134.

²Ibid, p 135.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

ما بعد الإنسان المستقبلي¹. أشعلت الحاضرة حواراً عاماً على المستوى الوطني وصل إلى فرنسا. وبحسدة هذه المعارضة في الصراع بين بيتر سلوترديك ويورغن هابرماس Jurgen Habermas (1929-)، حيث رأى الأخير في خطاب مواطنه مشروعًا نجبوياً وأيضاً مشروعًا يهدف إلى تحسين النسل وافتتاحًا بتدريب البشر. ووفقاً لجان كريستوف ميرل Jean Christophe Mirl، فإن هذا الخلاف يندرج ضمن تقليد فرنسي عريق يواجه فيه الحديث القديم. والحقيقة أنه إذا كان هناك خلاف، فذلك لأن تيارين فكريين يتعارضان: من ناحية، ما بعد الإنسانية التي دعا إليها بيتر سلوترديك، ومن ناحية أخرى، إنسانية عصر النهضة وخاصة عصر التنوير. وحيث أن سلوترديك يشجع على اللجوء إلى التقنيات الجديدة كوسيلة جديدة لتدجين الإنسان على يد الإنسان، فإنه يعتبر، وفقاً لتعريف سيرج تروتين Serge Trottein "مُدانًا بجريمة ما بعد الإنسانية"²، ويعارض إدانة هابرماس لتحسين النسل الليبرالي الذي يعني نهاية الفرد الحديث القائم على الاستقلال والمساواة والكرامة.

يتصدى النقاش الذي أثير حول إمكانية تحسين الإنسان للمجتمع بالسياسات المستقبلية التي يجب اتباعها في عالم يضطلع فيه العلم والتكنولوجيا بدور بارز. وفي هذا النقاش، تقف فرنسا إلى جانب هابرماس والقديامي (الاتجاه البيومحافظ والتقاليد الأنوارية). وتؤكد فرنسا، بدعوتها إلى ضرورة الحفاظ على المساواة والكرامة الإنسانية بالإضافة إلى تاريخها وماضيها، على أنها خصم لما بعد الإنسانية. وتأخذ فكرة البيوسياسة التي صاغها ميشيل فوكو في السبعينيات بعدًا جديداً في التفكير السياسي: فمسألة الحياة أصبحت أكثر من أي وقت مضى مسألة سياسية، وإمكانية تعديل الإنسان بيولوجيًا تندرج ضمن سياق القيم، وكذلك الحقوق من خلال قضائية الأخلاق الحيوية. وهذا الأمر يهم ما بعد الإنسانيين بشكل كبير: فهو يحدد لهم إطاراً للعمل مقيداً بفرض حدود على البحث الطبي الحيوي.علاوة على ذلك، من خلال التفكير في الأخلاق الحيوية، يصل مفهوم ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة تدريجياً إلى مسامع البرلانيين الفرنسيين، لا سيما خلال نقاش مكتب التقييم التكنولوجي (OPECST) في إطار مراجعة القانون الفرنسي للأخلاق الحيوية³.

إذا كانت الولايات المتحدة قد بدأت، منذ السبعينيات، بحركة للتفكير في التحديات الأخلاقية الناجمة عن التجارب الطبية الحيوية على الإنسان، فإن فرنسا كانت أول من جسد هذا التفكير على المستوى الوطني.

¹Peter Sloterdijk, *Règles pour le parc humain : une lettre en réponse à la lettre sur l'humanisme de Heidegger*, trad : Olivier Mannoni, Mille et une nuits, paris, 2000, p

²Serge Trottein, *Le posthumanisme de Nietzsche : réflexions sur un trait d'union, Nietzsche et l'humanisme*, revue Noesis, N°10, 2006, p 290.

³ Ibid, p 291 .

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وإذا كانت الدول الأنجلو-سكسونية تبني تقاليدًا براغماتية ومنفتحة تجاه تطور المجتمع، فإن فرنسا، باسم المبادئ الأخلاقية الكبرى المتأصلة في ثقافتها اللاتينية، تضع أخلاقيها الحيوية في إطار توجه حازم نحو الحظر. تهدف "قوانين الأخلاق الحيوية" التي تم تبنيها عام 1994، والتي تمت مراجعتها عام 2004 في إطار قانون واحد، إلى ضمان احترام كرامة الإنسان ضد أي انحراف طبي. وتشمل القيود المفروضة العديد من المجالات، سواء في مسألة الوصول إلى تقنيات الإنجاب أو القواعد المتعلقة بالتبير بالأعضاء، مروراً بالمعلومات الوراثية. علاوة على ذلك، يُحظر البحث على الأجنة والخلايا الجنينية، إلا في حالات استثنائية، وكذلك الاستنساخ، سواء كان تناصلياً أو علاجيًا، خوفاً من ظهور شكل جديد من أشكال تحسين النسل. والأكثر من ذلك، أدخل قانون عام 2004 المتعلق بالأخلاقيات الحيوية مفهوم "الجريمة ضد النوع البشري" إلى القانون. وبإعلان حظر الممارسات الوجينية والاستنساخ التناصلي بهدف الحفاظ على الخصائص الوراثية للإنسان ما يميزه بيولوجيًا، يصاحب ذلك عقوبة بتجانسية رادعة بشكل خاص، حيث تعتبر "الجرائم ضد النوع البشري"، إلى جانب جرائم ضد الإنسانية، واحدة من أخطر الجرائم في فرنسا.

لا يخلو إدراج مفهوم "نوع البشر" في القانون الفرنسي، منذ قوانين الأخلاق الحيوية لعام 1994، من جدل كبير. وبالاعتماد على فكرة أن النوع البشري يقتصر على انتماهه الجيني والبيولوجي، فإن هذا القرار التشريعي يثبت في القانون تصوراً معيناً للإنسان. وبالإضافة إلى الضعف العلمي في الحديث عن الأنواع، والتنوع في الأصول الجينية والطفرات التي تميز الشعوب والتي تؤكد أن النوع لا يمكن أن يكون شيئاً ثابتاً، فإن طبيعة مفهوم النوع البشري، وفقاً لـ¹ كزافييه بيو Xavier Bioy ، تتبع من هيمنة الحتمية الجينية حيث يتم تحقيق الطبيعة من خلال التكاثر الجنسي وطبيعة الثقافة¹. واعتباراً لأن الجينات تفسر الحالة الإنسانية وأن أي اعتداء عليها يصبح جريمة، يمكن انتقادها، على غرار رافائيل ليوجي Raphael Liogier ، باعتبارها شكلاً من أشكال "استبداد التمركز الجيني"². إن حظر أي تلاعب من شأنه أن يغير شكل الإنسان يدرج ضمن سياسة حيوية متزايدة للકائنات الحية، حيث أصبحت مسألة تحديد ماهية النوع البشري تخضع لإرادة الدولة التعسفية وتكشف عن رغبة المشعر في إدامة صورة الإنسان في شكله الحالي³.

¹Xavier Bioy, *Les crimes contre l'espèce humaine, ou la réintroduction en droit d'une espèce de référent naturel, bioéthique, biodroit, biopolitique, réflexions à l'occasion de vote de la loi du 4 aout 2004*, Droit et société, Vol 43, 1982, pp 111, 120.

²Raphael Liogier, *La construction sociale de la morale bioéthique*, les cahiers du droit et de la santé du sud-est, N°3, « La loi bioéthique », 2004, p 133.

³Ibid, p 134.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن الأخلاق الحيوية الفرنسية وباسم الإنسانية الكونية، تنقل تمثيلاً عن الإنسان يتعارض مع المشروع ما بعد الإنساني الذي يهدف إلى تجاوز الحالة الإنسانية وقيادة الإنسان إلى شكل جديد. يمكن اعتبار التشريع الفرنسي المتعلق بالأخلاقيات الحيوية واحداً من أكثر التشريعات محافظهً، إذ يتبع المشرع في فرنسا مبدأ المسؤولية لدى هانس يوناس، حيث يدرج مبدأ الاحتياط في صلب القانون الداخلي من خلال إدخاله في القانون الوضعي منذ عام 1995، في إطار "قانون بارنييه"¹، ويشير اليوم إلى المادة الخامسة من ميثاق البيئة، والتي أصبحت جزءاً من الكتلة الدستورية منذ عام 2004. وبالتالي، يبدو أن السياسة الفرنسية تتوجه نحو اتباع حذر معين تجاه التقنيات العلمية، وتشير المنظمات التي تحت السلطات العامة على تطبيق مبدأ الاحتياط مباشرةً إلى أعلى مستوى في التسلسل الهرمي للقواعد القانونية. وبالتالي، فإنها تطالب بفرض حظر على النانو تكنولوجيا، بما في ذلك إلغاء تطبيقاتها التجارية، أو حتى وقف الأبحاث في هذا المجال مؤقتاً. ومع ذلك، على الرغم من أن السياسة التكنولوجية الفرنسية تدرج تحت تحذير هانس يوناس، فإن العديد من المنظمات تندد برغبة الحكومة في تجاوز هذا المبدأ الشهير للاحتجاط، مما يعني بطلان عملها. ويدين آخرون، مثل جمعية SEPANSO، تحريف "قانون بارنييه" في مواجهة بحث وتسويق بدأ بالفعل، دون الاهتمام بالأثار الصحية والبيئية. يمثل هذا المبدأ الذي ينتشر بسرعة و يؤثر على العقول وفقاً لحركة "الإنسانية المتحولة"²، والذي تطالب به بشدة المنظمات التي تعارض ظهور النانو تكنولوجيا، عقبة أمام الأفكار ما بعد الإنسانية لأنه يشير - كما يشرح ماكس مور - إلى معارضة غالبية الأفراد للتقدم التكنولوجي³. ويشعر البعض من المفكرين المحافظين بالقلق إزاء تزايد هذا الاحتجاج حول تطوير النانو تكنولوجيا، خوفاً من أن يسلك نفس المسار الذي سلكته المعركة ضد الكائنات المعدلة وراثياً، وينتهي الأمر بتسجيل الابتكار التكنولوجي في مجال النانو تكنولوجيا في جو من الرفض العام. وتندرج منظمات معارضة النانو تكنولوجيا في حركة أوسع نطاقاً تندد بالتطورات العلمية والتقنية، بدءاً من زراعة الكائنات المعدلة وراثياً والطاقة النانوية وصولاً إلى تقنيات إطالة العمر وتعديل الإنسان.

3- التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة:

¹Loi N° 95-101 du 2 février 1995 relative au renforcement de la protection de l'environnement.

²<http://www.lesmutants.com>

³Entretien avec Max More, proposé recueillis par laurent courau, Laspirale.org, aout 2010, en ligne : <http://www.laspirale.org/texte.php?id=305>

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أصبحت المخاطر التكنولوجية والصناعية واضحة سواء على المدى القصير أو الطويل حتى مع جميع التدابير المتخذة من أجل تطوير آمن لتقنيات النانو والبيانات والمعلومات. جميع الأبحاث تبدأ في الأساس «من نية حسنة» وتهدي إلى «منفعة عامة». ولكن يجب ألا نغفل أبداً الوجه المظلم، المنحرف، والعدائى الذي قد تعطيه بعض العقول لهذه الأبحاث. الأمثلة في التاريخ عديدة. والأسئلة الحقيقة تبقى: كيف يمكن تقنين المخاطر؟ ومن الذي سيفعل ذلك؟ وكيف نتجنب الانحرافات المحتملة؟ لنأخذ مثال الفيروسات: إذا كانت إنشاء أمراض جديدة في المختبر دائمًا ممكنة، فإن أكبر المخاطر الاقتصادية أو السياسية ستأتي من استخدامها بشكل منحرف. لكن، بالإضافة إلى الفيروسات المصنعة في أنابيب الاختبار لدينا، فقد أنشأت المعلوماتية أيضًا فيروساتها، وهذه قد تكون عنيفة أيضًا، بل وأكثر فتكًا من تلك الموجودة في أنابيب الاختبار. سنتلوك قريباً نانو-روبوتات في أجسامنا، لكن هل نحن متأكدون من أن الأمان المعلوماتي سيكون مؤمناً بشكل جيد؟ السيناريو الأكثر كارثية هو أن فقدان السيطرة على الآلات القابلة للتكرار الذاتي قد يؤدي أيضاً إلى الدمار التام في غضون بضعة أيام من الكتلة الحيوية على كوكب الأرض. لا أحد يريد تدمير الكوكب أو انقلاباً رقمياً، لكن تبقى المخاطر حقيقة للغاية.¹.

يمكنا أيضاً أن نخشى على ديمقراطيتنا، كما تم تشكيلها حتى اليوم. في هذا الصدد أكد فرانسوا ميتزان Francois Mitterand (1916-1996) بأن السلطة لا تقاسم، وهذا بالضبط هو المنظور الذي يفكر فيه الفلاسفة في مجال الذكاء الاصطناعي (IA). بالنسبة لهم، لا يمكن أن يوجد سوى نوع واحد مهيمن في منطقة معينة من الكون: وهذه هي نظرية "السنغلتون" الأنجلو-ساكسونية. يعرف نيك بوستروم هذه النظرية بأنها نظام عالمي توجد فيه وكالة قرار وحيدة على أعلى مستوى، قادرة على منع أي تحديد داخلي أو خارجي، وتتمتع بوجودها الخاص، وتمارس سيطرة فعالة على الخصائص الرئيسية لمحالها². ولكن من سيقود هذا النظام العالمي؟ الإنسان، أم الآلة، أم هجين بينهما؟ وماذا لو قررت آلاتنا تولي السلطة باسم قواها المذهلة؟ بعد أن استولت على قوة صناعاتنا، ستحاول روبوتاتنا البحث في شؤون العالم. أليس "جوجل"، الذي لا يظهر بشكل إنساني، ذكاءً اصطناعياً يمتلك قوة غير مادية وعالمية، يصعب تحديدها، والأهم من ذلك، تتزايد يوماً بعد يوم؟ ألا تخلق هذا «القارة السابعة» التي وصفها شارل-إدوارد بوبي، والتي تتعلق

¹Béatrice Jousset-couturier, **Le transhumanisme**, p 141.

²Ibid, p 142.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

باليدول، الافتراضية، بلا حدود جغرافية أو فيزيائية، حيث تتدفق البيانات بحرية والتي تهرب حالياً تماماً من سيطرة الدول؟

هذا النمط من الحكم الكامن هو حلم لبعض الليبراليين الأمريكيين الذين يريدون بناء مدن بلا دولة. لكن، هل يدرك هؤلاء المرشحون للحرية المطلقة أنهم قد يكونون خاضعين لأبغض أنواع العبودية؟ ليس من خلال قسوة متعمدة، ولكن من أجل تجنب أي سلطة أو ديكاتورية بارزة، فاللجنة التي تمثل الحرية ستكون جحيم الأفراد، يتمنى غاسبار كونيج Kasper Konig (1943-)، إذا كان من المفترض أن يرى مثل هذا الهيكل النور. في الواقع، إن الاستقلالية وحرياتنا مرتبطة حالياً بشكل أساسي بسلطة يجب أن تضمن لنا هذه الحريات، لذا فإن التخلص من السلطة المركزية يعني قبول هيمنة الجماعة على أي طموح أو مبادرة شخصية.

يعتقد فيري أن ديمقراطيتنا المتزعزة أفرزت تفاوتات اجتماعية من المحتمل تزايدها. حيث ظهر ما يسمى بـ "العقل التكنولوجية"، وـ "المليارديرات المتخصصون في التكنولوجيا"، ومن جهة أخرى بعض "العمالة البدوية" في أسواق متخصصة، وبين الجانبيين، توجد أغلبية من السكان، غير متعلمين، وغير مؤهلين، تتآرجح بين البطالة والوظائف الصغيرة، تعيش يوماً بيوم في حالة من الكسل النسيجي المدعوم بالوصول السهل إلى الترفيه، والألعاب، والاستهلاك الجماهيري، ويُدفع لهم من قبل "الطبقة الحاكمة" براتب عالي¹.

لقد حان الوقت لطرح سؤال كيفية تجنب أو كيفية السيطرة على هذه المخاطر. يأمل لوران ألكسندر Laurent Alexandre (1960-) أن تظهر قوى مضادة ببناء، وسلامية، وليس نكوصية، لأن أكبر المخاطر ستأتي من الدول غير الديمقراطية حيث تكون هذه القوى المضادة غير موجودة. بين المخاوف الشخصية والمخاطر الحقيقية، سيكون من الضروري اعتماد سياسة إرادية لتجنب المبالغة. من وجهة نظر اقتصادية وسياسية، فإن حظر الابتكارات التكنولوجية سيخدم أولئك الذين يرفضونها، مما يدفع إلى تأجيل الترخيص للتحسين تحت ذريعة عدم المساواة الاجتماعية². لن يحل التقدم التكنولوجي المشاكل السياسية القديمة مثل درجة إعادة التوزيع المرغوبة، لكنه يمكن أن يزيد بشكل كبير من الكمية الإجمالية لما يتم مشاركته. في مجتمع غني بتفاوتاته، سيكون العثور على طريق للعدالة مهمة صعبة. كيف يمكن أن نعرف ما إذا كانت الفوائد المتأتية ستفوق التفاوتات التي ستخلقها؟

¹Béatrice Jousset-couturier, **Le transhumanisme**, pp 142, 143.

²Ibid, p 144.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن من واجب السياسة أن تتصرّف حل المشاكل الجديدة، والسعى نحو تحقيق توازن في الفرص حيث يكون لكل فرد خيار تحقيق ذاته كما يشاء، وتحسين نفسه أو عدم تحسينها، وبالتالي توفير الوسائل المناسبة. لأن الاختيار بدون الوسائل ليس سوى نفاق واسع. هناك تحدٍ آخر سيواجهه قادتنا هو قضية التوزيع غير المتساوي لهذه التحسينات الناتجة عن التقدم على المستوى العالمي. ومع ذلك، فإن محاولة حظر الابتكارات التكنولوجية لهذا السبب وحده ستكون فكرة سيئة. لذا لابد من أن ندافع بدلاً من ذلك عن نوع من الليبرالية التي تفتح الأسواق للجميع وتعزز ليس "صراع القوي ضد الضعيف"، بل العكس: منع الفرصة للضعف ليأتي ويتحدى القوي.

يذهب فيري إلى إن النقاشات والقضايا الأخلاقية والاجتماعية البيولوجية التي تثيرها الإنسانية المتحولة وكذلك الاقتصاد التعاوني تحتاج إلى ضبط وتنظيم سياسي، هذا الأمر الذي يعتبره البعض ليس حلاً جذرياً بما فيه الكفاية، بالنسبة للبييراليين المتطرفين يعتبرون الضبط السياسي للممارسات الحيوية عودة إلى نظام اشتراكيّة الدولة، أما بالنسبة لرجال الدين ولمن يسعون لوقف حركة الإنسانية المتحولة حفاظاً على المكاسب الاجتماعية واستعادةً للعصر الذهبي المفقود، ينظرون إلى مثل هذا النوع من التنظيم أنه متساملاً جداً أمام هذه الأسئلة التي تطرحها التكنولوجيات الجديدة والتي هي سيئة للغاية، سواء من الناحية الاقتصادية: إذ سيعتبر علينا معرفة ما إذا كانت أنظمتنا الاجتماعية ووظائفنا التقليدية ستقاوم التنافس، الذي يكون في بعض الأحيان مشروعًا وفي أغلب الأحيان غير عادل، والذي يفرضه منطق الشبكات الجديدة. أو من الناحية البيوطبية: أين ستكون الأسئلة التي تطرحها التكنولوجيا الجديدة أكثر إثارة للقلق، حيث تمس بالدرجة الأولى هوية جنسنا وحتى إنسانية الإنسان نفسه، التي تكون مهددة بالتشويش بشكل لا رجعة فيه من خلال تقدم الهندسة الوراثية.¹

بالرغم من هذه الاعتراضات لفكرة التنظيم السياسي لمشروع الإنسانية المتحولة وتبعاته المتمثلة في الاقتصاد التعاوني، إلا أن فيري يعتبره السبيل المعقول والمخرج الوحيد، خاصة في ظل الديمقراطيات التي أصبح فيها فرض القيود حاسماً بقدر ما هو إشكالي بفعل العولمة، إذ أن الديمقراطية المعلوّمة لها خاصيتان أساسيتان في هذا الصدد:

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 135.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأولى: أنها تعمل على الانتقال من التقاليد المسيطرة على مصير البشرية إلى الحرية في جميع مجالات الوجود البشري، في الحياة السياسية أو الجمالية أو الشخصية، ذلك أن الديمقراطيات المعولمة تطمح إلى الاستقلال الذاتي من حيث إعطاء المرء لنفسه قانونه الخاص، من منظور أن الحرية الحقيقية لا تتعدى كونها طاعة للقانون الذي حدد المرء لنفسه، هذا ما مكن المجتمعات من الانتقال سياسياً من الاستبداد إلى البرلانية، ودينياً من الشيوعيات الدولية إلى الإيمان الشخصي، وثقافياً من الأعمال المقدسة إلى الإبداعات الدينية، وفي الحياة الخاصة من الزواج المفروض من طرف الآباء إلى الزواج الذي يختاره الأفراد¹. على هذا الأساس يعتبر فيري أن نزعة الإنسانية المتحولة ومعها الاقتصاد التعاوني هما في الواقع مجرد استمرار لهذه العملية المتأصلة في جوهر الإنسانية الديمقراطية، وفي كلتا الحالتين إنما مسألة محاربة النظرية التقليدية للتطور أو التطور الدارويني، أي تلك الخاصة باليانصيب الطبيعي للتطور.

الثانية: في ظل هذه الظروف الخاصة بالتقدم البيوتقني والرقمي من غير الجدي محاولة إيقاف كل شيء باسم الحفاظ على الماضي، لهذا لابد من الكفاح ضد المنطق الديمقراطي، فمن الضروري وجود التنظيم لمنع البشرية من الوقوع فيما أسماه الإغريق القدماء بالغطرسة والإفراط، أي وضع حدود للإنسان الإغريقي البروميشي، هذا ويتجه فيري إلى أنه من أجل فرض قواعد على المجتمع المدني وتنظيمه ووضع حدود لمنطق الفردية، من الضروري ليس فقط أن تكون هناك دولة مستنيرة، وطبقة سياسية تفهم تطورات المجتمع وتطلعاته الجديدة، ولكن أيضاً دولة قوية يحترمها هذا المجال الخاص أي مشروع الإنسانية المتحولة، وهنا تكمن المشكلة بالتحديد، حيث تطرح العولمة التي تشكل عالمية التكنولوجيا التي تعبّر جميع الحدود مشكلة العجز العام في سياق أصبح فيه السوق عالمياً بينما ظلت السياسات محلية، وهنا يقترح فيري فكرة "التفكير الديمقراطي"².

لقد وعدت الديمقراطية في مبادئها الحديثة الأولى منذ عصر التنوير بأننا ستتمكن من الخروج من ظلمة العصور السلطوية والأنظمة التقليدية، ومنه صنع تاريخنا معاً والسيطرة بشكل جماعي على مصيرنا، وباختصار الوصول إلى مرحلة الاستقلالية على الصعيد السياسي كما في الحياة الخاصة، حتى ولو بالاقتراع العام والتعددية وتوسيع الحقوق الفردية، لكن هذا الوعد بالتحديد هو ما تمثل العولمة إلى خيانته. ومن الواضح أن هذا الواقع يلعب دوراً كاملاً في مسألة التنظيم، سواء كان اقتصادياً أو بيئياً أو أخلاقياً أو مالياً،

¹Ibid, pp 135, 136.

²Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 136, 137.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذا هو السبب في أن من الضروري في ظل هذا السياق الجديد فهم الطبيعة الدقيقة لعملية "التفكير الديمقراطي" بشكل صحيح¹. يمكن توضيح ذلك بالمثال المتمثل في تغيير الأشياء المستمرة من حولنا، حيث تتطور الهواتف وأجهزة الكمبيوتر، تتضاعف الوظائف وتكبر الشاشات وتتلون وتحسن اتصالات الإنترنت وتزداد السرعات، وتتقدم أنظمة الأمان... وما إلى ذلك، هذه الحركة ناتجة بشكل مباشر عن منطق المنافسة العالمية الذي يفرض نفسه على أي عالمة تجارية، فهو ليس مجرد مسألة ذوق أو خيار، بل هو أمر حتمي وضرورة لا جدال فيها إذا أرادت أي مؤسسة البقاء على قيد الحياة. وفي هذه العولمة التي تدفع باستمرار إلى الابتكار لأنها تضع جميع الأنشطة البشرية في حالة من المنافسة المستمرة، فإن نجد التاريخ عكس ما وعد به المثل الديمقراطي ويتجاوز إرادة الشعب. لكن هذا لا ينفي تداعياته الإيجابية على الصحة والأمل ومستوى المعيشة.

تتضمن العولمة جزءاً كبيراً من المثل الأعلى للاستقلالية والحرية الذي جاءت به الديمocratie، ويمكننا فهم ذلك بسهولة إذا أردنا أن نأخذ في الاعتبار الفرق الهائل بين الفترات الأولى للعولمة وما نعيشه اليوم، إذ أنه في الواقع العولمة لم تبدأ فعلياً إلا مع الثورة العلمية في القرنين 17 و18، لماذا هذه النقطة المرجعية؟ ببساطة لأن خطاب العلم الحديث هو بلا شك أول من يمتلك دعوة عالمية حقيقة وذات مصداقية في تاريخ البشرية، وهو أول من يمكنه الادعاء بشكل مشروع بأنه صالح لجميع البشر في جميع الأوقات وأي مكان، للأغنياء كما للفقراء، للأقوياء كما للضعفاء، للأristocrats كما لل العامة، فقانون الجاذبية بهذا المعنى ديمocratiي يقدر ما هو عالمي. وبينما كان مشروع العقلنة والسيطرة العلمية على الكون في القرنين 17 و18 م يحمل معنى وهدفاً تحررياً، إلا أن هذا الوضع لم يعد كذلك في الوقت الحالي، إذ في ذلك الوقت كان هذا المشروع مازال يخضع لتحقيق بعض الأهداف العليا المفيدة للإنسانية، فلم يكن الاهتمام فقط بالوسائل التي ستسمح لنا بالسيطرة على العالم، ولكن أيضاً بالأهداف التي ستسمح لنا هذه السيطرة نفسها بتحقيقها، حيث لم يكن هذا الاهتمام له بعد تقني عملي بمحضه، فبالنسبة لكانت أو فولتير أو ديكارت إذا كان الأمر يتعلق بالسيطرة على الكون نظرياً وعملياً من خلال المعرفة العلمية وإرادة البشر، فلم يكن ذلك مجرد متعة السيطرة أو من خلال الاعجاب النرجسي الخالص بقوتنا الخاصة، بمعنى لم يكن الهدف هو السيطرة من أجل السيطرة، بل كان الهدف هو فهم العالم حقاً واستخدام ذكائنا لتحقيق بعض الأهداف العليا التي اختصرت في حدي الحرية والسعادة، وعليه بالنسبة لمثلي عصر التنوير العظماء، فإن الهدف من تقدم العلوم والفنون

¹Ibid, p 138.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

كان في المقام الأول وقبل كل شيء تحرير البشرية من قيود العصور المظلمة الوسطى، وأيضاً من الطغيان الذي تمارسه الطبيعة الوحشية علينا¹، وبعبارة أخرى، لم تكن السيطرة العلمية على العالم هدفاً في حد ذاتها، بل كانت وسيلة لتحقيق الحرية والسعادة والديمقراطية التي أصبحت أخيراً متاحة للجميع، ووراء التقدم وتبادل المعرفة كان هناك أمل واضح وأفكار راسخة في تحسين الحضارة بشكل عام.

أما مع العولمة الثانية التي نعيشها اليوم، عولمة المنافسة العالمية، يتغير مسار التاريخ بشكل جذري أو لنقل أنه يفقد معناه، فبدلاً من الاستلهام من المثل العليا المتسامية، يصبح التقدم أو بالأحرى حركة المجتمعات مجرد نتيجة ميكانيكية للمنافسة الحرة، بين مكوناتها المختلفة، لم يعد التاريخ مدفوعاً بأسباب نهائية أو بتصور عالم أفضل أو بغایة عليا، بل هو مجرّد مدفوع بالأسباب الكفؤة، ولفهم هذا الانقطاع الجذري مع الأشكال الأولى للعولمة مع عصر التنوير نقدم المثال الآتي: داخل الشركات أصبحت ضرورة المقارنة المستمرة مع الآخرين وزيادة الإنتاجية والابتكار وتطوير المعرفة وخاصة تطبيقها في الصناعة والاقتصاد وفي الاستهلاك أمراً حيوياً، ببساطة يعمل الاقتصاد الحديث مثل الانتقاء الطبيعي الدارويني، ففي منطق المنافسة العالمية، فإن الشركة التي لا تتكيف ولا تبتكر كل يوم تقريباً هي شركة محكوم عليها بالزوال، ومن هنا فالتطور الهائل المستمر للتكنولوجيا أصبح عملية آلية لا يمكن التحكم فيها، وعمياء لأنها تتجاوز من جميع النواحي ليس فقط الإرادة الفردية الوعية، ولكن أيضاً إرادات الدول القومية بشكل منفصل، فلم يعد الأمر سوى نتيجة ضرورية وميكانيكية للمنافسة².

لم يعد الأمر في العالم التقني الراهن -أين أصبحت التكنولوجيا ظاهرة كوكبية- متعلقاً بالسيطرة على الطبيعة أو المجتمع ليكون أكثر حرية وسعادة، بل يتعلق بالسيطرة من أجل السيطرة، والهيمنة من أجل الهيمنة، وفيما يتناقض مع المثل الحضاري الموروث عن عصر التنوير، فإن العولمة التقنية هي في الواقع عملية لا يمكن التحكم فيها في الحالة الراهنة للعالم، كما أنها غير نهائية وخلالية من أي نوع من الأهداف المعروفة. فمثلاً لو افترضنا أنه يمكن حظر جانب من الاقتصاد التشاركي أو من مشروع الإنسانية المتحولة أو خطر التلاعب الجيني أو تطبيقات مثل Uber Pop في فرنسا، فلن يتم التمكن من حظرها في بلدان أخرى، فهي عمليات مرتبطة بالعولمة.

من هذا التحليل يمكننا استخلاص نتائجين:

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 139, 140.

²Ibid, pp 141, 142.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

-**الأولى:** أن التفكير الديمقراطي يمكن فهمه بمعنىين: التفكير من الديمocratie، بمعنى أن العولمة تولد مسارا للعلم يخرج عن سيطرتنا، والتفكير بالديمقراطية، بمعنى أن الديمقراطية نفسها من خلال حركتها الخاصة تفقد جوهرها.

-**الثانية:** إن هذه العملية هي عملية جدلية بوضوح، بالمعنى الفلسفي للمصطلح، بمعنى أن مصطلحا ما لديه مصير لإنتاج عكسه أو ضده دون قصد، فلم تعد الديمقراطية مهددة من الخارج، بل هي من خلال حركتها الخاصة تنتج عكس الوعود بالاستقلالية والحرية التي قدمتها لنا في الأصل، وهذا ما يساهم في إثارة قلق المواطنين بشكل كبير ويعتبر على التشاور حسب فيري.

تحتم الأخلاق الحيوية، وهي شكل جديد من الأخلاق التطبيقية، بمسائل مثل الإنجاب بمساعدة طبية والمهندسة الوراثية واستنساخ الأجنة البشرية. وهي تمثل تأملاً قيمياً وإيتيقياً في الممارسات الطبية، وتهدف إلى تحديد حدود للتدخل في الكائنات الحية والإنسان على وجه الخصوص. ومن الضروري هنا ألا يتخلّى السياسي عن مسؤولية معالجة هذه القضايا لصالح أي لجنة أخلاقيات قائمة بالفعل مع ما نعرفه عن شرعيتها وفعاليتها، على سبيل المثال ممثلة رمزاً بوزارة الابتكار ولكن أيضاً في البرلمان، داخل لجنة دائمة مخصصة صراحة لهذه القضايا، يجب إظهار الإرادة لعدم الاستسلام، وعدم ترك عالم التكنولوجيا يتتفوق علينا. فكيف يمكننا اتخاذ قرار في مكان آخر بشأن ما يجب السماح به أو حظره في مجال الهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الاجتماعية؟ وكيف نحدد المعايير للاختيار بين حظر التعديلات الوراثية أو استخدامها للعلاج فقط أو تسخيرها لخدمة تعزيز الإنسان؟ وفي هذه الحالة ما هي التحسينات التي يمكن أن تكون ضرورية؟ في أي شروط؟ ولمن؟ ولأي غرض؟ وبأي ثمن؟

في النهاية يمكن لدولة واعية أن تقرر ذلك بشكل قانوني بمجرد أن تكون الجماعة وليس الفرد فقط موضع تساؤل، أين يمكننا اتخاذ قرار بشأن ما قد يجردنا من إنسانيتنا أو ما قد يجعلنا أكثر إنسانية، وهنا يأتي دور المناقشات التي يمكن للخبراء والمتخصصين من جميع التخصصات أن يلعبوا فيها دوراً واضحاً وأن يستندوا إلى مبدأ أساسى وهو أنه في كل موضوع يجب معالجته فإن الشيء الأساسي ليس إبداء رأيهم ولا حتى الحصول على قناعة شخصية، بل لابد منأخذ الآخرين في الاعتبار والسعى للوصول إلى التفكير الواسع من وجهة نظر الآخرين. لأن الشيء الأساسي في مثل هذه الأمور هو تجاوز الآراء الذاتية والعواطف، فشكل القانون

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

نفسه وعالمه يلزم بذلك¹. وهنا يقترح الانتقال من القناعة الشخصية إلى القانون، والانتقال من الحدس الذاتي إلى الالتزام للآخرين، فلكي نجبر الآخر على القيام بشيء ما يجب أن يكون لدينا أسباب لذلك تتجاوز الذاتية وتأخذ في الاعتبار الجماعة والمصلحة العامة، وحتى القيم العالمية، وهنا تكمن المشكلة التي يمكن توضيحها بمثالين يرتبطان بالقضايا المطروحة من قبل منطق الإنسانية المتحولة: تقنيات الإنجاب المساعدة بالتلقيح الاصطناعي للنساء بعد سن اليأس، والتشخيص الوراثي قبل الزرع الذي أثير لفترة طويلة في الأخلاقيات الحيوية.

بالنسبة إلى المثال الأول، فعلى الرغم من التحفظات التي يثيرها البعض، فقد فرضت تقنيات الإنجاب المساعدة بالتلقيح الاصطناعي نفسها على أرض الواقع، حيث عالجت بشكل جيد عقم بعض الأزواج لدرجة أن ملايين الأطفال قد ولدوا اليوم بشكل جيد، وهم مصدر سعادة لأبائهم. بالتأكيد لا نزال نسمع أن هذه التقنيات الجديدة تفتح عهد "الطفل-الشيء" المطلوب مثل لعبة عادمة في متجر الطب الحديث - كما ذهب إلى ذلك هابرمانس - لكن هذه الحجة الخادعة لم تعد صالحة، إذ أصبح الجميع يفهم جيداً أن الطفل المطلوب لديه فرصة أكبر للتربص به في بيئة مواتية لتطوره نتيجة رغبة والديه به أكثر من الطفل غير المرغوب فيه. في المقابل يبدو أن غالبية الفرنسيين رافضون للسماح بتقنيات الإنجاب المساعدة بالتلقيح الاصطناعي للنساء اللواتي تجاوزن سن الإنجاب، وفي هذه الحالة يقترح فيري تطبيق المبدأ الأساسي الذي تمت الإشارة إليه سابقاً المتمثل في تحويل الشعور الشخصي إلى قانون يحظر شيء ما، يجب رفعه إلى مستوى التفكير المنطقي المدروس، بحيث يكون اتخاذ القرار صالحاً للجميع²، وفي هذا المثال المتعلق بالمساعدة الإنجابية للنساء في سن اليأس تبدو الحجج حسب فيري غير كافية.

أما في المثال الآخر الذي يخص التشخيص قبل الزرع DPI الذي اعتبره الكثير شكل من أشكال تحسين النسل، ففي الحالات الوراثية الخطيرة كالالتيف الكيسي مثلاً، يمكن تقديم للأزواج الذين يرغبون في إنجاب طفل خالٍ من الأمراض احتمالين للتشخيص المبكر، الأول يتمثل في التشخيص الكلاسيكي قبل الولادة ويتجسد في اكتشاف وجود اضطراب وراثي في الجنين و نتيجته المنطقية هي الإجهاض، والثاني هو التشخيص قبل الزرع الذي يجعل من الممكن تجنب هذه النتيجة، أين يتم اللجوء إلى إخضاب العديد من الأجنة ثم يتم استخدام الاختبارات الجينية لتحديد تلك التي تحمل خللاً وراثياً جينياً، ويتم بعد ذلك زرع

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 159.

²Ibid, pp 160, 161.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأجنحة الحالية من العيوب فقط، وقد سمحت هذه التقنية بالفعل بولادةآلاف الأطفال الأصحاء خاصة في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وبليجيكا¹. ومع ذلك تثير هذه القضية اعتراضين رئيسيين من قبل معارضيها، فمن جهة يتم اتّهام مثل هذه التجارب بأنّها يوجينيا، ومن جهة ثانية يضيفون بأنّها تضعنا على منحدر زلق بحيث يصعب التوقف عن مثل هذه الممارسات.

تبدو هذه الحجج التي تخاطب الجمّهور وتتمتع بمظهر الفطرة السليمة والفضيلة غير صارمة وفقاً لفيري، هذا لأنّها تتجاوز السؤال الحقيقي المتمثل بالضبط في مسألة التنظيم والحدود الدقيقة التي يجب فرضها في مثل هذه القضايا بدلاً من السماح بكل شيء أو منع كل شيء، وهنا لا يُخفى فيري اعجابه بالجهاز الذي تم اعتماده بشكل أساسي في فرنسا يتم تقويض ممارسة التشخيص قبل الزرع لبعض المستشفيات من خلال تكوين فرقاً طبية مسؤولة عن تحديد الحد الذي لا ينبغي تخطيه، بحيث يسمح به لأغراض علاجية للأمراض الوراثية الخطيرة وليس على جميع الحالات التي تتعلق بالراحة البسيطة². وما نستشفه هنا أن فيري يشجع على وضع أخلاقيات مثل هذه الممارسات واحتضانها لرقابة وتنظيم سياسي (الدولة) لتسير بطريقة شفافة وفق مبدأ أعلى صارم يحكم الحوار بين المعتقدات الدينية وغير الدينية في مجتمع علماني، لكن هذه الفكرة قد سبقه إليها الطبيب والفيلسوف الفرنسي فرانسوا داغوني Francois Dagogni (1924-2015).

يؤكد فيري على أن التنظيم حتى ولو حدث في ظل ظروف نقاش مثالية، سيواجه صعوبتين -سبقت الإشارة لهما- الأولى تتعلق بما يمكن تسميته بالجيوسياحة للتنظيم، فمن الواضح أن في مواجهة إمكانية تعزيز الإنسان، حتى ولو كان ذلك لأغراض علاجية فقط، فإن بعض البلدان ستكون أقل تحفظاً من غيرها إن لم تكن أكثر استعداداً أو أقل دقة بشأن الحدود التي ستعتبرها تقليداً جمهورياً وإنسانياً موجه نحو حقوق الإنسان لا ينبغي تجاوزها. الثانية أنها تصطدم بالأيديولوجية الليبرالية الجديدة التي تقتضي بأن كل فرد يجب أن يكون حرّاً في اتخاذ القرار لنفسه ولعائلته والتي ستتعارض بوضوح مع الواقع. وهنا نلمّس أهمية موقف فيري ودعوته لعدم التخلّي عن لجان من المجتمع المدني، فلا بد للسياسة أن تبذل جهداً كبيراً في سياق لجنة

¹Ibid, pp 162, 163.

²Ibid, p 163.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

برلمانية دائمة، وبالتعاون مع وزارة متخصصة لتشخيص أعضائها واستثمار الوقت في فهم العالم القادم بدلاً من الاكتفاء – كما هو الحال اليوم – بالنقاشات القديمة للقرن 19 بين الاشتراكيين والليبراليين¹.

يتعمق فيري أكثر في توضيح آليات التنظيم حتى يتخطى التحديات التي تواجهه، وهي أن يتم في الفضاء العام وليس في مجتمع مدني الذي هو في الأساس مكان للتعبير عن المصالح الخاصة، وبالتالي التعبير عن المصلحة العامة، وعلى أعلى مستوى يجب استعادة السيطرة على مسار العالم الذي يفلت منا أكثر فأكثر، بحيث لا يتوقف الأمر إلا على إرادتنا، فتنظيم هذه المجالات أي مشروع إنساني المتحولة والاقتصاد التشاركي أمر ضروري لا محالة، لكنه يعتمد على شرط أساسي، ألا وهو قدرتنا على إنشاء هيئات شرعية أي سياسية قادرة على القيام بذلك، لكن هذا الشرط مرهون بشرط آخر هو أن يكون السياسيون والمنتفعون مستعدون لجذب انتباه الرأي العام إلى الواقع الحاضر والمستقبل الذي يجب على أطفالنا مواجهته بطريقة مختلفة عن الحنين للماضي.

¹Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, pp 164, 165.

رابعاً: الإنسانية المتحولة والدين

تولدت حركة الإنسانية المتحولة من العقل والعلم والتكنولوجيا، وقد تبدو في ال وهلة الأولى حركة إلحادية. ومع ذلك، فإنها تحمل في عمقها أيديولوجياً مستوحاة بشدة من المسيحية. غالباً ما يتم تجاهل الجانب الديني في هذه الحركة في النقاشات الفكرية، لكنه ليس جانباً يجب إغفاله. من خلال أصولها وأيديولوجياتها ووعودها، يمكن أن نجد تشابهاً مع الميتافيزيقاً أو الأديان في السعي إلى الهروب من الحالة الإنسانية. فالمشروع ما بعد الإنساني التقني لا يعدو كونه إعلاناً عن تحقيق قريب بفضل التكنولوجيا، لتحرر سيؤدي إلى ما لم يُرَ أو يتصور من قبل.

1- الجذور الدينية للإنسانية المتحولة:

تشير فكرة التجاوز أو العبور التي ينطوي عليها مصطلح التعالي بالنسبة للأديان إلى ما هو أبعد من المدرك وإمكانيات الفهم، ويبقى التعالي والتجاوز سمة من سمات الإله، لأنه يظل غير مرئي في العالم الذي خلقه، فالمفهوم تجريدي بشكل خاص، ولكن كما تصفها قواميسنا الفلسفية بشكل جيد، تعود دائماً إلى فكرة الخارج والعلو. إن الإله في التوحيد هو كائن متعالٍ، لأنه خارج العالم، إنه ليس في مكان ما في الخلق، بل هو خارج الخلق. إنه موجود فوقه، لكن الخارج لا يكفي. إن العنصر متعالٍ عندما ينتمي إلى نظام مختلف وأعلى من آخر، إن الإله متعالٍ على العالم، لكن العالم ليس متعالاً على الإله. فالعالم هو خلق، وهو أدنى من خالقه، لذا يستخدم مصطلح التعالي بشكل أساسى لمناقشة علاقات البشر مع الإله، أو علاقة الإله بالعالم، ويأخذ بعدها روحياً، بالمعنى الذي يحتوي على روح أي وعي. على العكس، يؤكد دعاة الإنسانية المتحولة وبعض الفلاسفة مثل سبينوزا أن الإله يتجلى في كل مكان في العالم، وأن التعالي يشير إلى جميع مستويات الواقع (الخلق، الفن، الثقافة، التكنولوجيا...). بالنسبة إليهم يعني التجاوز: الذهاب إلى ما وراء القدرات العادية للعالم المادي، ويؤكدون أنه بالضبط في عالم المادة والطاقة نجد التعالي، فصدمات الفرشاة على القماش لا تعني سوى الطلاء ولكن عندما تنظم معاً، فإنها تتجاوز المادة وتصبح فناً¹.

من هذين المفهومين اللذين يبدوان متعارضين، لا تظهر الإنسانية المتحولة كدعاة للدين، بالمعنى التقليدي للكلمة، ولكن تعدنا بالتجاوز، مع الاختلاف أن تجاوزها يكتسب من خلال الوسائل

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, pp 119, 120.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكنولوجية، وليس من خلال الإله، ويقى فقط معرفة ما إذا كان التعالى الذي نأمله بوسائلنا وتقنياتنا سيكون بنفس الرفق والعناية واللطف الذي وعدنا به الإله.

إن فكرة تحويل الإنسان في الأساس -كما يحلم بها الإنسانيون الجدد- ليست معادية لل المسيحية، على العكس من ذلك، فإن الرسالة الكتابية تدعو الإنسان أن يكون أفضل مما كان عليه في البداية، من منطلق أن الإنسان غير مكتمل لا يزال قيد التطور، لذا وجب غزو إنسانيته الكاملة ولكن بمساعدة الإله من خلال تحديد حدوده، مما يستدعي العثور على معايير التمييز، من المحتمل أن تكون على جانب وحدة العائلة البشرية والوحدة الشخصية بين الجسد والروح وتطوير الحرية العميقه وغلو الحياة الروحية¹. وفي هذه النقطة تلتقي مع الإنسانية المتحولة أي في فكرة الإنسان المعزز، مع فارق أن التعزيز عند هذه الأخيرة يقوم به الإنسان بنفسه ومن خلال اعتماده على التقنيات الفائقة.

كان اللاهوتي بيير تيلار دي شارдан من الأوائل الذين أخذوا مستقبل التطور البشري بجدية، حيث تركزت أبحاثه على الهندسة الوراثية، وظهور شبكة عالمية للاتصالات (التي يعتبرها البعض مقدمة للإنترنت)، وتسارع التقدم التكنولوجي نحو ذكاء أعلى من الذكاء البشري². جميع هذه المواضيع يتم تناولها اليوم من قبل دعاة الإنسانية المتحولة، الذين يستندون بشكل متكرر إلى كتاباته.

يتحدث كتاب آخر وممثل يان مينغ عن ما بعد الإنسانية التقنية كـ"نبأ ميتافيزيقية جديدة". بالنسبة لهم، إذا نجح المشروع ما بعد الإنساني، فقد يتحول الإنسان إلى نوع جديد "ما بعد الإنسان"، أينسل من الهومو سابينس، تتجاوز قدراته قادرات الإنسان العادي بحيث لم يعد ينتمي إلى نفس النوع³.

على الرغم من أن التطرف الديني، والخرافة، والتعصب لا تُقبل عند دعاة الإنسانية المتحولة، إلا أن الأب الروحي لهذه الحركة راي كورزوويل لا يخفي رأيه ويعُرف مفهوم "التفرد" الخاص به على أنه دين جديد سيحل محل الأديان التي فشلت حتى الآن، بالنسبة له نحن نخاطر مع حركة ما بعد الإنسانية التقنية بالوصول إلى المعركة النهاية بين التصور الروحي والديني للإنسان وبين تصوّره العلمي⁴. فهل يمكننا عندها أن نتصور الإنسان، كائن الإله، جنباً إلى جنب مع هذا الإنسان الجديد؟

¹Jean-Guilhem Xerri, *Qu'est-ce que le transhumanisme ?* p9.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 19.

³Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, p 100.

⁴Ray Kursweil, *The singularity is near*, p10.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

تسعى أيديولوجية الإنسانية المتحولة إلى تقديم إجابة خلاصية للإنسان، ولهذا فهي مهوسّة بفكرة تحويل الإنسان إلى كائن "فوق بشري"، خالد بيولوجيًا، بيولوجيًّا، أو افتراضيًّا. وهنا، كما هو الحال في المسيحية، العدو الذي يجب محاربته هو الموت. بالنسبة للبعض، الموت هو الفشل، وبالنسبة للآخرين، يمثل مصدر معنى الإنسان، فالجميع يتفقون على شيء واحد: الموت هو التعبير عن محدوديتنا. تعد الإنسانية المتحولة شكلاً من أشكال الرد على هذا القلق، فالخلاص الذي تعد به يأتي في شكل تحسين، استرادة، علاج، وربما حتى تأليه لما كان ميتاً. حيث تكمن الخلافات مع المؤمنين، في أن الخلاص عند دعاء الإنسانية المتحولة يتحقق من خلال التحول التكنولوجي، في حين أن المسيحيين يعتقدون أنه يأتي من خلال المسيح¹. ما يعني أن فكرة الإنسان يحتاج إلى الخلاص حاضرة بالفعل في هذه الحركة التجاوزية، ولكن مع فارق واحد أنه تم استبدال النعمة الإلهية بالمعرفة البشرية.

هذا ما يحيلنا إلى التساؤل: هل يمكن أن تخدم الإنسانية المتحولة في حالة الوصول إلى إنسان أرقى من حالته الحالية بعض الوظائف التي تسعى إليها الأديان؟ بالطبع لا، ينفي المؤمنون ذلك لأن أحلام دعاء التحول الإنساني يجب أن تتحقق في هذا العالم، على أساس تطوير شخصي قائم على التقنية والعلم، وليس كما ينبغي في عالم آخر بالاعتماد على القوى الإلهية.

تحدث جاك إلول في عام 1950 عن "الاندفاع الذاتي" للتكنولوجيا، وكان يقصد بذلك أنها بدأت في تغيير وضعها: من مجموعة واسعة من الوسائل المخصصة لكل غاية، أصبحت ظاهرة مستقلة تحدث بشكل مستقل عن احتياجات المجتمع، متحررة بشكل متزايد من سيطرة الإنسان وتفرض عليه العديد من القيود. الإنسان، الذي لا يستطيع إلا أن يقدس بيته، استبدل الطبيعة بالتقنية مع رفضه الاعتراف بذلك رسميًّا.².

هذا الانتقال أدى إلى فرض سلوك يعتمد على التقنية، تماماً مثل الإدمان، فعندما يقبل الإنسان القيود التي تفرضها التقنية عليه دونوعي، يصبح مغترباً بسبب الأدوات التي صنعتها بمرور الوقت، هذه الأدوات لم تعد وسائل بل أصبحت مقدسة، وأضحت غايات وضرورات، وبالتالي خالقة للقيم. لم يعد الإله هو الذي يقرر قيمة الإنسان، بل الإنسان نفسه.

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, pp 100, 101.

²Ibid, p 101.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في مواجهة التطور التقني الذي يستمر في غزو مساحتنا، وتقديم معجزات للإنسان، وفي مواجهة مجتمع فاقد للمعايير، مضطرب روحياً بسبب علم يثير الشكوك حول كل شيء، فإن الحجج التي يطرحها رجال الدين في جميع الأديان لا تقدم بدائل فكرية كافية. يضطر الفرد إلى الاستثمار بشكل متزايد في العالم المادي، وتقليل استثماره في الروحانيات، إذ أن الإيمان أصبح مجرد أسطورة، وكلماته لم تعد مقنعة خاصة في الغرب، وتبقى على أي حال بلا تأثير على غير المؤمنين. هنا يجب الاعتراف بأن العلم لا يقدم أنسنة للإيمان، والإيمان لا يجيب بدوره على متطلبات العلم. لقد حاول دي شارдан تحقيق مصالحة من خلال تعريفه لنقطة "أوميغا" بأنها نجح نحو مطلب للوحدة يسمح للإنسان بدمج العلم والإيمان، قد تكون "أوميغا"، من خلال فعل التوليف العقلي، هي نقطة تقاطع الصعود الحتمي للتتطور ونزول الوحي. فالتطور يفسر الوحي، في حين أن الوحي يتلاقي مع التطور. ويمكن القول أن مفهوم التفرد عند راي كيورزويل مستوحى من هذا المبدأ، حيث أكد على أن العديد من دعاء ما بعد الإنسانية يعملون ضمن الهندسة المفاهيمية لنظرية نقطة أوميغا لـ دي شاردان دون أن يدركوا جيئاً ذلك¹. عموماً يبقى التناقض قائماً بين التقنية والدين فهي عوالم موازية تحاول دائمًا السير معاً، رغم أنها تعرف أنه أمر مستحيل.

يُحاوِل اللاهوت المسيحي إيجاد وساطة لتجنب التطرفات، ففي حين أنها لا تسمح للإنسان بأن يضع نفسه مكان الإله، فإنها ترفض أيضاً أن يبقى غير مسؤول ويقبل بالمعطيات الطبيعية كقدر لا يستطيع التحكم فيه. حيث تدين وجهاً النظر هذه كلاً من إغراء اللعب بدور الإله ورفض جميع أشكال التطور أو الخلاص. لا تجد الكنيسة في الأساس سبباً واضحاً لاستبعاد التقنيات أو اعتبارها غير متوافقة مع تعاليم الروح، إذ لا يوجد نص في الكتاب المقدس يشير إلى أن الإله لا يستطيع أن يكشف نفسه لروحنا إذا قمنا بتجميد أجسادنا على سبيل المثال، كما لا توجد كلمة واحدة في الكتابات المسيحية أو اليهودية أو القرآنية أو في الديانات الوضعية تحرم التجميد البارد.²

لا توجد معتقدات تقليدية بالنسبة لشخص يؤمن بالتق暮ص تقول إن التقمص يتعطل عندما يموت شخص بسبب البرد أو عندما يُجمد جسده بعد الموت السريري. فإذا كانت هناك روح تدخل الجسد عند

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, pp 102, 103.

²P. Nathanael Garric, **La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : le transhumanisme, Achidiocèse de Malimes, Bruxells, mai 2015, p 16.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكوين، فإن التجميد لا يدمرها، فبعد كل شيء، تم تجميد وحفظ أجنة بشرية لفترات طويلة ثم تم إعادة زرعها، مما أدى إلى ولادةأطفال في صحة جيدة ويفترض أنهم يحملون روحًا¹.

على الرغم من أن بعض دعاء الإنسانية المتحولة يتبعون شكلاً ليبرالية تقليدية من الفلسفة الشرقية مثل البوذية والغنووية واليوغا، إذ تؤمن الغنووية بإمكانية بلوغ الحالة الالاهية من خلال التخلص من الطبيعة البشرية المعطاة له كهبة إلهية، وهكذا يتنازل عن القداسة الإلهية ليحل الإنسان محل الإله. أو يدمجون أفكارهم مع ديانات غريبة قائمة مثل المسيحية الليبرالية، إلا أنهم لا يزالون أقلية هامشية جدًا، أما الغالبية العظمى منهم هم ماديون ملحدون لا يؤمنون بوجود روح بشرية متسامية. كثير منهم يؤمنون بالتوافق بين العقول البشرية والمعدات الحاسوبية، مع الفكرة النظرية بأن الوعي البشري سيتمكن يوماً ما إلى وسائل بديلة².

ألا يخفي تحويل الروح والوعي البشري على وسائل غير بيولوجية إمكانية ملموسة للغاية للقضاء على الموت البيولوجي؟ كعادته الرؤيوية، تناول دي شارдан هذا الموضوع إذا ما لم نفترض أن العالم عبئي، فمن الضروري أن يهرب الوعي بطريقة أو بأخرى من التحلل. لكن من منظور محافظ مسيحي، فإن فكرة تحويل الروح تعد استخفافاً بالجسد البشري وهي سمة مميزة للاعتقاد الغنوسي. إن عدم انفصال المادة الحية عن الوعي يظل أمراً أساسياً، لأنه إذا كانت الحياة مجرد مادة، والوعي مجرد نتاج كيميائي، فسيكون من الممكن التلاعب بالوعي والحياة كما نفعل مع المادة³.

يدعم دعاء الإنسانية المتحولة ظهور وتلاقي تقنيات الـ NBIC، بحيث يجعلنا استخدام هذه التقنيات نصبح أكثر من بشر، وقد عارض الفاتيكان بشدة ذلك من خلال اللجنة الالاهوتية العالمية في بيان صدر عام 2002 بعنوان "الشركة والخدمة، الأشخاص البشر المخلوقون على صورة الإله"، جاء في البيان أن تغيير الهوية الجينية للإنسان، باعتباره شخصاً بشرياً، من خلال إنتاج كائن أقل من الإنسان هو أمر غير أخلاقي تماماً، مضيفاً أن "خلق سوبرمان أو كائن روحي أعلى" هو "أمر غير قابل للتصور" لأن التحسين الحقيقي لا يمكن أن يأتي إلا من التجربة الدينية والتائه⁴. بعبارة أخرى، بينما يجد دعاء الإنسانية المتحولة في الموارد البشرية

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, p104.

²أولغا تشيفيريكوفا، ديكاتورية المستبررين، ص 30

³Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, p 105.

⁴P. Nathanael Garric, **La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme**, p17.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والعلمية والتقنية وحدها الوسائل للوصول إلى نوع من الكمال والتجاوز، يرى المؤمنون أن النمو الروحي للإنسان هو السبيل الوحيد لبلوغه التحسين والكمال.

يُعتبر الجسد بالنسبة للكنيسة مقراً للروح والعقل، وقد عرّفه الفاتيكان الثاني في علاقته بالآخرين ودعا المسيحيين إلى التبرع بأجسادهم بشرط أن يكون ذلك خارج نطاق التجارة، تاركاً لكل فرد حرية اتخاذ القرار. ولهذا السبب، حتى وإن كان التحكم في الأجساد لدى الكاثوليك يأتي في سياق تحرير الأرواح، فإن التفكير في أن تحويل الجسد قد يؤدي إلى تغيير الروح يُعتبر فكرة عبئية. يحتفظ التيار الإنساني للبشر بسمات الفناء التي تكشف عنها ثنائية الروح والجسد، بينما تقلل حركة الإنسانية المتحولة من قيمة الجسد ليصبح مجرد ظاهرة ثانوية تعبر عن الفناء وتشكل عائقاً أمام الرغبة في الخلود. إن الاعتراف بمبدأ أن الإنسان هو إنسان لأنه استطاع أن ينفصل عن الجمود الطبيعي هو اعترافٌ بمنحه عدم تحديد أولي أي نفي أن تكون ماهيته محددة مسبقاً قبل وجوده، فهو يولد أولاً ثم يعمل على تشكيل ماهيته، وبالتالي قابلية غير محدودة للتشكيل، ومرنة تجعل من الممكن إعادة تشكيله، فغياب الجوهر يفتح له كل الاحتمالات. مع ديكارت، لم يكن الإنسان سوى بفضل روحه قادرًا على الهروب من الحيوان؛ ومع الأزمنة الحديثة، أصبح جسده غير جوهرى؛ ومع دعاء الإنسانية المتحولة، يكتسب الإنسان الاستقلالية والحق في تجاوز جسده. حيث نجد الكاتب والصحفي جان كلود غيلوبو يصل إلى حد فك شفرة المشروع ما بعد الإنساني باعتباره كراهية للجسد، ويصفها كشكل جديد من الاحتشام، إذ أن في كل مكان، يُقدم الجسد على أنه عباء قديم، رمز للفناء والهشاشة والموت.¹ وهنا يتحقق لنا أن نتسائل: هل يمكن التوفيق بين الجسد والروح؟ هل تتجه نحو نهاية التاريخ، موت الإنسان، بعده لن يبقى سوى أجساد ذات شكل بشري لكنها خالية من الروح، أو روح في شكل واقع غير عضوي وغير حي؟

لقد أنجب الكون الإنسان، هذا الأخير الذي يتداخل تاريخه مع تاريخ الكون أعطى معنى للكون، فمن غبار النجوم تعقدت المادة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت في النهاية روحأً، ومن كونها حية أصبحت مفكرة. ولكن هل يمكن التأمل في عصر، كما يتباينا به مثلي الإنسانية المتحولة، حيث يتم وضع المادة في خدمة الروح؟ هل سنشهد ظهور جزء ما بعد الإنسان؟ وهل ستتمكن الإنسانية من أن تتحقق المحبة بين الجميع عندما لا تتعرف على نفسها كعناصر لشيء واحد؟²

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, pp 106, 107.

²Ibid, pp 107, 108.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في النقاش الواسع حول من الذي خلق الآخر، المادة أم الروح، قد يكشف المستقبل كيف ستكتيف هذه الأخيرة نفسها مع الدعائم الجديدة، مثل هذا الأساس الاصطناعي الذي سمي شبكة الإنترت، للتعبير عن نفسه في عالم ما بعد الإنسان.

إذا عدنا إلى الأصول، إلى لحظة الخلق، عندما تلقى الإنسان الأمر بإخضاع الأرض وزراعة جنته، يمكننا تماماً أن نفهم أن الثقافة بشكل عام، والتقنية بشكل خاص، هما تحقيق ملموس للدعوة الإنسانية وبالتالي يمكن تطبيقهما على الإنسان نفسه. في الواقع، لماذا يُسمح له بالتدخل في كل شيء، إلا في جسده؟ يمكن أن يُضاف إلى هذا التأمل تقليد فلسفياً كاملاً، تحت تأثير اللاهوت المسيحي، يمنح الإنسان هذه القوة وهذا الواجب ليصنع نفسه، ليتكرر نفسه، كما تم ذكره سابقاً.

يحق لنا التساؤل في هذا الموضوع: من أين يأتي هذا الشعور بأن الرغبة في تجاوز الحالة الطبيعية يجعلنا نقع في الخطيئة ضد الطبيعة البشرية؟ لأن البعض ينسب إلى الطبيعة طابعاً مقدساً إلى حد اعتبارها تحسيداً لنظام إلهي لا يتغير.¹ لذلك فأي محاولة لتعديلها يعتبر تعد واضح على النظام الإلهي.

تعبر الخطيئة الأصلية عن قانون الخطأ الذي هو في الإنسانية بحكم وضعها ككائن في طور التطور، حيث يعيد الفعل الخالق الكائن إلى الإله من حدود العدم، وكل خلق يحمل معه كمخاطرة بعض الخطأ، ويترافق حتماً ببعض الحالات. بالنسبة إلى دي شارдан، فإن الإنسانية المتطرفة تجرب الحرية التي منحها الإله، ومن هنا تأتي الإخفاقات والأخطاء المتفاوتة التي لا مفر منها بشكل أو باخر. وكما ذكرنا سابقاً، يجب أن تُقدم الطبيعة بمعنى شبه ديني حتى يمكن تصور مفهوم الخطيئة. أما إذا لم يعد ينظر إليها بأنها كائناً مكتفياً ذاتياً مكتملاً، بل أفقاً مفتوحاً على كل الاحتمالات، فلا توجد بعد ذلك أي انتهاكات، ولا أي وحشية. كانت الأنوار تدعم أنه لا يوجد معرفة بدون تحرر، وأن الانتهاك هو من طبيعة الإنسانية، فلا عجب أن يعرف الإنسان نفسه بقدرته على انتهاك الطبيعة، تلك التي حرمت الإنسان من الكثير، مقدمةً له الحد الأدنى فقط مقارنةً بما تمتلكه الحيوانات². من خلال انفصاله نهائياً عن العالم الحيواني، يظهر الإنسان إنسانيته، من خلال إنشاء عالم من الرموز، والمعتقدات، والديانات من جهة، ومن جهة أخرى، بفضل "الأداة" التي تعزز خارجيته، يتوجه نحو "المفصل"، و"المختلف"، و"الاستثنائي".

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 29, 30.

²Ibid, p 64.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الإنسانية اليوم تقوم بالاتهاء باستمرار، ترتكب الخطيئة، وتطور في ثقافة تتسم بـ "موت الإله" في عالم لم يعد يعترف كثيراً بالمقدس كشيء إيجابي. لقد ابتعدت المعرفة عن المقدس، ومع التيار ما بعد الإنساني، تتملك المبادرة لمصيرها. حيث أن العلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي تتجه نحو الغاء محدودية الأجساد.

2- التفردية أو البحث عن دين جديد:

هل يمكن حقيقة التحدث عن الدين أو الوعي الجديد كالتفردية التي يؤمن بها راي كروزويل حتى لو كانت هناك بعض القواسم المشتركة بينها وبين الأديان التقليدية؟

يمكن القول إن التفكير في الاتجاهات العلمية الناتجة عن النانو-تكنولوجيات يثير نفس التساؤلات التي تحاول الأديان أيضاً الإجابة عليها: طبيعة الموت، معنى الحياة، وغرض الكون. لكن أن تكون "مؤمناً بالتفردية" لا يعني الإيمان كما تفهمه الأديان. أول شيء يجب تجنبه بشكل أساسي بالنسبة لدعوة الإنسانية المتحولة هو إنشاء عقيدة جديدة، أو عبادة أخرى، لأن التفرد ليس نظاماً من المعتقدات أو وجهات النظر الموحدة. إنما أساساً فهم للتوجهات الأساسية للتكنولوجيا، وفي نفس الوقت رؤية تدفعك إلى إعادة التفكير في كل شيء، من الطبيعة، والصحة، والثروة، وطبيعة الموت والوجود، وفقاً لراي كيرزوبل الذي يرى أن معنى الحياة هو خلق وتقدير معرفة أكبر دائماً، والسعى نحو نظام أعلى جديداً يحمل معه إمكانية وجود إله جديد، وذلك بعد أن يتسبّع الكون بوعي وذكاء عالي، فائق ذاتي¹. لكن هذا الوعي ليس كما نعرفه اليوم، بل يجب تخيل شكل آخر من الوعي، غير معروف بعد. على سبيل المثال، ذلك الذي سيترتب على اندماج الحواسيب مع بعضها.

يشيردو شارдан إلى أن ثورة الكائنات الحية الأكثر تعقيداً على الكوكب كانت تسير جنباً إلى جنب مع تطورها وزيادة قواها العقلية، واستنتج أن درجات التعقيد منذ بداية الحياة على الأرض تتوافق مع درجات الوعي، وأكد على أن الوقت الوحيد الذي يهم هو المستقبل، فنحن نسير بسرعة متتسارعة نحو نقطة، لحظة نهاية أسمها "أوميغا". في مستقبل غير متوقع، سيتلاشى "يسوع" التاريخ تدريجياً أمام "يسوع" المستقبلي، أي المسيح في هذه الإعادة النهاية يمثل نقطة "أوميغا". بالطبع، فإن نظرية نقطة "أوميغا" مسيحية بعمق، حيث

¹Roberto Paura, **Singularity believes and the new utopia of transhumanism**, imago, N°7, june 2016, pp 30, 31.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن مرحلتها النهاية هي المسيح، ويشير بها إلى مرحلة تسارع التقدم التكنولوجي نحو "أوميغا"، حيث ستصبح الذكاء البشري ذكاءً فائقاً¹.

وقد تم تبني عمله حول انتشار الذكاء البشري في الكون وتكبيره في ذكاء كوني من قبل فرانك تipler (1947) ورائي كيرزوبل. كشاهد على تسارع وتيرة التقدم التكنولوجي، أكد دو شارдан أن هذا التسارع سيقود إلى ظهور آلة فائقة عالمية، فكل الآلات على الأرض مجتمعة، تميل إلى تشكيل آلية كبيرة واحدة منظمة وبالتالي فإن تسريع وتكثير نموها سيشكل شبكة فريدة عملاقة، ستلتقي حول الأرض، ويبدو أن ظهور آلة فائقة تدير تطورها الخاص يتماشى بشكل وثيق مع فكرة التفرد التي طورها راي كيرزوبل، حيث يعرّفها بأنّها فترة مستقبلية ستكون فيها وتيرة التغيير التكنولوجي سريعة جداً، وتأثيرها عميقاً لدرجة أن الحياة البشرية ستتحول بشكل لا رجعة فيه وستتحول البشر إلى فوق البشر².

أقر دو شاردان بأنه ستسمح لنا التفردية بتجاوز حدود أجسادنا البيولوجية وأدمغتنا. سنكون قادرين على العيش طالما أردنا ذلك. وسيشكل التفرد تحقيق دمج تفكيرنا البيولوجي مع تقنيتنا، مما سيدفعنا إلى عالم لا يزال إنسانياً، ولكنه سيتجاوز جذورنا البيولوجية. لن يكون هناك أي تمييز بين الإنسان والآلة أو بين الواقع المادي والافتراضي. من خلال هذا التفكير الرؤيوي، يؤكد أنه سيكون هناك فترة من التغيرات التكنولوجية السريعة خلالها سنشهد دمج الإنسانية مع التكنولوجيا³. وهنا نفهم لماذا تم انتقاده بشدة وهو جم في وقته من قبل الكاثوليك المحافظين، ولماذا يشعر دعاة الإنسانية المتحولة بأنهم قريبون منه. ولكن هؤلاء الآخرين قد يضطرون إلى خوض نفس المعارك، بشأن مسائل مشابهة، نظراً لالتزاماتهم.

من الصعب شرح أو وصف الوعي لأنه لا يوجد اختبار موضوعي يمكنه حفّاً إثبات وجوده، كما لا يمكن التوغل في التجربة الذاتية للشخص ما باستخدام قياسات موضوعية مباشرة. ولهذا السبب، سيبقى البعض دائماً رافضاً الاعتقاد بأن روبوتاتنا يمكن أن تمتلك أي شكل من أشكال الروحانية إلا إذا كانت بالطبع تحتوي على خلايا عصبية، أو نواقل عصبية، أو تركيبة بروتينات موجهة بواسطة الحمض النووي.

يتكون الفرد من خلال تراثه الجيني كما ذُكر سابقاً وكذلك من خلال مساهمات بيئته، فنحن نتفاعل وفقاً لما نتعلمه، تماماً مثل الروبوتات. مما يفضي للاعتراف يوماً ما بأن هذه الآلات المستقبلية، التي ستكون

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, pp 111, 112.

²Roberto Paura, **Singularity believers and the new utopia of transhumanism**, pp 01, 32.

³ Ray kurzweil, **The singularity is near**, p79.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أكثر ذكاءً بكثير من الإنسان العادي، ستظهر ر بما أكثر كثيراً مما يفعله من تلك الدقة في التفكير البشري التي يُزعم أنها تميزه. إن اليابانيون على وشك إنتاج إنسان آلي من نوع HRP-2 Promet، وقد تكون "الإيموروبوتات" من البرنامج الأوروبي Feelix Growing نشطة في المستقبل القريب. وبالتالي، عندما يتم التعرف بشكل تفصيلي للغاية على كل ما يحدث في الجسم البشري، وخاصة الدماغ، وتنقل هذه "البيانات" إلى ركيزة أخرى، لماذا لا يتم التحدث، في سياقها، عن الوعي؟ قد تقول الآلات يوماً ما إنها ممتلكة أيضاً مشاعر، وأحاسيس، وتجارب روحية، وأفكار تجعل المسافة بين الذكاء البيولوجي وغير البيولوجي متقاربة جداً.¹

يمكن التنبؤ أنه قريباً لن تكون هناك اختلافات طبيعية بين الإنسان والحيوان والآلة، بل ستكون هناك اختلافات بسيطة في الدرجة، بين كائنات أكثر أو أقل تعقيداً، بذكاء يمكن أن يتواجد في كل مستوى من هذه الكائنات. كلما اجتاحت تقنيات المعلومات والاتصالات فضائنا، كلما زادت حيويته، مما يلغي بالفعل أي حدود؛ فتحتفي الحدود والمطالبات الهوائية. ففضل الإنترنت تم سحق المكان والزمان، وتحقق اقتراب يجعل هذا الاندماج ممكناً². لقد أصبحنا مجرد خلايا عصبية على كوكب الأرض. وهذه هي الفضائل الثلاث من التعاليم البوذية التي يشعر بعض دعاة الإنسانية المتحولة بالقرب منها: الاعتماد المتبادل الذي يتجلّى في الفضاء السiberian؛ عدم الدوام بسبب عابرية تبادلنا؛ فراغ الذات لأنّه بتقليله أنفسنا إلى مجرد خلايا عصبية تصبح قابلين للتبدل وقابلين للاستبدال دائمًا.

نحن نتجه نحو اندماج النظام البيئي الطبيعي والصناعي، ولكن لتحقيق ذلك، يجب أن يفتح الإنسان لنفسه باب تجاوز قدراته، وإلا كيف يمكن قبول هذا الوعي الجديد الذي سيزعم أنه ممتلك الروح غير البيولوجية؟

3- الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة:

إن جميع التقنيات بطبيعتها محايدة، وما نفعله بها هو الذي يجعلها ضارة. إن الابتعاد عن المشكلة التي يطرحها فكر الإنسانية المتحولة لن يمنع عواقبها السلبية المحتملة، ولا يجعلها تختفي، بل على العكس سيجعلنا عرضة للخطر، ويأخذ من الإنسان أي إمكانية للتحكم. تستند الانتقادات الموجهة إلى البيوتكنولوجيا إلى

¹Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, p 115.

²Ibid, p 116.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

حد كبير على القيم المرتبطة بالفردية وتحقيق الذات التي تتسم بها الثقافة الغربية. إن امتلاك الفرد لحقوق غير قابلة للتصرف، يجعل حريته الشخصية تتفوق على أي اعتبارات تتعلق بالانتماء الجماعي هو بالكامل ثقافي؛ إنه ثمرة فلسفة الأنوار وإعلان حقوق الإنسان. على عكس ذلك، في قارات أخرى مثل إفريقيا وآسيا، بعد الفرد أقل أهمية في حد ذاته، وهو عنصر من عناصر جماعة يجب عليه الخضوع لها. وهذا السبب، فإن المعارضة للبيو-تكنولوجيا لا توجد إلا في إطار الحدود الثقافية، وفي هذا الإطار تبقى أقلية على المستوى العالمي. من المحتمل ألا يستمر البيو مخافضون طويلاً، وأن أي معارضة من قبلها ستتجسد في حملة رمزية، ليس لها أي هدف سوى تبرير وتعزيز مصالح أولئك الذين يقودونها. وتعاني الأديان التقليدية واللاهوتية الثابتة من صعوبة متابعة التطور التكنولوجي لأن العديد من السيناريوهات لم تعد تتناسب مع عقائدها، من خلال الاستمرار في جهلها ستقطع تلك الأديان صيتها بالمجتمع الناشئ وستحدد مستوى العلم الذي ترغب في الالتزام به، وسيتعين عليها حفّاً أن تتطور لتسתר في العالم الجديد الذي يلوح في الأفق.¹

لا يمكن إنكار أن أحد الجوانب الإيجابية التي أطلقها تحدي الإنسانية المتحولة، من خلال الاتجاه نحو التساؤل عن أساس معتقداتنا وأمالنا وقيمها في إطار مجتمع بقصد التشكيل. وبالتالي هل ستتم الإجابة عن الأسئلة التالية: إذا كانت كل التحسينات التي تؤخذ بشكل فردي قد تبدو شيئاً جيداً، فهل سيؤدي تراكمها إلى الدخول في مجتمع حيث ستقتصر متعة الحياة إلى أشياء قليلة جداً؟ قد تكون الحياة الأبدية فرضية جدية، لكن هل الموت مرغوب فيه؟ هل يمكن أن تكون الحياة بلا نهاية كابوساً؟ إذا لم تكن إطالة الحياة مشكلة في حد ذاتها، أليست إطالة الوجود السيء الذي يعني منه هو المشكلة؟ ما هي الأهداف التي يمكن أن توجد في الحياة في المجتمع خالٍ من الروحانية؟ هل يمكن العثور عليها خارج وعد إلهي؟ هل الحياة بلا وعد روحي ممكنة؟ هل سيظل للأديان التقليدية مكان في زمن NBIC ومشروع التحول الإنسانية؟

وقراءة نقدية لهذا الفصل يتبعنا أننا أمام أزمة إنسانية أنطولوجية، ترهن مستقبل الوجود الإنساني، وذلك بفعل البيوتكنولوجيا التي أتاحت إمكانية التعديل في الطبيعة البشرية، وهذا ما يمثل مسعاً لحركة الإنسانية المتحولة غير مكثرة بالإإنزالقات التي ستنجر من وراء ذلك، ونحن نتحدث هنا عن زعزعة كيان الإنسان، ودمار للهوية البشرية، هذا ما يقود حتماً إلى مرحلة تسيطر فيها التقنية على الإنسان من مختلف جوانب حياته، كما أنها المرحلة التي تنعدم فيها القيم الإنسانية، هذا ما ينبيء ب نهاية الإنسان. وعلى

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 117.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الرغم من هذه المخاوف إلا أن الجهود العالمية لتطوير السياسات واللوائح الأخلاقية التي من شأنها أن تضع ضوابط لهذه التقنيات بهدف حماية الإنسان يمكن وصفها بالشبه المنعدمة أو غير المفعولة.

إن الوعود المقدمة من طرف الإنسانية المتحولة يمكن وصفها بالخداع الأيديولوجي، حيث يصبح الإنسان أكثر عرضة للتوجيه والخضوع للمشاريع البيوتكنولوجية وأنظمة الحكومات الرقمية، ويصبح أيضا عبداً للسوق، ذلك أن معظم المستثمرين في أهداف هذه الحركة هم من رواد الأعمال والمهندسين الذين يروجون لفكرة تحسيد الكائن وفرض السيطرة على الحياة، في حين أنهم ليسوا على صلة بال المجال البيوطبي، بل تكمن غايتهم في احتلال السوق وتوجيهه، وجعل جسم الإنسان مثل بضاعة يتم تطويرها وفقاً لمعايير تنظيم المشاريع المشمنة لفكرة الإنسان الناجح والمتطور وصاحب الكفاءة العالية.

يضع هذا التحول - من ناحية أخرى - الإنسان المعاصر أمام أزمة جديدة، تتمثل في مشاركته الآلة في فعل الخلق، من خلال تمكينه من هندسة حياته بنفسه، هذا ما ينقلب عليه لأنه يسير عكس طبيعة الخلق الإلهي، هذا ما يضع هذه الحركة أمام مسألة أسطولوجية ذلك أنه لن يتمكن فقط من خلق إنسان جديد بل يقتل قدرات فائقة تسمح له بالخلود.

ضف إلى ذلك، أن هذه الحركة تضع معتقداتنا الإيمانية التي كنا نراها إلى زمن قريب يقيناً لا يتزعزع أمام تحديات جديدة تتطلب فتح أبواب الإجتهاد فهما وتفسيرها واستنباطها، فالتبشير بميلاد إنسان جديد فائق ينزع الإرتياح الذي نشعر به أمام يقين المعتقدات الإيمانية ويجعلنا نشك في حاجتنا إليها.

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

خلاصة:

بناء على ما تم ذكره في مباحث هذا الفصل نصل إلى النتائج التالية:

- يؤيد فيري التعزيز الجيني في مقابل رفضه للتغيير الجندي في الطبيعة البشرية من خلال دمجه مع الآلة أو نقل وعيه إلى حوامél غير بشرية.
- إن الثورة الجينية صاحبتها ثورة إقتصادية، حيث أحدثت تغييرات في نماذجنا الإقتصادية، والتي كان من إفرازاتها الإقتصاد التعاوني أو التشاركي.
- لا تعتبر حركة الإنسانية المتحولة حركة سياسية، ولكن القضايا الأخلاقية والاجتماعية التي تشيرها تحتاج إلى برمجة سياسية من قبل أهل العلم وصانعي القرار.
- إن حركة الإنسانية المتحولة نابعة من العلم والعقل، ولهذا يصنفها فيري كحركة علمانية.



الفصل الثالث: الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي



أولاً: مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية

1. الطبيعة الأصلية كمعايير أخلاقي لدى البيومحافظين

2. البيوتقديميون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة

3. لوك فيري والتوفيق بين البيومحافظين والبيوتقديمين

ثانياً: معضلة الحقوق الإنسانية

1. البيومحافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية

2. حقوق الإنسان الفائق من منظور بيotechمي

3. حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري

ثالثاً: قضية الكرامة الإنسانية

1. البيومحافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية

2. المقاربة البيوتقديمية والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان

3. مسألة الكرامة عند لوك فيري

رابعاً: إنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوك فيري

1. أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته

2. تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث

3. مشروع لوك فيري الإنساني: مقاربة نقدية

تمهيد:

يشير النقاش المكثف حول أخلاقيات التعزيز الجيني في الأدبيات البيو-أخلاقية إلى أن الموضوع يُعتبر جديراً بالاهتمام والنقاش العقلاني. وفي هذا السياق، بينما لا يزال يُنظر إلى السعي لتعزيز البشر على أنه أمر إشكالي للغاية، فإن هناك اعترافاً واضحاً بأن العديد من أشكال التعزيز الجيني أصبحت موجودة بالفعل أو هي ممكنة على الأقل؛ وبالتالي، هناك حاجة ملحة للتعامل الواضح والعملي مع المخاوف الأخلاقية المتعلقة بالتعزيز بشكل عام. بسبب هذا الاعتراف، فإن الحجج ضد التعزيز الجيني متعددة من حيث تركيزها، وتعامل مع قضايا ومخاوف حقيقة بدلاً من اتخاذ نهج الرفض السطحي.

إن الطموح لما بعد الإنساني لتعزيز القدرات البشرية بشكل جذري، بما في ذلك تجديد الحياة إلى أجل غير مسمى، وأخيراً تحويل البشر إلى كيانات بيو-ميكانيكية أو ربما افتراضية رقمية، يشير ردود فعل شديدة المعارضة. عادةً ما تستند هذه المعارضة إلى ما يفترض أنه خطأ جوهري في العبث بمن نحن وماذا نكون. بشكل أكثر تحديداً، تركز ردود الفعل ضد ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة على التغييرات التي من شأنها أن تؤدي إلى خروج البشر عن صنف الكائنات البيولوجية البشرية، من حيث العضوية في نوع الكائن العاقل. علاوة على ذلك، فإن العديد من الانتقادات لكلا الحركتين، والتي يوجهها أولئك الذين لا يصفون أنفسهم بأنهم يدعمون أجندة بيولوجية محافظة أو دينية، تلجم إلى مفاهيم ميتافيزيقية أو دينية. وهذا يتضح من ميل هذه الحجج للدفاع عن الحفاظ على الشكل البشري في حالته الحالية، بسبب وضعه المزعوم كشيء مقدس، لا ينتهي، أو أساسي للإنسان، دون تقديم أسباب كافية لهذه الادعاءات. ترتبط هذه "الحدوس" بشكل متزايد بمفاهيم تحظى باهتمام ونقاش كبيرين، وهي: الطبيعة البشرية، الحقوق الإنسانية، الكرامة الإنسانية. هذا ما دفع بـلوك فيري إلى الخوض في مثل هذه المسائل وتقييم مواقف ممثلتها والذي خرج من هذا النقاش برسم معالم إنسانية جديدة أو إنسانية الحب كما أطلق عليها؟

أولاً: مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية

تضعننا مخرجات التقنو علمي -الذى تعول عليه نزعة الإنسانية المتحولة- في مواجهة مفارقات أنطولوجية وأخلاقية خاصة فيما يتعلق بمستقبل الطبيعة البشرية وأولها فقدان الإنسانية لمسوغها الطبيعي، ومن ثم تكاوينها نحو الصناعي، على أن التمفصل بين الطبيعي والصناعي هو في حد ذاته سؤال عن الكينونة البشرية، فالتحول نحو الصناعي يهدد مفهوم الكائن الإنساني بما أنه حي.

1- الطبيعة الأصلية كمعايير أخلاقي لدى البيو محافظين:

يدل معنى الطبيعة على مجموعة من الأشياء التي توجد من دون تدخل بشري، وكل ما يأتي إلى الوجود من نفسه، ويحافظ على نفسه بنفسه، هناك دلالات وصفية متعددة لمصطلح الطبيعة إلا أنه عموماً يشير إلى كل ما هو ثابت وجوهري. في هذا السياق تبرز الطبيعة البشرية كونها جملة من المميزات والخصائص الشاملة لجميع البشر الخاصة بهم وحدهم والمانعة لدخول غيرهم من الموجودات فيها، هذا ما يجعل طبيعة الكائن البشري مرسومة بحدود معينة مثل العقل، الوعي، الحرية، الكرامة، الفناء... الخ¹.

إن الطبيعة الإنسانية وخصائصها الثابتة هي ما يمنح الإنسان الهوية والحقوق، وعلى أساسها تقام الأخلاق الكونية باعتبارها احتراماً للسمات الطبيعية المشتركة بين البشر، وأن أي محاولة للتدخل فيها مثل تعديليها، تغييرها، أو الإضافة عليها هو هدم لمقومات الكائن الإنساني ككل أي الأخلاق المشتركة والحقوق والأهم الهوية، على أن الهوية المتباينة تشير حسبهم إلى مجموع خصائص ممنوعة ومعطاة مسبقاً، فهي بمثابة هبة بيولوجية كما أنها تتمتع بالثبات والكونية... هذا ما دفع بالكثير من الفلاسفة والبيو محافظون أمثال فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyama (1952-) إلى رفض منطق الإنسانية المتحولة جملة وتفصيلاً معتبراً إياها أخطر فكرة على الاطلاق.

يؤمن فلاسفة الإنسانية المتحولة بأن التطور الحتمي يطال بصفة جوهرية الطبيعة البشرية، مما يجعلهم في مواجهة دائمة مع البيولوجيين المحافظين (البيو المحافظين) الذين يسلّمون بضرورة عدم المساس بها، والحفاظ عليها كما رسمتها الإرادة الإلهية. إذ أن الطبيعة البيولوجية للبشر تسير وفق منطق غائي نحو غاية محددة

¹ محمد جديدي، الأفق البيوإتيقي، ج 2، ص 267، 268.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

مسبقاً، وأي محاولة للانزياح عن هذا المتنق أو هذه الغاية، كالتدخل تكنولوجيا في تشكيلها وتعديلها يعتبر بداية لموتها أو أفالها¹.

إن التحديات التي يطرحها مشروع الإنسانية المتحولة ووعوده في التعزيز البشري، مثلت الأرضية التي اعتمد عليها البيومحافظين أمثال فوكوياما وهابرماس وليون كاس Leon Kass (1939-) ومايكل ساندل Michael Sandel (1953-) في نقدمهم الأخلاقي والعلقاني للتقنية.

إن البيوتكنولوجيا وآلياتها الإجرائية والتدخلية تعني سلطة على الكائن وافتقاد لاستقلاليته والتصريف فيه قبلياً، وبالتالي فهي تحدث تغيراً في مفهوم الذات الإنسانية وصورتها النهائية، إذ تعبّر مجمل التقنيات الحيوية، مثل زرع الأعضاء والاستنساخ عن نمط من الوجود، ما يعني أن الجسد البشري هو تجمّع لقطع غيار تتبدل و تتغيّر ويمكن التحكم بها²، إذ لم نعد أمام مقاربة الوجود العاقل وإنما أنطولوجيا التحول والعبور والإعلاء، مما قد يؤدي إلى الخروج عن المعايير المفروضة أن تكون إنسانية، مثل تغيير الجنس وعمليات التجميل، وتبدل الهوية التي تجري تغييراً لمعايير الطبيعة وبالتالي الوجود الإنساني، إنه بحث في الماهية والكينونة والعلاقة بين الوضع الجنسي البيولوجي والوضع الإنساني جملة.

إن مشروع تغيير وتعزيز وتعديل الطبيعة البشرية الذي نادت به الإنسانية المتحولة قد تمحور في الأساس حول: القضاء على الشيخوخة وتأخير الموت ومحاربته، لكن قوبلت هذه الأفكار باعتراضات كثيرة من طرف البيومحافظين على وجه التحديد، وتدور هذه الاعتراضات إجمالاً - كما سردها لوك فيري - في النقاط التالية:

- على المستوى الديمغرافي: فإذا لم يعد أحد يموت أو على الأقل إذا كان بإمكان أي شخص أن يتوقع بشكل معقول العيش حتى سن 150 أو 200 عاماً، فكيف نتجنب الاكتظاظ السكاني؟ ما يستدعي استعمال كوكب آخر أو نوقف جميع المواليد ماعدا التي ستتعوض الوفاة، وهنا يتبيّن أنه من الصعب رؤية حلول معقولة، فافتراض فكرة الخلود تخلق لنا مشكلة مزدوجة، من جهة عدم وفاة أي شخص ستكون الأرض مكتظة بالسكان ومن المحتمل أن تموت البشرية جوعاً، ومن جهة أخرى من أجل عدم ازدحام

¹ هشام معافة، الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، ص ص 62، 67.

² نورة بوحنأش، البيوأтика والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتركي، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط 1، 2017، ص .259

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الأرض قد توقف عن إنجاب الأطفال، وعليه فلن تجدد البشرية نفسها، وهذا يجعلنا نعترف بأن الموت يقدم العديد من الخدمات إلى الأحياء، وهنا نتساءل: هل نريد حقا العيش في عالم بدونأطفال؟ وفي عالم مكتظ بالسكان حيث يفكر كل شخص فقط في إنقاذ حياته من أجل البقاء لأطول مدة ممكنة؟

- على المستوى النفسي: ما الذي سنفعله بكل هذا الوقت الحر؟ ألا يدفعنا إحساسنا بالمحظوية - وأنه لا مفر من الموت - إلى العمل، ويخرجنـا من كسلنا الطبيعي ويدفعـنا إلى بناء الأعمال وبناء الحضارات؟

- على المستوى الميتافيزيقي: ستطرح من جديد مسألة معنى الحياة نفسها بشكل أكبر وأكثر اختلافا عن الماضي، فماذا يعني حياة بلا نهاية؟ وماذا يعني إنسان محروم من علاقته بالموت؟ أليس الموت هو ما يعطي الحياة كل معناها وطعمها؟ هل ستظل الموسيقى أو الكتاب الذي لا نهاية له ذا معنى؟

- على المستوى الاجتماعي: ستطرح خلافات سياسية حول التقاعد، بالتأكيد في شروط مختلفة تماما إذا لم يتمكن أي شخص من التفكير في التوقف عن العمل ما لم تعمل الروبوتات نيابة عنا أو لم نفرق في بطالـة لا نهاية لها.

- على المستوى الأخلاقي: ففي مواجهة هذه القوى الجديدة للإنسان، لن تكون العائلات متساوية بأي حال من الأحوال، كما ذكرنا سابقا، سيكون طول العمر باهظ الثمن، وستصبح الاختلافات في الثروة في هذه الظروف لا تحتمل أكثر لأنها تصير مسألة حياة أو موت¹. هنا نجد أنفسنا أمام التساؤل التالي: ألا خاطر بالدخول إلى عالم تصبح فيه الفوارق التي لا تتحملها بالفعل اليوم غير مقبولة؟ في الواقع إذا أضحت طول العمر متاحا فقط للأثرياء فكيف تتجنب ظهور نوع جديد من البلاء الحالدين الذين يمتلكون كل القوة وكل الثروة بينما يصبح بقية السكان محكوم عليهم بوجود بائس وقصير الأجل؟

يشاع أن هذه الفوارق موجودة بالفعل وأن الفجوة بين الثروة حاليا من 1 إلى 1000، لكن في الفرضية التي نفترضها هنا لن يكون الأمر مجرد معرفة ما إذا كان لدينا سيارة أو منزل أجمل من جيراننا، بل سيكون مسألة حياة أو موت، وهي مسألة ستطرح بشكل مختلف اعتمادا على ما إذا كنا أغنياء أو بائسين نظرا لتكلفة طول العمر. ما الذي سيمنح الحق في العيش أو الالتزام بالموت؟ هل سيكون الأمر مجرد مسألة مال؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف نمول المساواة التي ستطلب بها الشعوب بالتأكيد؟ فكلما زاد عدد الأغنياء زادت تكلفة الرعاية الصحية التي ستتصبح باهظة الثمن، وكما يوضح لوران ألكسندر قد تنفجر

¹Luc Ferry, *La révolution Transhumaniste*, pp 83, 84.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

تكليف الرعاية الصحية من خلال التحول من الشيخوخة إلى الطفولة، ومن المرضى إلى الأصحاء، ثم إنه من الصعب في العقود القادمة تجنب شكل من أشكال "التقين الجيني والتكنولوجي الحيوي"، ولن تتمكن أنظمة الرعاية الصحية من تحمل عبء جميع السكان الأصحاء، هذه الفئة الجديدة من النعمات التي ستتفجر على الأجيال والأطفال الشبان، إذ سنحتاج إلى إنفاق الكثير من المال مبكراً جداً في حياة الفرد، لأن استعدادات المرض ستكون معروفة منذ الولادة أو حتى قبل ذلك من خلال تحليل الجنين للجينين¹. وبعبارة أخرى ستحتاج أنظمة الرعاية الصحية إلى رعاية ليس فقط المرضى ولكن أيضاً الأصحاء الذين يطالبون بعدم مرضهم.

يوضح لوك فيري أن الأرض ستكون مأهولة بشكل لا مفر منه بعدة أنواع بشر مختلفة، بحيث أن أولئك الذين سيقبلون التقنيات الجديدة للتهرجين وبشكل عام جميع أشكال التعزيز المتاحة، سيشيخون ببطء أقل بكثير من أولئك الذين سيظلون بشراً بالمعنى القديم للمصطلح، وهذا هو الرهان العبر إنساني، أن تكون البشرية المعدلة والمعززة أقوى بكثير وأكثر مقاومة للأمراض، ربما أكثر ذكاءً بكثير من البشرية القديمة.².

ابتعد مؤيدو الإنسانية المتحولة في السنوات الأخيرة عن تعريف أنفسهم كمواطنين ثوريين يسعون للتغيير العالم بشكل جذري، واتجهوا نحو تعريف أنفسهم كإنسانيين يسعون لتحقيق أفضل ما في الإنسانية، إذ يمكن اعتبار مؤيدي الإنسانية المتحولة إنسانيين إذا استغلو التطورات التكنولوجية التي أتاحتها الإنسانية الحديثة لتحسين حياة الإنسان. لكن لكي يتمكنوا من تعريف أنفسهم كإنسانيين حقيقيين يجب عليهم أولاً أن يكون لديهم فهم صحيح لما يجعل الإنسان إنساناً، ومع ذلك هناك ثلاثة أخطاء يرتكبها مناصرو الإنسانية المتحولة حول مفهوم الإنسان:

-الأول: يرى مؤيدو الإنسانية المتحولة الإنسان على أنه متوج ثمرة تصنيع طبيعية من جهة وتكنولوجية من جهة أخرى، لا تختلف كثيراً عن الحيوانات التي نربيها في المزارع الصناعية. تسعى الإنسانية المتحولة إلى توسيع نطاق عمليات الجودة الصناعية لتشمل الإنسان، حيث يأملون في تحسين جودة الفرد، كما يتم ضمان جودة الإنتاج من خلال العمليات التكنولوجية: التحكم الجيني، واستبدال أعضائنا الحيوية بالبدلات الاصطناعية، وتطوير واجهات بين أدمغتنا وأجهزة الكمبيوتر وما إلى ذلك، حيث يهدف هذا النهج إلى إنتاج إنسان خالٍ من العيوب لمنحه عالمة الجودة، إذ ينظر إلى الإنسان على أنه مجموع وظائف

¹Luc Ferry, *La révolution Transhumaniste*, pp85, 86.

²Ibid, p87.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يجب تنظيمها، هذه الرؤية تؤدي حتما إلى توحيد المعايير الخاصة بالأشخاص، وعليه فإن حل المشكلات من خلال التكنولوجيا يميل إلى جعل الإنسان نسخة طبق الأصل، شيئاً قابلاً للتكرار، باختصار لم يعد ينظر إلى الفرد على أنه شخص، بل كعينة يمكن تنظيمها ووضع علامتها¹.

- الثاني: إن محاولة تصنيع الإنسان بالنسبة إلى مؤيدي الإنسانية المتحولة من خلال التحكم بالجسد وإنما يمثل خطأهم الثاني، فالجسد البشري في نظرهم هو مجرد داعم مادي للعقل مثل الأجهزة المادية للبرامج، أما العقل فهو كمجموعة من البيانات الرقمية التي يمكن نقلها من داعم آخر، وبالتالي عند موت أجسادنا يمكن تنزيل عقولنا على محرك أفراس usb أو كمبيوتر... كما لو أن العقل البشري يتطور خارج السياق، خارج الجسم وخارج البيئة سواء كانت عائمة أو مادية، كما لو أن عقولنا لا تتغذى على جميع تفاعلات أجسادنا مع بيئتها ومع الآخرين.

- الثالث: تبع هذه الرؤية من خطأهم الثالث المتمثل في أن العقل البشري بالنسبة لهم ليس سوى آلة حاسبة أو خوارزمية متطورة، فالعقل آلة والجسد مجرد آلة أخرى، وكلها يمكن استبدالهما أو تعزيزها بألة أخرى، وبالتالي فالإنسانية المتحولة ليست إنسانية بل هي آلية للإنسان².

إذا نظرنا من وجهة نظر الأديان التقليدية، فإننا نجد أنها تعتبر أي تلاعب بالحياة تدنيساً، وذلك لأن الله وحده هو الذي يمتلك السيطرة عليها، ولكن إذا أضفنا إلى ذلك بشكل أوسع الحركات المؤيدة لتقديس الطبيعة البشرية (المجينوم البشري)، سندرك أن محاولة التلاعب في الطبيعة البشرية يمكن أن تؤدي إلى تدمير الأخلاق العالمية، وبالنسبة إلى الحافظين البيولوجيين لا يمكن أن تتأصل هذه الأخلاق إلا في اعتبار السمات الطبيعية المشتركة بين البشرية، وعدم احترامها أو الرغبة في تعديلها يعني ببساطة تدمير الأسس الطبيعية للأخلاق، وهذا السبب في نظر فوكوياما فإن تعديل الجهاز البيولوجي للأفراد يعلن نهاية الإنسان، إذ أنه يمثل تحديداً لا رجعة فيه ومرعباً لسلامة الجنس البشري ككيان أخلاقي يستحق حمايته بحقوق الإنسان³.

في هذا السياق يعتقد فوكوياما أن المخاطرة بتغيير الطبيعة البشرية تعني تقويض أو حتى القضاء بشكل لا رجعة فيه على أساس أخلاقية إنسانية تستند دائماً إلى فكرة حقوق الإنسان الطبيعية، فإذا تم تقويض الطبيعة البشرية، فكيف يمكن أن تظل الأخلاق المستمدّة منها كما هي؟ هل لا تزال الأخلاق ممكنة في هذا

¹Franck Damour, **Le transhumanisme n'est pas un humanisme**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de maline, Bruxelles, mai 2015, p14.

²Ibid, p 14,15.

³Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, pp 63, 64.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

العالم الذي يشهد تطورات وتحولات مستمرة، في حين أن استمراريتها تفترض وجود عالم مستقر مع نقاط مرجعية محددة؟

تطلب الإجابة على هذه الأسئلة مراعاة الحقائق الآتية: من جهة التقدم العلمي والتكنولوجي، ومن جهة أخرى التطور النفسي للإنسان الحديث. لقد أصبحت مسألة أين تبدأ الإنسانية وأين تنتهي في الإنسان أكثر تعقيداً، فعلى الصعيد الجيني: مع ظهور التلاعبات من جميع الأنواع كالخلايا الجذعية والتقنيات النانوية... ثم على الصعيد المعرفي: إذ يعتبر اليوم "الأنما" ليس خاصاً بالإنسانية فقط كصفة محددة، بل يتم بناء "الذات" - كما أظهر بول ريكور Paul Ricoeur (1913-2005) -، وأن هناك نشاطاً معرفياً موجوداً لدى الحيوانات وربما حتى لدى النباتات¹. ثم إن العلوم المعرفية التي أحدثت اضطراباً كبيراً في امتيازات الإنسان الموروثة من الكوجيتو الديكارتي مرتبطة بالفكرة ما بعد الإنساني، ما يدفعنا نحو نمط جديد من التفكير، أخلاق أقل تحريراً وأقل أحادية من الأخلاق التي كانت تسعى لأخذ الظروف بعين الاعتبار، والعناصر المكونة لوجود الإنسان، والتي كانت تفضل قدرته المطلقة على مواجهة بيئته.

حسب فوكوياما مهما كانت التقنيات الوراثية متقدمة في خمسين أو مئة عام فإنها ستكون أهم التطورات المستقبلية في مجال التكنولوجيا الحيوية، والسبب في ذلك هو أن الطبيعة البشرية تعتبر أساسية لتصوراتنا للعدالة والأخلاق والحياة الجيدة، وسوف تتعرض كل هذه التصورات لتغييرات عميقة إذا انتشرت هذه التكنولوجيا بشكل واسع، ثم إن هناك أسباباً مقنعةً للحذر تدفعنا لاحترام التركيب الطبيعي للأمور وعدم التفكير بأن البشر يمكنهم تحسينها بسهولة من خلال التدخل التعسفي. فعلى سبيل المثال بناء السدود أو إدخال زراعة واحدة في منطقة معينة يمكن أن يدمر توازن النظام بطريقة لا يمكن التنبؤ بها. وهذا ينطبق أيضاً على الطبيعة البشرية، هناك العديد من الجوانب التي نعتقد أنها نفهمها جيداً أو نرغب في تغييرها إن أمكننا ذلك، ولكن القيام بأفضل من الطبيعة ليس دائماً سهلاً، فالتطور حسب فوكوياما قد يكون عملية عمياء ولكنه يتبع منطقاً صارماً للتكيف يجعل الكائنات تتكيف مع بيئتها، ناهيك عن أن التكنولوجيا الحيوية لا تحدد فقط الطبيعة وأسس الأخلاق، بل إنها تفتح الطريق أيضاً إلى الانتقال القسري الذي تمنحه شرعية الدولة الجديدة. حيث يتعلق الأمر بانتقاء قائم على المبادئ الليبرالية، وهو انتقاء يعترف به فوكوياما، إذ أنه سيكون مختلفاً في نقطتين رئيسيتين عن النموذج الذي قدمته النازية، فالأخير كان في

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, p 158.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

نفس الوقت قاتلاً وحكومياً، أما الانتقام الذي تمكنه التكنولوجيا الجديدة، فسيكون غير حكومي مقرر بحرية من قبل الأسر أو الأفراد، وليس قاتلاً بل مُحسِّناً، وبالتالي ليس سلبياً بل إيجابياً¹. ومع ذلك يشير فوكوياما إلى أن الخطر الكبير هو أن يستسلم الآباء للمواضات، جيل معين يرغب في أطفال شُرٌّ، وجيل آخر يرغب في أطفال سُرٌّ، وهذا الجيل يرغب في أطفال لطفاء، وذلك الجيل يرغب في أطفال مقاتلين أو عدوانيين، بحيث يمكن للأطفال انتقادهم لاحقاً بسبب اختيارهم.

يتناول فرنسيس فوكوياما في كتابه (مستقبلنا بعد البشري) موضوع تداعيات وانزلاقات الثورة البيوتكنولوجية على الطبيعة البشرية والمجتمع والأخلاق، ويؤسس موقفه على أن أي تغيير يمس الطبيعة البشرية سيؤدي حتماً إلى تغيير القيم وبشكل لا رجعة فيه، ثم إنه يذهب إلى أن الاعتماد على التكنولوجيا الحيوية سوف يجعل أخلاقياتنا تتلاشى وطبيعتنا البشرية المشتركة التي تؤلف بين الأفراد والجماعات تضعف. ما يفضي إلى تمزق النسيج الاجتماعي خاصة وأن التغيير في الطبيعة البشرية يغير مفهومنا لحقوق الإنسان. وهنا نجد أن البيوتكنولوجيا تقوم بأكثر من تحديد فهمنا الخاص لأنفسنا، كما أنها تمزق التعاملات والعلاقات البينذاتية، والحل الذي يقترحه فوكوياما هنا لمواجهة هذا الخطر الذي يحدق بمستقبلنا هو تسييس النقاش في مثل هكذا قضايا². وبما أن البيوتكنولوجيا تحدد بتقويض فهم الطبيعة البشرية التي هي أساس الديمقراطية الليبيرالية، فإن هذه الأخيرة لابد أن تستجيب عن طريق تمرير القوانين وتأسيس المعاهد السياسية لتنظيم التطبيقات البيوتكنولوجية.

ستتمكن البيوتكنولوجيا وفقاً لفوكوياما من تغيير ثلات جوانب أساسية في الإنسان:

- **الأولى:** تظهر في فهمنا الخاص لما يعنيه أن يكون الإنسان إنساناً، فالبيوتكنولوجيا حسبه ستغير طبيعتنا البشرية وتنقلنا إلى مرحلة ما بعد الإنسانية، لأن الطبيعة البشرية هي من تضمن استمرارية وثبات تجربتنا كنوع مميز من خلال صفاتها الجوهرية مثل: العقلانية والوجودان والوعي، وكلها تتجمع معاً لتكون إنساناً متكاملاً. ولهذا فالإنسانية بحاجة إلى هذه الطبيعة البشرية المشتركة والخصائص التي تحددهم كبشر،

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 64, 65.

²نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 19، 20.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

حتى يتمكنوا من المشاركة والمساهمة، وإنجاز نصيبيهم في التطور. كما ترتبط الأخلاق بهذه الصفات الإنسانية، وأي تغيير للطبيعة لا يؤثر فقط في فهمنا وتصورنا لأنفسنا، بل يهدد قيمنا الأخلاقية كذلك¹.

– الثانية: وتعلق بالتهديد الذي يمس قيمنا الأخلاقية المشتركة من طرف البيوتكنولوجيا، من منطلق أن الطبيعة البشرية هي ما يمنحنا الحس الأخلاقي وتمدنا بالمهارات الاجتماعية للعيش في المجتمع، وأي تغيير يطرأ عليها يمحى صفة الاشتراكية ويحل محله الاختلاف الذي يؤدي بدوره إلى خلق قيمًا مختلفة، مما يجعل التفاوض والنقاش الأخلاقي مستحيلاً².

– الثالثة: وتتضمن التعديلات التي دعت إليها نزعة ما بعد الإنسانية التقنية على طبيعتنا البشرية المشتركة وأخلاقنا كذلك، التي تنتقل إلى المجال السياسي خاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وتصميم المؤسسات والسياسات العامة لحمايتها³، وهنا يدعو إلى ضرورة حماية وحدة واستمرارية الطبيعة الإنسانية المشتركة، وبالتالي حقوق الإنسان القائمة عليها.

إلى جانب فوكوياما يعتبر الفيلسوف الأمريكي مايكيل ساندل من أشهر البيومحافظين المعارضين لمشروع الإنسانية المتحولة، والمعرف بانتقاده اللاذع للتحسين البشري خاصة في كتابه: (الكمال في المحاكمة: الأخلاق في عصر الهندسة الوراثية)، حيث يحتوي هذا الكتاب على خمسة فصول رئيسية:

– الفصل الأول: مخصص لعرض الاعتراضات على الانتقال من النموذج الطبي العلاجي إلى النموذج الإصلاحي الذي يدعو إليه التحسين البشري، وتحليل قضايا من قبيل زيادة الطول وقوه العضلات و اختيار الوالدين لجنس الطفل والخصائص الجسدية.

– الفصل الثاني: مخصص للتآثيرات التي قد تحدثها هذه التعزيزات في مجال الرياضة، واستنتاج بوضوح أنها في مثل حالة تعاطي المنشطات، ستتوقف عن الإعجاب بالرياضيين إذا كان أداؤهم يعتمد في يوم من الأيام على التلاعب الجيني.

– الفصل الثالث: الذي كان له تأثير خاص على تفكير هابرماس، حيث يتناول مسألة حساسة تتعلق بمشروع الأبوة ومتجر الأطفال، إذ يتساءل فيها: هل من المقبول أخلاقياً أن يختار الأب والأم ليس

¹ نيك بورستروم وستيفن بكتو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 20، 21.

² المرجع نفسه، ص 21.

³ المرجع نفسه، ص 22.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

فقط جنس طفليهم، ولكن أيضاً لون عينيه أو شعره وطوله وقوته البدنية، ولما لا ذكاؤه المستقبلي؟ وما يقلق ساندل بشكل خاص في فتح مثل هذه الفرص هو المخاطرة الجنونية بأن يدخل الآباء في سباق نحو الكمال بهدف عدم إحراج أبنائهم مقارنة بأبناء الجيران.

- **الفصل الرابع:** يتناول مسألة الإصلاح الوراثي أو تحسين النسل، ويحاول تقليل الفارق بين الإصلاح الوراثي الليبيرالي أو الإيجابي الذي تدعو إليه الإنسانية المتحولة، والإصلاح الوراثي القاتل أو الحكومي أو النازي في الثلاثينيات من القرن الماضي. وسواء كانت الاختيارات مفروضة من قبل دولة مستبدة أو اختارها الأفراد بحرية، فإن ذلك لا يغير شيئاً بالنسبة لساندل، في كل الحالات يتحول الإنسان بما في ذلك الجنين المنتظر إلى سلعة ويصبح شيء مشكل بواسطة الآباء.

- لكن في **الفصل الخامس** الذي يحمل عنوان "السيطرة والعطاء" نجد الأسباب الحقيقة لجميع الانتقادات السابقة¹.

يأتي رفض ساندل لفكرة تغيير الطبيعة البشرية بواسطة التعديل الجيني ذلك أنها تمثل بثلاث مبادئ أساسية التي تقوم عليها الحياة الإنسانية الجماعية، وهي: التواضع، البراءة والتضامن، في الواقع إن الفكرة الجوهرية لساندل هي أننا مع التعديل الجيني ننتقل من أخلاقيات الامتنان لما هو معطى إلى أخلاقيات السيطرة المطلقة على العالم الخارجي وعلى الذات من قبل الإنسان البروميثيوسي، مع العلم فإن مفهوم المعطى لا يشير بالضرورة إلى موقف ديني سواء ذلك كان بواسطة الله بالنسبة إلى المؤمنين أو بواسطة الطبيعة بالنسبة لغير المؤمنين، ففي كلا الحالتين يتم منح مكان لتجاوز مبدأ التبع الخارجي، وفي نفس لوقت يتم التخلص عنها في فكر الإنسانية المتحولة لصالح إرادة شديدة للسيطرة، وهو موقف بروميثيوسي يفجر حقيقة ثلاثة قيم أخلاقية أساسية لتنظيم الحياة المشتركة: "التواضع، البراءة، والتضامن"، وتعتبر هذه القيم الثلاث محور الانتقاد الأساسي لدى ساندل للغطرسة والتجاوز والغرور المرتبط بمشروع بروميثيوسي لإنتاج البشر المتحولون أو البشر التجاوزيون أو ما بعد البشر².

فيما يخص مبدأ التواضع والتضامن، فإذا كانت الهندسة الوراثية تؤثر على تقديرنا للطبيعة المعطاة للقوى والصفات البشرية، فإنها تحول بالتالي ثلاثة سمات أساسية في المنظور الأخلاقي: التواضع، المسؤولية

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 72, 73.

²Ibid, p 73.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

والتضامن، واقعياً نحن نختم فعلاً بأبنائنا بشكل عميق، ولكننا حتى الآن لا نستطيع اختيار نوع الطفل الذي نريده، لكن يطلب من الآباء أن يكونوا منفتحين لما ليس بالضرورة مرغوب فيه، ومنه قول المفاجآت والعيش مع التناقضات وعالم يتم التحكم فيه في كل شيء، عالم حيث يعتاد الآباء اختيار جنس وصفات أبنائهم. وحسب ساندل عندما نصل إلى هذا الغرور أو الرغبة المفرطة في خلق كل شيء والسيطرة عليه سفقد تواضعنا ومعه شكرنا لما يعطى لنا، وروح الانفتاح وقدرتنا على قبول ما هو مختلف وغير المرغوب فيه وغير المتوقع. هناك خسارة ثانية مروعة بحسب ساندل تمثل في فقدان البراءة لصالح مسؤولية متزايدة بشكل هائل مع الحاجة شبه الإلزامية لاختيار الخصائص الجسدية والعقلية لأطفالنا، خاصة لتجنب تأخّرهم مقارنة بالآخرين الذين اختار أهلهم تحسين وتعزيز قدراتهم المستقبلية¹.

يعتبر ساندل أن هناك شيئاً شريراً في الرغبة الشديدة في تخليل أشخاص يتمتعون بجودة وراثية معينة، وحسبه فإن الاتجاه نحو إعادة تشكيل طبيعتنا البشرية بإشباعاً لرغباتنا قد يدمر تقديرنا للحياة والإنجازات البشرية، فالرغبة في إنجاب طفل بجودة وراثية محددة مسبقاً لا تتوافق مع نوع الحب الخاص الذي يتمتع به الآباء نحو أطفالهم، ذلك أن التعامل مع الأطفال باعتبارهم هدايا وهبّات يساعد على قبولهم عند ولادتهم عكس إذا كانوا مجرد أشياء من تصميمنا أو من منتجات إرادتنا أو أدوات لطموحنا². لكن حسب فيري موقف ساندل ليس مقنعاً خاصة وأن الكثير من الآباء يجدون سهولة في محبة أطفالهم الذين يتمتعون بصحة وجمال بفضل التعزيزات.

يعتقد البعض أن التحسين الوراثي يقوض المسؤولية الإنسانية، ولكن العكس تماماً هو ما يحدث، ليس التواكل ولكن انفجار المسؤولية في الوقت الذي يتلاشى فيه التواضع تتزايد المسؤولية بنسبة كبيرة. فتعطي الأقل للحظ والأكثر للاختيار، ويصبح الآباء مسؤولين عن اختيار الصفات الجديدة لأطفالهم وأيضاً الفشل في ذلك، مثلاً يصبح الرياضيون مسؤولين عن اكتساب الموهب التي ستساعد في فوز فريقهم. وهنا يمكن القول أن أحد الفوائد في أن نعتبر أنفسنا مخلوقات سواءً كان ذلك من الطبيعة أو الله أو الحظ، هو أننا لسنا مسؤولين عن نكون، وفي المقابل فكلما أصبحنا سادة مواهبنا الوراثية زاد العبء الذي يقع على مواهبنا أدائنا³، فعلى سبيل المثال عند فشل لاعب كرة السلة في تسديدة ما يمكن مدربه أن يلومه على عدم وضعه

¹Ibid, p 74.

²Michael Sandel, **The case against perfection**, The atlantic monthly, april 2004, pp 5,6.

³Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p 74.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

الصحيح، لكن غداً ومع إمكانية التعديل الجيني سيلومه على قامته القصيرة. في نفس الوضع ماذا سيقول الأبناء المولودين أسماء أو الفاقدين للبصر لوالديهم الذين كان بإمكانهم اختيار تحسينهم أو على الأقل تحب عاهاتهم؟ هل سيقومون برفع دعوى قضائية ضدّهم لأنّهم لم يهتموا بإجراء الاختبارات والتلاعيب الوراثي الذي كان من الممكن فعله إذا لم يكونوا مؤمنين أو محافظين؟ ما يفهم من هذه التساؤلات أن ساندل يجد هذا النوع من اللوم وغيره غير عادل، ولا يمكن تحمله، فالمشكلة التي يواجهها مشروع التحول الإنساني في النهاية هي التضامن، وهي مرتبطـة مباشرة بالغرور البروميـشي ورغبة السيطرة التي تخل محل التواضع والامتنان لما تعطيـه لنا الطبيـعة أو القدرة الـالاهـية. ثم إنـه يمكن أن يقلـل انـفجار المسـؤولـية تجـاه مصيرـنا الـخاصـ ومصيرـ أـطـفالـنا من إـحساسـنا بالـتضـامـنـ معـ أولـئـكـ الـذـينـ لـديـهـمـ حـظـ أقلـ مـنـ،ـ فـكـلـماـ كـنـاـ قـرـيبـينـ لـفـكـرـةـ أـنـ حـظـناـ يـعـتمـدـ عـلـىـ الصـدـقـةـ الـطـبـيعـيـةـ،ـ كـلـماـ كـانـ لـدـيـنـاـ مـزـيدـ مـنـ الـأـسـبـابـ لـلـشـعـورـ بـالـتـضـامـنـ مـعـ مـصـيرـ الـآخـرـينـ¹.ـ بـعـنـيـ أـنـ الـحـظـ الطـبـيـعـيـ فـيـ الـوـرـاثـةـ غـيرـ عـادـلـ وـلـكـنـ فـيـ الـمـقـابـلـ يـجـعـلـ النـاسـ الـطـبـيـعـيـنـ مـتـضـامـنـيـنـ مـعـ مـنـ يـعـانـونـ مـنـ الـنـقـصـ وـالـعـاهـاتـ.

يقدم ساندل مثال التأمينات ليوضح حججه أكثر، إذ بسبب جهلنا بالمخاطر التي نتعرض لها نحن أنفسنا وكذلك الآخرين في مستقبل حياتنا، نوافق جميعاً على دفع رسوم التأمينات حتى لو استفاد آخرون منها أكثر منا. فنحن نجهل المستقبل، ولكن بما أن المخاطر هي نفسها للجميع، فإننا نوافق على تحمل هذا الخطر الآخر الذي يتمثل في التأمين على الحالة الطارئة دون علم مسبق، ولكن من اللحظة التي نصبح فيها مسؤولين عما يحدث لنا، مسؤولين عن عيوبنا وأمراضنا المستقبلية أو القضاء عليها، فإن التضامن سيتجه نحو المسئولية الفردية أي كل واحد يهتم بنفسه². فإذا كان سوق التأمينات يحاكي ممارسة التضامن، فإن ذلك يكون فقط في حالة عدم معرفة الناس بعوامل المخاطر الخاصة بهم، لنفترض أن الاختبارات الجينية تتقدم إلى حد يمكنها من توقع مستقبلنا الطبي، ومتوسط عمرنا بشكل موثوق، في هذه الحالة سيغادر الأشخاص الذين لديهم آمال معقولة في الحصول على صحة جيدة وطول العمر، وسيختفي بذلك الجانب التضامني في التأمين لأولئك الذين ليس لديهم ذلك.

إذا كان ساندل حذرًا من المخاطر الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالتحسين – مثل زيادة الفجوات – وإذا كان يدين الفلسفـاتـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ تـدـعـوـ إـلـىـ التـحـسـينـ (ـالـتـفـوقـ الـجيـنـيـ)ـ الـليـبرـالـيـ،ـ بـإـلـاضـافـةـ إـلـىـ الـأـضـارـ

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 75.

²Ibid, pp 75, 76.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

التي تسببها مجتمعاتنا التنافسية، فإن مقارنته ليست سياسية بشكل أساسي. المشكلة الأساسية بالنسبة له ليست في الوصول العادل إلى التحسين، بل في القبول الأخلاقي والميتافيزيقي للطموح نحو التحسين بحد ذاته. هذا الطموح يعتبر سيئاً في حد ذاته، لأنه مرتبط برفض وتحريف للإنسانية¹. ما هو على الحك هو "الطبيعة البشرية" وعلاقتنا بها، حيث يجب أن تكون هذه العلاقة قبولاً، وتقديراً، وتواضعاً، وتلقياً للهبة؛ وليس رغبة في التحكم والتحويل، والتي تضيف أيضاً مسؤولية غير متناسبة، فردية وجماعية.

تشير فرانسيس كامFrances Kamm خلافاً لساندل إلى أن المشكلات المرتبطة بالتحسين ومارسته هي في الواقع بشكل رئيسي اجتماعية وسياسية. فالرغبة في السيطرة ليست سيئة في حد ذاتها، يمكن أن يرغب الشخص في السيطرة بهدف مفيد؛ ويمكن استخدام نتائج السيطرة بشكل غير أني. وفي المقابل، القبول والخضوع والتواضع ليست بالضرورة فضيلة أو جيدة في حد ذاتها، والأسئلة التي يثيرها التحسين ليست من طبيعة أخلاقية أو ميتافيزيقية أو عاطفية. إنها من طبيعة اجتماعية وسياسية: الموارد المحدودة، الأمان، العدالة، الإنفاق، وما إلى ذلك. كما يذهب آرثر كابلانArthur Kaplan (1950-) في نفس الاتجاه، فالانتقادات التي تُقال باسم العدالة (الإنفاق) لا توضح لماذا قد يكون التحسين سيئاً في حد ذاته، وهي نقطة لاحظها ساندل جيداً، إذ أن الفحوات والظلم موجودان بالفعل، وما يجب الانتباه إليه هو عدم زياذهما أو إضافة جديدة منهما، وإذا أمكن استخدام التحسين لتحقيق المزيد من العدالة. التطور والتاريخ البشريين لم يتوقفا أبداً عن التلاعب بالطبيعة بشكل عام والطبيعة البشرية بشكل خاص. من وجهة نظر التطور العلماني، ليس لمفهوم الهدية وقبول الطبيعي معنى²، هل يجب أن تكون ممتنين لظروف التطور (مثل انقراض الديناصورات) التي ساعدت على ظهور الإنسان؟، إن الاستعارة للهدية ليس لها معنى في السياق العلماني كما يقترح ساندل، فالهدايا تتطلب مانحاً ولكن الطبيعة لا تقدم أي مشتبه بهم محتملين لتولي هذا الدور.

ويؤكد فيري على أن ساندل عمل على تعزيز انتقاده للتعديل البشري من منظور سياسي أكثر، حيث أن في مواجهة هذه القدرات الجديدة للإنسان على الإنسان، فإن الأُسرّ لن تكون على قدم المساواة، ستكون المندسة الوراثية مكلفة على الأقل في البداية وستكون الفروق في الثروة أكثر صعوبة في هذه الظروف من أي وقت مضى، حيث ستصبح مسألة بسيطة للحياة أو الموت³. والأسوأ من ذلك هو أنه يمكن أن

¹ Gilbert Hottois, **Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme**, p 161.

²Ibid, p 162.

³Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p 75.

تعيش العديد من البشريات أو الأجناس البشرية المختلفة في المستقبل كما حدث في الماضي في عصر "البياندرتال" و "كروماجن"، ويبدأ الناس في التفكير أن هذا التعايش لن يكون سلرياً على الإطلاق.

إضافة إلى هذا يقر ساندل أنه من الناحية الجيوسياسية يمكن استخدام التقنيات الفائقة لأغراض غير سلامية، خاصة من قبل الأنظمة الشمولية أو المنظمات الإلهائية، وهو ما حدث بالفعل بشكل كبير مع داعش التي سعت للسيطرة على الطائرات المدنية المليئة بالأجهزة المتقدمة، ومثلما يحدث في جراحة التجميل التي تتطور في البلدان التي تكون فيها أكثر إمكانية للوصول إليها مثل البرازيل، فإن خطر ظهور السياحة الجينية يزداد حقيقة، ولكنها أيضاً على الصعيد الروحي تطرح مسألة معنى الحياة بشكل أكبر و مختلف عن الماضي: ماذا يعني حياة غير محددة المدى، وإنسان محروم من علاقته بالنهاية؟

يؤكد هابرمانس على ضرورة التمييز أخلاقياً بين العلاج والتعزيز، وبالتالي يمكن القول أن هابرمانس ليس معادياً لجميع التعديلات الوراثية بما في ذلك التلاعبات الجينية، حيث يرى أنها تكون مقبولة فقط إذا كانت تهدف إلى القضاء على الأمراض في الجنين، وفي هذه الحالة يعكس السؤال عن العلاقة مع الطفل نفسه، إذ ليس فقط أنه لن يلوم والديه على التدخل في برنامجه الوراثي، بل في حدوده، فقد يلومهم في وقت لاحق على عدم التدخل، وهنا يجب على حد اعتقاده أن تأخذ الصحة أو تجنب الأمراض كفكرة توجيهية، فلا أحد لديه الحق في أن يقرر بناءً على تفضيلاته الشخصية، بحيث يجب أن يكون للتدخل الوراثي مبدأ موافقة الشخص المحتمل في المستقبل، فعندما يتم إجراء تدخل وراثي لتغيير سمة ما في سياق سيري علاجي تعود بالنفع المحتمل لهذا الشخص، في هذه الحالة يمكن افتراض موافقته، وهذا ينطبق فقط على الأمراض الوراثية التي تحمل مرضًا معروفاً، لذلك يجب على المشرع الديمقراطي إقرار تدخلات مسموح بها بعناية.¹

وعلى الرغم من هذا الانفتاح فيما يتعلق بالتلاعب الجيني لأغراض علاجية، يظل هابرمانس معادياً بشكل صريح للتشخيص ما قبل الزرع، والاستخدام الذريع للأجنة البشرية، الذي يفترض أنه يتعارض مع الضرورة الكانطية المتمثلة في عدم معاملة الآخرين مطلقاً كوسيلة حصرية، مع أنه يمكن للمرء أن يعترض على أن الأجنة ليست "آخر" بل هي كتلة بسيطة من الخلايا اللاواعية، وهو ما يسعى هابرمانس إلى دحضه، مقتبساً حجته من الفكر الديني الكنسي حول طبيعة "الشخص البشري المحتمل" الخاص بالجنين البشري، وهي الحالة التي هي حسب قوله تسمح لنا بالتعامل مع مجموعة من الخلايا هذه كشيء بسيط.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 79.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

إن العقل الآداتي الذي تولد عن سيطرة التقنية على مجالات الحياة سيمما البيولوجية جعله يطمع إلى تهذيب الطبيعة الإنسانية، محولاً إياها من كائن أخلاقي موجود بالطبيعة إلى كيان اصطناعي معدل تقنياً، هذا الانزلاق الذي يفرض -حسب هابرmas- الرجوع إلى العقل التواصلي كغيره من النقاشات البيوأيقيية، يتعين على هذا العقل التواصلي العمل على أخلاقة وضبط مثل هذه الممارسات التي تحيد عن مفهوم أن يكون الإنسان إنساناً ومفهوم الكرامة والمهوية والشخص... الخ، عموماً فإنها تقضي على المبادئ الأخلاقية الثلاث الملزمة للكينونة البشرية، والتي كرسها الإرث الكانطي وهي: الحرية، المساواة والكرامة، وما يجعلنا نلجأ للحماية القانونية¹.

2- البيوتقديمون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة:

يضع المدافعون عن الإنسانية المتحولة حداً للمفهوم الثابت الذي لدينا عن الطبيعة، فهي ليست حالة من الأشياء، محددة ومعطاة مرة واحدة وإلى الأبد، فهناك في الطبيعة فعل ولادة "Natus est" ، فهي أكثر من مجرد هدية ملفوفة، وتجاوز كلها معنى خام مغلقاً على نفسه.

يعارض مثلي الإنسانية المتحولة التقاليد الفلسفية التي تقول أنه يجب علينا الحافظة على الطبيعة البشرية بدون تغيير كلي لكي تتوافق مع إرادة الله وكل ما يعتبر طبيعياً، بالرغم من ذلك يعترف بوستروم أنهم يهدفون مثل النزعة الإنسانية إلى التقدم المستمر في جميع الاتجاهات، ولكن من خلال تقديم بعض التعديلات على الطبيعة البشرية في سبيل تحقيقه، فهم يشككون في القيود التقليدية البيولوجية والوراثية التي تحد من تقدمنا المحتمل، كما أنه يؤكد على أن تحقيق التعديل الإنساني أمر أخلاقي ومن الخطأ عرقلته²، يكفي أن نفكّر ماذا سيقول الأطفال لوالديهم إذا حرموا من فوائد العلم بحجّة أنها محظوظة بناءً على مبدأ أخلاقي أو ديني غير منطقي بعض الشيء؟

ينكر فلاسفة الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية أمثال كيرزوبل ومورافيك وجود شيء مثل الطبيعة البشرية الثابتة، وحسبهم في غياب الطبيعة البشرية لا توجد قيود أو محدودات مفروضة على تكوين البشر أنفسهم، فالقيد الوحيد الذي يتعين على البشر التغلب عليه هو الجسم البيولوجي، لهذا فهم يدعون إلى احتضان التكنولوجيا باعتبارها هي من ينقذنا من الطبيعة البشرية الكلاسيكية، وتحرر أنماط فهم ما يعنيه أن

¹ يورغن هابرmas، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006، ص 37، 38.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 44.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يكون الإنسان إنساناً، ويسعون للوصول إلى عالم مستقبلي أين يصبح جسد الإنسان متزوك وراءنا، ومنه يحصل البشر على حرثهم في إنشاء وتصميم وتعزيز ذواхم بما يناسبهم¹.

يفند مثلي الإنسانية المتحولة التحيزات اللاهوتية والطبيعية غير العقلانية التي أنتجت خطابات لا تقبل المساس بقدسية الطبيعة والإنسان، مناهضين بذلك أي قداسة متعلقة بالطبيعة البشرية، ما دام ذلك في صالح الإنسان فينبغي أخلاقيا العمل على تعديها وتعزيزها وتجاوز النقص فيها، ثم إن الرغبة في إلغاء الإنسان أو تعديله وتحقيقه هي حق من حقوقه.

يسلم فلاسفة ومثلي الإنسانية المتحولة أنه منذ وجود كائنات بشرية على هذه الأرض، قامت أعمال الإنسان بتعديل وتشكيل الحياة البشرية باستمرار، وتغيير الجينوم البشري من خلال سلسلة من التحسينات في القدرات والمهارات البشرية، منذ الثورة الزراعية حتى بناء المدن والمؤسسات السياسية وتقنيات النقل المتقدمة، وقد مزجت عمليات الاختيار الطبيعي حزماً من الجينات التي كانت عزلت سابقاً، وذلك لأن التطور لا يخلق كائنات متناغمة وكاملة على العكس من ذلك ينتج محاولات متغيرة ومؤقتة ومتكتلة لحلول مؤقتة لمشاكل التصميم الرائلة دون أن يهتم برفاية البشر، فالطبيعة ليست حكيمة. ولتحسين حياة البشر، وربما للحفاظ على رفاهية الأكثرين حظاً، قد يكون من الضروري القيام بتحسينات في المجال الطبي حل المشاكل التي خلقناها بأنفسنا مثل التلوث وزيادة السكان والاحتباس الحراري، يجب على البشر زيادة قدراتهم الفكرية وربما الأخلاقية². فالسعي نحو تحسين بعض القدرات البشرية بهدف زيادة رفاهية البشر أو الحفاظ على تلك التي نستمتع بها ليس له علاقة بالرغبة في السيطرة الكاملة، ثم إن الاستمتاع بتقدير عادل لما لدينا بالفعل متواافق تماماً مع السعي للتحسين وقد يتطلب تحسينات إذا كانت هذه التحسينات ضرورية للحفاظ على ما هو جيد فيما هو موجود بالفعل.

تتضمن أفكار حركة الإنسانية المتحولة حقيقة عميقة لخصها بيير دو لاميراندول منذ قرون، وهي أن الإنسان هو الكائن الوحيد في الخليقة غير المكتمل، ويجب أن يكمل نفسه، حيث يقول مخاطباً الإنسان في مؤلفه (خطاب عن كرامة الإنسان): "تحتوي الطبيعة على أنواع أخرى التي أنشأها الله تعالى من الحدود، لكن أنت الذي لم يضع الله لك حدوداً، تحدد نفسك"³، وعليه فماهية الإنسان تكمن في أنه مجرد معطى فوري، وأن لديه القدرة على تجاوز الحيوانية الخالصة أو حقيقة كونه هكذا، فهي رؤية لاهوتية خاطئة أن تفكك في

¹بيير بوستروم وستيفن بيكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 15.

²Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 63.

³Emmanuel Tourpe, *Vérité du transhumanisme*, postaralia, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de malines, N°5, mai 2015, p 12, 13.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

حالة الخلق كحالة ثبات لا رجعة فيها، وفي مقابل ذلك، فالإنسان كائن متسام، وهو الوحيد القادر على تحرير نفسه من حاليه الأولية لتحويلها وفقاً لإرادته، باستخدام طرق كالعلم والثقافة وغيرها.

يقرر جوليان هكسلي في المقام الأول أن الكون يدرك ذاته من خلال الإنسان. في الواقع، الإنسان هو هذا المخلوق الكوني نتاج التطور، قادر على إدراك ذاته والعالم من حوله، والتفاعل مع أقرانه حول هذا الموضوع، كما يؤكد أنه مع ظهور الجنس البشري على الأرض حدث شيء جديد وثورى تماماً، فالإنسان هو نتاج عمل الكون الطبيعي، لكنه كائن استثنائي داخل الطبيعة، بسبب وعيه الذاتي. ومع ذلك، فإن هذا الوضع الاستثنائي للإنسان يجعل معه مسؤولية الجنس البشري تجاه الكون، وهذه المسؤولية تتتمثل في أن العامل الذي لديه مهمة تحقيق إمكاناته الكامنة على أكمل وجه ممكن. وهكذا، هناك واجب على الإنسان لتحقيق الإمكانيات التي قدمتها له الطبيعة، وبالتالي عملية التطور. بالنسبة لجوليان هكسلي، يجب أن يتم هذا التحقيق على مستوى البشرية جماء، السؤال الآن هو: ماذا يعني تحقيق إمكانات الكامنة؟ وما هي طبيعة ذلك؟ يقترح جوليان هكسلي جانبين لهذا التحقيق: جانب مادي وجسدي وجانباً نفسي. ثم يتوجه جوليان هكسلي إلى دراسة الوسائل المتاحة للإنسان لتحقيق إمكاناته، ويخلص إلى أن الوسيلة الأبرز هي العلم بمعناه الواسع. كما يشرح كيف استكشفنا الأرض ودراسة الطبيعة، ولكن هناك مجالاً لم نعمل عليه بما فيه الكفاية، وهو الإنسان نفسه، فيرى أن استكشاف الطبيعة الإنسانية وإمكاناتها لا يزال في بداياته.¹. وبالتالي، فإن المهد الآن هو الكشف عن جميع هذه الإمكانيات الكامنة في الإنسان، فالتتمكن من معرفتها هي الخطوة الأولى لتحقيقها

إن ما يشير الاهتمام في إصرار جوليان هكسلي على الطبيعة الكامنة للإنسان في هذه الإمكانيات هو أنه لا يتعلق بإنشاء إنسان جديد أفضل من الإنسان القديم أو الطبيعي، بل بتحقيق هذه الطبيعة الإنسانية على أكمل وجه. وبالتالي، فإن ما تدعوه إليه الإنسانية المتحولة هو استغلال الهمة التي قدمها التطور للإنسان بأفضل شكل ممكن.

يشرح جوليان هكسلي كيف أن العلم قد أدى إلى تحسين كبير في الظروف المعيشية للإنسان. وأن القدرة على تحسين الظروف المعيشية والصحة على مستوى العالم هي جزء لا يتجزأ من إمكانات الكامنة التي يتم تحقيقها. ولكن هذا الجانب المادي ليس كافياً، إذ يجب أيضاً استكشاف إمكانات المتاحة للوعي

¹ Christian Byk, *Le transhumanisme dans les écrits de Julian Huxley : une religion sans révélation*, Presses universitaires du septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2023, pp 64,66.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

والشخصية كما يؤكده هكسلي، حيث سيسمح ذلك بالكشف عن أن لا أحد يجب أن يحرم من السعادة الحقيقية¹.

يقترح جولييان هكسلي في نهاية موقفه مصطلح "الإنسانية الفائقة أو المتطورة" لوصف قناعة مفادها أن الجنس البشري يمكن أن يتجاوز ذاته، وأن هذا يمكن أن يتم من خلال تحقيق إمكانات طبيعته وفائدة البشر. لذلك، فإن الهدف الأساسي للإنسانية المتحولة هو أن يتخذ الإنسان قرارات واعية بشأن مختلف جوانب حياته.

لا تسعى حركة الإنسانية المتحولة إلى تغيير الطبيعة الإنسانية، بل إلى تحقيقها بشكل كامل، حيث يرغب فلاسفتها في أن يصبح الإنسان كائناً يستغل قدراته بشكل كامل، وبالتالي يصبح إنساناً حقيقياً، ويتم تحقيق هذا الهدف على مستويين: نفسي وجسدي، وهذا المستويان متراطمان. على الرغم من أن التحسينات العلمية للظروف المادية للحياة لها تأثير نفسي وتساعد على تخفيف المعاناة النفسية، إلا أنها ليست كافية في غياب بيئة اجتماعية تدعم المعرفة وتطوير شخصية كل فرد. لذلك، فإن الإنسانية المتحولة كما يراها هكسلي تقدم أجندتين علمية وأجنددة سياسية في نفس الوقت. وبالتالي، فإن أطروحته هي أن تطور أنماط الحياة البشرية والمجتمعات البشرية يعكس التحقيق التدريجي للإمكانات البشرية، وأن العلم يمكن أن يساعد اليوم على تسريع هذا التحقيق. ومع ذلك، نكتشف في جزء لاحق من رؤيته أن تحقيق إمكانات البشرية يتضمن عملية تدمير معينة، لا سيما التخلص من الهياكل الاجتماعية التي تعيق الرفاهية المادية والتطور النفسي السليم لكل فرد. ولهذا السبب، فإن العملية التي ستتمكن من تحقيق إمكانات الوعي والشخصية ستبدأ بدمير الأفكار والمؤسسات التي تحول دون تحقيق إمكاناتنا.

لقد أثار الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك - كما ذكرنا في موضع سابق - سنة 1999 نقاشاً صاخباً بإثراته لقضية التغيير الراديكالي للإنسان، ومعنى أن يكون الإنسان إنساناً، في محاضرة كانت بمثابة إعادة قراءة لرسالة هيدغر "رسالة في النزعة الإنسانية"، حيث ألمت النقاش الجاري حول القضايا التي تطرحها البيوتكنولوجيا على الإنسانية المعاصرة. وغير بعيد عن ذلك نشر الصحفي توماس Assheuer أسهورير بطلب من الفيلسوف الألماني هابرماس مقالاً صحفياً في أسبوعية "دي تسايت" في 2 سبتمبر من نفس السنة، حيث عرض فيه مشروع زرادشت لترويض البشر الذي اقترحه الفيلسوف كارلسروهه Karlsruhe، ووصفه بأنه مشروع يوجينيا فاشي، ليأتي سلوتردايك ويصرح بأن أفكار هذا

¹Ibid, pp 79,80.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

الصحفي من توجيهه هابرمانس، ليخرج هذا الأخير إلى العلن مدافعاً عن نفسه ومتهمًا أفكار سلوتواديك بأنها مثار للصراع وعدم القبول في أوساط فلاسفة الألمان نظراً لكونها مرتبطة بالشمولية والإبادة النازية وتحسين النسل السلبي، خاصة في تعبيراته مثل "الانتقاء قبل الولادة".¹

حاول سلوتواديك جلب انتباه المثقفين والفلاسفة للخوض في انعكاسات البيوتكنولوجيا على الإنسان الذي مكتبه من التحرر من قدرية الولادة، والحل الوحيد حسبه لاحتواء هذه الانزلاقات المحتملة يكمن في الخروج بنزعه إنسانية جديدة أنثروبوبوتكنولوجية على أساس القواعد والقوانين قادرة على تأطير الإمكانيات الحارقة التي تقدمها هذه العلوم الفائقة، حيث يتوقع أن تحدث منعجاً يمنع للإنسان إمكانيات غير مسبوقة². وبهذا فهو يدافع عن قدرات البيوتكنولوجيا ويدعم مشروع التعديل الوراثي للنوع الإنساني وانتقاء الخصائص البشرية قبل الولادة. ففضلاً تقارب التقنيات اليوم أصبح من الممكن تصحيح أخطاء الطبيعة والتدخل في جوهر الجينوم وتغييره وتعديلاته وتعزيزه، هذا ما يفضي إلى تغيير الطبيعة البشرية وما يتعلق بها من مفاهيم على غرار: الهوية، الحقوق، الحرية، الأخلاق، الثقافة، الفطري، والمكتسب...

يجزم مشروع التحسين الذي تألفت مرجعياته من ثنائية الفلسفة التطورية والنتائج العلمية للهندسة الوراثية بأن المعرفة الدقيقة لخريطة الجينات ستتمكن من التحكم في العضوية وتجاوز النقائص المرافقة للطبيعة. فهل يمكن التحول البشري من تغيير فطرة الإنسان المثبتة ل Maherite؟ وكيف يستعيد الإنسان أحوالوعي المرافق لإنسانيته، بعد أن يتم تعديله؟

يلجأ الإنسان اليوم إلى التقنيات الفائقة ليتجاوز وضعه الحالي الموسوم بالضعف والهوان، بناءً على ذلك يعتبر فلاسفة الإنسانية المتحولة التجاوز خاصية مرافقة ل Maherite الوجود البشري الذي يرهن بالإمكانات المتاحة، وعليه فلا وجود للأطر الثابتة، إذ يمكن مسعى هذا المشروع في التحكم في الأفق الأنطولوجي للકائن البشري، وتمكين تحوله من الضرورة إلى الحرية أي التحرر من الحتمية الطبيعية.³

تنادي حركة الإنسانية المتحولة بضرورة دمج التكنولوجيا في الحياة اليومية باعتبارها تعبيراً طبيعياً عن معنى أن يكون الإنسان إنساناً، حيث أن قدرة التكنولوجيا على زيادة القدرات البشرية والأداء وتحرير الناس من رقعة التقاليد، وزيادة الحرية، والتعبير الإبداعي، والترفيه، تقدم فرصة أكبر للاختيار تقوم بالمزيد لتعزيز

¹ فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص ص 256، 257.

² المرجع نفسه، ص 258.

³ نوره بوناش، البيوأيтика والفلسفة، ص ص 266، 267.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الوجود البشري ومساعدته، وذلك بدلاً من الحد منه¹. لذلك فإن أول خطوة يناقشها مشروع الإنسانية المتحولة هي إعادة النظر في أفكارنا حول الطبيعة البشرية وكل ما يتصل بها، حتى يتم الانتقال من النسخة الأولى 1.0 للكائن الإنساني إلى الإصدار الثاني 2.0 تحت إشراف تقارب التقنيات، وهنا تأتي نظرتهم للجسد على أنه متحرراً ومتجاوزاً للقيود البيولوجية.

يتتبأ كيرزويل بالإصدار 3.0 من الكائن البشري قبل 2050، بفضل تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي والعقل الرقمي، أين يتخلص الإنسان من جسده المادي البيولوجي ويعيش داخل حوامل إلكترونية رقمية، هذا ما اعتبره بحق كمراجعة راديكالية للمشروع الإنساني². ما يفضي إلى بلورة متخيل جديد للإنسانية، ما قد ينتج عنه مراجعة المبادئ الجوهرية التي طالما فصلت الإنسان عن غيره.

لا تتحدد الهوية حسب فلاسفة هذا الاتجاه بالمادة أي الجسد، وعليه فأي تغيير أو تعزيز أو تعديل يطرأ على الجسد البشري لا يلغى الهوية أو يغيرها، وهذا يمكن نقل الهوية من الحامل الجسدي أو الكيان البيولوجي إلى حامل آلي، إلكتروني أو رقمي، وهنا يظهر ما يمكن الاصطلاح عليه بالهوية المتعددة كنوع من تجاوز وتخطيء ورفض الهوية المتجانسة التي أقرت بها التقاليد الفلسفية³. ما يجعلنا نتساءل: ماذا سيقى من الطبيعة الإنسانية بعد أن تعيد الهندسة الوراثية تشكيل الكائن البشري؟ إن هذه القضايا في غاية الجدية، بحيث لا يمكن معالجتها بطريقة عرضية وغامضة، وهنا يشير الفيلسوف دانيال جان بأن فكرة الطبيعة غير واضحة تماماً، فمن غير الممكن أن تظل صالحة كأساس لسماء نزعه إنسانية جديدة، بل ويقترح فكرة الاستعاضة عن الإنسانية بفكرة مجتمع الأحياء⁴. هذا ما يفرض إعادة تعريف الإنسان في سياق الثورة البيوتقنية التي يشهدها عصرنا.

سيستغل إنسان القرن الحادي والعشرين التطور العلمي العجيب في تعلم تكيف نظامه الغذائي واختيار الحركات الجسدية التي يجب القيام بها وتوقع الفحوصات الطبية الالزمة، كل هذا سيتمكنه من تجنب 90% من الأمراض القاتلة التي تهدده، وهكذا سينجح في ضمان حياة أطول وصحة أجود، لطالما صرّح بوستروم بأنه عوضاً عن تحمل التطور الطبيعي ينبغي السيطرة عليه وتوجيهه بأنفسنا⁵. وبناء على ذلك

¹ نيك بوستروم وستيفن بكتو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 25.

² المرجع نفسه، ص 62.

³ فرانسوا جاكوب وأخرون، الإنسان في مهب التقنية، ص 199، 200.

⁴ المرجع نفسه، ص 273.

⁵ محمد زنار، من الإنسان المعاجل إلى الإنسان المعدل: رؤى فلسفية، منشورات التوحيد، المغرب، ط 1، 2023، ص 7.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

أصبحت فكره تحسين الإنسان والتدخل في طبيعته البيولوجية مهيكلة ومنهجية ومبرجة مخبرياً بعدما كانت تخميناً وإيماناً في ذهن المفكرين والعلماء.

يعتقد مثلي الإنسانية المتحولة أنه يجب على الأفراد التصرف وليس الخضوع، وأن يصبحوا سادة تطورهم، وأن يتحرروا من حالتهم الإنسانية، وأن يتجاوزوا حدودهم من أجل حياة أفضل، وأن يؤجلوا نهايتهم، وأن يغيروا عقولهم، وأن يخلقوا مجتمعًا جديداً. حيث يشير جيمس مارتن James Martin (1960-) إلى أنه لا ينبغي أن نسأل أنفسنا كيف سيبدو مستقبلنا، بل كيف يمكننا تشكيله. إذ لم تعد الإنسانية المتحولة تطرح هذه الأسئلة، بل حددت لنفسها هدفًا وهو بناء مستقبل مفتوح للجميع، وتحقيق أهداف جديدة، وخلق قيم وخيالات جديدة؛ خلق مستقبل يبدو فيه كل شيء ممكناً، وتجنب الموت على وجه الخصوص، كما كتب الفيلسوف السويسري غابرييل دورثي Gabriel Dorthi. ولكن إذا كان ما بعد البشر هم بالفعل أولئك الذين يستفيدون من جميع التسهيلات والآفاق التي توفّرها العلوم والتكنولوجيات الناشئة، فإن عددهم قليل في الوقت الحالي، فقط بضع مئات الملايين مقارنة بbillions البشر. من المؤكد أن جزءاً كبيراً من البشرية سيقى تائهاً أو ضائعاً في الطريق. إما لأن البعض لن يكون مستعداً لقبول مثل هذه التغيرات الجذرية، أو لأنهم سيختفون لأنهم " أقل"، أو ببساطة لأنهم سيرفضون الانضمام إلى هذا العالم الجديد. لا يمكن بناء إمبراطوريات جديدة في يوم واحد، وهي مصحوبة دائمًا بخسائر بشرية وقدان معالم اجتماعية أساسية، والمجتمع ما بعد الإنساني الجديد الذي يلوح في الأفق لن يخرج عن هذه القاعدة¹. بل ربما يكون أكثر دموية بالنظر إلى السرعة الأساسية لبناء مراحله المتوسطة، ومع شعار يجب التكيف لتبرير هذه المراحل الانتقالية المدمرة، لن يتمكن الكثيرون من ذلك. ولكن، بينما سيقبل "القدامي" كل هذا بقدر من القضاء والقدر، لأنهم يعلمون أنهم بشر فانون، فماذا عن "الجدد" الذين سيولدون مع وعود بالخلود؟

يدرك مثلي الإنسانية المتحولة جيداً مشكلة الفروقات بين الأفراد من ناحية التمكن من الحصول على التقنيات الفائقة، حيث يعترفون بضرورة تدخل الدولة على الأقل لتمكين الجميع من الوصول إلى الإنسان الفائق، كما يقر بوستروم أنه سيكون علينا تجنب ظهور طبقة متميزة من المجتمع، بحيث ستكون هناك في النهاية نوعان من البشرية، اللتان لن تكون لديهما الكثير من الأشياء المشتركة ما عدا تاريخهما المشترك، فالأتراك قد يكونون بعمر طويل وصحة جيدة، وقد يكونون عباقرة خارقين بجمال بدني لا عيب فيه، بينما يصل القراء على المستوى الحالي، مما قد يؤثر على تقديرهم لأنفسهم ويدفعهم نحو رغبات الغيرة ويمكن أن

¹Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, pp 169, 170.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يصبح التنقل بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا غير ممكن، مما دفع ببستروم إلى الدعوة لتبني إجراءات سياسية للحد من هذا التفاوت.¹

إن من خصائص القيم مقاومتها للواقع والادعاء بتوجيهه نحو ما هو مرغوب، لكن يجب الحذر من التعليق بقيم يُرعم أنها أبدية، إذ أن التطور غير المتوقع للتقنيات يهدد بظهور واقع جديد تماماً، مما يعنينا من اللجوء إلى التجريد الذي غالباً ما تفرضه الرؤية الأخلاقية للعالم، كما يعتبر جان ميشيل بيسنويه قد يكون - كما تنبأ نيتше - أننا مقدر لنا أن نتجاوز حسناً الأخلاقي، وإذا كان يجب أن يكون الأمر كذلك، يجب علينا قبول هذا التخلّي عن معايير الخطأ والصواب، والاعتراف بأن ذلك قد يقودنا إلى أراضٍ مجهولة. أليست المواجد بين العالم السماوي والأرض قد أُزيلت بواسطة غاليليو غاليلي Galilée (1546-1642)، وتلك التي بين الإنسان والحيوان بواسطة داروين، وتلك التي بين الوعي العقلاني واللاوعي غير العقلاني بواسطة فرويد؟ هنا يستشهد سلوتردايك بمنظور الإنسانية المتحولة القادر على تقديم مقياس جديد للقيم.

يدرك ممثلي الإنسانية المتحولة على العموم المخاطر العلمية والانزلاقات الأخلاقية الناتجة عن مشروعهم المتمثل في التحول من النموذج العلاجي إلى النموذج التحسيني والإعلائي، كما أنهم على وعي ودرائية تامة بالانتقادات الموجهة إليهم من طرف المعارضين لهم، لهذا فهو يسعون لتقديم ردود على هذه الانتقادات، وبناء على اتجاههم الليبيرالي والديمقراطي، فهم يدعون دائماً إلى فتح باب النقاش والمحوار للتمكن من وضع الحلول الأقل خطورة والأكثر عقلانية لإيماناً منهم وقناعةً بأن العقل فقط وليس العنف أو العناد هو الذي يجب أن يحل الخلافات الحتمية، خاصة إذا تعلق الأمر بموضوع صعب وحساس كالتلذيع الجنيني.

3- لوك فيري والتوفيق بين البيومحافظين والبيوتقديمين:

عند قراءة البيان التأسيسي للإنسانية المتحولة، ندرك أن مروجيه مدفوعون جميعاً بأمل قوي في "عيش أفضل". وفقاً لهم، فإن هذا العيش الأفضل يتمثل بشكل صارم في اللذة، حيث يجب أن تسمح القوة المكتسبة تقنياً بتعظيم "الرفاهية" لكل من يشعرون بالمشاعر، سواء كانوا من دماغ حيواني أو إنساني أو ما بعد إنساني أو اصطناعي. ما يجب قراءته بين السطور هو أن التقنية تسعى إلى إزالة حدود "العيش السيء" المرتبطة بطبيعة الإنسان كما نعرفها اليوم. أولاً، تلك المفروضة من قبل الجسم مثل المرض، الألم، الشيخوخة، الموت، ثم تلك التي تحدها الروح (بمعنى الواسع) مثل البحث عن المعنى، المعرفة، الجمال، العدالة، الحرية،

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 75, 76.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

وما إلى ذلك. فإذا كانت حدود الفعنة الأولى يمكن إصلاحها بسهولة، فإن حدود الفعنة الثانية أقل تحديداً، وبالتالي يصعب تعديلها¹.

يأتي وصول التقنيات الجديدة التي طورها خبراء التحول الإنساني لتعيد النظر في الأسس نفسها للمعنى الأخلاقي البشري. إن القيم الأساسية للإنسانية تواجه تحديات: هل يجب استبدال السؤال الكانطي "ما هو الإنسان؟" بالسؤال المرتبط بالتقدم العلمي: أي نوع من البشر سنقوم ببنائه في هذا العالم الجديد؟ وما هي القيم التي ستسود في ما بعد الإنسانية؟

لم يعد يحدث الاختيار في بيئة "طبيعية"، نحن في اندماج دائم بين الطبيعي والاصطناعي، مثل إعادة تشكيل قبة الجمجمة بفضل نسخة ثلاثة الأبعاد تم الإعلان عنها في مارس 2014، وعظمة الصدر في 2015، وخمرة نشطة تحتوي في جينومها على كروموسوم تم إنشاؤه اصطناعياً وتم الإعلان عنه في 3 أبريل 2014، وغيرها². لذا، لم يعد الأمر يتعلق بمعرفة ما إذا كنا مع أو ضد تعديل خصائصنا، بل السؤال هو: هل هناك حدود يجب تحديدها، والأهم من ذلك، من الذي يحددها؟، كما يشير إلى ذلك بشكل دقيق لوك فيري.

من الضروري فهم ما ينطوي له بعض التقنيين بشكل أفضل وإدراك أن هناك قضايا أنثروبولوجية وروحية رئيسية على المحك، مما يثير أسئلة قانونية وفلسفية وعلمية ولاهوتية، لهذا هناك عقبتان يجب تجنبهما: عبادة التكنولوجيا ورهاب التكنولوجيا، لذلك يمكن مناقشة أسئلة مختلفة بشكل معقول: من سيستفيد من هذه التطورات؟ من سيقرر التطبيق والتنفيذ؟ هل يمكننا التخلص عن الحدود؟ هل لا تزال هناك طبيعة بشرية؟ هل الإنسان قابل للتحسين إلى ما لا نهاية؟ هل يمكن القضاء على كل نقاط الضعف؟ هل الكائن الحي المحوّل أو المعزّز هو دائماً إنساناً؟ ما هي إنسانية الإنسان؟ ما الذي يميّزه عن الحيوان أو الآلة؟ هل سيجعلنا التحول إلى ما بعد إنسان أكثر إنسانية؟³.

تتراجع المواقف الفلسفية حول القضايا الأخلاقية التي يثيرها مشروع الإنسانية المتحولة التحسيني بين اتجاهين أساسيين، الأول يدعوا إلى إيقاف كل شيء بذرية التقديس الديني أو العلماني لما يسمى بالطبيعة البشرية غير الملموسة وغير القابلة للتصرف، أما الثاني فيدعوا إلى السماح بحدوث كل شيء ومروره باسم نشوء القدرة المطلقة والقوانين المتطرفة الليبيرالية والتكنولوجية، والتي بوجبها يجب أن يصبح كل ما هو ممكن

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, pp 151, 152.

²Ibid, p 161.

³Jean-Guilhem Xerri, **Quest-ce que le transhumanisme ?** p 9.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

علمياً حقيقة. أما بالنسبة إلى موقف لوك فيري من هذه القضية، فهو يحاول التوفيق بين الطرفين مع ترجيح كفة المشجعين للتحسين الوراثي ومشروع الإعلاء الإنساني، ولا يخفى إعجابه وأماله التي يتمنى منها من وعود هذا المشروع، إذ يسلم بأنه أمر حتمي ما دامت الأبحاث جارية والتجارب قائمة، حتى ولو لم نصل بعد إلى ذلك حالياً. ويوضح فكرته بمثال أنه لو افترضنا أن الأطباءتمكنوا من استئصال أسوأ الأمراض الموجودة في البويضة كالزهايمر أو التليف الكيسي أو نوع من سرطان معين، من خلال الاستعانة بـتقنية التحرير الجيني من يستطيع أن يعارض ذلك بجدية؟ خاصة إذا تعلق الأمر بمن نحبهم أو من باب الاهتمام برفاهية أطفالنا في المستقبل، وكذا من منطلق التعاطف مع من يعاني بسبب هذه الأمراض، صحيح أن هناك من يعارض ذلك خاصة من الرؤية الدينية التي هي بالفعل معادية للإنجاب بمساعدة طبية بسيطة، لكنها ستصطدم في نهاية المطاف برغبة الأشخاص الغربيين في التخلص من المعاناة والأمراض وحتى الموت، ودليل ذلك حسبه أن 97% من النساء الحوامل اللاتي يعلمون أن بإمكانهن إنجاب طفل مصاب بمتلازمة داون يقرن الإجهاض، وهو ما يوضح إلى أي مدى لم يعد شكل معين من أشكال تحسين النسل الليبيرالي من المحرمات. لكن في المقابل يحذر من السماح بكل شيء في مجال التعديل الإنساني خاصة فيما يخص المخاطرة بخلق وحوش حقيقية وكائنات هجينة من الإنسان-الآلة-الحيوان، والتي لن يكون لها بعد الآن الكثير لتفعله مع البشرية الحالية، هذا الأمر الذي يمكن وصفه بالأمر المرعب، لهذا يقترح أمام الثورة التحسينية عموماً أمام التقنيات الجديدة التي يجعلها ممكنة أن تخضعها للتنظيم، أي وضع حدود وضوابط دقيقة وصارمة لتجنب منطق "كل شيء أو لا شيء"¹. وهذا على منوال الأخلاقيات الحيوية الكلاسيكية، لأن التكنولوجيا الجديدة تتمتع بصفتين، فهي أولاً تتطور بسرعة رهيبة، فتكون بذلك صعبة للغاية في الفهم وأكثر صعوبة في السيطرة عليها: من جهة لأن المعرفة النظرية والعلمية التي تستخدمها تتجاوز عموماً المعرفة المحددة للسياسيين والرأي العام، ومن جهة أخرى لأن القوى الاقتصادية التي تدعمها ضخمة للغاية. أما الصفة الثانية لا تتبع معظم التكنولوجيات الجديدة فقط قانون مور (التسارع)، بل بالإضافة إلى ذلك، سواء كان الأمر يتعلق بـتقنيات النانو أو معالجة البيانات الضخمة التي تتداول على شبكة الإنترنت، أو التكنولوجيات الحيوية أو الروبوتات أو الذكاء الاصطناعي، كل هذه التخصصات قد تكفي لتشغيل حياة بأكملها، مما يجعل مسألة التنظيم عموماً محفوفة بالعراقيل².

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 18, 19.

²ibid, p 20.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

إن الاعتراضات ضد مشروع حركة الإنسانية المتحولة، لا تخص البيومحافظون فقط أو اللاهوتيون أو، بل هي مسألة من الحس السليم، إذ يتبادر إلى الذهن مباشرة عند الاطلاع على وعود الإنسانية المتحولة سؤال: هل نحن متأكدون من أن مشروع تحسين البشرية سوف يسير فعلا نحو الأفضل بدلا من الأسوء؟ بحسب ممثلي الإنسانية المتحولة بأنه إذا لم تتعرض البحوث العلمية في هذا المجال إلى عراقيل، وإذا تم تشجيعها وتقويلها في المقابل، فإنها ستنجح حقا ويتم القضاء على المرض والمعاناة ومحاربة الشيخوخة، فالنظر إلى التقدم الذي تحقق في السنوات الأخيرة في مجال الوراثة والتكنولوجيا الجديدة سيكون من السخيف إغلاق الباب أمام الثورات التي يمكن أن يحققها العلم بشكل محتمل جدا لصالح البشرية في مكافحة الشيخوخة والأمراض الوراثية العلاجية ورما لتحسين الجنس البشري بأكمله. ويربط فيري هذا النقاش بالحذر وليس المنع خاصة وأن تاريخ العلم يبين اقتران التقدم في البحث بالجرأة وتحمل المخاطر بدلا من التطبيق الشديد لمبدأ الحيطة، فالمهم حسبه هو تنظيم التجارب بشكل معقول ومنطقي من الناحية الأخلاقية والطبية وليس منها. ما وراء هذه الأسئلة الواقعية والمنطقية، وما وراء الإجابات التي يحاول ممثلي الإنسانية المتحولة تقييمها، والتي يجب أن نضعها في الاعتبار إذا أردنا التفكير في هذه المواضيع، ليس بصيغة "كل شيء أو لا شيء" ولكن بصيغة التنظيم. كما يذهب فيري إلى أن الموقف الرافض للمساس بالطبيعة البشرية. لقد تشكل مسبقا في التقاليد اليهودية والمسيحية التي تعتبر الطبيعة كما هي كونا أبدا لا يمكن تغييره لكي نتوافق مع إرادة الله وكل ما يعتبر طبيعيا. بحيث تقتصر وظيفة الطب على علاج الأمراض دون التحسين، كما تنظر للشيخوخة والموت بأنهما أمر طبيعي وليس مرضين، لذا لا ينبغي التعامل معهما بشكل طيء.¹ ولقد امتد هذا الموقف إلى غاية الآن مع البيولوجيون المحافظين. لكن الإنسانية المتحولة تبني اعتقادا مناقضا تماما لهذه الأفكار، فالنسبة لأنصارها الطبيعة الإنسانية ليست مقدسة والجينوم البشري ليس مقام مقدس ولا وجود لأي شيء يمنع تعديلها أو تحسينها أو تعزيزها، بل هو واجب أخلاقي كما أقر بذلك بوستروم ومور ما دامت التعديلات التي يمكن أن تقوم بها تسير في الاتجاه الصحيح وهو اتجاه حرية وسعادة الإنسان، فليس أذن هناك سبب لمنعها، بل يجب أن نشجعها. وهنا تتبني الإنسانية المتتجاوزة وفقا لغيري مفهوم التحسين المستمر الذي نجده في أعمال بيك دي لاميراندول وروسو وكوندورسيه، المتمثل في فكرة أن الإنسان ليس شيئا محدودا من البداية بل يمكن أن يصبح كل شيء، ويجب أن يشكل مصيره. وبهذا يكون التحسين البشري حسب فيري لا يعارض الإنسانية المسيحية أو الدينية عموما فحسب، بل يعارض جميع أشكال تقديس

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 26.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الطبيعة، ويستدل بالإعلان التحسيني لمبادئ "الاكتسروبيين" كما وضعه ماكس مور الذي آمن بأن فلسفتهم تذهب أبعد مما يذهب إليه معظم الانسانيين التقليديين وأن الإنسانية لا ينبغي أن تتوقف هنا، بل هي مرحلة فقط على طريق التطور، وليس قمة تطور الطبيعة، إذن فممثلية الإنسانية المتحولة يشكون في القيود التقليدية البيولوجية التي تحد من تقدمنا المحتمل.

إن حجة رفض المساس بالطبيعة البشرية حسب فيري قابلة للعكس، حيث يمكن للأطفال أن يلوموا والديهم على عدم استغلال جميع الفرص للتخلص من مرض محتمل، أو حتى تحسينهم بحجة أن معتقداتهم الدينية أو الأخلاقية تمنعهم من الاستفادة من تقدمات التكنولوجيا والعلوم¹. ويعقب فيري على موقف فوكوياما حول رفضه القطعي للمساس بالطبيعة البشرية مهما كانت دواعي ذلك، حيث يشير أنه في البداية لابد من التمييز بين "أن يكون" و "يجب أن يكون"، فال الأول يوجه ويترك حرية الاختيار للشخص، والثاني يُجبر ولا يترك حرية الاختيار للشخص، ويوضح هذه الفكرة بالمثال التالي: أقر العلم بأن التدخين ضار بالصحة، لكنه لا يمكنه ولن يستطيع أبداً أن يؤكد أنه يجب عدم التدخين، إنه واجب أخلاقي، فالتدخين أمر يعتمد على الاختيار الفردي، على الأقل طالما أنه يتحمل مسؤوليته المالية ولا يعرض صحة الآخرين للخطر، هذه الحجة هي نموذج تقليدي للمسؤولية، و مع ذلك يرغب فوكوياما في استعادة الفكرة، وهي محبوبة لدى الفلاسفة اليونانيين، وخاصة أرسطو، والتي تقول أن الغايات الأخلاقية موجودة في طبيعة الأشياء نفسها، في الترتيب الطبيعي للكون، تستند مقولته على الاعتقاد الأول، إنه من الواضح أن الفرق بين "أن يكون" و "يجب أن يكون" يتم عن طريق الإرادة، ثم من الواضح أيضاً أنه إذا كانت الممارسة مثل التدخين خطيرة، فعدم التدخين يصبح نوعاً من الواجب، وفقاً لفوكوياما فإن الغايات الأخلاقية لا تزال متجلسة في الطبيعة، أما بالنسبة لفيри هذه الحجة لا تصمد أمام النقد، إن الرغبة في تحذير الأخلاق في الكيان والطبيعة سبباً مشروعاً غير مقنع منطقياً، إذا لم أكن أرغب في الموت فمن المفيد أن أتوقف عن التدخين ولكن في هذا الاقتراح ليس هناك أي اعتبار أخلاقي بوضوح، نحن نبقى ضمن إطار واضح واشتراطي، أي مشرطة بصيغة "إذا ... فإن" والذي ليس له أي صفة تشريعية أو قياسية، صحيح إذا أردنا الحفاظ على صحتنا فعلينا أن نتوقف عن التدخين، ولكن ماذا لو لم نكن نرغب في ذلك؟ ماذا لو كنا لا نختم؟ وما الذي يمكن أن يعارضنا من الناحية الأخلاقية ما دمنا لا نضر أحداً؟ الحقيقة حسب فيري هي أن فوكوياما ما يزال مأسوراً في السياق الفكري الأمريكي الحصري المخالف لوجهة نظر النزعة الإنسانية التي تطورت في أوروبا في

¹Ibid, p 65.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأتيقي

التقليد الفلسفـي الذي يعتقد من يـك دـي لا مـيرـانـدـول إـلـى كـانـط وـهـوسـلـ وـسـارـترـ، فإنـ ما يـمـيزـ الإـنـسـانـ كـكـائـنـ أـخـلـاقـيـ مـخـتـلـفـ عنـ الحـيـوانـاتـ لـيـسـ طـبـيـعـتـهـ الثـابـتـةـ، بلـ العـكـسـ بـالـضـبـطـ أـيـ الـقـدرـةـ عـلـىـ التـجـاـوزـ وـالـتـفـوقـ عـلـىـ الطـبـيـعـةـ، وـبـالـتـأـكـيدـ هـذـاـ هوـ الفـرقـ الذـيـ يـمـيزـ الإـنـسـانـ عـنـ الحـيـوانـاتـ، وـيـسـمـحـ لـهـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ الـعـالـمـ مـنـ خـارـجـ مـنـ مـنـظـورـ أـعـلـىـ، وـبـالـتـالـيـ يـصـبـحـ كـائـنـاـ أـخـلـاقـيـاـ¹. وـفـيـ اـعـتـقـادـ فـيـريـ كـذـلـكـ إـذـاـ لمـ يـتـمـ تـقـبـلـ هـذـهـ حـجـةـ وـإـذـاـ تـمـ رـفـضـ فـكـرـةـ الإـرـادـةـ الـحـرـةـ وـالـتـفـوقـ عـلـىـ الطـبـيـعـةـ فـيـجـبـ عـلـيـنـاـ التـحدـثـ عـنـ السـلـوكـيـاتـ الـحـيـوانـيـةـ بـدـلاـ مـنـ الـأـخـلـاقـ.

إنـ الفـكـرـةـ الـتـيـ تـقـولـ بـأـنـ الإـنـسـانـ لـيـسـ بـحـاجـةـ لـمـكـافـحةـ طـبـيـعـتـهـ مـنـ أـجـلـ مـصـلـحـةـ الـآخـرـينـ يـصـفـهـاـ فـيـريـ بـالـسـخـيـفـةـ وـالـطـرـيفـةـ، بـالـنـظـرـ إـلـىـ الـحـقـائـقـ الـتـيـ تـمـلـأـ تـارـيـخـ الـبـشـرـيـةـ، فـالـحـقـيقـةـ هـيـ أـنـ الإـنـسـانـ لـيـسـ بـرـمـجـةـ كـامـلـةـ مـنـ طـبـيـعـتـهـ، بلـ لـدـيـهـ حـرـيـةـ الـاـخـتـيـارـ الـتـيـ تـمـكـنـهـ مـنـ اـخـتـيـارـ الـأـحـسـنـ وـالـأـسـوـأـ باـسـتـمرـارـ، الـأـمـرـ الذـيـ يـجـعـلـهـ يـظـهـرـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ كـأـكـثـرـ الـكـائـنـاتـ سـخـاءـ، وـلـكـنـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ الـأـخـرـيـ يـكـوـنـ أـسـوـءـ بـكـثـيرـ مـنـ أـشـرـسـ الـحـيـوانـاتـ، إـنـ قـادـرـ عـلـىـ التـضـحـيـةـ مـنـ أـجـلـ الـآخـرـينـ، وـلـكـنـهـ يـظـهـرـ أـيـضـاـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ القـتـلـ وـالـتـعـذـيبـ بـوـحـشـيـةـ طـلـماـ استـمـرـتـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ الـوـجـودـ، هـنـاـ يـبـدوـ أـنـ الإـنـسـانـ مـحـكـومـ بـأـنـ يـكـوـنـ كـائـنـاـ قـابـلـاـ لـالـتـحـولـ، وـلـيـسـ حـيـوانـاـ مـبـرـجاـ لـيـكـوـنـ طـيـباـ بـوـاسـطـةـ أـسـسـ الـطـبـيـعـةـ الـغـامـضـةـ، بلـ إـنـهـ كـائـنـ يـتـجـاـوزـ الـحـدـودـ، نـصـفـ مـلـاـكـ وـنـصـفـ وـحـشـ².

ماـ يـتـعـارـضـ مـعـ الـفـكـرـةـ السـائـدـةـ هـوـ أـنـ فـوـكـويـاماـ لـاـ يـذـكـرـ بـأـيـ حـالـ جـزـءـنـاـ الـبـيـولـوـجيـ وـالـحـيـوـانـيـ، بلـ يـجـبـ أـنـ يـقـوـدـنـاـ إـلـىـ إـقـامـةـ تـمـيـزـ وـاضـعـ بـيـنـ "ـالـوـضـعـ"ـ وـ"ـالـتـحـدـيدـ"ـ، فـنـحنـ دـائـمـاـ فـيـ "ـوـضـعـ"ـ، وـبـالـطـبعـ هـنـاكـ "ـالـشـرـطـ الـبـشـرـيـ"ـ بـيـولـوـجيـاـ وـتـارـيـخـيـاـ: وـلـدـنـاـ كـرـجـلـ أوـ كـامـرـأـ مـعـ تـلـكـ الـورـاثـةـ، عـاـمـلـ أوـ بـرـجـواـزـيـ فـيـ هـذـهـ الـبـيـئةـ الـاجـتمـاعـيـةـ، فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ، فـيـ هـذـهـ الـثـقـافـةـ، فـيـ هـذـهـ الـلـغـةـ، فـيـ هـذـهـ الـعـاـئـلـةـ، وـفـيـ هـذـاـ الـقـرـنـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ، إـذـنـ فـأـنـاـ مـسـجـلـ فـيـ سـيـاقـ مـعـيـنـ وـالـذـيـ قـدـ يـتـحـولـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ إـلـىـ تـحـدـيدـ، وـهـذـاـ مـاـ يـسـمـيـهـ سـارـترـ بـالـصـدـفـةـ السـيـئـةـ، وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ يـتـحـولـ هـذـاـ الـوـضـعـ بـالـضـرـورةـ إـلـىـ تـحـدـيدـ، وـلـاـ يـعـنـيـ أـنـهـ يـتـمـ حـرـمانـ الـحـرـيـةـ تـامـاـ، فـمـثـلاـ: لـيـسـ مـنـ الـضـرـوريـ أـنـ أـعـيـشـ كـرـيـةـ مـنـزـلـ وـأـقـصـرـ عـلـىـ المـطـبـخـ وـتـرـيـةـ الـأـطـفـالـ بـسـبـبـ كـوـنـيـ اـمـرـأـ، وـلـيـسـ مـنـ الـضـرـوريـ أـنـ أـصـبـحـ ثـورـيـاـ بـسـبـبـ وـجـودـيـ كـعـامـلـ، يـمـكـنـيـ أـيـضـاـ الـانـضـمامـ إـلـىـ حـزـبـ لـيـبـرـيـالـيـ أوـ اـجـتمـاعـيـ أوـ دـيمـقـراـطيـ، فـنـحنـ نـمـلـكـ الـخـيـارـ، وـبـالـمـثـلـ فـإـنـ مـنـاقـشـةـ الرـأـسـمـالـيـةـ لـاـ يـعـنـيـ أـنـاـ ضـدـهاـ، وـالـدـلـيلـ أـنـ فـرـيدـرـيكـ

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 66, 67.

²Ibid, p 70.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

إنجلز Friedrich Engels (1820-1895) وماركس كانا رجلي أعمال ومع ذلك كانوا ثوريين. وفي كل هذه الحالات نتعامل مع "وضعيات" وليس "تحديات" تستبيح الحرية، فعلى عكس النمر فنحن غير قادرين على القفز لمسافة ثلاثة أمتار، فهل هذا يجعلنا أقل حرية؟¹ وبناء على رده هذا على حجج فوكوياما يعترض فيري بأن العودة إلى الطبيعة التي يروج لها فوكوياما كأساس للأخلاق غير مقنعة تماماً، ذلك أن الأخلاق ليست شيئاً طبيعياً، بالإضافة إلى ذلك يكفي أن نرى كيفية تربية الأطفال المتغيرة والمتحدة لتأكد من ذلك.

يعارض فيري الاعتقاد الشائع بأن الطبيعة البشرية تشير إلى حد أخلاقي لا ينبغي تجاوزه، إذ من الواضح أن الطبيعة ليست هي التي تحدد القانون، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطبع، وهو فن اصطناعي تقريباً في جميع النواحي، ومحظوظ لتصحيح أخطاء هذه الطبيعة نفسها، مثلاً لا شيء أكثر طبيعية من فيروس الإنفلونزا أو فيروس نقص المناعة البشرية، ومع ذلك من غير المعقول إعلان أنه يشير إلى الطريق الذي يجب اتباعه أي المحافظة عليه، عليه يمكننا اعتبار الطبيعة معياراً لكن هذا الخيار أيديولوجي من بين خيارات أخرى لا يمكن إعفاؤه من واجب التبرير للآخرين قبل أن يصبح قانوناً.²

يؤكد فيري من جهة أخرى أنه بالرغم من الاعتراضات الموجهة لمشروع الإنسانية المتحولة إلا أنها تبقى محل إغراء للأغلبية من البشر خاصة من ناحية الوعد بالقضاء على الآفات الثلاثة التي تفسد حياة البشر منذ بداية الزمان، مثل: المرض والشيخوخة والموت، وعليه فهو يبني رأيه حول هذا الموضوع أنه يتخد موقفاً وسطياً بين "منع كل شيء" (الاتجاه البيومحافظ) و"السماح بكل شيء" (الاتجاه البيوتقدي)، من خلال ابتكار طرق لتنظيم هذه الممارسات.

على الرغم من أن العلم والتكنولوجيا يشكلان أساساً كبيراً لرؤية العالم المتعلقة بالتكنولوجيا البشرية، يعترض المؤيدون أن قوتها لها عيوب ونقائص، وبالتالي فإن وجود تفكير أخلاقي نقدي أمر ضروري لتجويه سلوكهم والإجابة عن سؤال ما إذا كانت تقود إلى تمديد قيمنا أو نحو الإعلان عن اختفائها. مع ظهور الإنسان المتحول وبده مرحلة ما بعد الإنسانية، يجب أن نعترف بأن الأخلاق قد تضطر إلى تجاوز الفضاء البشري لتشمل التعايش بين إنسانية موسعة. فالเทคโนโลยيا تفرض تحدياً على الأحكام المسبقة للإنسانية، وهو أنه يجب عدم حصر القيم الأخلاقية في البشر فقط. ليس الأمر مجرد زيادة في القدرات البشرية في الوقت الحالي، لكن من المتوقع أن تتفوق الآلات في معظم الأنشطة البشرية، مما يمنح بعض الأفراد حججاً

¹ Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 70, 71.

²Ibid, p 161.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

لإنهاء التصور الضيق عن الإنسان، وهو تصور كان يجب الالتزام به لتلبية "الأخلاق"، تلك التي وضعها أقراننا¹.

يقع "الجيل الجديد من الأكاديميين في البيوأيتيقا"، حسب تعبير لوك فيري بين المتبنين للتكنولوجيا البشرية المتطرفة وبين المدافعين عن البيولوجيا التحفظية، إذيرفض كل من النهج المتساهل الذي يدعوه إليه الأولون والإدانة الجذرية التي يرغب بها الآخرون. ويؤكد أن المعارضة لزيادة الأداء البشري غير ممكنة وغير مبررة لأنها تشير إلى حقائق راسخة منذ زمن طويل (مثل تناول القهوة أو التيكوتين)، ولأن هذه الأداءات تشير إلى مجموعة من الممارسات الموجودة بالفعل (مثلاً المشروبات المنشطة، والمكملات الغذائية، واستخدام المنشطات المنتشرة في الرياضة المحترفة وفي الجامعات، وتناول "حاصرات البيتا" لدى الموسيقيين والمتحدثين قبل عروضهم، وما إلى ذلك). ومع ذلك، إذا كانت تقنيات الزيادة تتبع نفس منطق استخدام الأدوات، فإن دمجها في الجسم البشري يثير العديد من القضايا الأخلاقية.²

انطلاقاً من مبدأ أن هذه التحسينات مرغوبة ومفيدة، يجب الالتزام بعده قواعد أساسية، فإذا كنا نريد أن نواصل وجودنا كإنسان، لا بدأولاً من احترام حرية واستقلالية كل فرد؛ وثانياً من تعظيم الفوائد وتقليل المخاطر في مجال الصحة والأمان؛ وثالثاً من احترام العدالة وتعزيز الإنصاف. ومع ذلك، فإن تقنيات التحسين ليست محايضة، بل إنها تتوارد في سياق ثقافي واجتماعي متتطور. فالإنسان المحسن يثير تساؤلات حول نموذج المجتمع الذي نعيش فيه، وخاصة حول ذلك الذي نرغب في العيش فيه، لأنه إذا اعتمدنا على المثالية المتعلقة بالتحسين البشري الموروثة من إنسانية عصر الأنوار، فإن تحرير الإنسان يعتمد في المقام الأول على تحسين ظروف حياته الاجتماعية والسياسية.

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, p 150.

²Ibid, pp 147, 148.

ثانياً: معضلة الحقوق الإنسانية

تشكل الحقوق الأرضية الصلبة التي تقوم عليها المجتمعات الحضارية، على الرغم من أن الفلاسفة والمفكرين على مختلف طبقاتهم لم يختلفوا حول أهميتها بالنسبة للإنسان، إلا أن آرائهم تضاربت وتبينت حول طبيعتها، بالنسبة للاتجاه البيومحافظ فإن أتباعه دافعوا عن حقوق طبيعية ثابتة على أساس أنها مرتكنة بطبعتنا البشرية الثابتة، بينما الاتجاه البيوتقدمي فقد جنح أتباعه إلى اعتبار أن الطبيعة المتغيرة للكائن البشري هي ما يمنحه حقوق خصبة ومتعددة.

1- البيومحافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية:

يعترف الجميع الآن - بما في ذلك فوكوياما - بأن التقدم الموعود ليس سوى مسألة وقت، وأن التقدم المعلن سيحدث خاصة فيما ذلك ما يتعلق بطول العمر البشري. هذا يلزمنا التفكير فيه من الآن قبل أن يكون قد فات الأوان لتغيير مسار التاريخ. هذه الحاجة التي تفترض أن مبادئنا الأخلاقية متعددة في طبعتنا البشرية، وهي غير قابلة للتغيير، ومنها تتبع الحقوق، حيث ترتبط حقوق الإنسان الطبيعية بشكل مباشر بهذه البنية البيولوجية¹.

ينتقد هابرماس مشروع الإنسانية المتحولة في كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية"، بطريقة مبتكرة من زاوية محددة جداً، وتمثل في: الكرامة والحقوق الإنسانية. حيث يناقش هابرماس في كتابه هذا القضايا والتحديات التي يفرزها التدخل البيوتكنولوجي في الجينوم البشري على مفهومي الحرية والمسؤولية لدينا، خاصة وأنه أضحى من الممكن التحكم في الكائنات البشرية وتعديلها كتعديل الأجنحة جينياً بما يتماشى ورغبات والديهم، ما يجعلهم يمتلكون الحق في صناعة أنفسهم². وحسبه هذا مرفوض لأنه يسيء بتقويض أساس الحياة الاجتماعية التي تتشكل من ذات حرية ومتقاربة في الكرامة. وعليه، فإن من خلال هذه الممارسات يتم تحريد مفهومي المسؤولية والحرية للأطفال المعدلين وراثياً من قبل والديهم، مما يتزع عنهم صفة الذات الحرة. يتخوف هابرماس في سياق البرجمة الجينية من غياب وجود علاقة تناظرية بين المبرمج والممنتج، بحيث يتم إنشاء تبعية لا رجعة فيها تُلغي وجود ذاتين حرتين.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 65.

²يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 95.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يحذر هابرماس كذلك من تحول تقييات ومارسات التعديل الجيني، خاصة لأغراض تحسينية إعلانية، إلى سوق تجاري ربحي محض، مما يُعيّب مبدأ المساواة الذي لطالما كرسه القوانين والتشريعات العالمية، وفي المقابل تكريس التفاوت والتمييز بين ذوي القدرات المعدلة وغير المعدلة، وبين المولود طبيعياً والمولود اصطناعياً¹. وقد تناولها من خلال مثال طفل قيام الوالدين بتعديل جينوم طفلهم بهدف زيادة وتحسين المواد الوراثية الأصلية (أي صفاته الجسدية والفكريّة) وبالتالي تغيير في اتجاه التحول البشري، مما يطرح مشكلة "حرية الطفل"، أو كما يصف ذلك هابرماس بلغته المعتادة علاقته التأملية بذاته وباستقلاليته، أي ببساطة كيف سيفهم ذاته في المستقبل ككائن حر. هذا التصور الذي سيتأثر بشكل خطير، وفقاً لهابرماس، حيث سيفرض الآباء اختياراً لهم مثل: زيادة قدرات معينة بدلاً من أخرى كالقدرات الرياضية بدلاً من الفنون والآداب. هذه هي الفرضية التي يطورها بالتفصيل في كتابه هذا. فحسب هابرماس، لطالما كانت طبيعتنا شيئاً معملي ولا يمكن تحويله، إلا أنها الآن قابلة للتلاعب والبرمجة بواسطة شخص يتدخل بنية متعددة وفقاً لخططياته الشخصية بشأن التكوين الوراثي وصفات الطبيعة للآخرين². في هذه النقطة، يتساءل هابرماس: كيف ستؤثر زيادة حرية اختيار الآباء لمصير أبنائهم على حساب حرية الأطفال؟ يمكن توضيح ذلك من خلال مثال أن هناك شاباً أو فتاة تكتشف في يوم ما أن تكوينها الوراثي تم تعديله قبل ولادتها، وذلك دون أي سبب طبي ملزم. فبمجرد قيام الوالدين بإجراء هذا التدخل التحسيني لنسالة طفلهم، يصبح نوعاً من التوجيه القسري؛ إذ لم يتركوا المجال لأطفالهم للاختيار، بحيث يمكن ألا يتقبلوا مثل هذه التعديلات ويفيدوا في التساؤل: لماذا قام والديه بمنحه موهبة مثلاً في الرياضيات بدلاً من القدرات الرياضية أو الموسيقية، التي كانت ستكون أكثر فائدة لهنّة رياضية عالية المستوى أو عزف البيانو على مستوى عالمي؟

يذهب فيري إلى أن الحالة المتصورة هنا مع هابرماس في مثال "الموهبة في الرياضيات بدلاً من الموسيقى" غير معقولة علمياً؛ إذ لا يوجد أي بيولوجي يدعي أن الموهب من هذا النوع تعتمد على التلاعب الجيني، ولكن ليس هذا هو الأمر الأساسي، كما يقول هابرماس. فالامر يتعلق بالتوقع والتخييل "ماذا سيحدث إذا؟" أي إذا واجهنا هذا النوع من الفرضيات في يوم من الأيام. ومع ذلك، وبدون العودة إلى مثال الرياضيات والبيانو، فمن المرجح جداً أنه في المستقبل القريب سيكون بإمكاننا اختيار عدد من السمات الجسدية لأطفالنا. وبالتالي، تبقى الأسئلة التي طرحتها هابرماس على الأقل من حيث المبدأ.

¹ المرجع نفسه، ص 95، 96.

² Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 77.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

وبالتحديد في قضية الصراع المحتمل الذي قد ينشأ بين حرية الآباء وحرية الأطفال، والتي يظهر فيها تحفظاً معارضًا. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: أليس نفس الأمر بالنسبة للتعليم؟ حيث في هذا المجال، كما يذهب فيري، يقرر الآباء آلاف الأمور نيابة عن أطفالهم، يختارون مؤسسة تعليمية معينة بدلاً من أخرى، واللغات التي سيتعلموها، والمحالات التي يرغبون في الانخراط فيها. هذا وينقلون جميع أنواع القيم المعنوية والسياسية والروحية... وما إلى ذلك من القيم التي ستراقبهم طوال حياتهم سواء قبلوها أم رفضوها. مما الذي يجعل ذلك مختلفاً جدًا عن الاختيارات التي قد تتعلق بالطبيعة والبنية الوراثية؟ يجيب هابرماس بأن هذه الأمور تدخل في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي غير ثابتة بالنسبة للطفل وقابلة للتغيير، كذلك على عكس تلك التي تقرر مصيره الوراثي. فهناك فرق كبير فيما إذا كان الأطفال قادرين على مناقشة والديهم عندما يخبرون بين ما هو قابل للتغيير (التربية الاجتماعية) وما هو غير قابل للتعديل أو التغيير (البرنامج الوراثي). فهذا الأخير، إن تم تعديله قبل الولادة، لن يصبح هذا الأمر ممكناً فيما بعد¹. بالنسبة لفيري وخلافاً لهابرماس، يمكن للأطفال مناقشة الاختيارات التربوية مع والديهم بنفس قدرتهم على مناقشة الاختيارات الوراثية المحتملة. يسلم هابرماس بأن التعديل الجيني ينتهك حرية الطفل الناتج بطريقة لا تؤديها الأبوة العادلة؛ إذ يمارس الآباء حالياً السيطرة على أطفالهم من خلال التواصل، أما في حالة التحديد الجيني الذي يتم وفقاً للتفضيلات الخاصة بالوالدين، لا توجد مثل هذه الفرصة. حيث إنه مع التحرير الجيني لا يوجد مجال تواصل لي للطفل المتوقع لكي يتم التعامل معه كشخص ثانٍ ولا إشراكه في عملية الاتصال². لهذا السبب، يحرم الطفل الذي تم اختيار سماته الوراثية من قبل والديه من فرصة أن يحيا حياته الخاصة. وعليه، تؤدي هذه الاختيارات الإنسانية إلى تثبيت سيطرة الأبوين على مصير الطفل القادم، ومن ثم افتقاده للاستقلالية والتميز الطبيعي الذي كان من الواجب أن يختص بهما. فكان هذا الطفل تابعاً كلياً للقيم التي يؤمن بها الوالدان دون أن يترك له مساحة من الحرية الطبيعية من أجل الاختيارات المستقبلية كحق إنساني تؤمن به الحداثة.

إن فكرة إنجاب أطفال معدلين جينياً مسبقاً تنافي القيم الطبيعية الأسرية المتعارف عليها التي تُبنى على القبول الطبيعي والحرية، والحوار القائم على احترام الواجبات والحقوق المتبادلة. خاصة وأن الانتقاد المسبق للأبناء، كما هو مشهود اليوم، أصبح خاضعاً لأهداف تجارية اقتصادية حولت الطفل إلى سلعة منتقاة، مما يحرّده من خصائص الشخصية والهوية الإنسانية التي تمكّنه من تقدير ذاته³.

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 78.

²نيك بوستروم وستيفن بوكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 227.

³نورة بوحناش، *البيوانيكا والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتركي*، ص 270.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

يواجه القانون، مثل العديد من التخصصات الأخرى، صعوبة في تقييم وعود الإنسانية المتحولة، لأن المجال القانوني تقليدياً هو مجال الإنسان العادي. بالتحديد، يتعامل القانون مع العلاقات بين البشر لتقديرها وفقاً للعدالة، أي المساواة. في الواقع، وفقاً لمبدأ القانون الأساسي، جميع البشر متساوون. لا شك أن البعض أكثر ذكاءً وجمالاً وقوّةً من البعض الآخر، ولكن الشكل البشري بحد ذاته يلزمهم بمعاملة بعضهم البعض دون تمييز، فكلهم يتمتعون بنفس الكرامة والحقوق.

ينجز القانون حتى الآن مهمته في المساواة بمعنى تعويض النقص وفقاً للنهج الكلاسيكي المزدوج للعدالة التصحيحية والعدالة التوزيعية. العدالة التصحيحية: عندما يتسبب شخص، بسبب خطئه في إلحاق الضرر بشخص آخر لدرجة إعاقة، يتعين على مرتكب الضرر تحمل تكاليف الترميم والعلاج، مثل الأطراف الاصطناعية، لكي تعود الضحية قدر الإمكان إلى شكلها البشري السابق. العدالة التوزيعية: عندما تنشأ الإعاقة. ليس من خطأ بشري يلزم مسؤولية مرتكبه، بل من خطأ في الطبيعة، يرى المجتمع أنه من العدل تعويض هذه الإعاقة من خلال منح بدائل متنوعة تهدف إلى سد الفجوة قدر الإمكان، على الرغم من أن الفجوة التي تفصل شخصاً ذو إعاقة عن غيره من الأشخاص الخاضعين للقانون ضعيفة. في كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بالعودة إلى شكل بشري يعتبره المواطنون "طبيعياً"¹.

هل يمكننا أن نتخيل يوماً ما أن القانون سيبعد جميع التقنيات الجينية، المعلوماتية.. إلخ، والتي تسعى إلى "تعزيز" الإنسان كما يفعل حالياً مع تناول المنشطات في مختلف الرياضيات؟ من المحتلم أن يصرخ الجمهور حينئذٍ بانهائـ الحريات، لأن الحرية مع المساواة هي الركيزة الثانية للقانون في مجتمعـنا. وهذا ما نراه بشكل خاص في التطورات الحالية في مجال أخلاقيات الطب الحيوي. إذا كان مسمومـاً اليـوم بالخلص من الأجنة (البحث العلمي) والأمشاج (بنـكـ الحـيوـنـاتـ المـنـوـيـةـ) ورحمـ المرأةـ (الإنـجـابـ باـلـاسـتـئـجارـ) وـاخـتـالـافـ الجنـسـ (إـعادـةـ التـعيـينـ الجـنـسـيـ) وـالـحـيـاـةـ نـفـسـهـاـ (ـالـمـوـتـ الرـحـيمـ) فـليـسـ منـ الواـضـحـ ماـ هيـ القـوىـ الـاجـتمـاعـيـةـ التيـ سـتـمـنـعـ الفـردـ منـ تعـزيـزـ قـدرـاتـهـ الفـرـدـانـيـةـ منـ خـالـلـ التـقـنـيـاتـ الـمـنـاسـبـةـ. ولكنـ، هلـ سـيـكـونـ المـوـضـوـعـ "ـالـمـعـزـ"ـ أـكـثـرـ سـعـادـةـ لـكـوـنـهـ انـفـصـلـ عـنـ إـنـسـانـيـتـاـ المشـرـكـةـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ²ـ؟ـ

تميل العلوم الطبيعية إلى إظهار أن معظم الفروقات الظاهرة بين البشر هي مسألة تقليد أكثر من كونها طبيعة. يعتمد جزء كبير من عالمنـا السـيـاسـيـ عـلـىـ وجودـ جـوـهـرـ إـنـسـانـيـ نـمـلـكـهـ بـطـيـعـتـنـاـ، أوـ بـأـحـرـ، عـلـىـ

¹Xavier Dijon, **La perplexité du droit**, pastoralia, N°5, Dossier : transhumanisme, Archidiocèse de Malines, Bruxelles, mai 2015, p 15.

²Ibid, pp 15, 16.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

حقيقة أننا نؤمن بوجود مثل هذا الجوهر. فالفرد وفقاً لتيارات الفكر المختلفة يتمتع بحرية أولية، سواء كانت إلهية أو طبيعية، تبرر حقه في المعارضة ضد الاضطهاد وتنظم علاقاته مع الآخرين. ولكن، مع وجود مستقبل ما بعد إنساني يسعى إلى تحويل هذا الجوهر مع مرور الوقت، وقد يتغير معنى هذه الكلمة تماماً. حتى الآن، كان ذلك يعني متابعة الأهداف التي حددتها طبيعتنا لنا. الآن، قد يكون من الممكن أن تكون المرحلة التالية من التطور هي تلك التي سنتولى فيها مسؤولية تكويننا البيولوجي الخاص بدلاً من تركه للقوى العمياء للاختيار الطبيعي، وعندما لن يكون الجوهر هو الذي يمنع حرريتنا، بل ستكون الحرية هي التي تسمح لنا بالبحث عن الجوهر. ومع ذلك، يجب أن نكون حذرين: هل لا تزال التقنيات الجديدة لا تحرف حررياتنا لصالح السلطة؟

وماذا عن حرريتنا في التفكير؟ هل ستظل موجودة عندما نعلم أن أمازون مثلاً تتوقع بالفعل وبشكل أفضل من أنفسنا اختيار قراءاتنا القادمة وأن هناك شركات ناشئة مثل Hunch.com تخطط لإنتاج برامج "قرارات" لتجنب أن يفكر المستخدمون؟ قد تتفاقم هذه الظاهرة وتؤثر على حياتنا الخاصة مع التطور المكثف لنماذج التفاعل بين الإنسان والروبوت من خلال التعبير عن المشاعر، فقد ننسى أن الروبوتات ليست سوى آلات لمحاكاة، وستعتبرها أصدقاء وتنق بها فيما يخص أسرارنا، التي ستسرع بتسجيلها وإرسالها إلى الذكاء الاصطناعي الذي خلقها.¹

يعبر جاك إيلول عن شكوكه حول علاقتنا الحقيقة بالحرية، والتي قد تفسر خضوعنا للأحداث المقبلة. حيث يعتبر أن هذا الرجل العصري لا يفعل شيئاً سوى أسطرة العلم، وتقديس التقنية والدولة، ورفع السياسة إلى مرتبة "دين علماني". ويربط ذلك بحقيقة أن الإنسان ليس على الإطلاق متحمساً للحرية كما يزعم، فالحرية ليست حاجة متأصلة لديه، فاحتياجاته من الأمن، والتوافق، والتكييف، والسعادة، وتوفير الجهد هي أكثر ثباتاً وعمقاً، وهو مستعد للتضحية بحرريته من أجل إشباع هذه الاحتياجات. بالتأكيد، لا يمكنه تحمل الاضطهادات مباشرة، ولكن ماذا يعني ذلك؟ فإن يحكم بطريقة سلطوية هو أمر لا يحتمل بالنسبة له ليس لأنه إنسان حر، ولكن لأنه يرغب في السيطرة وممارسة سلطته على الآخرين². إذ أن الإنسان يخاف من الحرية الحقيقية أكثر مما يرغب فيها. نحن نشهد حالياً هيمنة الدولة على تنظيمنا الاجتماعي، وبالتالي على حررياتنا، فنحن ننتقل في متاهة من المساعدات والالتزامات حيث تفرض الدولة نفسها كوسط في كل علاقة.

¹Béatrice Jousset-couturier, *Le transhumanisme*, p 139.

²جاك إيلول، خدعة التكنولوجيا، ترجمة: فاطمة نصر، دار سطور، مصر، ط1، 2004، ص 38، 39.

2- حقوق الإنسان الفائق من منظور بيوإتيقي:

تعتبر الحريات هي المكونات الالزمة لمشروع الإنسانية المتحولة، فالحرية تشكل المبدأ المؤسس لحقوق الإنسان الذي ينص على أن "يولد الناس ويظلون أحراً ومتساوين في الحقوق"، وفقاً للمادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان والمواطن. فإذا كان الناس متساوين فيما بينهم، فهم كذلك، قبل كل شيء أحراً¹.

إن الفلسفة التي تستند إليها حقوق الإنسان هي في الأساس فردانية، بمعنى لكي تظهر فكرة حقوق الإنسان، يجب أن يكون الفرد قادرًا على التفكير بطريقة مستقلة وليس حضريًا كعضو في الجموعة أو ككل يتجاوزه، فالإنسان في حقوق الإنسان يُعرف مفهومياً ككيان مستقل ينتمي لنفسه². وحقوق الإنسان، المتأثرة بالفلسفة الليبرالية والفردانية التي أدت إلى تشكيلها، تقدم إجابات للتساؤلات التي تشيرها التطورات العلمية والتكنولوجية.

إن النظرة الخاطفة على هذه الحقوق تؤكد طابعها الليبرالي، فالحق في الخصوصية بشكل خاص والمنصوص عليه في المادة 17 من الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وفي المادة 8 من الإتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان يجب فهمه كـ"حق في أن تُترك وشأنك"، ويشمل هذا الحق كل فرد في "هويته الجسدية والاجتماعية" وكذلك "الحق في التنمية الشخصية". كما يسمح بالتخاذل قرارات بشأن جسده؛ ويؤسس، على وجه الخصوص، حفاظاً في الوصول إلى علاج التحويل الجنسي.

ثم إنه يمكن وضع حق التصرف في الجسد من منظور الحرية الجسدية أو حرية المظهر التي يطالب بها مثلي الإنسانية المتحولة، وهذا في إعلانهم لعام 2012، إذ يوضحون بأنهم يروجون للحرية الجسدية أى حق تعديل وتحسين الجسد والإدراك والعواطف. وتشمل هذه الحرية الحق في استخدام أو عدم استخدام التقنيات والتكنولوجيات لإطالة الحياة، الحفاظ على النفس من خلال التجميد، التحميل والوسائل الأخرى، والقدرة على اختيار التعديلات والتحسينات المستقبلية³. فمثلي الإنسانية المتحولة يطالبون بحق التفتح من خلال

¹B. Edelman, *La dignité de la personne humaine, un concept nouveau*, recueil dalloz, chronique, 1997, p 185.

²L. Hennebel et H. Tigroudja, *Traité de droit international des droits de l'homme*, pedone, paris, 2016, p29.

³Voir la déclaration transhumaniste 2012, disponible en ligne : <https://iatranshumanisme.com/transhumanisme/la-déclaration-transhumaniste/>

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

تجاوز الحدود البيولوجية الحالية. ومع ذلك، فإن الحرية التي يطالبون بها لا تقتصر على شخصهم فقط، بل تتدبر أيضًا إلى ذريةهم. وفي هذا السياق، قد يسعون إلى استدعاء الحق في الحياة الخاصة والعائلية.

يمكن أيضًا استدعاء حقوق الإنسان الأخرى من قبل مثلي الإنسانية المتحولة بشكل مفید. على سبيل المثال، نظرًا لأن أحد الأهداف المعلنة لهذه الحركات هو القضاء على المرض، والإعاقة، والشيخوخة، بل وحتى الموت، يمكن لأنصارها العثور في الحق في الصحة أساساً لمطالبهم لأنفسهم ولذريةهم. في الواقع، الحق في الصحة يشمل أيضًا الصحة الإنجابية.

تشكل حرية البحث أساساً آخر للإنسانية المتحولة حيث إنها شرط لتحقيق مشاريعهم. هذا الحق، المحمي بموجب المادة 15 من الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذي يتطلب من الدول احترام حرية الضرورة للبحث العلمي، ويمكن أيضًا استدعاء حرية الضمير نفسها، لأن الإنسانية المتحولة تعتبر نزعة شبه دينية وفقًا للبرلمان الأوروبي¹. بالتأكيد، يمكن القول إنه بينما تستدعي الإنسانية المتحولة الحرية، فإن الخيارات التي يتخذونها مشروطة بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية وأن استخدام تقنيات معينة قد يؤدي في النهاية إلى استبعاد الشخص البشري. وإذا كانت مثل هذه الحجج يمكن أخذها في الاعتبار من منظور أخلاقي، فمن منظور قانوني بحث تتعذر الحرية الفردية – إلا في حالة فرد غير قادر – كاملاً من منطلق أن الدوافع العميقة التي تحفز اختيارات الشخص ليست مأخوذة في الاعتبار من قبل القانون الذي يبقى على سطح الأشياء.

يمكن القول بأن مطالب الإنسانية المتحولة تجد صدى إيجابياً لدى قاضي حقوق الإنسان، لكن هذا لا يعني أن هذا القاضي له غاية في قبول كل طلب بشكل إيجابي، حيث تعتمد الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان على توازن بين حريات الفرد وحماية مصالح المجتمع الذي يتواجد فيه هذا الفرد. في هذا السياق، يمكن للدولة، باسم النظام العام، تقييد ممارسة الحقوق المضمونة.علاوة على ذلك، يوجد ضمن القانون الدولي لحقوق الإنسان توازن، حيث يمكن لحق أن يعادل حقًا آخر. وبالتالي، سيكون تدبير يتوافق، على سبيل المثال، مع الحق في الخصوصية والحياة العائلية أو الحق في الصحة، ولكنه تميزي، مخالفًا للاتفاقيات الدولية

¹Parlement européen, Human enhancement study, disponible en ligne : <http://www.itas.kit.edu/downloads/etag-coua09a.pdf>

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

لحقوق الإنسان. وبالمثل، قد يتعارض الحق في الخصوصية والحياة العائلية للوالدين مع الحق في السلامة الجسدية لطفلهما. لهذا يعود للقاضي تقدير المصالح المعنية.

ومع ذلك، في حالة الإنسانية المتحولة، إذا كانت مسألة التوازن بين الحرية الفردية وحماية الجسد تطرح بهذا القدر من الحدة، فذلك لأن الشخص المعنى كثيراً ما يكون قد وافق على التعدي. ومن ثم، يجب معرفة ما إذا كان من الممكن تطبيق حق، مثل الحق في الحماية الجسدية، على فرد ضد إرادته: هل يمكن للفرد أن يتنازل عن حق من حقوق الإنسان الذي تمنحه إياه المعاهدات الدولية؟ وبالمثل، هل ينحاستحسانبالضرورة صفة غير مشروعة لتدخل الدولة في الحياة الخاصة؟ قد طرحت هذه الأسئلة بالفعل على القاضي الأوروبي عدة مرات، خصوصاً فيما يتعلق بالقتل الرحيم، وقد تطرح أيضاً فيما يتعلق بالإنسانية المتحولة. على سبيل المثال، يمكن تصور حالة شخص يرغب في خضوع لعملية بتر عضو سليم ليتم تركيب "عضو بيونيك" بدلاً منه، ولكنه يرفض طلبه. أما فيما يتعلق بهذه المسائل المتعلقة بحرية التصرف في الجسد، يبدو أن القاضي الأوروبي يتتردد بين نهجين: أحدهما ليبرالي، يفضل تقرير المصير الذاتي للفرد؛ والآخر أكثر احترازاً يقوم على حماية الشخص وجسمه ضد نفسه. من هذه السوابق القضائية الأوروبية المتعددة، يتبيّن أن الرضا أو القبول لا ينبغي أن يكون الحد الأقصى لحقوق الإنسان، فالتخلي عن حق محمي بموجب الاتفاقيات الدولية هو إمكانية وليس حقيقة¹. ومع ذلك، لا يوجد معيار عام يسمح بتحديد متى وتحت أي شروط يمكن استخدام هذه الإمكانية.

هذا ما يحيينا إلى التساؤل: هل سيصبح الإنسان الفائق أو الكائن ما بعد الإنساني هو موضوع حقوق الإنسان؟

في أكتوبر 2016، وفي إطار تجربة سريرية على الإنسان، استخدم باحثون من مستشفى تشندزو في الصين لأول مرة أداة جينية تُعرف بـ CRISPR-Cas9 لمحاولة القضاء على سرطان الرئة.² تسمح هذه الأداة - التي تُسمى "المقصات الجينية" - بقطع واستبدال وتعديل أو تعطيل الجين. وفي إطار تجربة أجريت على الفئران، استُخدمت لإزالة فيروس الإيدز من هذه الكائنات. إحدى التطبيقات المحتملة الأخرى لـ CRISPR-Cas9 هي إنتاج أعضاء بشرية، وهي فرضية تُنظر الآن في ضوء نقص التبرعات بالأعضاء.

¹ O. De Schutter et J. Ringelhein, **LA Renonciation aux droits fondamentaux : la libre disposition de soi et le règne de l'échange**, in : la responsabilité, face cachée des droits de l'homme, Bruylants, Bruxelles, 2005, p 460.

² Frédéric Lewino, **les prodiges de la génétique**, n° 2374, le point, 1 mars 2018, p 61.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

في "جامعة كاليفورنيا ديفيس"، يدرس بابلو ج. روس إمكانية جعل الحيوانات مضيقات لـ "زراعة" أعضاء مخصصة للبشر¹. حيث كشف مع فريقه أنهم، باستخدام المقصات الجينية، أدخلوا خلايا جذعية بشريّة في أجنة خنافس بعمر يوم واحد بهدف الحصول على بنكرياس بشري. بعد 28 يوماً من الحمل، كانت الأجنّة الخنزيرية تحتوي بالفعل على خلايا بشريّة، بعضها كان مبرمجاً ليصبح بنكرياساً.

الآن، مع تحقق أعمق التخيّلات المظلمة للأساطير، لا يُدو من المبكر طرح السؤال: هل الكائن ما بعد الإنسان هو موضوع حقوق الإنسان؟

حقوق الإنسان تستند إلى بناء مستوحى من القانون الطبيعي: فالبشرية في كل إنسان هي مصدر الحقوق وأساس طابعها العالمي. بالتأكيد، تمارس هذه الحقوق في إطار المجتمع السياسي، ولكنها تُمْثَّل لكل شخص بسبب بنية البشرية نفسها، فالطبيعة البشرية تعتبر معياراً لمنح الحقوق. والقانون، مع ذلك، لا يُعرِّف الطبيعة البشرية؛ ولا يوضح ما يجعل كل إنسان إنساناً، ففي القانون، الإنسانية ليست سوى فكرة تنظيمية؛ إنما تظهر كحد لا يمكن تجاوزه²، وفي هذه الحالة أي عدم القدرة على تحديد ماهية الطبيعة البشرية في القانون، يمكن القول ما ليست عليه. فمن منظور قانوني، الطبيعة البشرية ليست ذات طابع بيولوجي بحت، فهي تتجاوز ذلك بكثير.

يردد مفهوم الإنسانية القانوني صدى "مفهوم الإنسان البيولوجي والفيزيائي"؛ إنه يشمل جميع أفراد المهومن ساينس أي الكائن العاقل. وفقاً لنصوص الإعلان العالمي حول الجينوم البشري وحقوق الإنسان، فإن الجينوم البشري الذي يدعم وحدة الأسرة البشرية والانتماء إلى النوع البشري هو شرط ليكون الشخص موضوعاً للحقوق، وعادةً ما تكون الولادة في النصوص الدولية لحقوق الإنسان هي اللحظة الخامسة للتمتع الكامل بهذه الحقوق.

وعلى الرغم من ذلك يتتجاوز مفهوم الإنسانية القانوني الجانب البيولوجي. إذ يستخلص منه بعداً رمزياً ليحمي الإنسان بشكل أفضل، ففي النصوص الدولية لحقوق الإنسان، تشكل الإنسانية مطلباً يتتجاوز أو يتعدى أو حتى يتناقض مع البيانات الطبيعية، بمعنى الخصائص البيولوجية للنوع. وبين القيمة الروحية

¹Marcela Vilarino, Shikh Tamir Rashid et al, **Crispr-cas9 microinjection in oocytes disables pancreas development in sheep**, scientific reports-nature, 2017, Disponible en ligne : <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5727233>

²J. Allard, **L'humanité : un concept juridique sans précédent ?** Bruylants, Bruxelles, 2004, p 194.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

والبيانات الطبيعية تمتلك الإنسانية القانونية هوية مزدوجة. وبحمي القانون كلاً من الأنسنة، أي العملية الثقافية التي تشكل من خلالها البناء الرمزي للإنسانية، والتطور البيولوجي الذي أدى إلى الإنسان.

إذا طبقنا الآن هذا المعيار لمنح حقوق الإنسان، وهو الطبيعة الإنسانية، على حالة ما بعد الإنسان والإنسان المتحول، ما هي الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها؟ هل ما بعد الإنسان هو موضوع حقوق الإنسان؟ إن الإجابة على هذا السؤال تمثل تحديين مزدوجين. يتعلق الأمر بمنح ما بعد الإنسان والإنسان المتحول الحقوق المرتبطة بحقوق الإنسان: إذا اعتبر كموضوع، يمكنه المطالبة بحمايتها. هذه النتيجة هي الأكثر وضوحاً. ومع ذلك، توجد أيضاً نتيجة أقل وضوحاً: وهي حماية البشر "الطبيعيين" أنفسهم. في الواقع إن المساواة التي تقوم عليها حقوق الإنسان تتطبق على جميع أعضاء الإنسانية، ولكن فقط عليهم وبينهم، أي لا تتطبق هذه المساواة، على سبيل المثال، بين الإنسان والحيوان أو أي نوع حي آخر. وبالتالي، لا يمكن لفرد أن يدعى أمام القاضي وجود تمييز مقارنة بقدر كبير¹. وعليه إذا تم وضع ما بعد الإنسان والإنسان المتحول خارج نطاق حقوق الإنسان، لا يمكن للإنسان "الطبيعي" أن يدعى تصحيح التفاوت الذي يعاني منه مقارنة بما بعد الإنسان؛ لم يعد من الممكن تسوية الظروف. هنا يمكن أن نفترض فرضيتين: إما أن يعتبر ما بعد الإنسان والإنسان المتحول كافيان لتلبية معيار الطبيعة الإنسانية على حساب تخفيف هذا المعيار، أو يتم تعديل معيار منح حقوق الإنسان، وهو الخيار الذي يفضله مثلي الإنسانية المتحولة.

لفهم تبعات مثل هذا التحدي لمعيار الطبيعة الإنسانية، من المهم تحديد الحقائق المختلفة التي تغطيها مفاهيم الإنسان المعزز، ما بعد الإنسان أو الإنسان المتحول. تشير هذه المصطلحات إلى حقائق غير متجانسة ومُعرَّفة بشكل مختلف. فالإنسان المعزز هو ممثل فردي لنوع الإنسان العاقل (الهومو ساينس) الذي تم تعزيزه بيولوجيًّا أو بيولوجيًّا بواسطة تدخل صيدلاني أو جراحي أو بيولوجي، بشكل قد يكون مؤقتًا. أما الإنسان المتحول الذي لا يعتبر كمناصر لتيار الإنسانية المتحولة بل كنتاج نهائي له، سيكون مثلاً فرديًّا لمجموعة متميزة عن الهومو ساينس؛ سيكون قد تم تعزيزه أو تعديله بواسطة تدخل صيدلاني أو جراحي أو بيولوجي بشكل دائم؛ على سبيل المثال، سيكون تراثه الجيني قد تم تعديله. ومع ذلك، سيحتفظ بالخصائص الرئيسية التي تعرف الإنسانية؛ هذا الإنسان - بينما يبقى إنسانًا - سيتجاوز الإنسانية أي سيكون "هومو ساينس ألتریوس". وأخيرًا، قد يكون ما بعد الإنسان شخصًا أو كيانًا غير بشري يتمتع بقدرات جسدية أو

¹M.A. Hermitte, *Les droits de l'homme pour les humains : les droits du singe pour les grands singes !*, Le débat historique, politique et société, n° 108, janvier, février 2000, p 173.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

فكريّة أو نفسية غير مسبوقة، هذا الكائن قد يكون خالدًا بدون حدود وقدرًا على برمجة نفسه، سيكون خارج الإنسانية أو متميّزًا عنها بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي، سينضمّ كنوع جديد إلى الهومو سايبينس وسيكون "هومو ألتيريوس¹"، أي ما بعد الإنسان.

يمكن تمييز فرضيتين على وجه الخصوصي ضوء هذه التعريفات ومع مراعاة معيار الطبيعة البشرية، الأولى هي تلك المتعلقة بالكائن أو الشخص المعدل وراثيًّا أو المعزز. والثانية هي تلك المتعلقة بالكائن أو الشخص المعزز أو المعدل بواسطة الذكاء الاصطناعي.

فيما يتعلق بالفرضية الأولى، فإن التقنيات الدولية الموجودة بشأن هذه المسألة تتعلق بالاستنساخ، أي إنشاء كائن متطابق وراثيًّا مع آخر؛ وهي لا تتعلق مباشرة بالكائنات المعدلة وراثيًّا. علاوة على ذلك، فإن هدف هذه النصوص هو حظر الاستنساخ، لذا فإن فرضية تطبيق حقوق الإنسان على استنساخ بشري، نتيجة لتجاوز المحظور، لا يتم تناولها، حرصًا على الاتساق. ومع ذلك، من المسلم به أن المستنسخ هو كائن بشري، وأنه ذو طبيعة بشريّة، وبالتالي من المحتمل أن يكون موضوعًا لحقوق الإنسان. على سبيل المثال، في البروتوكول الملحق "باتفاقية أوفيدو"، يتم الحديث عن استخدام الإنسان بإنشاء متعدد لكائنات بشريّة متطابقة وراثيًّا، لكن تبقى مسألة الكائن المعدل وراثيًّا معلقة وقد كانت بالفعل محل نقاش لعدة سنوات. في عام 2016، كانت بريطانيا العظمى أول دولة تسمح رسميًّا بتصميم الأطفال بثلاثة أنواع من الحمض النووي، وبدأ التطبيق العملي في فبراير 2018. هذه التقنية، التي تتمثل في استخراج نواة خلية البويضة من الأم ووضعها في بويضة المتبرعة، بهدف تجنب نقل مرض وراثي إلى النسل؛ وبالتالي، فإنها تعديل الأنساب الجينية. هذا الإجراء يستخدم بالفعل في دول أخرى، ولا سيما في المكسيك: على سبيل المثال، ولد الطفل إبراهيم حسن في سبتمبر 2016 بهذه الطريقة. هذا ويوجداليوم حوالي خمسون طفلاً ولدوا باستخدام هذه التقنية في العالم. هؤلاء الأطفال، الذين هم نتاج لثلاثة كائنات بشريّة، هم بلا شك بشر بيولوجيًّا. وكبقية البشر، يولدون أحراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، بالتأكيد، يمكن للقانون دائمًا - كما فعل في الماضي - أن ينأى بنفسه عن البيولوجيا لاستبعاد بعض فئات البشر من مجال الإنسانية ومع ذلك، فإن ذلك سيخلق فئة جديدة من العبيد وسيكون ذلك نهاية عالمية حقوق الإنسان². سواء كان ذلك استنساخًا أو طفلاً نتاج

¹G.B. Robinson, **Space law for human kind, transhumans, and posthumans : is there a need for a unique theory of natural law principles ?**, Annals of air and space law, n° xxxiii, 2008, pp 289, 290.

²M.A. Hermitte, **Les droits de l'homme pour les humains, les droits du singe pour les grands singes !**, p 174.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

ثلاثة أنواع من الحمض النووي، فإن الكائن البشري، رغم تفرّده وأصوله الفريدة، يظل إنساناً. ومع ذلك، فإن المقصات الجينية تفتح آفاقاً تتجاوز ذلك بكثير، خاصة إذا فكرنا في "زراعة" أعضاء بشرية داخل الحيوانات. فالهجينة هنا تجعل الفئات القانونية التقليدية، وخاصة التمييز بين الإنسان والحيوان تتزعزع. أما الإنسانية المتحولة في الواقع فهي تروج للإلغاء التمييز بين الحي وغير الحي، الإنسان والحيوان أو النبات، وإلغاء التمييز بين الأجناس وهذا من الناحية القانونية. ثم إن إلغاء التمييز بهذا الشكل يهدد حقوق الإنسان، لأنه إذا كانت هذه الحقوق تعلن أن جميع البشر متساوون، فإن الجانب الآخر من هذا الشمول هو استبعاد كل ما ليس إنساناً، مهما كان بعض الحيوانات قريبين منها. هذا الاستبعاد ينطبق أيضاً على الأشياء. ومع ذلك، مع الذكاء الاصطناعي، يتشارب الإنسان وغير الحي بطريقة تجعل من المستحيل التفكير في أحدهما دون الآخر. هذه هي الفرضية الثانية التي يجب النظر فيها.

سعى الإنسان منذ الأزل إلى تحسين نفسه، فاللقاء هو تكنولوجيا بيولوجية غاية في التطرف أين يتم تغيير نظامنا المناعي مدى الحياة، وجهاز تنظيم ضربات القلب يتواصل مع الطبيب الذي يمكنه جمع المعلومات من الجهاز بسرعة كبيرة، دون عملية جراحية¹. ومع ذلك، حتى الآن، كان الإنسان يصلح لا يُحسن. وإذا بدت التفرقة بين هاتين الفرضيتين واضحة، فإن الأخذ في الاعتبار الهدف الطبي كمعيار فاصل يجعل في الممارسة العملية الجدار الفاصل بينهما غير محكم. وبالتالي، يمكن مقارنة الدوافع النفسية البحثة التي تدفع الفرد إلى الجراحة التجميلية مع الدوافع الحميمة جداً التي قد تدفع الشخص إلى تحسين نفسه.

إن مبدأ عدم التمييز في حقوق الإنسان -مع ذلك- يحظر الفروقات التعسفية، فإذا دفعنا هذا المنطق إلى أقصى حد، فإن الإنسان المعزز للغاية والذي يُسمح له بذلك باسم مبدأ عدم التمييز، سيقترب في النهاية مع "الأندرويد"، وستطرح عندها مسألة السماح لهذه الكيانات أيضاً بالاستفادة من حقوق الإنسان²، خاصة وأننا نعلم أن البرلمان الأوروبي اقترح اعتبار الروبوتات أشخاصاً مسؤولين؛ إذا كان يمكن للકائنات الشبيهة بالإنسان أن تكون مسؤولة عن الالتزامات، فإنه ليس من المستبعد أن نفكّر في منحها حقوقاً فيما بعد. ومع ذلك، إذا تم طمس التفرقة بين الإنسان/الحيوان/الشيء، فإن المعيار الذي بنيت عليه حقوق الإنسان سيتعرض للتحدي. سيكون ذلك أيضاً نهاية العالمية، أو بداية عالمية أخرى إذا سرنا في

¹Marc Roux, *L'homme augmenté, mythe ou réalité*, disponible en ligne : <http://www.mondedesgrandescole.fr/l'homme.augmenté.mythe.réalité/>

²يمكن توضيح هذه الفكرة بمثال المرأة الآلية صوفيا التي تحصلت في أكتوبر 2017 على الجنسية السعودية.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

سياق الإنسانية المتحولة، فمن وجهة نظر ممثلتها يجب استبعاد الطبيعة البشرية كمعيار لمنح حقوق الإنسان واستبدالها بالوعي. وبالتالي، في مشروع "إعلان عالمي لحقوق المتحولين، أي الأفراد الوعيين"، يقترحون تعديل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. سيكون نص المادة الأولى يشير إلى أن جميع الكائنات الوعية تولد أو تُخلق حرّةً ومتّساويةً في الكرامة والحقوق، وأنهم يتمتعون بالعقل ويجب أن يتصرّفوا تجاه بعضهم البعض بروح الأخوة. أما فيما يتعلق بـ"عدم التمييز" سيؤكّد على أن لكلّ شخص الحق في التمتع بجميع الحقوق والحرّيات المنصوص عليها في هذا الإعلان، دون تمييز من أي نوع، مثل العرق أو اللون أو الجنس أو المادّة المكونة أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الشروة أو الميلاد أو أي وضع آخر. كما ستُكرّس حرّيات وحقوق جديدة، مثل الحق في مغادرة "أي حامل للوعي" الذي سيكمل "الحق في مغادرة أي بلد" المحمي بموجب المادة 13 من الإعلان.¹ ومع ذلك، من المؤكّد أنه إذا تم المساس بالأساس الذي بنيت عليه حقوق الإنسان أياً كان الطبيعة البشرية فإن الهيكل بأكمله لن يتّسق في التشتقق ومن ثم ينهار تماماً. هذا ما يطرح تساؤلاً ثان: هل الاعتراف بحقوق جديدة ضروري؟

تُعدّ البيانات الجينية خاصة بكلّ فرد ومع ذلك مشتركة مع البشرية جماء. ومن ثم، تتجاوز التدخلات في الجينوم عندما تُمارس على الجنين الخيارات الفردية وتكتسب بعدها جماعياً. في الواقع، في حالة العلاج الجيني الخلوي، الذي تدعمه بشكل خاص تيارات ما بعد الإنسانية، يتم توريط التعديل الجيني إلى جميع الأجيال القادمة، مما يشمل الأجيال المستقبلية. ومع ذلك، فإن هذا البعد الجماعي لا يستطيع استيعاب حقوق الإنسان التي ترتكز على الفرد، كما أن حقوق الإنسان غير قادرة على التنبؤ بالمستقبل، فهي متّمركزة في الحاضر ولا يمكنها -في هذه الظروف- ادعاء حماية الإنسانية المستقبلية. إذًا، يمكن تصوّر مسارين. الأول يتمثل في توسيع فئة حقوق الإنسان لتشمل حقوق الأجيال القادمة. ومع ذلك، فإن هذا التوسيع قد يؤدي إلى تقييّع هذه الفئة من الحقوق. في الواقع، ستتعالى الحقوق الفردية مع الحقوق الجماعية، مما يجعل من الصعب تحديد صاحب الحق بدقة. ولن يكون موضوع الحق نفسه محدداً بوضوح ممّا قد يؤدي إلى سلسلة من التناقضات الداخلية في الفئة. أما المسار الآخر لحماية "العائلة البشرية" يتمثل في الاعتماد على فئة قانونية جديدة مُصممة لذلك أي فئة حقوق الإنسانية. تُعتبر هذه الحقوق في طور التشكيل في المؤسسات الدوليّة المتعلقة بالبيوإتيقا. وهكذا، يجب أن يتّجه التقدّم العلمي والتكنولوجي نحو "مصلحة

¹Marc Roux, pour une déclaration universelle des droits du transhumanism, disponible en ligne : <https://transhumanistes.com/declaration-universelle-droits-transhumain/>

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

"الإنسانية" وفقاً للإعلان العالمي بشأن البيوإتيقا وحقوق الإنسان. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجينوم البشري، الذي يؤسس الوحدة الأساسية لجميع أفراد العائلة البشرية، هو بالمعنى الرمزي تراث الإنسانية وفقاً لما جاء في إعلان الجينوم البشري. ثم إن الإنسانية وفقاً لتعريف عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857)، هي "وحدة اجتماعية ضخمة وأبدية" تتكون من الأحياء وكذلك "الأشخاص الذين سيولدون"، فهي وحدة بين الأجيال – تشمل جميع الأفراد والجماعات البشرية – وبين الأزمنة – تشمل جميع الأجيال. في حين أن الأمة، وفقاً لتحليلات أرنست رينان Ernest Renan (1823-1892)، تستند إلى حد كبير على الإرث الماضي، فإن الإنسانية القانونية تتميز بطابع مستقبلي أكثر من كونها رجعية أي هي الغد أكثر من اليوم. ستكون ذات قيمة أبدية إذا لم يكن التاريخ سينتهي¹. وبالتالي، فإن الإنسانية القانونية تتجاوز بكثير البعد البيولوجي للنوع البشري، وهي عبارة عن مزيج لا يمكن فصله من الأفراد والجماعات والأجيال. حقوق الإنسانية تشبه صاحبها، ولذلك فهي تتمتع بخصائص رئيسية: هي حقوق جماعية وبين الأجيال. ثم إن القول بأن حقوق الإنسانية جماعية يعني أنها لا تختزل إلى مجرد جمع الحقوق الفردية؛ بل هي تتعلق بجميع البشر ولا تنتمي إلى أي منهم على وجه الخصوص. وبالتالي، نظراً لأن الأجيال تتشابك وأن الجيل لا يصعد كفرد واحد إلى مسرح التاريخ، فإن ما يسمى حقوق الأجيال القادمة ليس سوى جانب من حقوق الإنسانية وليس لها استقلالية خاصة بها.

تهدف حقوق الإنسان إلى حماية الحريات الفردية، في الوقت الذي تهدف فيه حقوق الإنسانية إلى الحفاظ على المصالح الأساسية للجنس البشري (الحق في التنمية، الحق في التراث المشترك، الحق في السلام، الحق في البيئة، إلخ). لكل منهما توقيته الخاص، حيث تتحقق حقوق الإنسان في الوقت الحاضر، بينما حقوق الإنسانية موجهة نحو المستقبل. ومع ذلك، تُبني حقوق الإنسانية وحقوق الإنسان على إيمان واحد في عملية الطبيعة البشرية. لهذا السبب، كلّاهما غير قابل للتصرف ولهم طابع موضوعي، أي أنهما يفتلتان من التبادلية، "القانون الذهبي للعلاقات بين الدول"². على الرغم من اختلافها، فإن هاتين الفتلتين من الحقوق مكمليان ومترابطتان: بمجرد أن نصل إلى الإنسانية، يجب أن تتمتع الإنسانية نفسها بالحقوق وإلا سيفقد البشر حقوقهم.

¹R.J. Dupuy, *Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité*, Droits, n°1, 1985, p 69.

²Ibid, p 70.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

تدعو الإنسانية المتحولة منذ عدة سنوات إلىأخذ مصالح الإنسانية في مجال الأخلاقيات البيولوجية بعين الاعتبار بشكل أكبر. ومع ذلك، هناك بعض الالتباس في المصطلحات المستخدمة: هل من المرغوب تكريس حقوق الإنسانية؟ أو واجبات الإنسانية؟ أو حتى واجبات تجاه الإنسانية؟

تعتمد الواجبات التي يتم فرضها على الجيل الحالي، أي على الأفراد والدول التي تتتألف منه، ولكن ليس على الإنسانية نفسها. في الواقع، الأجيال الحالية وحدها، دون الأجيال المستقبلية، فإن بعديها الأفقي (بين الأماكن) والعمودي (بين الأزمان) لا ينفصلان. لهذا السبب، فإن الإنسانية القانونية تتمتع بالحقوق، ولكن ليس بالواجبات، بمعنى لا توجد واجبات للإنسانية. في الواقع، ما يشار إليه أحياناً بشكل مختصر بـ "واجبات الإنسانية" هو واجبات المجتمع الدولي تجاه الإنسانية. مثل هذه الواجبات معترف بها في النصوص الدولية، فوفقاً للمادة 32 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، لكل شخص واجبات تجاه العائلة والمجتمع والإنسانية. وإذا كانت مثل هذه الواجبات موجودة، فهل من المفيد حقاً الاعتراف بحقوق الإنسانية؟ الجواب إيجابي لسيدين على الأقل. في الواقع، الحقوق لديها قوة أخلاقية أكبر من الواجبات وتشجع الأطراف المتضررة على الاحتجاج بشكل أفضل عندما تنتهك مصالحهم.علاوة على ذلك، لا تؤدي الواجبات بالضرورة إلى وجود حق مقابل¹، بينما عندما يُكرس حق موضوعي، تنشأ سلسلة كاملة من الواجبات . بعبارة أخرى، لم تعد هذه الواجبات تعتمد على تضمينها في نص محدد، بل تكون غير محدودة نوعاً ما أو على الأقل بقدر ما هي ضرورية لتحقيق الحق. يؤدي الاعتراف بحقوق الإنسانية وبالتالي إلى توسيع مجال الواجبات.

في هذه الحالة يجدر بنا التساؤل: ما الحقوق التي تضعها الإنسانية المتحولة موضع تساؤل؟ هل يتعلق الأمر بحق الإنسانية في تكاملها؟ في وحدتها؟ أو في عدم تحديدها؟

أثارت الطبيعة القانونية للكرامة نقاشات فكرية هامة فيما يخص الصلة بين الكرامة وحقوق الإنسان، فالكرامة ستكون "المبدأ الأعم" ، هذا المنظور يعتمد على نهج محمد للكرامات، يمكن وصفه بـ "كرامة الحرية"². ومع ذلك، فإن هذا النهج للكرامات لا يسمح بفهم أصلية هذا المفهوم في القانون . في الواقع، بالإضافة إلى الكرامة الفردية، تهدف القاعدة القانونية إلى حماية كرامة الإنسانية نفسها. هذا ما يمكن استنتاجه من

¹E. Brown-Weis, *Justice pour les générations futures : droits internationaux, patrimoine commun et équité intergénérations*, Editions sang de la terre, paris, UNISCO, paris, 1994, pp 93, 94.

²E. Decaux, *Dignité et universalité*, université catholique de louvain, centre des droits de l'homme,louvain-la-neuve, Accadémia, 1999, p 167.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

الخصائص القانونية للكرامة. نلاحظ أن الاعتداء على كرامة شخص واحد يضع كرامة الآخرين في خطر. في قضية "بينيطون" ¹ على سبيل المثال، اعتبرت المحاكم الفرنسية أن التمثيل المهين للمرض يشكل اعتداءً على كرامة كل مريض؛ ومع ذلك، إذا كانت الكرامة الإنسانية حًقا فردًيا، فسيكون هناك حاجة إلى اعتداء شخصي. علاوة على ذلك، -تجليات أخرى للروابط التي توحد الكرامة والإنسانية - فإن شروط التخلّي عن الكرامة الشخصية صارمة بشكل خاص. في قضية "إلقاء الأقزام" ² على وجه الخصوص، أعطت لجنة حقوق الإنسان الحق للمحاكم الفرنسية ³ التي اعتبرت أن العرض -بالرغم من موافقة المعنى- اعتداءً على الكرامة الإنسانية. على العكس، عندما يتعلق الأمر بحق فردي بحث، فإن القضاة يراعون شروط التخلّي بطريقة أكثر مرونة؛ حيث قالت لجنة حقوق الإنسان مرارًا وتكرارًا بأن قبول عقد العمل يعد تنازلًا عن ممارسة الحرية الدينية.

لفهم خصوصية الكرامة، من الضروري فهمها، ليس على مستوى فردي، ولكن على المستوى الجماعي للإنسانية. يمكن وبالتالي اعتبار الكرامة حًقا من حقوق الإنسانية. كل فرد من أفراد الإنسانية، كل شخص يجسد هذه الإنسانية، يمكنه وبالتالي المطالبة باحترام الكرامة.

بالإضافة إلى ذلك يمكن أيضًا استدعاء حق الإنسانية في البيئة في مواجهة الإنسانية المتحولة. على سبيل المثال، يمكن استخدام تقنية CRISPR-Cas9 لإزالة "جين" لدى بعض البعض لجعلها مقاومة للملاريا؛ وبفضل ما يسمى بـ "التعديل الجيني القسري"، سيكون من الممكن تسريع انتشار هذا التحور بين البعض الحامل للملاريا بحيث يمكن لهذه الحشرات المعدلة وراثيًّا أن تستعمر الكوكب بسرعة. كما يتم اقتراح، كبدائل، خلق بعض يحمل جيناً متاحًا للعمق وإطلاقها في الطبيعة للقضاء على هذا النوع خلال بضعة أجيال. ومع ذلك، فإن القضاء على نوع حي يمكن أن يؤدي إلى عواقب غير متوقعة على البيئة. كما يوضح هذا المثال، يجب بالضرورة موازنة حقوق الإنسان (هنا الحق في الصحة) مع حقوق الإنسانية (هنا حق الإنسانية في البيئة). في الواقع، إذا كانت هذه الأنواع من الحقوق مكملة لبعضها البعض، فإنها قد تتناقض أيضًا، فكلما زادت الحقوق، زادت مخاطر حدوث صراعات بين هذه الحقوق. وفي مواجهة هذا الخطر من الصراعات، من المهم تحذب محاولة إنشاء تسلسل هرمي مسبق بين حقوق الإنسان وحقوق

¹ شركة إيطالية اشتهرت بطريقتها الخاصة في عرض أزيائها التي تحاكي من خلالها أوضاع اجتماعية معينة مثل الأمراض والهجرة غير الشرعية بطريقة ساخرة.

² رياضة تمارس في بعض الدول يتم فيها رمي الأقزام في أماكن مخصصة للعبة، بحيث الفائز هو من تكون رميته أبعد.

³ Comité des droits de l'homme, 26 juillet 2002, Wackenheim, France, com, n° 854/1999.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الإنسانية، حيث أن كل حق لا يمكن أن يكون إلا بداية لحق وقد يتعين أن ينحني أمام حق آخر في حالة النزاع. يمكن أن تؤدي المهيمنة المؤكدة للحرية وحقوق الإنسان إلى إضعاف حقوق الإنسانية وتقليل الكرامة إلى الصفر. على العكس من ذلك، قد تؤدي المقاربة المطلقة والهيمنة لحقوق الإنسانية إلى آثار تقيد الحرية، مع العلم أن التذرع بالاعتداء على الكرامة الإنسانية يمكن أن يشكل سلاحاً قوياً ضد الحرية. حل هذه النزاعات، يجب إذن الأخذ في الاعتبار أنه إذا كانت الإنسانية القانونية تتجاوز، فهي أيضاً مبنية على أي فهيم ليست فوق أعضائها، بل هم الذين يتواجدون فيها¹.

فيما يتعلق بالتعزيز الجيني، يدعو ألين بوكانان Allen buchanan (1948-) إلى النقاوة في الحرية الفردية والأبوية المستنيرة، ولكن مع يقظة أخلاقية وسياسية كبيرة. فهو معاد لأي نوع من أنواع التهجين الذي تتبعه الدولة، ويعتقد أن الحظر غير المبرر سيؤدي إلى تطوير سوق سوداء للتعزيز الجيني. لكن هذا لا يعني أنه يجب الاستسلام للسوق، على العكس، يتم الاعتقاد أن الوزن المضاد المطلوب للسوق هو الدولة، التي تعمل على تنظيم السوق، ومن خلال الضرائب، لتقديم الخدمات. يجب على الدولة احترام وحماية الحريات وتنظيم الممارسات من وجهاً نظر الأمانوضمان أن الخيارات الشخصية لا تضر الآخرين مباشرة خصوصاً الأطفال².

يجيب بوكانان عن الأسئلة التي تثير المخاوف الجادة جداً، خاصة فيما يتعلق بـ داخل تفاوتات جديدة في مجتمع غير متساوي أصلاً، يجيب بوكانان:

-أولاً، المشكلة ليست جديدة تماماً، إذ أن الوضع الحالي يتسم بالفعل بعدم المساواة، حيث يتمتع الأفراد الميسورون بالوصول إلى الرعاية والتعزيزات (مثل علم النفس الدوائي ووسائل الراحة) ولديهم القدرة على توفير تعليم أفضل لأطفالهم، مع كل الفوائد المرتبطة على هذه الامتيازات. ومن ثم، فإن هذه الفجوة الهيكلية في المجتمع تستند إلى الطبيعة غير المتساوية وغير العادلة للعبة الطبيعة التي توزع القوى والمواهب بشكل عشوائي.

¹R.J. Dupuy, *Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité*, p 41.

²Gilbert Hottois, *Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme*, p 158.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

- ثانياً، لطالما كانت الابتكارات والتقديرات في البداية متاحة فقط لقلة من المحظوظين، ولكن تدريجياً، في مجتمع ديمقراطي يهتم بالمساواة في الفرص، أصبحت هذه الابتكارات والتقديرات تُشارك بشكل أوسع. فلماذا لا يكون الأمر نفسه مع علم الوراثة، من العلاج إلى التعزيز؟

يمكن للمجتمع الديمقراطي أن يلتزم بالتعزيز التدريجي بشرط ألا ننسى متطلبات الأمان (المخاطر البيوفيزائية) والعدالة (المساواة). ولا تحتاج هذه السياسة إلى أن تكون قسرية، لأن الناس المطلعين والمستقلين يدركون ما هو الأفضل لهم ولأطفالهم. هذه الترقية تحدث جزئياً من خلال السوق نفسه؛ ويجب تشجيعها وتنظيمها وتسهييلها من قبل الدولة. لا يمكن تخيل القائدة التي ستقدمها للأفراد أولاً وللمجتمع بشكل عام، وجود "جين" يمنح مقاومة للأمراض، "جين" يعزز الجهاز المناعي¹. ستحسن هذه العملية المجتمع بشكل عام لصالحة الجميع، بشرط ألا ننسى ونستبعد أولئك الذين قد لا يتمكنون من الاستفادة منها. وعليه يطالب بوكاتان بسياسة اجتماعية تحتم بالعدالة ويعتقد أن النضال ضد لعبة الطبيعة غير العادلة وغير المتساوية يجب أن يكون جزءاً من ذلك.

يصف جون هاريس john haris (1950-) في كتابه "تعزيز التطور: القضية الأخلاقية لجعل الناس أفضل" كل التاريخ البشري كقصة لتحسين البيئة والإنسان بفضل تقنيات اخترعها البشر: الحجر المصقول، اللغة، الذاكرة الاصطناعية، تقنيات التعليم، الكتابة، الطباعة... إلى غاية الإنترنэт. في كل مرة، كان من الممكن الاعتراض بالقول إنه كان خطأ، أو محفوفاً بالمخاطر، أو غير طبيعي، أو نحويًا، أو غطرسة، وما إلى ذلك. التحسين الذي يتم الحديث عنه اليوم يتجاوز تحسين البيئة المادية والاجتماعية البسيطة، إنه يتعلق بالإنسان نفسه الذي يفترض تحسينه. إذا كان من المفترض أن تقود هذه التحسينات تدريجياً إلى تغيير النوع البشري، فهذا ليس كارثة أنثروبولوجية أساسية، ميتافيزيقية، أو لاهوتية، بل هو ظهور مرحلة جديدة من التطور، وهذه الأخيرة أصبحت مسؤولية البشر بشكل متزايد.

في سياق الواجب الأخلاقي للتحسين، لا يوجد أيقونة اجتماعية، سياسي، أو عالمي يحدد شرعية التحسين. إن التحسين في الأساس مسألة فردية، فالفرد هو الأقدر في اختيار ما يعتبره الأفضل له ولأطفاله، بشرط ألا تضر هذه المشاريع مباشرةً بالآخرين. إذا كان هذا يؤدي إلى تحسين المجتمع بشكل عام، فذلك مكسب إضافي، ولكن هذه الآثار الإيجابية لا تؤسس لا الحق ولا الواجب الأخلاقي للتحسين الفردي.

¹Gilbert Hottois, **Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme**, p 159.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

يعتقد هاريس ردًا على نجح بوكانان المتمثل في "من الصدفة إلى الخيار" الذي يبرر التدخلات الوراثية لأنها تهدف إلى تحقيق المساواة في الفرص - أن الاهتمام بالعدالة ليس ما يشرع أساساً التحسين وتنظيمه الاجتماعي. التبرير الرئيسي هو أن التحسين مرغوب فيه من قبل الفرد لنفسه ولأطفاله، فالتحسين جيد بحد ذاته. وإذا كان يسمح بتحقيق المساواة في الفرص وتحسين مصير الجميع، فهو نتيجة مرغوبة، لكنها ليست الشرط الأولي والضروري¹. إن مسألة العدالة ليست خاصة بالتحسين فقط؛ إنما تطرح في مجتمعاتنا محلياً وعالمياً لجميع أنواع المنافع، وخاصةً للابتكارات وللمنافع النادرة. لذا، ليس لأن هناك نقصاً في الأعضاء، ينبغي حظر زراعة الأعضاء بسبب عدم قدرة الجميع على الاستفادة منها.

يستعيد هاريس أيضاً الحجة التي تشير إلى أن معظم الابتكارات بدأت في البداية كأمور نخبوية، ثم، على الأقل في مجتمعاتنا الديمقراطية، تنتشر وتصبح متاحة لعدد متزايد من الأشخاص: النظارات، الساعات، الراديو، التلفاز، الهاتف، الكمبيوتر، نظام تحديد المواقع، الإنترن特، وما إلى ذلك... أصبحت منتشرة بهذا الشكل. لا يوجد سبب يجعل الأمر مختلفاً بالنسبة للتحسينات أيضاً.

هناك قلق فيما يتعلق بتحسين العمر الطويل من حدوث انقسام جديد في المجتمعات يؤدي إلى التمييز بين "الخالدين" و"الفانيين". هذه الاحتمالية، التي لا تبرر حظر الأبحاث التي تهدف إلى تحقيق طول عمر غير محدد أو التفكير في حظر الوصول إليها. إن رغبة الفرد في العيش لفترة أطول وبصحة جيدة هي رغبة مشروعة، والمشاكل الاجتماعية التي تثيرها متابعة هذه الرغبة لا تقلل من جودتها أو من شرعية الرغبة في الاستفادة منها. إن الفجوة الكبيرة في أمل الحياة هي واقع حالي، والشعوب التي تتمتع بعمر أطول بكثير من غيرها لا تعتقد بالتأكيد أنه يجب عليها التخلص من ذلك.

علاوة على ذلك، العمل على توسيع هذا الخير ليشمل عدداً متزايداً من الناس هو واجب من العدالة. إذ لا ينكر هاريس أن التحسين وخصوصاً الخلود سيترتب عليهما عواقب اجتماعية عميقه جداً وسيطلبان إعادة هيكلة جذرية للمجتمعات، بل وقد يؤديان إلى تقسيم النوع البشري، الإنسانية المتحولة لا تثير قلقه أو على الأقل لا يرى فيها اعتراضًا حاسماً.

إن الإطار الفلسفـي السياسي الذي يفرضه هاريس ليس له شيء أصلي؛ يسميه "الافتراض الديمقراطي" الخاص به. إنه الدولة الليبرالية التي تحمي الحقوق والحريات والمسؤوليات الفردية، وهي دولة

¹Gilbert Hottois, **Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme**, p159.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

تعددية تحترم الأفراد والأقليات، مع اقتصاد سوق منظم بشكل أكثر أو أقل. يدعم هاريس التحسين لأنّه يعتبره خيراً في حد ذاته -مع الأخذ في الاعتبار المخاطر والآثار الجانبية السلبية-، حيث يتعلّق الأمر بتحسين وزيادة الصفات والمهارات والقدرات التي تُقدر لذاتها، سواء كانت مقاومة جسدية أو قدرات معرفية أو طول العمر. لكنّ الأمر يعود لكل فرد لتقييم ما يراه الأفضل لنفسه ولأطفاله، طالما أنّ هذه الخيارات لا تضر الآخرين مباشرة¹.

يعتقد هاريس أن التحسين ليس فقط مشروعًا، بل هو واجب أخلاقي على الأقل، ويجب على الدولة تشجيعه، وليس معارضته أو فرضه. مسؤوليتنا هي جعل العالم أفضل، وهذا التقدّم دائمًا ما مر عبر تحسين الحالة الإنسانية. لذلك، يجب تغيير العالم والإنسان، وليس فقط وصفه أو فهمه أو تفسيره، ويمكن للفيلسوف أن يساعد في ذلك من خلال توضيح الحاجة والاعتراضات، والمساهمة في توضيح المشكلات والأسئلة.

يذهب هاريس في اتجاه تقليل الدراما، وتبسيط المشكلات التي تثيرها رؤية التحسين، حيث أنّسألة المخاطر أساسية ولكنها لا تطرح مشكلة محددة، فالحرية الفردية في اختيار التحسينات هي حرية مثل غيرها. والوسائل التي تشكّل التحسينات الميكانيكية، الكيميائية، البيولوجية، الجينية...، خارج الجسم، داخل الجسم... هي وسائل مثل غيرها. التفريّق بين العلاج والتحسين ليس حاسماً لتبرير أو حظر الممارسات بشكل مطلق، إذ أنه بين التحسين والعلاج، هناك استمرارية مليئة بالاختلافات الدقيقة وليس تبايناً أو تمييزاً واضحًا، مثل: الذاكرة والعمر، مثل إدخال جينات مقاومة مقارنة بالتطعيم.

3- حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري:

يتبنّى أنصار الإنسانية المتحولة الأيديولوجيا الليبرالية التحررية، حيث يعلن أبرز مؤسسيها ماكس مور على سبيل المثال، في ميشاقه بعنوان "مبادئ الإيكستروبيا الإصدار 3.0" بأن الاستقلالية الفردية والمسؤولية تترافقان مع التجربة الذاتية، إذ يتحمل ممثلي الإنسانية المتحولة مسؤولياتهم تجاه تبعات قراراتهم الحرة. فالتجربة الذاتية والتحول الذاتي لا يأتيان بدون تحمل المخاطر، لكن ما دامت هناك رغبة في التحرر، فيمكن تقييم هذه المخاطرة ومزاياها بالنسبة للراغبين في ذلك.

¹Gilbert Hottois, **Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme**, p 160.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتي

يُوافق فيري على أن تيار الإنسانية المتحولة مرتبط بشكل عميق بالليبرالية الفردية وحتى النيو ليبرالية، اللتان تدعمان الحرية كحق إنساني، كما تهتم بالمشاكل الاجتماعية مثل الفقر والظلم وعدم المساواة. إذ أنها تهتم بحقوق الإنسان وتعمل على ترقيتها¹.

يعتقد فيري، أن أول حق تدافع عنه الإنسانية المتحولة هو الحرية، بل يعتبرها هدفها النهائي، لأن من خلالها يتم محاربة جميع أشكال المعاناة وتوفير أقصى قدر من السعادة البشرية. وهذا ما يفسر نجاح هذه الحركة المتزايدة بشكل كبير، خاصة بعد تبنيها كذلك النزعة النفعية، لهذا فهي تسعى إلى تحقيق السعادة والتوجه نحو المتعة والرفاهية وتجنب الألم والمعاناة، هذا المنطق النفعي طبيعي في الإنسان ويتحكم في أفعالنا، لكن هذا لا يعني أنها مذهب يكرس المصالح الشخصية فقط، بل هي تهتم بتحقيق السعادة لأكبر عدد من الكائنات القادرة على الشعور بالألم والسعادة. فهي تهتم بالكل وتأخذ في الاعتبار الصالح العام. ومن هنا يأتي الواقع، كما نراه في الإعلان الترانس هيوماني الإكستروبي: أن جميع الكائنات التي قد تشعر بالألم أو السعادة، بما في ذلك الحيوانات وربما في يوم من الأيام الآلات الذكية، يجب أن تأخذها في الحسبان أخلاقياً نزعة الإنسانية المتحولة التي تسعى إلى المساواة العميقة.²

يجزم فيري -في موضوع الحقوق- بأن هذا المشروع يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو الحديث عن حقوق بقية الكائنات وال موجودات: الحيوان والبيئة، إذ أن المجتمعات القديمة قد تجاهلت فئة كاملة من الكائنات بسبب تحيزاتها العنصرية والإنسانية ومعاداتها للحيوانات، حيث يعتبر البشر الوحيدون حاملين للحقوق³. فعلى مدى القرنين الماضيين على الأقل، تمثل حركة الديمقراطية في عكس هذا المنطق الضار. بعد الاعتراف المتأخر بحقوق السود والعبيد، جاء دور حقوق المرأة والأطفال والجانين، والآن حان دور الحيوانات لدخول مجال الحماية القانونية. إذن تسعى حركة الإنسانية المتحولة إلى الاحتفاظ بموروث الإنسانية التقليدية الإيجابي فقط، والمتمثلتحديداً في العقلانية والتفكير النقدي والمساواة والحرية وحقوق الإنسان خاصة.

تبعد الحقوق الطبيعية والمكتسبة وفقاً للبيولوجيون المحافظون من الأخلاق، والتي بدورها تكون متتجذرة في الطبيعة البشرية. ومنه، فأي محاولة لتعديل أو تغيير هذه الطبيعة فهو ينذر بتهدم الأخلاق والقضاء على الحقوق الإنسانية. لكن فيري ينتقد هذه الرؤية الساذجة على الصعيد الفلسفية، حتى أن الحقائق المرئية

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 56.

²Ibid, pp 56, 57.

³ibid, pp 57, 58.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

البساطة تدحضها وتبين تحفتها. فعند النظر إلى تاريخ الإنسانية بجعلنا نشك في فكرة أن الحقوق متجذرة ومرتكنة بالطبيعة الإنسانية الأصيلة. فهذا القرن العشرين مثلاً، شهد إبادة الأرمن على يد الأتراك، وال الحرب العالمية الثانية، والستين مليون قتيل، والمولوكوت، والشيوعية التي أودت بحياة 120 مليون شخص، ومؤخراً المجازر في أمريكا اللاتينية في ستينيات القرن الماضي، وفي الهند وكمبوديا والجزائر ويوغوسلافيا وسوريا وجمهورية إفريقيا الوسطى والعراق. عموماً، في جميع أنحاء العالم، وحدياً جداً مع أتباع داعش -ومع ما يحدث في غزة حاليا-. وعليه، فهل نحن متأكدون تماماً أن الاهتمام الرئيسي للإنسانية هو التعاون والتضامن والسلام والأخوة والحقوق؟ هل نحن متأكدون حقاً أن الطبيعة جيدة لدرجة أنه يجب علينا ألا نحسنها، ولكن نحتفظ بها على ما هي عليه بامتنان؟ من الواضح عند فيري أن هذا لا يبرر رفض مشروع تحسين وتعديل الإنسانية، لأن الحقوق والواجبات والقيم الأخلاقية يعتمدان على حرمتنا، التي لا يمكن لأي شيء أن يجعلها أفضل مسبقاً¹. وعليه، فإذا كانت هناك حقوق إنسانية، فإنها على عكس ما يدعوه البيولوجيون المحافظون، من العودة إلى الطبيعة البشرية الأصيلة، بل هي على الأقل نتيجة لانتزاع مؤلم من الطبيعة وتتأثر بثقافة ديمقراطية متطورة للغاية، والتي لا تزال في كثير من الأحيان ممحورة في أوروبا وأتباعها الغربيين.

يمكن أن نفترض -فيما يخص الحق في الحرية- وكما يقترح هابرمانس أن نوعاً من "سوبر ماركت الصفات" للأطفال يتم فتحه. ستبقى، حسب فيري، أربع احتجاجات ممكنة على حجج هابرمانس. أولاً: إن التمييز بين الطبيعة والمطبع ليس مقنعاً أخلاقياً، إذ لا يوجد شيء يسمح علمياً بالتأكد على أنه يمكننا يوماً ما برمجة القدرات بسهولة كما يفترض هابرمانس وبطريقة أحادية المعنى لهذا أو ذلك للفنون مثلاً، بدلاً من العلوم أو العكس. وبين 8000 و11,000 "جين" يشاركون في أدنى أنشطتنا الإدراكية، وأن نتصور أن التعديل الأحادي المعنى يمكن أن يغير هذا النشاط بطريقة مبرمج ليس له معنى. وهذا السبب، فإن الصفات التي يستهدفها التحسين البشري هي عامة، مزيد من الذكاء، ومزيد من القوة، ومزيد من الحساسية بشكل عام، وليس خصائص خاصة، ولا ترتبط بتخصص مدرسي معين. حتى لو افترضنا ذلك من باب المناقشة، فمن الصعب أن نرى كيف يكون التراث الاجتماعي واللغوي والأخلاقي والثقافي، الذي يتم نقله عن طريق التعليم، أكثر تأثيراً أو أسهل للأطفال في المناقشة من تلك التي تأتي من الطبيعة، سواء على الصعيد الاجتماعي أو الطبيعي، فإنه يتم ممارسة الحرية فيما يتعلق بما يتم تقديمه من تاريخ، وليس فقط من الطبيعة.²

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 69, 70.

²Ibid, p 80.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

بالإضافة إلى أن أهلنا يختارون مدارسنا وتوجيهاتنا الدراسية، كما يفرضون علينا بشكل كبير عناصر ثقافية لا رجعة فيها، مثل اللغة الأم ورؤيتهم للعالم ومبادئهم الأخلاقية. فما الاختلاف الكبير بين ذلك وبين الموهاب الطبيعية التي يمكن أن يقرروا تعزيزها؟ الطبيعة صامدة، كما يقول هابرمانس، ولكن هذا لا يفهم أن كل حالة، سواء أكانت طبيعية أو تاريخية، هي بيان أساسي يشكل سياقاً لمارسة الحرية بدلاً من عرقلتها. فحتى لو افترضنا أنه من المنطقي أن الطبيعة تكون أكثر صلابة وأكثر صمتاً من التاريخ والبيئة الاجتماعية والتعليم، وعلى أية حال، عدم فعل أي شيء يكون مؤثراً بنفس القدر مثل الصمت.¹

يدعى هابرمانس حسب ما يراه فيري أن الأطفال يمكنهم أن يلوموا آباءهم على اختيارهم بعض الصفات الطبيعية الوراثية، وأن هذا الاختيار سيكون مختلفاً عن الاختيارات الأخرى التي قاموا بها فقط من خلال التربية. لكن كيف لنا ألا ننتبهأن عدم الاختيار هو أيضاً خيار؟ وعدم فعل أي شيء هو أيضاً قرار بمجرد أن الفعل ممكن؟ فهابرمانس في هذه الفكرة يستشهد بكتاب بوكانان "من الصدفة إلى الاختيار". لكن هنا، بوكانان بلا شك يمكن أن يسألة: لماذا تكون الصدفة أفضل من الاختيار، علماً أن أطفالنا يمكنهم أن يلومونا على عدم فعل شيء بدلاً من اختيار تحسين معين لهم؟ ولنفترض مرة أخرى أنه يمكن قبول اعتراضات هابرمانس، ستظل المشكلة هنا أنها لا نرى أي فرق أخلاقي يمكن أن يكون موجوداً بين البشر المرضى والبشر غير المرضى. فالتعديل البشري لا يدعو فقط إلى تحسين الجانب الفكري والأخلاقي للإنسان، بل يدعو أولاً وقبل كل شيء إلى التخلص من المعاناة المرتبطة بالشيخوخة والمرض والعجز والموت. حتى وإن افترضنا أنها لا نرغب في أن نصبح أقوى أو أكثر ذكاء، وهو أمر مقبول في كثير من الأحيان، فمن يرغب هنا في الشيخوخة والموت؟، صحيح قد يتقبل البعض هذا الأمر، وربما يكون هناك بعض اليائسين من الحياة يشعرون برغبة في إنهائها -وهنا يبقى احتمال الانتحار مفتوحاً- لكن في العموم، الجميع سيرغبة في هذه التعديلات الالزمة من أجل إطالة العمر والصحة الجيدة². وفي هذه الظروف، لا يوجد أي معنى أخلاقي للتميز الذي يقوم به هابرمانس بين الموافقة على تجنب الأذى المرضي، حيث يمكن أن تظل التعديلات الجينية مشروعة لأنها علاجية، وتجنب الأذى المرضي مثل الشيخوخة، وربما في يوم من الأيام الموت.

يكمن الأساس الذي يقيم عليه هابرمانس حججه ضد التلاعب الجيني المادف لتحسين الطفل هو فكرة أن علاقته بالحرية قد تتعرض للاختلال في وقت لاحق، مما يؤدي إلى تدهور صورته لنفسه ككيان حر

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 81.

²Ibid, pp 81, 82.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

بشكل لا رجعة فيه. لكن هناك خلط كذلك بين الموقف أو الوضع وبين التحديد، وهذه نقطة مهمة جداً في نظر فيري - كما ذكرنا سابقاً - فنحن دائماً محاصرون في سياق ما، مسجلون في حالات تاريخية وطبيعية محددة تماماً. ولكن الوضع أو الموقف أو الحالة - بعض النظر عنهم وإن كان السجن نفسه - سيظل دائماً مكاناً لمارسة الحرية البشرية، أياً كان ما اختارته أو لم تختاره من قبل الآخرين، بالتحديد من قبل الوالدين. فإن ذلك لا يغير شيئاً على الإطلاق، لأن عدم الاختيار هو اختيار آخر.

يندفع مثلي الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني إلى التحرر ودفع حدود التقاليد الكلاسيكية التي هي بمثابة قيود قدر الإمكان من أجل أن يكونوا أحراراً في جميع مجالات الحياة. أحراراً في الكلام، حيث يجب أن تسود أخلاقيات المناقشة في جميع الظروف على حجاج السلطة. أحراراً من أي عباءة مالي، سواء في الوصول إلى البيانات أو الصحة أو البرامج مفتوحة المصدر أو البرامج على الويب، حيث يجب أن يصبح المجاني القاعدة العالمية. أحراراً لأنهم تحرروا من الوسطاء، سواء داخل شبكات المرضى أو بين الأفراد الذين يتداولون السلع والخدمات. أحرار في التعلم عبر الإنترنت في أي ساعة من النهار أو الليل بفضل MOOC أو الدورات المجانية. أحراراً لأنهم تحرروا من مهني المعلومات، الصحفيين، الناشرين، وحتى الطابعين، لأننا يمكننا الحصول على المعلومات مباشرة على الشبكة الاجتماعية، ولكن أيضاً لأننا نمتلك الآن جميع الوسائل لننشر بأنفسنا ونضع كتبنا على الإنترنت بتكلفة هامشية صفرية¹. باختصار، إنها يوتوبيا الحكم الذاتي في جميع المجالات التي تشكل البنية التحتية الميتا فيزيقية، والمثال الأخلاقي، والمهدف النهائي للتكنولوجيات الجديدة وتأثيراتها المتعددة في الحياة اليومية. ومع ذلك، هناك من يدافعون عن الأطروحة المقابلة تماماً، حيث يكتشفون في هيمنة التكنولوجيا العالمية ظل "الأخ الأكبر" أو شمولية من نوع جديد يمكن أن تبيد قبل كل شيء حرياتنا.

إذا كانت قيمنا الجديدة تمثل في أن نصبح خالدين، وأن نتجاوز حدود فرديتنا "لكي تكون كما نشاء"، وأن نغير قواعد مجتمعنا، هل ستتمكن القوانين الأخلاقية من إدارة مواجهاتنا مع " الآخر" ، سواء كان إنساناً محسناً، آلة، روبوت، أندرويد، أو ساينورغ؟ هل سننجح في الجمع بين الأخلاق والتكنولوجيا؟

في حضارتنا الحالية، يتحمل كل إنسان مسؤولية أفعاله، ويجب أن يأخذ بعين الاعتبار عواقب أفعاله تجاه نفسه أو تجاه الآخرين، سواء كان ذلك بشكل واعٍ، أو بداع العادة، أو غير مقصود. فإن قراراتنا تستند إلى نوع معين من الأخلاق أو المبادئ التي تدفعنا إلى اتخاذ "الاختيار الجيد". ثم إن قيمنا التي تحدد سلوكنا،

¹Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 158.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

هي من نوع الوجود والخير، وتشير إلى مُثُلٍ يجب السعي لتحقيقها (مثل الاستقلالية، الحياة، الصحة، العدالة)، ومبادئ (توجهات عامة للعمل تحدد سلوكيات مثل تقرير المصير،�احترام الحياة، وإعطاء كل ذي حق حقه)، ومعايير وقواعد لتحديد أفعالنا أو توجيه قراراتنا. اليوم، تُفضل الأخلاق التي تؤسس الحياة الجيدة للناس على علاقة سلمية مع أنفسهم ومع غير البشر، سواء كانوا حيوانات أو آلات، حتى وإن كنا لا نزال خائفين من دمج ما أنشأنا في عالمنا الفكري والأخلاقي: المختلف، التقنية، قوة الآلات. في المستقبل، ستمر "الحياة الجيدة" للناس من خلال تحقيق السلام مع غير البشر. سيكون من الضوري التفكير في هذا بجدية وطرح سؤال عن مدى استعدادنا لمشاركة قيمنا مع "آخرين"، وفي أي مرحلة يجب أن نعتبر هؤلاء الآخرين "كائنات" كاملة. بمعنى آخر، يجب أن نعرف متى يتوقف هؤلاء "آخرون" عن كونهم وسائل ويصبحون كائنات حية مستقلة يجب علينا احترام استقلاليتها، والعيش "بشكل جيد" معهم¹. لكن الخطر في هذه المرحلة هي العلاقات الموجة التي ستنشأ بين البشر أنفسهم، لأنه إذا كان الاستخدام المتكرر للتكنولوجيا الجديدة قد قلل بشكل كبير من مستوى صبرنا، فكيف سيكون الحال مع درجة التسامح تجاه إنسان يعارضنا، بينما سيكون روبوتنا العزيز متعاطفًا؟

¹Béatrice Jousset-Couturier, **Le transhumanisme**, p 148, 151.

ثالثاً: قضية الكرامة الإنسانية

يُستخدم مفهوم الكرامة الإنسانية حالياً في الأخلاقيات الحيوية لتوضيح مجموعة متنوعة من المخاوف. تشمل أمثلة هذه الحالات: الممارسات المتعلقة بحالات بداية ونهاية الحياة؛ الرعاية المناسبة للمرضى، علاقات الطبيب/المريض، ومشروعية أبحاث الخلايا الجذعية. بالإضافة إلى ذلك، يُستخدم مفهوم الكرامة الإنسانية بشكل متزايد لمعالجة المخاوف المتعلقة بتقنيات الاستنساخ البشري، والتعزيز الجيني، وعلى وجه الخصوص، كوسيلة لمعارضة الإنسانية المتحولة أو التعزيز الجندي. في هذا السياق، غالباً ما يتم وصف ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة على أنها إهانة للكرامة الإنسانية بطريقة تبدو أنها تهدف إلى إيقاف إمكانية المزيد من النقاش.

1-البيومحافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية:

تبدأ الروايات حول الأصول التاريخية لمصطلح الكرامة عموماً بوصف استخدامه في العالم القديم؛ كما يتضح من أول إشارة مسجلة إلى المفهوم من قبل شيشرون Cicéron (43ق.م-106ق.م)، وكذلك استخدامه من قبل الرواقيين. ومع ذلك، يطرح فوستر Foster أن ملامح الاحترام للكرامة تسبق الإشارات المكتوبة وتظهر في التمثيلات التصويرية المحفورة على جدران الكهوف خلال العصر الحجري القديم الأعلى أو أواخر العصر الحجري. هذه التمثيلات، التي تصور تحولات في دفن الموتى من الدفن في حفر مغطاة بالأوكر الأحمر إلى التلال والأضرحة الفخمة، تشير إلى الالتزام بتصرفات معينة أو احترام للموتى¹. هذا الاحترام المنوح للموتى في مثل هذه الحالات، يشير إلى تبجيل للبشر بسبب امتلاكهم لجودة مميزة معينة، أو ببساطة لأنهم بشراً وليسوا حيوانات. يتماشى هذا الرأي مع مفاهيم الكرامة المعاصرة التي تدعي أن الأفراد يستحقون معاملة كريمة أو احتراماً بسبب كرامتهم الذاتية، التي تُنسب إليهم بسبب إنسانيتهم.

تعبر الكرامة الإنسانية عن الحالة التي يبحث عنها الإنسان ليعيش عظمته، وهي مرتبطة بطبيعته الروحية الجسدية، هنا يحيط مفهوم الكرامة الإنسانية إلى خاصية لا تنفصل عن وجود الإنسان في حد ذاته،

¹C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, Oxford and portland : Hart publishing, Oregon, 2011, p 27.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

وهذا ما يفسر ثباتها وأنها مشتركة بين جميع الأفراد دون تمييز من حيث السن أو المكانة الاجتماعية أو الخصائص الجسمية والعقلية أو الخلقية... إلخ¹. كما أن مصطلح الكرامة مشتق لغوياً من الكلمة اللاتينية dignitas، والتي لها عدة معانٍ. يرتبط التفسير الهوميروسي للكرامة بصفات التمييز أو السلوك الاستثنائي الذي يظهره الأفراد، فالصفات النموذجية التي تُعتبر كريمة في هذا السياق، هي تلك المرتبطة عموماً بآبطال هوميروس، وهي الشجاعة، مهارة الحرب، الكرم... إلخ. ومع ذلك، فإن وجود وإظهار مثل هذه الصفات يُنظر إليه على أنه يحدث بناءً على كرامة أعمق يمتلكها البطل. بمعنى آخر: يتصرف المرء بطريقة تستحق الإعجاب ويظهر مثل هذه الصفات المرغوبة، لأن لديه كرامة متصلة، وليس لكونه كريماً كنتيجة لإظهار صفات تستحق الإعجاب مثل الشجاعة². هنا، يمكننا أن نلاحظ مفهوماً أرستقراطياً للكرامة كشيء يمتلكه فقط أقلية نبوية، وهم أبطال العالم القديم. بالإضافة إلى ذلك، تُمنح صفة الكرامة هنا للفرد بناءً على ملاحظات الآخرين له، وليس على إعلان ذاتي. الكرامة هنا، إذن، هي "علاقة"، بمعنى أنها قيمة مُبنَّأة تتطلب إظهاراً مستمراً لوجودها المستمر، من أجل إثارة تقدير الآخرين.

يؤثر هذا التفسير الأرستقراطي للكرامة أيضاً على الاستخدام الآخر للمصطلح في اليونان الكلاسيكية، كونه يشير إلى: مكانة اجتماعية عالية والتكرم والمعاملة الحترمة التي تستحق لمن يشغل موقعًا معيناً³. امتلاك الكرامة هنا قد تحول قليلاً من الارتباط بالسلوك أو الصفات الجديرة بالإعجاب، إلى الارتباط بمنصب أو دور في المجتمع. يمكن أن تتفاوت كرامة هوميروس وكرامة المكانة بدرجة أكبر أو أقل، نظراً لأن سلوكيات معينة وأدوار اجتماعية قد ترتبط بدرجات أعلى من الكرامة مقارنة بغيرها.

بالإضافة إلى ذلك، تكشف كتابات شيشرون عن تفسير بديل أو غير عادي لمفهوم الكرامة، والذي يظهر مجدداً خلال عصر النهضة وتم تطويره في فترة التنوير. في كتابه De Officiis (حول الواجبات)، يستخدم شيشرون المصطلح للإشارة إلى المكانة أو السلوك أو الهيئة المشرفة، ومع ذلك، فإنه يلمح أيضاً إلى الكرامة التي يمتلكها البشر مجرد أنهم بشر، وليسوا حيوانات؛ بعبارة أخرى، الكرامة الإنسانية⁴. يعزّز شيشرون هذه الكرامة إلى العقلانية المتأصلة في البشر، ويجادل بأنها نتيجة لعقلانيتهم، لا ينبغي للأفراد أن

¹ محمد جيدى، الأفق البيوأيتيقي، ج 2، ص 259.

² C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, p 27.

³ M. Rosen, **Dignity : its history and meaning**, Massachusetts, harvard university press, Cambridge, 2012, p 11.

⁴ C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, p 28.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يحيطوا من قدرهم، ومن كرامتهم، بملائحة حياة تستند إلى المتع الحسية التي يراها متعارضة مع مكانتهم ككائنات عقلانية.

يبدو أن هذا المفهوم للكرامة الإنسانية المتأصلة، الذي أشار إليه شيشرون بحذر، قد طغى عليه التركيز على الصفات الذهنية أو الرواقية للكرامة، التي سادت خلال العصور الوسطى اللاحقة. وهكذا، ارتبط تفسير العصور الوسطى للكرامة الإنسانية بالتخلي عن الجسد البشري لصالح نقاء الروح المسيحية¹. ما هو مهم ملاحظته هنا، هو أننا لدينا أصول لمفهومين متميزين للكرامة، وللذين كانوا موضوع نقاش واسع في العقود الأخيرة. من ناحية، يمكننا تحديد الكرامة كصفة أو خاصية للأفراد التي قد ترتبط موقع معين أو دور يشغلونه، أو تظهر من خلال أفعالهم، تُنبلج هذه الكرامة بدرجات متفاوتة ويمكن أن تفقد أو تُكتسب. من ناحية أخرى، لدينا ظهور لما يفترض أنه فكرة حديثة ومعاصرة بوضوح، وهي الكرامة كحالة متأصلة أو الكرامة الإنسانية، هذه الكرامة تمتلكها الكائنات البشرية بسبب صفة معينة لديهم، التي تعتبر بشكل خاص إنسانية. وقد تطور كلا المفهومين للكرامة على مسارات مختلفة نتيجة لظهور البيانات اليهودية-المسيحية خلال العصور الوسطى.

إن مناقشة الاستخدام اليهودي-المسيحي لمفهوم الكرامة له أهمية خاصة²، بسبب وجود الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن استخدامه المعاصر يبدو مشبعاً بروابط دينية، والتي تفترض ضمنياً أساساً لاحترام الكرامة الإنسانية في المقام الأول. في الواقع، يرى بعض المفكرين الذين ينظرون إلى هذا المفهوم بشك عميق، أن الكرامة هي مفهوم ديني في جوهره، يتخفى في صورة علمانية. يرجع التفسير اليهودي-المسيحي للكرامة الإنسانية إلى العصور الوسطى، ويستند إلى مفهوم *Imago Dei*، الذي يشير إلى الروايات الدينية التي تصف الإنسان بأنه مخلوق على صورة الله. هذا التفسير للكرامة يعطي قيمة جوهرية للبشرية، مستندة إلى علاقتها بالله كخالق؛ الذي في جودته المطلقة، وقدرته الكلية، وعلمه الكامل، اختار أن يخلق البشر، مما يستلزم معاملتهم بطريقة معينة. يُستخدم *Imago Dei* أيضاً لتبرير فحصانة الإنسانية إلى موقع هرمي في النظام الطبيعي للأشياء، مما يمكنها من السيطرة على العالم الطبيعي وسكانه غير البشريين³.

¹Ibid, p 28.

² تم تناول المظور المسيحي واليهودي للكرامة مع عدم التطرق إلى الإسلام تماشياً مع آراء لوك فيري الذي يرى أن مفهوم الكرامة مهماً اختفت دلالاته مع ظهور العلمنة إلا أن جذوره تبقى دينية ترجع إلى التصور الذي قدمته المسيحية واليهودية.

³R.P. Kraynak, **Human dignity and the mystery of the human soul**, University of Notre Dame press, New York, 2001, p 75.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يمكن اعتبار النظرة إلى الكرامة الإنسانية التي تطورت خلال عصر النهضة كأساس لتفسير الحديث والعلمي للكرامة؛ أو كجسر بين المفهوم الديني للكرامة الذي يميز العصور الوسطى والكرامة الكانطية، التي سيتم مناقشتها أدناه. ومع ذلك، كانت هذه النظرة في عصر النهضة لا تزال مشبعة بالدين، نظراً لأن الأسس الدينية للكرامة كانت تفترض كأمر مسلم به. ومع ذلك، تم إيلاء المزيد من الاهتمام لشرح طبيعة هذه الكرامة، ولا سيما آثارها على قضايا المساواة والاستقلالية. كما تم خلال عصر النهضة تحويل الارتباط الرواقي للكرامة بالعقلانية البشرية، إذ أصبحت العقلانية تُعتبر الجوهر المميز للإنسان وأساس الكرامة الإنسانية. ولقد أدى التحول نحو النزعة الإنسانية خلال هذه الفترة إلى دمج العقل مع الاستقلالية، وبالتالي الكرامة مع الاستقلالية. هذا التحول الهام، الذي ارتبطت فيه الاستقلالية بالكرامة، وصل إلى ذروته خلال عصر التنوير.

إذا كانت بذور علاقة الكرامة بالعقلانية قد رُزعت من قبل الرواقيين وسُقِّيت بأفكار عصر النهضة التي ربطت العقلانية بالاستقلالية، فإن عصر التنوير يمكن اعتباره التربة التي نمت فيها العلاقة بين الاستقلالية والكرامة، حيث تشكل أسس التنوير للكرامة، وتحديداً أسسها الكانطية، نقطة تحول في تاريخ وتطور الكرامة الإنسانية كأساس لحقوق الإنسان بشكل عام.

يُعتبر كانط بشكل عام المفكر الأكثر تأثيراً في توضيح مفهوم الكرامة الإنسانية، وهذا يُستدل عليه من خلال حقيقة أن كل دراسة تقريباً حول طبيعة هذا المفهوم تتضمن إشارةً ومناقشةً لأصوله الكانطية، وعُنْدَ اعتبار التصور الكانطي للكرامة كمركز لانفصال المفهوم عن جذوره الدينية. وقد مُكِّن هذا الانفصال من إعادة تفسير الكرامة الإنسانية بشكل علماني كأساس لحقوق الإنسان، وهو ما يُظهره الآن في العديد من أدوات حقوق الإنسان المعاصرة، ومواثيق أخلاقيات علم الأحياء، ودساتير دول مختلفة.

يمكن العثور على المصدر الرئيسي لأفكار كانط حول الكرامة في كتابه "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" (1785)، بالنسبة لكانط، تشير الكرامة إلى القيمة الأخلاقية المطلقة، المتأصلة وغير القابلة للتصرف، التي تُميِّز الإنسان. وتعتمد هذه القيمة على حقيقة أن كانط يرى أن البشر يتميزون بعقلانية جوهرية. وبفضل هذه العقلانية، يستطيع البشر ممارسة الاستقلالية، مما يمكنهم من خلق القوانين الأخلاقية والحكم عليها. ومن ثم، يمكنون قادرين على تعميم هذه القوانين الأخلاقية كمسلمات، يمكن اتباعها من خلال الاختيار واحترامها في الآخرين. ويعتمد الأساس النظري الأخلاقي لكانط على الواجب المطلق، الذي يمكن فهمه بطرق متعددة تبعاً للاستخدامات المختلفة التي يوضع لها في أعماله. ومع ذلك، فإن التفسيرات الأكثر

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

انتشاراً للواجب المطلق تُعرض عادةً كصيغة القانون العالمي وصيغة النهاية في ذاتها. تنص الصيغة الأولى على أنه يجب على المرء أن: يعمل فقط وفقاً للمبدأ الذي يمكنه في الوقت نفسه أن يريد أن يصبح قانوناً عالمياً¹. بمعنى آخر، يجب أن توجه أفعال المرء وسلوكيه بواسطة قاعدة تتطلب من الشخص أن يتأمل فيما سيحدث إذا تصرف أو سلك الجميع بطريقة مشابهة. أما الصيغة الثانية فتنص على أن: يعمل بحيث يستخدم الإنسانية، سواء في شخصك أو في شخص كل آخر، دائمًا في نفس الوقت كغاية وليس مجرد وسيلة².

ما هي أهمية هذه القوانين إذن، بالنسبة للطريقة التي يستخدم بها كانتط مفهوم الكرامة؟ يجادل كانتط بأنه في مملكة الغايات، كل شيء له إما سعر أو كرامة. ما له سعر هو شيء يمكن أن يوضع في مكانه شيء آخر كمكافئ له؛ بينما ما يرتفع فوق كل سعر، ولا يقبل أي مكافئ، فله كرامة، والأخلاق هي الشرط الوحيد الذي يمكن من خلاله للكائن العاقل أن يكون غاية في ذاته، لأنه فقط من خلال الأخلاق يمكن أن يكون عضواً تشعرياً في مملكة الغايات. لذا فإن الأخلاق والإنسانية، بقدر ما هي قادرة على الأخلاق، هي وحدها التي لها كرامة³.

لقد أثرت العديد من أفكار كانتط ليس فقط على المفاهيم المعاصرة للأخلاق، ولكن أيضاً على وجودها في العديد من الحجج في مجال الأخلاقيات البيولوجية. ومع ذلك، من الواضح أيضاً أن هناك توترة في مفهومه للكرامة، وذلك بسبب أن مفهوم الكرامة الكانتطي قد استمر، مما يجعله يستمر في إثارة مشكلات في استخدامه الأخلاقيات البيولوجية الحديثة. وكما يشير بيليفيلد وبراونسوردBrownsword وBeyleveld، فإن الكرامة الكانتطية، من ناحية، تدعو إلى التمكين، وهو ما يتعلق، في سياق الأخلاقيات البيولوجية، بمسألة الموافقة المستنيرة أو استقلالية المريض. ومن ناحية أخرى، تشير إلى القيود؛ وهو ما يتعلق، في سياق استخدامها في الأخلاقيات البيولوجية، بالحجج التي تسعى إلى تقييد الممارسات البيوتكنولوجية التي تعتبر إشكالية، بما في ذلك الإجهاض، وأي ممارسة تستفيد من الأجنة وتدميرها، مثل أبحاث الخلايا الجذعية، وبالطبع التعزيز الجيني، وخاصة مشروع الإنسانية المتحولة⁴.

¹ إمانويل كانتط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد العفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2002، ص ص 26، 27.

² المرجع نفسه، ص ص 45، 46.

³ المرجع نفسه، ص ص 49، 53.

⁴P. Beyleveld and R. Brownsword, **Human dignity in bioethics and biolaw**, Oxford university press, New York, 2001, pp 52, 53.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

يعود مصدر الكرامة لـ**كانتن** واستقلالية إلى وجهة نظر **كانط** حول كرامة الإنسان كمصدر لقيمة البشر. وهذه القيمة مشتركة بين جميع البشر بالتساوي، وترتبط جوهريًا باستقلالهم وقدرهم على التفكير العقلي، مما يشكل بدوره أساس الدعوة لاحترام المساواة في حقوق الإنسان. وبهذه الطريقة "فكرة **كانط** عن كرامة الإنسان تتضمن وتتألف من مجموعة معينة من الصفات المتربطة، التي تمنع الأشخاص معًا وضعًا معيناً"¹. هذا الوضع يعطي الفرد الحق في أن يعامل بطريقة معينة. ويظهر مصدر الكرامة **كفيده** في فلسفة **كانط** في صيغته لنهاية الذات، التي تنظم ضد معاملة الآخرين فقط كوسيلة لتحقيق أهداف معينة، ولكنها أيضًا تحذر ضد الأفعال التي يمكن الحكم عليها بأنها تقوض كرامة الفرد، باستخدام الذات كوسيلة، وبالتالي تحويل الذات إلى موضوع. بالنسبة لـ**كانط** إن أجسادنا ليست أشياء ممتلكتها أو عناصر لا تختلف في المبدأ عن أي نوع آخر من الممتلكات القابلة للتحويل². وعليه يعد عمل **كانط** استمراً للسعى الفلسفية الدائم، الذي يسعى إلى تحديد الجودة الفريدة التي يمتلكها البشر والتي تميز الوجود البشري عن الوجود الحيواني. وفي حالة **كانط**، فإن هذه الجودة هي امتلاك الاستقلالية العقلانية التي تظهر كقدرة على صياغة والالتزام بقوانين أخلاقية.

يقودنا هذا الربط بين القيمة أو الكرامة والقدرات الأخلاقية إلى المشكلة الخامسة التي تطرحها فلسفة **كانط الأخلاقية**، وهي أنه إذا كانت القيمة، وبالتالي الكرامة، مرتبطة بالقدرة على التفكير الأخلاقي والفعل الأخلاقي، فما هو وضع البشر الذين لا يمتلكون هذه القدرات؟ أمثلة على هذه الحالات تشمل الأجنة والرضع الذين لم يكتسبوا بعد هذه القدرات، والمرضى في حالة الغيبوبة الدائمة والمعاقين عقليًا الذين فقدوا هذه القدرات إما بسبب مرض أو حادث، أو الذين لم يمتلكوها أبدًا. هنا نلتقي مع قيود استخدام النظرية الأخلاقية الكانتية، أو نظرية أخلاقية ديوتنولوجية بختة، دون تكيف بعض الجوانب التي قد تؤدي إلى نتائج إشكالية. ومع ذلك، فقد أثرت فكرة الكرامة الإنسانية عند **كانط** تأثيراً كبيراً على تطبيقات الكرامة المعاصرة التي تبنته فلسفة حقوق الإنسان وأفكار ما بعد الحداثة والبيومحافظون.

يعتبر المفكر الأمريكي **ليون كاس** الأكثر ارتباطاً باستخدام حجج الكرامة في الأخلاقيات البيولوجية وبين الفلسفه البيومحافظون، لذلك سيكون من غير الكامل لأي بحث حول كيفية استخدام حجج الكرامة في نقد أهداف الإنسانية المتحولة دون دراسة آرائه في هذا الصدد. إذ هناك مجموعة متنوعة من الطرق التي

¹Ibid, p 53.

²S. M. Shell, **Kant's concept of human dignity as a resource for bioethics**, University of notre dame press, notre dame, indiana, 2009, p 339.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

يمكن من خلالها بناء الحجج لمعارضة أهداف الإنسانية المتحولة. فإذا استعرضنا الأدبيات، نجد أن الحجج ترکز عموماً إما على الادعاء بـ "خطأ" جوهري في أهداف هذه الحركة، أو تتناول مجموعة متنوعة من النتائج السلبية المحتملة التي قد تحدث إذا تم تحقيق أهدافها. المجال الأول هو المجال الذي تقع فيه حجج الكراهة مثل حجج ليون كاس مع المخاوف المعتادة التي تشمل الآثار المتربعة على الكرامة الإنسانية نتيجة التغيير الجذري في الطبيعة البشرية أو "جوهرينا" البشري، وكذلك الموقف من السيطرة المتعجرفة والسعى نحو كمال غير قابل للتحقيق الذي يمثله هذا المسعى. من ناحية أخرى، ترکز الحجج التي تتناول عواقب تحقيق أهداف ما بعد الإنسانية، وبالتالي إنشاء عالم ما بعد الإنسان، على مجموعة واسعة من القضايا تتراوح بين عوامل الخطر المعنية، إلى القلق بشأن العدالة التوزيعية وكذلك مسألة الاستقلالية. إن معارضه كاس لأهداف الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية مستوحاة من القلق من أن تحقيقها سيؤدي إلى "عالم جديد شجاع"، في إشارة إلى الرواية الديستوبية لـ هكسلي. بالنسبة لـ كاس، فإن عالماً كهذا، حيث أعاد البشر تصميم أنفسهم وفقاً لمواصفاتهم، سيؤدي إلى تحريد تام من الإنسانية وانحطاطها¹.

يعد فهم كاس لمفهوم الكرامة ليس موضعًا بشكّل صريح، بل يجب استنباطه من الطريقة التي يستخدم بها هذا المفهوم في حججه ضد مساعي التعزيز البشري. في هذا السياق، يمكننا العثور على دلائل تتعلق بفهمه للكراهة من خلال التحقيق في كيفية اعتقاد كاس بأن الكرامة الإنسانية قد تنتهي أو تفقد. كما تم الإشارة إليه أعلاه، يبدو أنه يربط فقدان الكرامة في المقام الأول بالتغييرات السلبية الواسعة التي ستحدثها الإنسانية المتحولة. ويجادل بأن التغيرات في ممارساتنا، ومؤسساتنا، ومعاييرنا، وعتقداتنا وتصوراتنا الذاتية التيستنشأ عن التعزيز الجذري كلها تحديات لكرامتنا وإنسانيتنا².

بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن كاس يرى أن مجموع التغييرات والمخاوف المختلفة، وليس حدثاً واحداً محدداً، هو الذي سيؤدي إلى تآكل كرامتنا. بهذا المعنى، يجادل كاس بأن احتمالية ظهور نوع جديد من الكائنات بعد البشر مضمنة بسبب أن التغيرات التي سيحدثها التعزيز الجذري ستحدث تدريجياً دون أن تكون بالضرورة على دراية بها، وبالتالي لن تكون هناك فرصة حاسمة أو لحظة يمكن فيها إيقاف العملية³.

¹Leon Kass, Life, Liberty and the defense of dignity : The challenge for bioethics, Encounter books, New York, 2002, p 15.

²Leon Kass, Ageless bodies, happy souls : Biotechnology and the pursuit of perfection, The Newatlantis, N° 30-12, p 129.

³Ibid, p 141.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يرتبط هذا السعي للتحسين بتغيير إضافي، في حين أن النية الأصلية لمشروع التحسين قد تكون مبنية على رغبة إيجارية، أي الرغبة في تخفيف أو القضاء على معاناة البشر؛ فإنه لن يكون قادرًا على تحقيق ذلك بسبب أن أي تحسينات ستؤدي ببساطة إلى نقل المعاناة بما يتماشى مع التوقعات المتزايدة. سترتفع التوقعات بنفس الطريقة التي ارتفعت بها في العقود الأخيرة، على الرغم من التحسينات في الصحة وبالتالي متوسط العمر المتوقع الآن المتاحة بفضل التقدم في العلوم الطبية مقارنة بما كان عليه قبل قرن. مثال على هذه الظاهرة هو إمكانية تمديد الحياة؛ حيث أن أي زيادة في متوسط العمر المتوقع ستؤدي فورًا إلى رغبة في زيادات إضافية. بهذه الطريقة، لن يفشل مشروع التحسين الجنري في القضاء على الضيق البشري فحسب، بل سيؤدي إلى التدهور البشري بدلاً من الإشباع البشري. كما يُعرف كاس بأن وجهة نظره، بالطبع، هي توقع متشارم للمستقبل، ومع ذلك يزعم أن هذه الحالة هي النتيجة الحتمية لرؤيه الإنسان ككيان بيولوجي قابل للتشكيل يجب إنقاذه من الحوادث العشوائية لعملية التطور. بعبارة أخرى، إذا تم اعتبار البشر ببساطة "ككائنات بيولوجية بدلاً من كائنات ثقافية وأخلاقية"، فإن الخيارات التي ستكون في نهاية المطاف الأكثر عرضة للخطر هي تلك المرتبطة بما يميزنا عن الحيوانات، بما يراه كاس كجوهرنا البشري، وهي مفاهيم مثل "الحرية وكرامة الإنسان".¹

يتجه الجدل هنا على الأرجح إلى أن الحرية ستضيّع لأن السعي إلى السيطرة الذاتية سيصبح استهلاكًا تاماً، بينما ستضيّع الكراهة لأن البشر سيفقدون الصفات التي يعتقد أنها ذات قيمة. بالطبع، يمكن الادعاء بأن تكهنتات كاس المتمثلة في أن السيطرة على البيولوجيا البشرية ستؤدي تلقائياً إلى الانحطاط فقدان كرامة الإنسان هي دليل على أنه هو نفسه مذنب بالحتمية الجينية والبيولوجية، وبالتالي، يعتبر البشر في المقام الأول من حيث بيولوجياتهم بدلاً من كائنات ثقافية أو أخلاقية. يفترض كاس أن هذه السيطرة البيولوجية ستؤدي إلى نفي واضح لتأثيرات البيئة، وال العلاقات الشخصية، والثقافة، والمعتقدات الأخلاقية؛ وبالتالي، هو نفسه يتتجاهل الأهمية التي تلعبها هذه العوامل في تشكيل الطبيعة الخاصة للهوية الإنسانية.

يعتبر عمل كاس مليء بالادعاءات التشاورية خاصة بأن التعزيز الإنساني يحرّد من الإنسانية لأنه سيغير أو يضر أو يدمر الصفات التي تمنح الوجود الإنساني قيمته أو معناه، مما ينبع عنه كائنات بشريّة سطحية، تفتقر إلى الحساسيات العاطفية والأخلاقية الحقيقة. إن تدمير الصفات أو القدرات البشرية القيمة،

¹Ibid, pp 133, 136.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

التي قد يصفها كاس بأنها جوهرنا البشري، هو بالنسبة له انتهاك لكرامة الإنسان. هذا لأنه في اعتقاده، فإن احترام كرامة الإنسان يعني، بطريقة ما، احترام جوهرنا البشري أو تلك العوامل التي تعتبر ذات قيمة في الوجود البشري. وبالرجوع إلى موقف هابرمان نجده قد جمع بين الكرامة والمساواة في مسألة الحقوق والواجبات، وعليه فقد أضفى عليها صبغة قانونية أخلاقية، لأنها تنشأ من خلال العلاقات الاجتماعية.¹

يؤكد فوكوياما من جهته كذلك على أن مفهوم الكرامة الإنسانية يستخدم عموماً من قبل الأفراد أو الجماعات لاستحضار نوع من الاعتراف أو الاحترام الأساسي الذي يُدين لهم بسبب إنسانيتهم. الاحترام الذي يستحقه جميع البشر بالتساوي لا يعتمد على خصائص عرضية مثل: لون البشرة، المظهر، الطبقة الاجتماعية والثروة، النوع الاجتماعي، الخلفية الثقافية أو حتى الموهاب الطبيعية -على الرغم من أنها تلعب بينما تلعب دوراً في تنظيم معظم جوانب حياتنا اليومية-، بل يقوم على جوهر إنساني أساسي يستحق مستوى معيناً من الاحترام الأدنى أطلق عليه تسمية عامل X² الذي اعتبره يمثل جوهر الإنسانية، وهو المعنى الأساسي لما يعنيه أن تكون إنساناً. إذا كان جميع البشر متساوين بالفعل في الكرامة، فإن X يجب أن يكون خاصية يمتلكها جميعهم.³

يواجه ادعاء فوكوياما عدداً من المشاكل؛ أولها يتعلق بمصدر عامل X وأخرى متعلقة بحقيقة أن مفهوم الجوهر الإنساني، حتى أكثر من مفهوم الطبيعة البشرية، فقد مصداقيته منذ اكتشافات داروين التي أدت إلى إدراك أن التطور، بدلاً من أن يكون مدفوعاً بهدف نهائي، هو عملية عشوائية وأحياناً عميماء. بعبارة أخرى، الطريقة التي يبني بها البشر، جوهرهم المفترض، هي عرضة للتغيير، مما يعني أنها يمكن أن تكون مختلفة وبالتالي لا تتوافق مع أي نظام أخلاقي معين. في حين أن مفاهيم الجوهر الإنساني والطبيعة البشرية غالباً ما تُستخدم بالتبادل من قبل المفكرين، فمن الواضح أن فوكوياما يحدد الأخيرة بالإشارة إلى التعرف على خصائص ملموسة، مثل سلوك الأنواع النمطي، في حين أن الجوهر الإنساني أو عامل X أقل قابلية للتفسير، وبالتالي فهو إلى حد ما غامض.

¹ يورغن هابرمان، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 44.

² يشير عامل X إلى تطور البشر إلى كائنات معقدة، حيث تتجاوز قدراتهم وطاقتهم التفسيرات المرتبطة بأجزاءهم البيولوجية المكونة وعملياتهم. وهذا يعني أن الأجزاء البيولوجية المكونة والوظائف النفسية والشعورية والانفعالية والقدرات العقلية التي تنتج عامل X متراقبة. (ينظر: فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، ص 188-190).

³ فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، ط 1، 2006، ص 188، 189.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

يستكشف فوكوياما بعد ذلك عدداً من التفسيرات لاستمرار الإيمان بمفهوم الكرامة الإنسانية. أولاً: يمكن أن يكون الوجود المستمر للرجوع إلى الكرامة الإنسانية مرتبطاً بمفهوم شبح المعتقدات الدينية الميتة التي لا تزال تطاردنا أو ببساطة كعادة مستمرة من التقاليد. ثانياً: النازية، التي تأسست على إنكار صريح للرأي بأن الكرامة الإنسانية تتساوی بين جميع البشر، تقدم مثالاً مرعياً على ما يمكن أن يحدث عندما تُنكر الكرامة الإنسانية. الاحتمال الثالث يشكل جوهر حجة فوكوياما، وهو أن الإيمان الراسخ بوجود كرامة إنسانية عالمية يمكن أن يعزى إلى "طبيعة الطبيعة نفسها" وأن النظام الأخلاقي ينبع من داخل الطبيعة البشرية نفسها وليس شيئاً يجب أن يُفرض على الطبيعة البشرية من قبل الثقافة¹. بعبارة أخرى، يستمر الميل للاعتراف بأن جميع البشر يستحقون احتراماً متساوياً، وبالتالي إقرار بكرامتهم الجوهرية، لأنها جزء من الطبيعة البشرية. هذه الجودة التي تتمتع بها الطبيعة البشرية هي ما يخشى فوكوياما أن يهدد من خلال التقدم المستقبلي في التكنولوجيا الحيوية، وخاصة من خلال أهداف حركة الإنسانية المتحولة، وتستند مخاوفه إلى الادعاء بأن التحسين الجذري سيقلل من التنوع الجيني بين الأفراد من ناحية، بينما سيكشف الفوارق بين المجموعات الاجتماعية من ناحية أخرى، بسبب الوصول غير المتكافئ إلى مثل هذه التقنيات.

يشير فوكوياما إلى أنه إذا كانت الكرامة والمكانة الأخلاقية المتميزة فوق جميع أنواع الأخرى تُعزى إلى البشرية بسبب تفرداتها بالعقلانية والوعي والتفكير والمنطق والاستقلالية، فإنه من الواضح أن عامل X لا يمكن تحديده بأي قدرة أو صفة بشرية محددة أو فردية، بل هو الكل الذي يمتلك شيئاً يتتجاوز مجرد مجموع أجزاء المكونة، وهي القدرات والصفات الفردية التي تؤسس للكرامة الإنسانية². وهنا يؤكد بأن البنية الجينية البشرية هي الخطة الأساسية التي تُمكن كل فرد من تحسيد عامل X، وبالتالي، فإن المخاطر التي ينطوي عليها العبث بهذه البنية قد تؤدي، نتيجة لآليات اللاخطية، إلى عواقب مدمرة للكرامة الإنسانية.

2- المقاربة البيوتقدمية والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان:

يرى مناصري الإنسانية المتحولة أن كرامة الإنسان وكرامة الإنسان المعزز متافقتين ومتكاملتين. إنهم يؤكدون أن الكرامة، بمعناها الحديث، تتجسد فيما نحن عليه وما لدينا من القدرة على أن نصبح عليه، وليس في نسبنا أو أصلنا السببي. ما نحن عليه ليس وظيفةً تتحدد فقط عن طريق الحمض النووي (DNA) الخاص

¹ فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، ص 191، 195.

² المرجع نفسه، ص 213، 214.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأتيقي

بنا، بل يشمل أيضًا سياقنا التكنولوجي والاجتماعي. والطبيعة البشرية بهذا المعنى الأوسع ديناميكية، وجزئيًّا من صنع الإنسان، ويمكن تحسينها.

يقدم بورسخوم ردًا مختصًّا على الادعاء البيومحافظ (Bioconservative) بأن السعي لتغيير النوع البشري بشكل جذري يؤدي إلى تعارض أهداف الإنسانية المتحولة مع كرامة الإنسانية. لتحقيق ذلك، يتفاعل بشكل خاص مع حجج كاس وفوكوياما، وأيضًا بشكل موجز مع حجج هانز يوناس ويورغن هابرمان. يجادل بورسخوم بأن هدف هذا المشروع ليس فقط التحسين الجذري ولكن أيضًا التحسين بشكل عام يحمل مخاطر محتملة، لكن الفوائد المحتملة التي قد تتحقق يجعل تطوير واستخدام التكنولوجيات الفائقة مبررًا. بدلاً من حظر تطوير هذه التكنولوجيات، وبالتالي التحسين بشكل كامل، كما يجادل بورسخوم بأن المشاكل والاهتمامات المحتملة يجب معالجتها بشكل فردي مع ردود مناسبة. فعندما تكون هناك مخاوف اجتماعية وسياسية تتعلق بالنتائج المحتملة للتحسين، مثل قضايا العدالة التوزيعية أو الانقسام المحتمل بين مجموعات الأفراد الحسَنِين وغير الحسَنِين، يشير بورسخوم إلى أن هذه التحديات موجودة بالفعل في المجتمع المعاصر ويعتبرها مجرد مشاكل اجتماعية تحتاج إلى حلول اجتماعية. هذا يعترض كذلك بأن هناك احتمالية كبيرة أن تؤدي أهداف وتكنولوجيات الإنسانية المتحولة إلى مستقبل حالة ما بعد الإنسان، لكنه لا يرى أن مثل هذا الاحتمال يمثل مشكلة، أو سببًا لوقف تطويرها¹. حيث فرضيته الأساسية في هذا الصدد هي أن المخاوف بشأن انتهاك كرامة الإنسان لا أساس لها لأنها تفترض تلقائيًّا أن ما بعد البشر لن يتمتعوا بالكرامة.

يبحث بورسخوم في الاستشهادات المتكررة برواية "عالم جديد شجاع" لألدوس هكسلي الموجودة في أعمال المفكرين البيومحافظين. حيث يتم تقديم فرضية "عالم جديد شجاع" بشكل شائع كتحذير لما قد يتغير البشرية إذا سمحت مشروع الإنسانية المتحولة بمتتابعة مساعدتها في التحسين. قوة هذه الفرضية تكمن في تصوير سكان "عالم جديد شجاع" على أنهم متواطعون في نزع إنسانيتهم، فلا توجد سيطرة سلطوية لفرض الوضع الراهن لأن الوضع الراهن ليس مقبولاً فقط، بل يتم تبنيه من قبل الجميع. ردًا على ذلك، يسلم بورسخوم بأن الفرضية هي انعكاس غير دقيق تماماً لأهداف الإنسانية المتحولة. لا شك أن "عالم جديد شجاع" هو عالم تفتقر فيه الكرامة، لكن هذا ليس بسبب استخدام تكنولوجيات التحسين من قبل سكانه أو بسبب وصولهم

¹Nick Bostrom, **In defense of posthuman dignity**, Bioethics, N° 19/3, 2005, pp 203, 207.on : <https://doi.org/10.1111/j.1467-8519.2005.00437.x>

إلى حالة ما بعد الإنسان كما يفترض مفكرون مثل كاس وفوكوياما¹. بل، كما يوضح بوستروم، يمكن نزع الإنسانية لديهم في حقيقة أن مجتمعهم: جامد، استبدادي، مقسم طبقياً، ثقافتهم قاحلة، قدراهم الفكرية، والعاطفية، والأخلاقية، والروحية متقدمة، والجميع باستثناء أولئك الذين في السلطة منوعون أو مثبطون عن تطوير الشخصية الفردية، والتفكير المستقل والمبادرة، ويتم تكييفهم لعدم الرغبة في هذه السمات من الأساس. "عالم جديد شجاع" ليست قصة عن تجاوز التحسين البشري للحدود بل هي مأساة للتكنولوجيا والهندسة الاجتماعية التي تُستخدم عمداً لإضعاف القدرات الأخلاقية والفكرية، وهو العكس تماماً لما تقتربه الإنسانية المتحولة²، حيث يؤكد بوستروم أن إمكانية وجود مثل هذا العالم سيتم تجنبها طالما أن احترام استقلالية جميع الأفراد في تقرير ما إذا كانوا يريدون استخدام تكنولوجيات التحسين أم لا يتم ترسيختها.

يشير بوستروم إلى أن مفهوم الكرامة يحتاج إلى توضيح إذا كان سيتم استخدامه بشكل متسق، ولذا يقدم تفسيرين يتافقان مع التمييز بين الكرامة كحالة والكرامة كجودة. وفقاً للتفسير الأول: تُستخدم الكرامة كمكانة أخلاقية، حيث تبرر الحق غير القابل للتصرف في أن يعامل الفرد بمستوى أساسي من الاحترام، أما التفسير الثاني: يرى أن الكرامة كجودة تعني أن يكون الفرد جديراً أو مشرفاً. التفسير الأول للكرامة لدى بوستروم يتافق تقريباً مع الفهم العام له، وبالتالي، مع الطريقة التي يستخدم بها كاس وفوكوياما مفهوم الكرامة. حيث يفسر جميع المفكرين الثلاثة الكرامة الإنسانية على أنها تُمنح للبشر عبر خصائص معينة متأصلة في الإنسانية. بعبارة أخرى، بالنسبة لـ كاس وفوكوياما، ترتبط الكرامة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً وتكون مشروطة بوجود طبيعة أو جوهر إنساني³. وبالتالي، إذا أراد بوستروم دحض أو على الأقل التشكيك في حججهم، يجب عليه أن يتعامل تحديداً مع ادعاءاتهم، ويظهر السبب في أنهم مخطئون. وفي هذا الصدد، وبدلاً من رفض مفاهيم الطبيعة البشرية أو الجوهر الإنساني على أنها غير ذات صلة، يقدم وصفاً موجزاً للطريقة التي يمكن أن يتمتع البشر المعززون بالكرامة كحالة والكرامة كجودة.

يمكن التعبير عن تآكل الكرامة الإنسانية على أنه قد يحدث في مراحل مختلفة. أولاً، قد تتعرض الكرامة للخطر خلال المرحلة الانتقالية أو مرحلة ما قبل الإنسان، حيث يوجد أفراد في نقاط مختلفة من عملية التحسين بجانب أولئك الذين اختاروا البقاء دون تحسين. في مثل هذه الحالات، يمكن الخوف في أن

¹ نيك بوستروم وستيفن بكتو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 235.

² Nick Bostrom, *In defense of posthuman dignity*, p 205.

³ Nick Bostrom, *Transhumanist values*, Jurnal of philosophical research annual, N°, 30/12, 2005, pp 54, 57.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

ينظر إلى الأفراد غير المحسنين على أنهم يمتلكون مكانة أدنى من الأفراد المحسنين، مشابهة للمكانة الأدنى الممنوعة حالياً للحيوانات. بسبب أن طبيعة المحسنين ستكون قد تغيرت إلى حد كبير، فإن القيم التي تدعم الاعتقاد في المساواة بين الجميع ستتغير، مما يعرض الأفراد غير المحسنين لخطر شديد. هذه، بالطبع، إحدى مخاوف فوكوياما. ييدو، مع ذلك، أن مثل هذا التفسير يعتمد على الرأي القائل بأن التحسين سيخلق تلقائياً كائنات ما بعد الإنسان الذين يمتلكون نطاقاً من القيم أقل وشعوراً بالأخلاقيات أدنى. مع ذلك، فإن الإنسانية المتحولة تهتم بتحسين وتطوير البشر في جميع قدراتهم، بما في ذلك مجالات الأداء العاطفي والمعرفي، وكلها يؤثر على هذه المجالات من القلق.¹ لذلك يجادل بوستروم، أنه بنفس الطريقة التي كان بها التقدم البشري يتسم بتمديد تدريجي لنطاق أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم يمتلكون الكراهة كحالة تمنحهم الاحترام المتساوي، سيشمل هذا المجال ليس فقط ما بعد البشر بل سيحتوي أيضاً على البشر غير المحسنين.

قد يتم تعريض كرامة الجنس البشري ككل للخطر أو القضاء عليها نتيجة تحول البشرية كنوع إلى نوع ما بعد الإنسان. هذا القلق يرتبط عموماً بالمفكرين البيو محافظين، وخاصةً هو القلق الذي يحفر حجة كاس. لا يعالج بوستروم هذا القلق بشكل عميق، حيث ييدو أنه يرى أن تفسيره لفرضية "عالم جديد شجاع" باعتبارها غير متوافقة مع أهداف الإنسانية المتحولة، يقدم استجابة كافية لهذا الخط من الحجج. بعبارة أخرى، فإن انتهاك كرامة البشرية ككل سيحدث فقط إذا أدى التحسين الجذري إلى انحطاط كل فرد من البشر، وبالتالي انحطاط الجنس البشري بشكل عام، أي إذا كان ما بعد البشر "أقل من" أسلافهم، وبóstrom لا يوافق على أن مثل هذا الحدث سيحدث.

علاوة على ذلك، يختلف بوستروم ليس فقط مع الادعاء بأن الحفاظ على الطبيعة البشرية في شكلها الحالي يعني احترام كرامة الإنسان، بل أيضاً مع الرأي القائل بأن الطبيعة البشرية يمكن اعتبارها مصدراً للكراهة الإنسانية. ويعتقد بأن تقدير الطبيعة البشرية، التي هي نتاج للتطور وبالتالي للعمليات الطبيعية، يتجاهل حقيقة أنه لو كانت الطبيعة الأم والدًا حقيقياً، وكانت في السجن بتهمة إساءة معاملة الأطفال والقتل.² يتضح هنا أن غياب التوافق بشأن مصدر الكراهة الإنسانية يجعل من الصعب استخدام المفهوم كأساس لحجية متماسكة. بعبارة أخرى، هناك تفسيرات مختلفة حول ما يمنع البشر كرامتهم. لذلك، لا يوجد نقطة واضحة للانخراط مع حجة مثل حجة فوكوياما التي تقدم تفسيراً معقداً للطريقة التي سيؤدي بها التغيير

¹Nick Bostrom, **In defense of posthuman dignity**, p 206.

²Ibid, p 209.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيتيقي

المحدد في الطبيعة البشرية إلى تقويض الكرامة، إذا كان هناك خلاف حول أن الطبيعة البشرية هي مصدر الكرامة.

فيما يتعلّق بالتفسّير الثاني لبوستروم للكرامة، يجادل بأنه لن يكون فقط بإمكان ما بعد البشر إظهار "التميز الخاص أو الجدارة الأخلاقية" التي تميز بعض السلوكيات البشرية؛ بل إن ما بعد البشر قد يظهرون درجة أكبر من تلك الكرامة. هذا التفسّير للكرامة، بالطبع، يشبه الكرامة كجودة. كما يعتقد بأن نفس الطريقة التي يمكن أن يُنظر بها إلى سلوكيات البشر على أنها أكثر أو أقل أخلاقيّة، ستكون أيضًا سلوكيات ما بعد البشر مميزة بهذه الفروق. ومع ذلك، فإن حقيقة أن بعض الأفراد في الوقت الحالي يعيشون حياة أقل من "جدية" عمومًا لا تُعتبر أساساً لإزالة حقهم في الاستقلالية ما لم يتعرض الآخرون للأذى.¹ يذهب ببوستروم إلى أن السلوك البشري غير المرغوب فيه يتم تشكيله عمومًا عن طريق التدابير المضادة مثل التعليم، التشجيع، الإقناع، الإصلاحات الاجتماعية والثقافية، وليس حظرًا شاملًا لجميع طرق الوجود البشري المعزز.

يمكن أن نتفق مع بوسنروم في أنه لا يوجد سبب يمنع سلوك ما بعد البشر من أن يتميز بـ"التميز أو الجدارة الأخلاقية"، بعبارة أخرى، بالكرامة كجودة. ومع ذلك، يجب ملاحظة أنه في حين أن استخدام الكرامة كجودة يمثل طريقة أخرى يمكن أن تقدم بها حجج الكرامة؛ فإن فعاليتها كدحض للحجج البيولوجية ليست واضحة وتأثر على موقف بوسنروم. وبينما أن حجج مثل حجة كاس قد لا تُفصح عن ذلك بوضوح كافٍ، فإن الكرامة كجودة ليست هي التركيز الأساسي، وبالتالي ليست هي التي تعتبر موضع الخطر، بل الكرامة الإنسانية أو الكرامة كمكانة. في هذا الصدد، فإن حجج بوسنروم المضادة سطحية إلى حد ما في تعاملها مع حجج الكرامة الإنسانية المذكورة أعلاه، وهي أيضًا إشكالية بسبب تفسيرها غير الكافي لمفهوم الكرامة الإنسانية ذاته.

3-مسألة الكرامة عند لوك فيري:

يرد فيري على المخاوف التي يثيرها التعزيز البيوتكنولوجي للإنسان بشأن كرامته، ففي وجود ساعات معينة كالعقلانية والقيمية التي غالباً ما يحكم عليها بأنها مكون أساسي لما يجب أن يكون عليه الإنسان، فإن حالتنا الأخلاقية وكرامتنا لا تتغير بشكل عام بتغيير قدراتنا خلافاً لما يعتقد بعض البيو محافظين، إذ يمكن

¹Nick Bostrom, **In defense of posthuman dignity**, pp 208, 209.

للأفراد المختلفين امتلاك قدرات مختلفة جداً، ومع ذلك يكونون متساوين في الكرامة، مثلاً إننا نجد فائقين التعلم والذكاء والرياضيين والموهوبين مسبقاً يتمتعون بقدرات فردية أعلى من غيرهم العاديين، لكن هذا لا يخول لنا أن نجعل الكرامة في المجموعة الأولى من الناس إما أعلى أو أدنى من المجموعة الأخيرة، ثم إن فكرة تمنع البشر بالكرامة المتساوية لها جذورها في منع فائقين القدرات من السيطرة على الأشخاص الأكثر ضعفاً واستغلالهم،¹ لذلك إذا سلمنا بأن جميع الأفراد غير المستفيدون من التعديلات والتعزيزات يمكنون نفس المكانة الأخلاقية والكرامة على الرغم من قدراتهم المتفاوتة، فإنه من الصعب وجود مبرر لإعطاء كرامة مختلفة للأشخاص المحسنين والمعززين أو للاعتقاد بأن المعدلين يمكن أن يؤثروا على كرامة غير المعدلين.

¹ Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 27, 28.

رابعاً: الإنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوک فيري

منذ صدور كتاب فيري "الفكر 68"، الذي كتبه مع ألان رينو والذي هاجم فيه بقوة أنصار معاداة الإنسانية في الستينيات – من فلسفة مارتن هайдغر إلى اقتراح فوكو بمحو شامل للذات – قد كرس نفسه لإعادة بناء عالم من المعاني. في حين أن المعنى كان متاحاً حتى وقت قريب في الأديان، فإنه اليوم يحتاج إلى أن يتم اختراعه. كما هو الحال عند الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه Marcel Gauchet (1946-) ، نحن "يبننا"， بدون أي تجاوز إلا ذلك الذي يبدأ من الإنسان.

قام لوک فيري في تحليله للتتحولات والمتناقضات الموجودة في حادثتنا بتحليل غموض شكل من أشكال التقديس العلماني. كتابه عن "الإنسان-الإله" هو في الأساس تشخيص للتغيرات التي حدثت في وضع الدين، ومحو الدين، وكان هذا الرفض حتمياً، ويحتمل أنه لا رجعة فيه. لكن الكتاب هو في نفس الوقت تبؤ بمصير التجاوز الديني في عالم تخلي عن الله. بل وأكثر من ذلك، فإن لوک فيري هنا يقوم بفك شفرة التجاوز داخل الحضور، لم يعد رأسياً، بل أفقياً، وما زالت معالمه غير محددة بشكل كبير.

1- أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته:

حاول فيري من خلال أطروحته تقديم تشخيص لمسألة المعنى في العصر الحديث، التي أصبحت غامضة، وفي بعض الأحيان لم تعد تُطرح على معاصرينا. ومع ذلك، فهي حتمية. "نحن نواجه مسألة المعنى بشكل مفاجئ أو بالأحرى، اختلفتها في العالم العلماني"¹. يمكننا أن نعرض عنها، نبقيها على مسافة، تُخفيها، لكنها في النهاية تفرض نفسها عاجلاً أم آجلاً، على الأقل لمن يرفض هذا الوجود "الكسول" الذي تحدث عنه فريدريك هيغل Friedrich Hegel (1770-1831). ولكن كيف نواجه تحدي المعنى، في حين أننا قد استبعدنا الأديان؟ هناك استراتيجيات حسبه لتجنب ذلك يجب ذكرها، وهناك علامات على انشغال يجب تفسيرها.

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, Grasset, Paris, 1996, p12.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

طرق فيري إلى سؤال المعنى في إطار معالجته لأزمة الذات المعاصرة وتيهها الوجودي الذي ينبع حسبه من عدة أسباب، لعل أهمها حتمية الموت وفقدان الأحبة والقلق والألم والروتين والافتقار إلى هدف والشعور بالفراغ والملل والكوارث الطبيعية وغيرها من الحالات التي يعيشها كل كائن بشري. إن هذه التجارب لا يمكن تغافلها، بل لابد من منحها دلالة ومعنى وبالتالي وضعها في سياقها العام، وبهذا كان سؤال المعنى مطروحا بإلحاح منذ القدم، والإجابة عنه لا تخرج عن الوعي والتصور الديني والثقافي والاجتماعي الذي يكون فيه.

وما يميز الفكر المعاصر الأوروبي أن "سؤال المعنى" أصبح سمة أساسية لدى مفكريه بل ومعظم الناس الذين يبحثون عن إجابات شافية وواافية مما يجعل الحياة الإنسانية جديرة بالعيش أو ما يضفي المعنى على حياة الفرد. ووفقاً لفيري يصور لنا تاريخ الفلسفة الأوروبية أربع أطروحات تتناول سؤال المعنى:

الأطروحة الكوسمولوجية: التي ترجع تارخياً إلى العصور اليونانية القديمة، وتتمثل فكرتها الجوهرية في أن العالم يتسم بالانتظام لا الفوضى، وهذا ما يسمى عندهم بـ "الكونوس" أو النظام الكوني أو الإلهي وبمجرد فهم الإنسان وإدراكه ل Maheria هذا التناقض والانسجام في الكون يعيش حياة طيبة.¹

الأطروحة اللاهوتية: وتعبر عن الأفكار التي أتت بها الديانة المسيحية، والتي تنادي بالخلاص من خلال التقيد بتعاليم المسيح والحب المطلق للإله مع الإيمان اليقيني به وبالبعث والحساب... هذه الأطروحة لم تكن معروفة في فرنسا إلا بعد الستينيات من القرن الماضي.²

الأطروحة الإنسانية: وهي التي تقوم على مركبة الإنسان بالنسبة إلى باقي الكائنات وال موجودات عموماً، وقد ترسخت أكثر مع ديكارت الذي أعلن سيادة الإنسان على نفسه وعلى الطبيعة وبهذه زمام الأمور وتجاوزه لأي سلطة خارجية متعلقة لاهوتية كانت أو طبيعية أو أي نزعة دوغماوية وثوقية، ولهذا فهي ترفض العقائد الدينية مطلقاً ما جعل الكثير من المفكرين يعتبرونها مهد العلمنية³. خاصة وأنها تزامنت مع نشوء الحداثة التي بنت أسسها من خلال القطعية مع روحانية العصور الوسطى وتعاليها وقدسيتها وطابعها السلطوي على كل أشكال حياة الإنسان، إذن فهي ترفض كل سلطة ماعدا سلطة النقد الذي يمارس من

¹لوك فيري بالتعاون مع كلود كيليلاي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص ص 23، 24.

²لوك فيري، تعلم الحياة، ص 93.

³المصدر نفسه، ص 207.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

قبل الإنسان الوعي باعتباره معياراً للقيمة والمعنى وراعياً للوجود والكونية، وهنا أضحت العقل مرجعية الحقيقة المطلقة.

يتجلّى معنى الحياة بالنسبة للفكر الإنساني يتجلّى في تحقيق الحياة الطيبة من خلال الاحتفاء بالمعارف والثقافة والتربية، وقد قدمت بديلاً عن الخلاص الديني ما يسمى بأديان الخلاص الأرضي كالعلموية والقومية والشيوعية والوطنية، حيث أخذ الإنسان نصيب الإله من الحب والولاء والتضحية والخضوع وأصبحت الشهادة في سبيل الوطن لا في سبيل الله، وأبناء الوطن الواحد بدل الأخوة في الدين... وغيرها من المفاهيم¹.

الأطروحة التفكيكية التقويضية: التي جاءت كرد فعل على النزعة الإنسانية والعقلانية الديكارتية، واعتبرتها أنها مكملة للأسس الدينية دون دراية منها². ولهذا كانت هذه الأطروحة مشبعة بالنزاعات العدمية والتقويضية فلم تقدم أي إجابة عن سؤال المعنى، وهنا نشهد غياب تام لسؤال المعنى في المشهد الفلسفى.

تميز العصر الحديث، حتى وقت قريب، بالإيمان بالتقدم، لكن هذا التفاؤل في تراجع، فما ميز الإنسان عن الحيوان في نظر روسو هو "قدرة الإنسان على التحسن"، لكن هذا التفاؤل اصطدم، منذ البداية، بمساوية الوجود وسقوطه النهائي، يقول: "ماذا نفعل بالتراجع إذا كانت دعوة الإنسان هي التقدم؟".³ للتعامل مع هذا التحدي المأساوي، اخترعت البشرية، على مدى القرنين الماضيين، سلسلة من استراتيجيات التمويه، مثل نقل المعنى إلى النوع أو إلى العمل ماركس. هذه بدائل علمانية بائسة للرغبة التي لا تقاوم في الخلود. إذا كنا لا نستطيع أن نكتفي بها، فهي على الأقل دليل على أن الإنسان لا يتخلى بسهولة عن إعطاء معنى حياته.

تمثل الاستراتيجية الأخرى الأكثر شيوعاً في اللجوء إلى نسيان المعنى النهائي، من خلال إدخال معانٍ وسيطة. ما زلنا نحدد مواقعنا بناءً على أهداف متنوعة: مهنية، سياسية، أخلاقية، تعليمية، ترفيهية، عاطفية، سياحية... "وعندما لا يفرض أي منها نفسه بوضوح، يمكننا دائمًا الدخول في دورة الاستهلاك، ونتجه للتسوق ونتخلّى قليلاً لهذا التسوق، الذي يوفر بسهولة هدفاً لكل واحدة من نزهاتنا".⁴ لذلك يمكننا

¹لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 105، 109.

²لوك فيري، تعلم الحياة، ص ص 218، 219.

³Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 14.

⁴Ibid, p 18.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

أن نعيش في هذا العالم العلماني دون أن نطرح مسألة المعنى. ولكن إلى متى؟ بعد اختيار الأيديولوجيات البديلة (مثل الشيوعية...)، يصبح من الواضح أن الإنسان يجد نفسه أمام فراغ يمكنه أن يخفيه لفترة معينة، لكنه يجبره، عاجلاً أم آجلاً، على اختراع حكمة جديدة.

يميل البعض اليوم إلى البحث عن هذه الحكمة في التقاليد الشرقية، فإذا كانت البوذية تجذب البعض بشدة، فذلك لأنها تدعى تقديم إجابة على السؤال المزعج حول المعنى، الذي لم تتمكن الحداثة من الإجابة عليه. مواجهة اللا معنى، تنخرط حكم الشرق في استراتيجية نفيه. بما أن كل شيء يعتمد على وهم أولى، وهو "الذات"، فإن "الدالاي لاما" يصرح بأن الترافق الذي سيقضي على الأوهام هو الحكمة التي تدرك غياب "الذات"¹. وبالتالي، يتم قطع السؤال من مصدره. ينصح أندريه كومت سبونفيل باستراتيجية مشابهة: "ليس الموضوع هو ما يجب إنقاذه، بل يجب الهروب منه"². لكن يرد لوک فيري بأن هناك تناقض في البوذية عندما تعين كهدف للذات أن تتخلص من الذات.

الاستنتاج الذي يصل إليه لوک فيري بالنظر إلى هذه الإلتقادات هو أن مسألة المعنى لا يمكن استبعادها. هناك "إرادة" للمعنى في كل شخص لا يمكن لأي حيلة أن تقضي عليها، حتى لو لم يكن لها كمالاً آخر بتجاوز خارج عنها، أي موضوع مطلق يحتفظ بإجابة تكفي لتلقيها. لذلك، فإن مسألة المعنى حتمية ولا تتوفر لها إجابة فورية (الموضوع المطلق اختلف من أفقنا).

إذا لم يعد التجاوز ينبع من ما وراء غير موجود في الحداثة، فإنه يظل مرئياً في عالمنا على الأقل بعلامتين: أولاً، من خلال إحالة الإنسان إلى ما هو أبعد من الذات، سواء سمي هذا الآخر "الاهتمام بالآخر" أو "التضاحية بالذات". وثانياً، من خلال "الإحساس بأن الأخلاق، حتى الأكثر كمالاً، في الحقيقة لا تكفي"³. على الرغم من الإشارة إلى التجاوز، حتى لو كان "غير قابل للتعریف"، فإن الإنسانية الحديثة ترفض مع ذلك الخروج من مجال الحضور. اليقين الوحيد الذي يمنحه الإنسان الحديث هو اليقين الذي يمكن لكل شخص أن يستخلصه من ذاته، لكن الحضور لا يعني الانكفاء على الذات، حيث يصرح فيري: "لا تخلط بين المثالية الذاتية مع التأكيد الميتافيزيقي العبثي على الاكتفاء الذاتي للذات المطلقة".⁴.

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 28.

²Ibid, p 30.

³Ibid, p 41.

⁴Ibid, p 48.

منذ ديكارت مضت الفلسفة في اتجاه علمنة مزدوجة: على الجانب الأخلاقي من جهة، والميتافيزيقي من جهة أخرى، أما الأول فكانت الغاية هي إعادة صياغة المثل المسيحية لتوائم العلمانية وحتى الإلحادية واللاآدرية، أما الثاني، فكان المهد هو إعادة فتح نقاش منفتح حول قضايا الإيمان في نطاق العلاقة بين الإنسان والله أو بين الذوات، وحسبه أكثر من يمثل حركة العلمنة هذه كانط وفريديريك هيغل، ويعتبر فيري أن حقوق الإنسان أكبر معبّر عن علمنة القيم المسيحية، حيث أن كلّمت حقوق الفرد غطّت على تعبيرات مثل المقدّس والروح. لكن عملية العلمنة الأولى التي مثلتها العقلانية الكانتية والهيغيلية كانت غير كافية بالنسبة إلى نيقشه لأنها بقيت بطريقة ما وفية للدين المسيحي، ومن هنا أتى نيقشه وهيدغر بفكرة أقول الفلسفة كنسق ديني جديد مؤيد لمقوله موت الإله¹.

لذلك يتّعّن على لوك فيري أن يفكّر في التجاوز "ضمن حدود الإنسانية". إن احتمال التجاوز كهذا، المحصور في الفضاء البشري، الذي يقترح لوك فيري استكشافه من خلال تحليل عملية مزدوجة: "أنسنة الإله"، "تأليه الإنسان". الأول من هذه الحركات داخلي في الدين: الميل إلى الأنسنة واضح فيه، حتى في الأماكن التي تظل فيها الإشارة إلى الوحي القادم من الخارج سائدة. الثاني من هذه الحركات خاص بالإنسانية الحديثة²، ويمكن رصده سواء عند الفرد أو على المستوى الاجتماعي. في تقاطع هاتين الحركتين يظهر لنا الإنسان الحديث، دون أي واثق من المعنى سوى نفسه.

يبدأ لوك فيري بدراسة الحركة الأولى، أنسنة الإله، مشيراً إلى أنها تتجلّى داخل الأديان نفسها، لا سيما في المسيحية. يشهد على ذلك نقاشان حديثان، أحدهما أثارته رسالة البابا يوحنا بولس الثاني "روعة الحقيقة" (Veritatis Splendor)، والآخر بمقابلة يوجين دروفمان. جوهر النقاش في الحالتين هو نفسه: إلى أي مدى يمكن السير على طريق العلمنة؟ قد يتم إخفاء هذا الميل نحو العلمنة بواسطة الأصوليات ("انتقام الله") أو التراجع عن المسيحية³. دون إنكار الحقيقة التي تتضمّنها هذه الظواهر، يوضح لوك فيري أن العلمنة أو الأنسنة – وهي مصطلحات متكافئة – تعد جزءاً من عملية داخلية في المسيحية، كما يتضح من النقاشين ومن "تحولات الشيطان".

¹لوك فيري، ما جدوى الفلسفة المعاصرة، ترجمة: إسماعيل مجعيط وآخرون، مجلة مدارات فلسفية، عدد 16، المغرب، 2008، ص-ص 191، 197.

²Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 57.

³Ibid, p 65.

أ- يوحنا بولس الثاني: الضمير تحت سلطة الوحي

يدور النقاش الأول حول رسالة "روعه الحقيقة"، فبينما يركز يوحنا بولس الثاني على الأخلاق باعتبارها حقيقة موحى بها، يرى لوک فيري أنه يقدم تنازلًا كبيراً بالاعتراف بالدور الشرعي للضمير: "لقد أراد الله أن يترك الإنسان لتقديره الخاص. لم يسلبه الحرية، بل على العكس"¹. لكن "أنسنة الإله" ستظل غير مكتملة لأن البابا في النهاية ينكر على الضمير استقلاله الكامل من خلال تبعيته للوحي. وهكذا، نجد أنفسنا أمام معضلة حرية الضمير أو الحقيقة الموحى بها. إن النقاش في هذا السياق محوري، لكن يعترف لوک فيري أنه لم يكن من الممكن أن تتوقع إجابة مختلفة من يوحنا بولس الثاني: "إذا كان البابا سيجعل من الضمير الحر المعيار الوحيد للحقيقة، وإذا كان يجب أن تكون درجة القناعة هي دليل لاهوت أخلاقي جديد، ألن يعني ذلك بالفعل "إنكار وجود محتوى أخلاقي محدد وواضح في الوحي الإلهي، ذو صلاحية عالمية دائمة؟"².

بين الحقيقة الموحى بها والحرية، هناك توتر، لكن في نظر البابا، لا يوجد تعارض؛ يتم حل هذا التوتر في إطار "ثيوقратية مشتركة": المتطلبات التي يفرضها الوحي الإلهي (المعنوي، الخارجي) من الخارج عبر الكنيسة، يحملها الضمير في داخله (الداخلي، الباطني). لكن يتساءل فيري: هل يمكن الحفاظ على هذا التوازن لفترة طويلة؟ حيث يجيب بأنكيظهر ضعفه عندما نأتي إلى القضايا الملحوظة، مثل عقوبة الإعدام. ففي الوقت الذي ترفض فيه الأخلاق العلمانية عقوبة الإعدام، تقبلها الكنيسة وتبررها، مما يظهر أن الأخلاق الموحى بها تتتفوق على حرية الضمير في عقل يوحنا بولس الثاني، وأن العلمنة لا تزال غير مكتملة. ومن المنطقي أن تصل هذه العلمنة إلى أقصى درجاتها كما يمثلها دروفمان.

ب- يوجين دروفمان Eugen Drewermann: الوحي تحت سلطة الضمير:

إذا كانت أنسنة الإله مع يوحنا بولس الثاني تبدو محاولة فاشلة، فإنها مع يوجين دروفمان تصل ظاهريًا إلى اكتمالها، رغم أنها تظل غامضة. إن العنوان الذي يستخدمه لوک فيري لتقديم موقف دروفمان يتحدث عن نفسه: "رمز خالد أم حقيقة تاريخية: هل يجب أنسنة رسالة المسيح؟" السؤال هو ما إذا كانت أحداث حياة المسيح – الميلاد، الشفاءات، المعجزات – هي "وقائع تاريخية" أم "رموز نابعة من أعماق

¹Ibid, p 71.

²Marcel Neusch, **Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu**, Nouvelle Revue Théologique, N°119, juillet-septembre 1997, p 339.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الإنسان وتحمل دلالة أبدية¹. بالنسبة لدروفمان، الإجابة واضحة بلا شك - على عكس يوحنا بولس الثاني - يعطي الأولوية للاستقلال البشري على الهيمنة الخارجية، متخلّياً عن الجانب التاريخي الخارجي لصالح الباطنية الوجودية.

يمكن قراءة عمله كله كمحاولة لتقليل الجانب الخارجي في الرسالة المسيحية إلى أقصى حد. يتعلق الأمر بتحرير الدين على جميع المستويات، فالأمر يتعلق بحرية الضمير الباطنية البشرية، وبعملية إضفاء الباطنية على الديني المرتبطة بتراجع الشخصيات الكلاسيكية للثيولوجيا والأخلاق.

اختار دروفمان استقلالية الضمير، لكنه لم يوضح خياره بشكل كامل: إذ يتأرجح إلهه بين إله منتشر كلي وبين فرضية إله شخصي يحتاجه الإنسان كدواء لوحنته، وبالتالي يتم بناؤه - كما لاحظ لودفيغ فيورباخ Ludwig Feurbach (1804-1872) -، انطلاقاً من الرغبات البشرية. ومن جهته لا يقلل لوک فيري من أهمية هذا المشروع بالنسبة للحداثة، حيث ورد في قوله: "من خلال هذه الأنسنة للإله، التي يسعى إليها دروفمان باستمرار، يتم تلبية - إن لم يكن تماماً - على الأقل أخذ واحدة من أكثر المتطلبات الأساسية للعالم العلماني في الاعتبار: وهي الحاجة إلى روحانية تتوافق مع حرية الضمير والاستقلالية التي يدعونا رفض حجج السلطة إلى التفكير بها...".².

ج- نهاية الشيطان والشر في الإنسان

يمكن ملاحظة عملية العلمانية نفسها فيما يتعلق بالشيطان، وهو ما يتضح بشكل صارخ من النسخة الجديدة من "أبانا". فالكنيسة لم تعد تقول، كما فعلت لفترة طويلة: "نجنا من الشرير، حيث كان الشر مجسداً، بل تقول الآن: "نجنا من الشر"! يعلق لوک فيري قائلاً: "موازيًا لعلمنة الإله، كان علمنة الشيطان أيضاً في طريقها... التحول الأول للشيطان: تحسده تلاشى بمرور الوقت"³. العلمانية هنا أيضاً في تقدم، وعندما تستمر الكنيسة في الإيمان بوجود حقيقي للشيطان، فإنها تقعن بشكل أقل. لكن إذا مات الشيطان، فإننا لم ننتهي من الشيطانية: الإبادات الجماعية، الاغتصابات، الاغتيالات، التعذيب، وغيرها. وغالباً ما تكون ردود الإنسانية على هذا السبيل من الشر قصيرة جداً. يعترف لوک فيري بأن هناك "تجاوزاً" للشر، وهو سر الشر الذي يفلت من قبضتنا، لكنه لا يعذر الاستسلام، لأن الإنسان يمكنه دائمًا أن يختار أن يكون

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p76.

²Ibid, pp 88, 89.

³Ibid, p 90.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

حرامن أجل الخير أو حرا من أجل الشر¹. والسؤال هو ما إذا كان الإنسان يمتلك الموارد الكافية لمكافحة هذا الشر: فهل ما زالت الأخلاق العلمانية قادرة على استنباط القوى الازمة لمعركة ناجحة؟

يشير لوك فيري إلى أطروحتين أساسيتين توضح فكرة أنسنة الإلهي، الأولى أسمها "نهاية افتتان العالم" إشارة منه إلى كتاب مارسيل غوشيه الذي يوضح فيه كيف تخلصت المجتمعات الديقراطية من الدين خاصة المسيحية في القرنين الأخيرين، أما الثانية فأسمها "إعادة افتتان العالم" التي وضح فيها ملامسة الروحانيات للمجتمعات الالئكية وفي هذه النقطة بالذات يتجلّى مفهومه لما اصطلاح عليه بـ "أنسنة الإلهي"، حيث أعادت المجتمعات المعاصرة منذ القرنين الأخيرين من الناحية الثقافية والفلسفية والفكرية ترجمة المفاهيم الكبرى للدين المسيحي وفق منظور علماني لائق بعيده عن تدخل الكنيسة، وتم بذلك إقرار مقولات: التفكير بالنفس، أخلاق المناقشة، الاستقلالية والفردية، والتفرد في اتخاذ القرار، والأهم من ذلك وضع أي فكرة دينية في ميزان النقد. هذا ما يدفع بنا إلى التساؤل: إن كان المقدس في مجتمعاتنا موجوداً؟ يجيب فيري بأنه ظهر نوع جديد من المقدس يتمظهر في تعالي الإنسان على ذاته، ثم إنه يقر أيضاً بوجود تناقض بين مبدأ الدين الذي يقتضي الطاعة من جهة والاستقلالية الذي يضع كل محتوى في غربال النقد والتمحيص من جهة أخرى، هذا المبدأ الأخير الذي طال كذلك الكنيسة مؤخراً، فهذا عالم اللاهوت يوجّن دروغرمان عمل كثيراً على إعادة تفسير الإنجيل وفق مقولات العلمانية، وكذا الأب فالاديبي في كتابه "تقرير الوعي" دعا إلى إلزامية إدماج إيتينا المناقشة وال الحوار داخل أسوار الكنيسة.

في نهاية القسم الأول من هذا المشروع، يجب التذكير بالهدف منه، فالحركة التي يصفها هي حركة أنسنة الإله، وهذه الحركة ستكون حتمية، على الرغم من مقاومة يوحنا بولس الثاني، الذي يتاخر هنا عن الحداثة، قد يكون دروغرمان أكثر منطقية، لكنه يظل غامضاً، حيث أنه لا ينجح في الحسم بوضوح بين الإله في داخلنا والإله خارجنا. علمانية الإله، وبالموازاة علمانية الشيطان، تترك مع ذلك لغز الشر قائماً. والنتيجة هي أنه إذا لم يعد الإله قابلاً للتتصور، فإنه لم يختلف. لقد تم نقله من الخارج إلى الداخل: الإنسان وحده هو المقدس. ولكي يكتشف الإله في الإنسان، سوف يتبع لوك فيري الحركة المعاكسة لأنسنة الإله، أي تأليه الإنسان.

¹Ibid, p 106.

2- تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث:

صاحب تراجع السلطة الدينية اللاهوتية، بحيث أصبح الاعتقاد بالإله مسألة شخصية، صاحبه خروج العلمانية في أوروبا كبديل له، هذه العلمانية التي ألغت قدسيّة القيم الأخلاقية والجمالية والحقوقية، مما أدى إلى حالة من فقدان المعنى، ما دفع بالغرب إلى البحث عن أشكال جديدة من الروحانية، وقد توجّهوا للبحث عنها في الحكمة الشرقية، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف نفسّر العودة إلى الروحانية في عالم العلمانية؟

يرجع بنا فيري لتوضيح هذه الفكرة إلى أصول الثورة العلمانية، وعلى وجه الخصوص إلى اللحظة الديكارتية التي رسمت الذات الشكّية والتي توجّهت بالنقد لكل العقائد الوثيقية وكل سلطة مقدسة. وهنا تمت التسوية بين الإيمان والإلحاد، وهكذا أصبحت العلمانية المسيحية تدعو إلى أخلاقية الحوار في نوع جديد من التعالي الذي أصبح مرتكن بالمحاباة الملزمة للذات، هذا ما يعطي المعنى للروحانية الحديثة.

يدعو فيري إلى نوع جديد من التعالي يختلف عن الوحي التقليدي ويتمثل في التعالي الإنساني القائم على محاباة الإنسان لذاته، كواقع معاش وليس بوصفه معيشاً كشيء مفروض من سلطة خارجية، ومرتبط بوعي الإنسان ومشاعره وتفكيره الخاص، وهذا ناتج عن غياب المقدس الإلهي من المجتمعات العلمانية، بحيث أصبح ينظر إليه على أنه مجرد وهم، وقد حل محله المقدس الإنساني بأخلاق التضحية والحبة القائمين على أساس الحرية والإرادة.

وفي الوقت الذي نشهد فيه حركة علمنة الإله، نرى في الحداثة حركة تأليه الإنسان. هذا ما يصفه الجزء الثاني من مشروع لوك فيري الذي يلاحظ وجود ظاهرتين كدليل على هذا التحول: أولاً، عودة الأخلاق، ولكن ليست أخلاقياً متعلقة بل أخلاقياً مبنية على الأصالحة، ثانياً، الوجه الجديدة للحب، مع إبراز مبدأ التبادل والطفل. يمكن أن نتبعه في تحليله لهذه الأخلاق الجديدة، من خلال الطريقة التي تقدم بها نفسها في التضحية والحب بعد أن فقد الإنسان في الحداثة التقنية كماله وأصالته وغاية وجوده، حيث تطفى الآداتية وذهنية الاستهلاك والاستلاب، هذه الحالة التي وصفها هيذرغر بالمجتمع الذي يستدعي فيه الفعل فعلاً آخر بلا غاية.

أ- التضحية ليست مفروضة من الخارج، بل يتم القبول بها بحرية

يجب أن نلاحظ أولاً أن قدرة الإنسان على التضحية بقيت سليمة في الحداثة. في حين أن الأخلاق العلمانية الأولى، "التي بدت خالية من الإشارة اللاهوتية"، كانت لا تزال تحفظ بفكرة الواجب المطلق¹، فإننا قد دخلنا منذ خمسينيات القرن الماضي في "عصر ما بعد الواجب" بتعبير جيل ليبوفيتسكي Gilles Lipovetsky (1944-). في الواقع، مثل هذا التحليل سطحي. فإذا كان الشعور بالواجب قد اختفى، فإن القيم لم تتلاشَ معه. لقد حلّت الأصالة محل الواجب. كل فرد يريد "أن يكون نفسه". يمكن تفسير مثل هذه الأخلاق كرد فعل ضد الجدارة البرجوازية، وبالتالي تظهر كرفض للواجب، ولكنها تحمل قيمة خاصة بها: إنها تدعو كل شخص للانتقال من "أنا" غير أصيل إلى "أنا" أصيل فالقيم أصبحت داخلية. ما نلاحظه إذًا هو تحول بدلًا من استئصال أو اختفاء للأخلاق. وفقًا لـلوك فيري، فإن اختفاء التسامي، سواء كان دينيًّا أو علمانيًّا، ليس إلا الجانب الآخر من "تقديس الإنسان". لقد دخلنا في مرحلة داخلية من التسامي، كما يظهر تماماً في التضحية، التي لا يزال معاصرُون قادرُين على تقديمها لأنها تستمر في تمثيل قيمة بالنسبة لهم. فقط، لم يعودوا يبررُونها بنفس الطريقة. "التضحية بالنفس، والأهم هنا، لم تعد اليوم مفروضة من الخارج، بل يتم القبول بها بحرية وُشعرت كضرورة داخلية"².

يجب التركيز على هذا المثال للتضحية، الذي يشهد بالضبط، في نظر لوك فيري، على استمرار القيم. بالطبع، الدافع الذي يلهمها لم يعد مجد الله، أو الوطن، أو الثورة، بل ببساطة القلق على الآخر، لأنه إنسان، فالإنسان كإنسان يشكل دعوة فورية للمسؤولية. والتضحية هي إحدى علامات تأثير الإنسان، لكن كوننا نستطيع أن نضحي بأنفسنا بهذه الطريقة يشكل لغزاً، إن التضحية بالنفس، حتى لو كانت محصورة بأطفالنا، تظل في أعلى درجات الغموض، بغض النظر عن معنى هذه التضحية، "نحن نعيش أقل في نهاية القيم التضحية وأكثر في إنسانيتها"³. الأمر ليس اختفاءً للمقدس بقدر ما هو تحوله.

يعرض فيري أطروحته للإجابة عن سؤال المعنى والتي يتحقق للإنسان البشري من خلالها الحياة الطيبة، من خلال تأكيدِه على مشروع الإنسانية العلمانية التي تقوم على تقدیس الإنسان، وليووضح فكرته هذه يقدم مثلاً بالتضحية التي تكشف عن قدسيّة الإنسان من خلال نبذ الأنانية وقيمة الحياة أيضاً لتحقيقها

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p115.

²Ibid, pp 120, 122.

³Ibid, p126, 127.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

السعادة للجميع، ويشير إلى أن التاريخ الأوروبي عرف ثلاث تحسيدات للتضحية بالذات، الأول شعاره الموت من أجل الله ونتج عنه الحروب الدينية، والثاني شعاره الموت من أجل الوطن ونتج عنه الحربين العالميين، والثالث شعاره من أجل الثورة والذي برع مع الشيوعية، لكن هذه الشعارات تراجعت مع ظهور العلمانية الإنسانية في أوروبا، أين أصبح الإنسان هو المقدس وهو الجدير بالتضحية¹، التي هي اختيار وليس تحت إكراه خارجي وهذا ما أطلق عليه فيري أنسنة التضحية. وهنا تنشأ عاطفة الحبة التي وصفها بأنها ثورة إنسانية الجديدة.

يعتبر فيري أن التضحية من أجل المقدس تعد فضيلة إنسانية عليا، وهذا المقدس أضحى هو الإنسان، وهو يضحي لآخر من أجل الحب، فقيمة الحياة الإنسانية تقوم على الحب، وهذا هو المبدأ الميتافيزيقي الجديد، وهو مبدأ إنساني بطبعه مغاير لنظيره الكلاسيكي الذي ساد في عصر الأنوار وانحصر في العقل والتقدير والتاريخ والحقوق، أما الإنسانية الثانية التي يؤمن بها فيري لم تعد تضحي بالإنسان لأجل مبدأ مثالي متعال وسام، حيث يجزم قائلاً: "بأننا لا نعيش نهاية قيم التضحية، بل نعيش أنسنتها، بالانتقال من التضحية لفكرة دينية إلى التضحية للإنسان وأجله"².

بـ- الزواج القائم على الحب وظهور العاطفة الوالدية

لم تعد القيم الأخلاقية والدينية والثورية والوطنية الكلاسيكية تستهوي الإنسان الذي أحجم عنها جيئاً ماعدا الحب كقيمة عليا وفضيلة تبني على أساس الاختيارات الفردية. وبينوه فيري إلى الوجه المتعالي للحب حيث عندما يتحدث عن الحب يشير إليه على أنه شكل جديد للتعالي "إذ يفتح لنا الحب على كل حال تجربة ما نسميه مع هوسن التعالى في محاية الحياة أي أنه يعطي بعده مقدساً للمعيش ذاته"³. فالحب هو نوع من تجاوز الذات نحو الغيرية ومن أجل الآخر، وهو سبيل للخلاص من المخاوف التي تورق الإنسان خاصة حتمية الفناء والموت وصولاً إلى السعادة والطمأنينة ولتحقيق ذلك يقول: "لكي ننجح في أن نكون سعداء بالرغم من الموت ليس موتنا فحسب لكن موت من نحب، لابد أن تجتمع أربعة شروط، وتحقق معاً كما بين ذلك الفيلسوف المسيحي دوني مورو بامتياز، وهي: ألا يكون الموت هو النهاية، وأن تستمر الهوية

¹لوك فيري، مفارقات السعادة: سبع طرائق تجعلك سعيدا، ترجمة: أين عبد الحادي، دار التدوير للطباعة والنشر، مصر، (دط)، 2018، ص 112.

²لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص 107.

³لوك فيري بالتعاون مع كلود كيليليات، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 63.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الشخصية بعد الوفاة، وأن يكون ثمة اختلاف بين هيئتنا التي نحن عليها الآن وبين الشكل الذي سنكون عليه بعد الموت، وأن يكون من المأمول أن تستمر حياتنا الأخرى بعد الموت طمعاً في ظل ظروف سعيدة نسبياً بل سعيدة جداً¹.

يعتقد لوك فيري أنه يمكنه اكتشاف نفس حركة تأثير الإنسان في مجال آخر: الأسرة. بينما في القرون التي سبقت عصر التنوير، كان الحب يشغل مكانة محدودة كـ"مبدأ مؤسس للأسرة"، أصبح منذ القرن الثامن عشر العنصر الحاسم في اختيار الشريك. في الماضي، كان الزواج الجيد هو الزواج القائم على العقل، أما اليوم فأصبحت العلاقة العاطفية هي القاعدة. وتبعد الخصوصية أمراً مفروغاً منه. ومن هنا تأتي هذه الحقائق بالنسبة لنا، والتي لم تكن كذلك بالنسبة للأقدمين: "الحياة المشتركة مسألة شعور واختيار"، وهي جزء من المجال الخاص. هذا التطور في مفهوم الحب، الذي أدى إلى الزواج الحديث، المبني على الاختيار وليس الفرض، يرتبط بظهور العاطفة تجاه الأطفال².

هناك سبب جوهري لهذا التطور في المشاعر: الفردية. في المجتمع المتساوي والفردي، الناشئ عن الرأسمالية، حيث يزيد وزن العواطف، يجب أن نبحث عن تفسير ذلك في حقيقة أن الأفراد مضطرون لتحديد مصيرهم بأنفسهم. فالفردية تجبر كل شخص على شق طريقه خارج حماية الجماعة، مما يؤدي حتماً إلى تسلل هذه المنطقية إلى العلاقات الإنسانية "وترفعها إلى مستوى الحب الحديث، الانقائي والعاطفي"³. وبذلك، يصبح الحب الدنيوي هو الذي يعطي معنى لوجود الأفراد. كما يتتج عن ذلك أن الحياة أصبحت عالية المخاطر. هذه البنية الجديدة للمعنى تحمل في طياتها تحديداً بانحلالها الخاص، لأن الفرد، المطالب ببناء وجوده على الشعور، لم يعد لديه دعم من الإيمان الديني، ولا من مجتمع يسانده. يجد الزوجان أنفسهما في مواجهة -إذا جاز التعبير- وحيدة، مما يجعلهما في مواجهة شكل جديد من العلاقات الإنسانية.

يكشف هذا الجانب المأساوي للحب الحديث أنه بدون الوساطة من التسامي، أو من مصطلح ثالث يوحد، فإن الحب محكوم عليه بالفشل. إذ يقول فيري: "الشغف يحتاج للبقاء إلى مساواة تامة بين الحبيب والعاشق... أي خلل في توازن الحب يكون قاتلاً"⁴. وفي حال عدم القدرة على الحفاظ على التبادلية الكاملة، يمكن أن يلجأ الحب الشغوف إما إلى "إنكار الذات لصالح الآخر" (شخصية المعجب)، أو إلى

¹لوك فيري، مفارقات السعادة، ص 13

²Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p141.

³Ibid, p 146.

⁴Ibid, p152.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

"إنكار الآخر لصالح الأنا" (أسطورة دون جوان)¹. هنا نجد بعض الصفحات التي توضح بشكل جيد شروط الحب الناجح، والذي يفترض وفقاً لما يقوله لوك فيري، وجود تسامي يعبر عنه جيداً مصطلح Agapè. يجب هنا إعادة قراءة التمييزات التي يقدمها بين Eros، و² Agapè، وهي ثلاث مصطلحات تشير إلى التحولات التي يجب أن يمر بها الحب إذا أراد مواجهة حقيقته. ونظراً لقيمة الحب في فكر فيري فهو يأخذ معانيه من اللغة اليونانية القديمة، ولذلك فهو يفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة لتحديد معنى الحب، وحسبه للتفرقة في استعمالاتها يتطلب الأمر تدقيقاً مفاهيمياً كبيراً، فإن كان Eros فهو يدل على حب التملك المتميز بأنه غير يأخذه ويستهلك، أما إذا كان philia فيشير إلى الابتهاج بوجود الآخر، أما عن Agapè فهو الحب المتعالي الذي يمنع للجميع بدون مقابل³.

أسس فيري أطروحته عن الحب برسم المعلم العام للذهنية التاريخية والاجتماعية التي تخوض عنها مفهوم الحب وتحديداً في القرنين الأخيرين، وهذا من خلال رصد تحولات الأسرة الأوروبية الحديثة، والتي طرأت عليها حسبه التحولات التالية:

- تجاوز زواج المصلحة المبني على غaias اجتماعية وإقتصادية تحت سلطة وتدبير الآباء إلى زواج الحب القائم على حرية القرار من طرف الزوجان، هذا النموذج الذي قلب النظام الاجتماعي الأوروبي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية⁴.

- نشأة الحياة الخاصة والاحتفاء بالعلاقة الحميمية.

- تحول الحب الأبوي للأبناء ليكون أولوية في أغلب العلاقات الأسرية، وهنا عرفت الأسرة مهام تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية وأخلاقية ونفسية وليس فقط تربوية واقتصادية⁵.

ولقد ساهم في هذا الانقلاب المنظوري التحولات الاجتماعية والاقتصادية أين تم الانتقال من مجتمع مغلق ومتراتب إلى مجتمع فردي ومساوي، وكذا التحول إلى النظام الرأسمالي الذي قدم الاستقلالية للرجال والنساء مما زاد من أهمية الحبة في العلاقات الشخصية في ظل تراجع الانتماء الديني وانهيار السردية الكبرى

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, pp 154, 156.

²Ibid, p 159.

لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 63.

لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص 119، 120.

لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 62.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

التي كانت تدرج الفعل الفردي في أفق مشروع واسع وضبابية المستقبل ومرق旦 الأمل بالتغيير الجذري، والتصاعد الكبير للنزعنة الفردانية أمسى يلقى حفاوة وقبول كبيرين لدى الإنسان المعاصر، الذي اهتم بالتعبير عن مشاعره بكل صدق وأهمها الحب¹. وما يستشف من هذه الأفكار أن هناك عاملين ساهموا في نقل فكرة المقدس إلى موضوعات جديدة أكثر ذاتية ووجودانية، يتمثلان في تضخم العاطفة في تكوين العلاقات الأسرية، وتفلت الأفراد من سلطة التقاليد الجماعية والدينية القديمة، والحب وفقاً لمنظور لوك فيري لا يخترق في مجرد الارتباط العاطفي، بل يجسد العلاقة الروحانية المتعالية والمقدسة فـ "الحب يفرض نفسه بوصفه بعده من أبعاد المطلق والمقدس في صميم وجودنا بالذات، والدليل على ذلك أنها مستعدون لكل شيء من أجل من نحب"²، بمعنى أن الحب أصبح مفهوماً متعالياً ترانسندنتالياً، ولكن يبتعد عن العالم الآخر ويتجذر في الأرض في قلوبنا بوصفنا بشر، وهو يضطرنا إلى تجاوز ذاتنا بحكم تعالى الآخر فقط، تعالى الشخص المحبوب الذي يتغلب على أنايتنا الطبيعية، وهكذا فقط ينقلب المتعالي إلى المعاشرة، وهذا التخيل الفكري يقدم فيري إجابتة عن سؤال المعنى وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان المعاصر.

يعود لوك فيري في الختام إلى فرضيته الأساسية، وهي أن "عملية نزع السحر عن العالم ببطء، والتي من خلالها تحدث أنسنة الإله، يقابلها تعويض بموازاة حركة موازية لتأليه الإنسان"³. هذا التأليه للإنسان، على الرغم من هشاشته، يحدث، كما رأينا للتو، أولاً في المجال الخاص للعلاقات الشخصية: الحب. وهكذا نرى إعادة تشكيل حالات جديدة من التسامي، حتى وإن كانت تعيش في الجوهر بين الأفراد، فإنها لا تقلل من تحديد مساحة جديدة للمقدس.

ج- المقدس بوجه إنساني: نحو تقديس الجسد والقلب:

يمكن ملاحظة هذه التساميات، التي تمثل شكلاً من أشكال المقدس البشري، أيضاً على المستوى الجماعي. يوصف هذا التجاوز نحو الإنسانية ككل، من خلال التعاطف، ووفقاً لوك فيري فإن علامات هذه الاهتمامات الجديدة، التي ليست نادرة، تتمحور جميعها حول الحفاظ على الإنسان ككيان. من بين

¹ جيل ليوفيتسيكي، عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوارز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1، 2018، ص 68، 69.

² لوك فيري بالتعاون مع كلود كيليلي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 64، 65.

³ Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p 165.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

هذه العلامات، يذكر لوک فيري على ثلاثة: الجسد، العمل الإنساني، والفن. هنا أيضًا، يتعلق الأمر بتحول في المقدس بدلاً من اختفائه.

يشهد على هذا التحول أولاً تقديس الجسد البشري، والذي يظهر بوضوح من خلال تطور علم الأخلاقيات الحيوية: "الجسد البشري، على غرار جسد المسيح، أصبح هيكلًا. لكن الإلهية التي يحتضنها تبدو غير موجودة. إنها تشير إلى روح لا يمكننا تسميتها، حتى وإن استمرت الفكرة في داخلنا. الإلهية غادرت السماوات، وأصبحت وفقاً لنبوءة هيغل، متجمدة"¹. هناك أيضًا تقديس للمشاعر، يتجلّى في العمل الإنساني، فالدين الجديد أو دين الإنسانية قد ولد". مقارنة بأسلافه -الصدقة المسيحية على المستوى الديني وفلسفة حقوق الإنسان في عصر التنوير- يتميز العمل الإنساني بشمولية لم تتحقق من قبل. لا يغفل لوک فيري عن التناقضات التي يعاني منها العمل الإنساني: صدقة زائفة، وصدقه استعراضية، فلسفة زائفة تستبدل التفكير بالعاطفة، سياسة زائفة، "ذرعة للكسل والجبن"². كل هذه الاعتراضات لا ينبغي أن تخفي ما يكشفه العمل الإنساني: استمرار الشر الجنري في العالم الحديث، ولكن أيضًا الاعتراف الضمني بأن كل إنسان مقدس وأن هذا الاعتراف يجب أن يشع في السياسة والثقافة.

يظهر المقدس أيضًا في الفن والسياسة، وإذا لم يكن ظهوره في الفن مفاجئًا بالنسبة لنا، فإن ظهوره في المجال السياسي أكثر دهشة. يوضح لوک فيري ذلك، بعد الجانب التقني والتكنوقратي للسياسة، يحمل سياسة أخرى، حيث تلتقي البعد اليهودي (العدالة) والبعد المسيحي (الصدقة)، أي سياسة تستمد روحاً من "الفيلية" (philia)، والتي في ذلك الوقت ستكون قادرة على إعادة إحياء حياتنا. فهو يتبنى هنا رؤية السياسي الأمريكي جون رولز John Rawls (1921-2002) الذي يعتبر أن: "المجتمع العادل هو المجتمع الذي، من جهة، يحترم الحريات الشكلية، ومن جهة أخرى، يكون أكثر ملاءمة للفئات الأقل حظًا بين أعضائه. نهاية الكلام، أو تقريباً".³

¹ Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 172.

²Ibid, pp 183, 199.

³Ibid, p 224.

د- الإنسانية للإنسان-الإله

برفضه من جهة الإنسانية المسيحية، البعيدة جدًا عن المثالية الديموقراطية، ومن جهة أخرى الإنسانية الملحدة، لأنها "تقود إلى الإلحاد والمادية"، يصبح لوك فيري مدافعاً عن إنسانية تدعو في جوهرها إلى الحرية ضد كل الاحتمالات. ولصالح هذه الإنسانية الروحية والمقدس الذي تنطوي عليه، يقدم خمسة حجج:

1. نحن لا نتوقف، دون أن ندرك ذلك، عن وضع قيم أسمى من الوجود.
2. هذه القيم تحفظ بجزء حتمي من الغموض: فهي تفلت من أي إثبات.
3. إنما تنسج رابطاً بين البشر، مما يملأ نفس الدور الذي كانت تلعبه الديانة في الماضي.
4. يمكن وصف هذه القيم بأنها مقدسة — "ما من أجله يمكن تقديم تضحية" — ولكن مقدساً متجلزاً ليس في الوحي، بل في الإنسان.
5. أخيراً، لها علاقة بالأبديّة، حيث يشعر الإنسان الغارق في الزمن بأنه "مطلوب من الخارج، رغم أنه يجهل كل شيء عنه، سوى أنه بحاجة إليه".¹

يميز فيري بين الفعل الأخلاقي كممارسة والقيم الروحية التي يبني عليها أطروحته الفلسفية في الخلاص، وقد جعلها مرتهنة بالحب والمشاعر الإنسانية، وليعطينا صورة أكثر دقة ووضوح عن أهميتها قدم أمثلة عن تحسيداتها كالمنظمات الحقوقية المناهضة للعنصرية والتبعض والحماية البيئية والأقليات العرقية...الخ.².

نتج عن حركة التفكيك والعدمية ونسف المقولات المتعالية والمقدسات التي جاءت بها السردية الفلسفية الكبرى ظهور إنسانية ثانية تختلف تماماً عن إنسانية عصر النهضة والأنوار وإنسانية ديكارت و كانط وفولتير، وإنسانية العقلانية وحقوق الإنسان، فهي تتجاوز إنسانية القرن الثامن عشر التي بقدر ما حررت الإنسان أدت إلى الإمبريالية والاستعمار في المقابل، وبقدر ما حققت الرفاه والرخاء المادي للإنسان بقدر ما جعلته مسلعنا ومستلباً ومستهلكاً، لهذا فهي إنسانية ما بعد كولونيالية وما بعد ميتافيزيقية، يمكن وصفها بأنها إنسانية ارتقاء الآخر والحب. فكانت إثر ذلك ثورة الحب نتاج ثورة صناعية متوجهة، فالحبة في

¹Ibid, pp 236, 241.

²إيتسم حاج شريف وعبد القادر شاري، إтика السعادة وفلسفة الخلاص عند لوك فيري، مجلة الأكادémie للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد 15، عدد 2، الجزائر، 2023، ص 97.

أفق الإنسانية الجديدة هي بمنابع ثورة تسعى لترسيخ قيم جديدة للحياة البشرية، قوامها الحبة التي اعتبرها فيري مبدأ ميتافيزيقيا متخطياً للهوة الفاصلة بين الأنماط والآخر، ومانحا المعنى الذي نبحث عنه في حياتنا سواء للفرد أو المجتمع، وهكذا يتحقق الخلاص، ومن أجل ذلك اعتبرها فيري دين جديد.

3- مشروع لوك فيري الإنساني: مقاربة نقدية:

إن تشخيص لوك فيري لصالح إنسانية الإنسان-الإله ينطاطع مع تشخيص مارسيل غوشيه، على الأقل في نقطتين: من جهة، نحن قد خرجنَا من الدين، بمعنى أن الدين قد توقف عن تشكيل المجتمع، مما يجبر الأفراد والمجتمع على إيجاد الدوافع للتجاوز داخل أنفسهم. حينما توقف الدين، لا سيما الدين المكشوف، عن تشكيل الحياة الفردية، تمكن أشكال علمانية (الأيديولوجيات) من أن تأخذ مكانه. ومع ذلك، إذا كان الفرد قد عاش في نشوء معنى ديني كان قائماً على نحو ما، أو معنى علماني، الذي فشل، فهو الآن متزوك لنفسه، مضطراً لتحمل وحده مسألة وجوده الخاص. يكتب لوك فيري: "إذا لم يكن البشر في بعض النواحي آلة، فلن يكونوا أيضاً بشرًا. يجب أن نفترض فيهم شيئاً مقدساً أو أن نقبل بتقليلهم إلى الحيوانية"¹. ومع ذلك، فإن هذا التشخيص يتطلب تقييماً نقدياً يمكن أن يركز على نقاط الآتي ذكرها، والتي تبرز المفارقات والتعثرات النظرية والعملية لأطروحة لوك فيري.

أ- تقمص الروحانيات:

تميز الفكر الغربي المعاصر باستعارته لفكرة الروحانيات والتعالي من الأديان، خاصة من قبل الفلاسفة اللادينيين والملاحدة، محاولة منهم لإضفاء معنى للحياة، ومن أبرز هذه الروحانيات موضوع الحب الذي خاض فيه كثيرون على غرار لوك فيري الذي حاول بدوره رسم ذهنية روحانية تتجاوز الإطار الديني القائم على ممارسة الطقوس والشعائر، وبالتالي فهو ينفصل عن مفهوم الروحانية المتعالية في المحيط الإنساني، لكن لو نظرنا إلى هذه الفكرة نظرة ثاقبة ممحضة نجد أن الشعائر الدينية والطقوس التعبدية هي من تؤسس وتعزز الروحانيات، ذلك أن هذه الأخيرة يستحيل أن تنشأ من فراغ أو عدم².

ب- أطروحة لوك فيري: إنسانية بدون إله

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p241.

²طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية: النقد الإنتمائي لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014، ص 140، 146.

إذا كان السؤال يعتبر لا مفر منه، فإن لوك فيري يرى في الوقت نفسه أنه لا يوجد مكان خارج الإنسان للعثور على إجابة له. يبدو له أنه من المستحيل العودة إلى الوراء، من خلال استعادة هيبة التجاوز سواء كان دينياً أو علمانياً (أيديولوجيات). نحن في لحظة تاريخية حيث جميع التجاوزات في تراجع، بحيث أن الفرد، في نهاية القرن العشرين، يواجه مهمة غير مسبوقة: حل مسألة المعنى بنفسه. لا أحد يمكنه الوصول بالإرادة إلى نهايتها بدلاً عنها. في هذا السياق، لم يعد الله سوى استعارة للمعنى النهائي الذي يقدمه كل شخص أمام نفسه. إنه رمز لامتناء المعنى، معنى المعنى. إذا لم يكن موجوداً في المصدر لتأسيس المعنى (ال فعل لا يحتاج إلى أساس سلطوي)، فهو يوجد في النهاية، كأفق للمعنى الذي يعود لكل شخص أن يمنحه لنفسه. إنسانية الإنسان-الله هي أولاً إنسانية بدون الله، التي تلقي على عاتق الإنسان مسؤولية اختراع مستقبله، دون سيد.

كيف يمكن الحفاظ على قوة نظام قيم خالٍ من أي أساس؟ هذه مسألة طرحت منذ ظهور المجتمعات الديمقراطية. القيم التي يرى لوك فيري أنها تزدهر هناك تبدو وكأنها زهور مقطوعة من جذورها المسيحية. في غياب سلطة خارجية، قد يكون مركز الالتزام قد انتقل إلى داخل الوعي، لكنه وعي لم يعد مدعوماً إلا بنفسه. لقد تلاشى المطلق في زوال وجود الأفراد. تظل مسألة: لماذا يجب علينا أن نكون أخلاقيين؟ دون إجابة في النهاية. لمعالجة هشاشة الالتزام هذه، كان برنار هنري ليفي Bernard Henri Lévi (1948-) قد اخترع في زمنه "الخيال التوحيدية" لليهودية: خارج هذا الموقع التوحيدية وما يتربّ عليه، لا توجد حقوق إنسان لا تكون دائمًا حقوق جثة الإنسان. ولكن ما هو وزن خيال عندما يتعلق الأمر بتأسيس معنى العمل، يجب هنا التذكير بعبارة ماكس هوركمهير Max Horkheimer (1895-1973)، مهما كانت إعادة صياغته، فالحفاظ على معنى غير مشروط دون الله هو وهم.

يفضل لوك فيري في النهاية الاعتراف بالجهل على الدوغماوية الدينية، التي تربط القيم بمصدر متعالي، وهو ما يشعره بخيبة الأمل من كل الماديين واليسوعيين. ويقرّ بأن هذه اللامعينة تثير الانزعاج. لدى الماديين، لأنّها تعترف بتجاوزات تحرّب من منطق العلم والأنساب - لدى المسيحيين - لأنّها تجبرهم على إعادة صياغة معتقداتهم بعبارات قد تكون أخيراً متوافقة مع مبدأ رفض حجّج السلطة. ثم إن إعادة صياغة المعتقدات لا تعني بالضرورة تغييرها - يشعر لوك فيري بالقرب من المسيحيين، ولا سيما من مثالية حبهم - ولكن يعني

وضع مصدرها ليس خارج الإنسان، بل في قلوب البشر، مع الاعتراف بالجهل فيما يتعلق بكيفية نشوء هذه القيم. يعترف لوك فيري بأنه يواجه لغزاً، وهو ما يعد على الأقل علامه على التواضع.

حـ- التباس مفهوم التعالي:

أخذ فيري مفهوم "التعالي في الحايت" أو "التعالي المقارن" من فيلسوف الفينومينولوجيا إدموند هوسرل الذي تناولها في صدد معالجته لموضوع القصدية التي يتمتع بها الشعور الإنساني حيث تدفعه نحو موضوعات العالم الخارجي، هذا ما يمكنه من التعايش معها بواسطة شعوره وخبراته، مما يعني أن الصفة الخارجية للعالم تتكون داخل الشعور نفسه، ولكن هذا المفهوم التبس على فيري وذلك كونه "أنزل الشعور بسمو القيمة نفس الرتبة التي ينزلها الشعور بثبوت العالم في الخارج، فانتقل من الدلاللة النفسية إلى دلالته الأخلاقية، أي استبدل بوجود الوعي وجود الضمير، بحيث لم يعد لفظ التعالي يفيد أن الذي يوجد خارج الشعور هو العالم المادي وإنما هو العالم الروحي"¹.

يبدو أن فيري لا يستطيع الانتقال بسلاسة من فكرة التجاوز في السياق الاستيمولوجي الكانطي إلى فهم متعمق للتجاوز الأنطولوجي الذي يركز على الفرد نفسه، بحيث لا يمكن للمفهوم الكانطي للتجاوز كمشروع عالمي للفرد البشري أن ينزلق بسهولة إلى مفهوم التجاوز الأنطولوجي المرتكز على هذا الفرد عن طريق استخدام الصفات الغامضة أو المقدسة. وإذا كان الإنسان هو الله، فيجب أن يكون هو الخالق لكل شيء، ومع ذلك يعترف فيري بأن ليس هذا هو الوضع، في هذه الحالة، لا يكون الإنسان هو الله، ومن الأفضل الامتناع عن اللعب بكلمات التجاوز أو الله. يبدو أنه في هذه الحالة يفضل الانضمام إلى البراديفم الذي اقترحه هيغل، إذ يتبعن على الإنسان أن يدرك حاليه المؤقتة والمميزة وغير المتمالية، سواء فردياً أو جماعياً، وأن التجاوز داخل هذا الانحدار ليس له تفسير آخر سوى مشاركة الإنسان في التجاوز الإلهي. ولا يفسر هذا التجاوز لله بفقدان التقدير الحر للإنسان ولا أيضاً محدودية الإله للخلق بأسره. ثم إن مفهوم "الإنسان المؤله" يشير مفارقة واضحة، إذ يجمع بين صفتين متناقضتين: التعالي المقارن أو في الحايت والمميز للإنسان، والتعالي المفارق المميز للإله، ومهما بلغ الإنسان في شعوره بالقيم المتعالية فلن يبلغ مرتبة الألوهية، إذ يستحيل له أن يتجاوز حاليه النسبية المتناهية إلى حالة مطلقة لامتناهية².

¹ طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص ص 67، 68.

² المرجع نفسه، ص 68.

د- أطروحة مشكوك فيها فيما يتعلق باللاهوت

تبقى الأطروحة التي يقدمها لوک فيري غير مقبولة من وجهة نظر اللاهوت المسيحي، وكذا بقية الأديان. وذلك أولاً بسبب الاستخدام المفرط لمفهوم الإنسان-الإله، الذي يعاني من غموض كبير. يدعى فيري أن هذا اللقب المطبق على الإنسان مبرر من الإنجيل: «قال لهم يسوع (لليهود): "أليس مكتوبًا في قانونكم: أنا قلت: أنتم آلة؟» (يوحنا 10، 32-34)¹. لكن تفسيره لهذا النص يبقى محل نقاش. بالنسبة للمسيحي، فإن «الإنسان-الإله» له معنى دقيق: يشير إلى المسيح وبالتمثيل، إلى كل إنسان باعتباره مخلوقاً على صورة الله ومدعواً لمشاركة حياته. أما عند لوک فيري، فإن الإنسان-الله هو مفهوم علماني تماماً: الإنسان الذي يصبح إلهًا، أو يكتشف بعدها مقدساً فيه.

على الرغم من أنه على صواب عندما يبرز أن الإنسان هو «أكثر» من إنسان كحامل للقيم، في مواجهة تقليص مادي للإنسان، إلا أن هذا التفسير، الذي يتتجنب نعمة الإله، هو رومانيا أكثر من كونه مسيحيًا. علاوة على ذلك، لا يمكن إلا أن نعارض الفكرة التي يحملها لوک فيري عن الوحي: عمل «خارجي»، سلطوي ويفرض نفسه كمرسوم اعتباطي على الإنسان. لا يمكن إنكار أن للوحي جانباً خارجياً، بقدر ما يعيدها في النهاية إلى حدث تاريخي، وهو المسيح. لكن هذا الحدث، مهما كان غير متوقع، ليس خارجياً عن الإنسان، وإنما سيجيء غير قابل للتفسير. كان القديس أوغسطين² (Augustin) 354-430) حساساً بالفعل لهذه المسألة. كان يعتقد أنه من المستحيل فهم الكلمة المتجسدة خارج ارتباطها بالكلمة الداخلية، لأن الداخلي هو الذي يصدق الخارجي: الله هو بولتمان، الإنسان يمكنه أن يوافق على الوحي التاريخي بفضل فهمه المسبق، دون أن يستبعد. ولتجاوز البساطة الخارجية، يميز راهن في التواصل الذاتي للإله بين جانب تنصيفي (وجودي، تاريخي) وجانب ما ورائي (وجودي، داخلي). الجانبان لا ينفصلان. فيري لديه فكرة عن الوحي تبدو، على أقل تقدير، قديمة.²

يظهر لوک فيري في هذا السياق كمنتج متأخر لعصر التنوير في القرن الثامن عشر، الذي لا يقبل سوى العقل كسلطة معترف بها. كان كانتٌ قد لخص روح هذا العصر بشكل مثالٍ عندما دعا إلى إعمال العقل والتحرر من أي سلطة. في هذا السياق العقالي، يُخْفِض الوحي إلى حالة مؤقتة، تصبح منتهية عندما

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p242.

²Miruna Craciunescu, *La pensée 68 : un pamphlet sur l'anti-humanisme ?* Université McGill, Montréal, 2012, pp 14, 18.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

يظهر العقل. لقد كان الوحي للإنسانية عكازاً يمكن للعقل الناضج أن يستغني عنه. وفقاً لوك فيري، يختزل الوحي، كما هو الحال مع مفكري التنوير، إلى نواة أخلاقية، إلى مجموعة من القيم، لكن هذه القيم في النهاية تعتمد على تحديد العقل الداخلي فقط. كان هذا بالفعل موقف كانط، وليسينغ Lessing (1729-1781)، وأخرون. يتجاهل لوک فيري مثلهم ماهية الوحي، ليس كإضافة للحكمة، ولكن كحدث مدرج في التاريخ، صليب المسيح، الذي لا يحاول في أي لحظة استيعاب معناه للوجود. يبقى غير متأثر بالمنطق المسيحي. وهذا يطرح سؤالاً أكثر أساسية من الناحية التفسيرية.

هـ- مفارقة الحب المدنس:

لم يفصل فيري في عرض تصوره عن الحب ومحاولته تبيان مكانته المقدسة بالنسبة للإنسان المعاصر بين نوعيه: "حب الشهوة" و "حب الشوق"، مع ترجيحه لكتفة الأول على الثاني كونه يحقق للإنسان تجربة المعايشة المتعالية، وقد أطلق على هذا النوع من الحب اسم "حب الهوى"، وقد جعله في موقع مضاد لكل من الكره والموت والفقد، ويعتبر أن ملازمة آثار الكره والموت للإنسان الحديث دالة على تحدّر العد المأسوي للوضع البشري عموماً، كما يوضح أن الكره يتضمن أملاً فизيقياً، والموت يمنع اللذة الحسية، وبالرغم من ذلك فإنه يجعل من حب الهوى في مرتبة راقية تضاهي حب الشوق ولا يخفى أن هذا النوع الأخير هو الذي يدفع القلب إلى طلب كمال الخلق وتمام اللذة الروحية، ولا يسكن إلا في الخلود إلى جوار المحبوب.¹.

وـ- معضلة الأسئلة المعلقة:

يمكن أن نلمس غياب الانسجام في المنطوق الداخلي المؤسس للفلسفة الإنسانية الجديدة كما تبناها وعرف بها فيري، لهذا يكتنفها قصور نظري في تقديم إجابات مضبوطة حول عدة مشكلات جوهرية، مما يضع أطروحته موضع ضعف المعقولة والارتباك المعرفي خاصه وأن الإنسان عملياً فضولي بطبيعته يبحث دائماً عن إجابات لأسئلته وتفسيراً للغموض الذي يحيط به، وهذا ما نلمسه في القضايا التالية:

- إن الطرح الفيري يفتقد للحجاج والتأسيس العقلي فيما يخص قيمة الإنسانية المتعالية، إذ يعول على مخاطر نفي التعالي الذي يؤدي إلى زوال إنسانية الإنسان نفسه، هذا الأمر ليس غريباً عن فلاسفة الحداثة وما بعدها، ابتداءً من ديكارت إلى هوسرل تضمنت أفكارهم الفلسفية قيمًا ودلائلًا فوقية متعالية

¹اطه عبد الرحمن، بؤس الدهوانية، ص 69.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

(خارج العالم)، وذلك تحت عناوين من قبيل: الحقائق الأبدية، الأفكار الفطرية، الموجودات العليا، المقولات القبلية...

- إن الإقرار بأن الإنسان المعاصر لابد له أن يبني حياته على العواطف والمشاعر خاصة الحب والغرام حتى يصبح لها معنى ويعيش حياة طيبة كما دعا إلى ذلك فييري، وفي المقابل التخلّي عن السنّد الإيماني العظيم وعن التقاليد الاجتماعية الكلاسيكية أو كما أطلق عليه القروية والعشائرية، مما ينذر بتعريمة الكائن الإنساني من كل الدعامات الروحية والنفسية مع تعريض روحه العارية لمعاناة ألم الفقد والخيانة والموت والكوارث والفشل العاطفي فيسقط الحب المثالي والمعالي من برجه العاجي¹.

- إن ربط الحياة الطيبة بالحب في الوقت الراهن في بناء علاقتنا مع الآخر خاصة بين الزوجين كما أقر بذلك فييري، أفضى إلى شیوع الفشل في العلاقات وحدوث الانفصال، وقد تجلّى ذلك في تقنيّن الطلاق. ويمكن تفسير ذلك أن تراجع العوامل التقليدية العائلية والاقتصادية في اختيار شريك الحياة، وفي المقابل جعل قرار الزواج قضية شخصية قائمة على حرية اختيار الطرفين والتي غالباً ما يكون أساسها الحب والعشق والغرام، مما يؤدي إلى بناء أسرة على أساس عاطفية، لكن هذه المشاعر الفياضة في البداية ومع تقادم الوقت ينطفئ هبّها، إذ أن الشريك يصعب عليهما الحفاظ على قوة عشق البدايات وتحويلها إلى علاقة مستمرة وصداقة حميمية دائمة². ويعزى ذلك إلى كون المجتمعات المعاصرة قد قدست الحب بحيث أصبح الفرد يكرس كل طاقاته الفكرية والنفسية وكل ممارسته له، بل ويبني عليه آمال وتوقعات كبيرة، أي أن الحب صار "تجسيداً علمانياً للخلاص" وهذا ما يساهم في حدوث التباعد والطلاق من أول خيبة أمل أو هفوة³، فقد وكلَ للزوجة مهام أن تكون العشيقة الجذابة والصديقة المؤنسة والزوجة المتفهمة والأم المعطاءة المضحية، بل وأن تحافظ على هذه الأدوار مع تقدم العمر وكثرة المشاغل، هذا إضافة إلى النجاح الوظيفي والاجتماعي، ومن ناحية أخرى مطلوب من الزوج أيضاً أن يكون عشيقاً بارعاً وزوجاً داعماً ورجالاً ناجحاً وأباً متميزاً، إن هذه النظرة المضخمة للطرف الآخر هي ما يؤدي بالعلاقة إلى التلاشي والزوال من أول نكبة أو مشكلة.

يمكن القول في نفس السياق أن للحب كعلاقة مقدسة روحية وجه آخر سلبي ووحشي في بعض الأحيان يتمثل في ألم الفناء أي الفقد والخسارة والموت كامر حتمي لا مفر منه، مما يفقد الطرح الفيري

¹ أوهريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة: جورج كتورة وإلهام الشعراوي، مكتبة الشرقية، ط1، 2009، ص 298، 299.

² لوک فييري بالتعاون مع كلود كبلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 327، 328.

³ أوهريش بيك، مجتمع المخاطرة، ص 297.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

عقلانيته حول فكرة ترسيخ المعنى وتوفير الحياة الطيبة حد الذي يجعلنا نصفها بالمجازفة المخيفة بالكونية الروحية، ويعتبر تبرير فيري لهذه المشكلة مثير للحيرة، فهو يقترح أن على الكائن الإنساني أن يسلح نفسه بمنطق "حكمة الحب" من خلال ربط الحبة بالموت، أي توقع نهاية العلاقة بالموت من أجل البحث عمما ينبغي القيام به وبكل فرح مع أولئك الذين نحبهم والذين سنفقدتهم، إلا إذا فقدونا هم قبل ذلك، لكنه يعترف بعد ذلك بلسانه: "أني بعيد كل البعد عن امتلاك هذه الحكمة، ومع ذلك فأنا متأكد من وجودها، ومن أنها تشكل تتوبيحاً لإنسانية متخلصة من أوهام علم ما وراء الطبيعة ومن الدين"¹. وبلغ الطمأنينة أمام هذا التهديد بالفقدان النهائي لا يتحقق حسبي إلا ببلوغ الشروط الأربع الآنفة الذكر، لكن بالتأمل جيداً في هذه الشروط نجدها تتوافق مع ما نادت به المسيحية والإسلام كذلك.

يمكن أن نلحظ بجلاءً مما تم عرضه من أفكار فيري التغرات النظرية والعملية التي يعاني منها مشروعه الفكري خاصة في محاولة الإجابة عن سؤال المعنى والرؤية إلى الوجود، كما نلمس بشكل عام هشاشة الأطروحات المعلمنة البديلة في تخفيتها لمركبة سؤال أصل الإنسان والكون ومصيرهما بدعوى تقويض الميتافيزيقاً، ومنه رفض إنتاج السردية الكبرى التي قدمت إجابات للإشكاليات الكبرى المتعلقة بالإنسان². هذا ما يصوغ الفشل الذريع الذي مس الإنسان المعاصر في محاولاته لتأسيس المعنى بعزل عن بناء سردية مكتملة ومعقولة ومتسقة، فغياب السردية الكبرى يأتي من المبالغة في التمركز حول الإنسان والانقطاع الروحي ورفض التقاليد والعقائد مما يحصر فكر الإنسان في زاوية مكانية لا زمانية، وتنحصر حياته الباطنية بالوجود العيني مما يفقد العلاقة الوجودية الأصلية بالنفس وبالغير.

ي- الحاجة الملحة إلى تفسير آخر

ما هو مطروح فعلياً في هذا النقاش هو مسألة التأويل. كيف نقرأ؟ يقر مارتن لوثر Martin Luther (1483-1546) بأن الكتاب المقدس هو أنف من الشمع؛ يمكن استخراج أي شيء منه ويمكن استخدامه لتبرير كل شيء. فالعقل كما يفهمه لوثر فيري في سياق التنوير يستمع بالمعنى الحرفي ويتصمم إلى كل ما قد يأتي من الخارج، أو بشكل أدق، إذا لم يمنع نفسه من استشارة النصوص المؤسسة للمسيحية، فإنه يخضعها لأولوية عقلانية ليستخرج منها فقط ما يعرفه بالفعل. قراءته تتماشى مع فكرة سبينوزا الذي استخلص من

¹لوثر فيري، *تعلم الحياة*، ص 384، 385.

²ستيف بروس، *روحانية العصر الجديد بدليلاً عن العلمنة: بطلان الديانة الفردية*، ترجمة: رامي طوقان، مجلة الاستغراب، عدد 2، ديسمبر 2016، ص 191، 205.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

الكتاب المقدس قانوناً أخلاقياً، لكنه يتجاهل المعطى التاريخي، أي ما يميز الجدة في الإنجيل. ولكن للوصول إلى هذه الجدة، يجب على العقل ألا يتخلّى عن نفسه ولكن أن يبدأ بأن يصبح متقبلاً. يجب أن يتعلم من التقليد الكتسي، الذي هو مفتاحه النهائي المسيح. كما يعتقد القديس أوغسطين بأن في أي نقطة يتعدد فيها عقل الإنسان عند سماع الكتاب المقدس، لا يتعد عن المسيح. عندما يُكشف له المسيح في هذه الكلمات، فليعلم أنه قد فهمه، لأن المسيح هو نهاية الناموس لتبرير كل من يؤمن به.

يتم قياس كل شيء بالنسبة إلى لوك فيري بمعيار إنسانية ضمنية، وقد كان هذا بالفعل شعار فيورباخ. ففي الوقت الذي لاحظ فيه آخرون مثل توماس هوبز أن الإنسان ذئب للإنسان، كان لودفيغ فيورباخ يحلم بمستقبل يكون فيه الإنسان إلهاً للإنسان. هل يقدم لوك فيري شيئاً مختلفاً؟ لكن، إذا كان يلاحظ أن الإنسان، من خلال القيم التي يروج لها، يتسم بدعة إلى الألوهية، فيجب أن يعترف أن دعوته تؤدي في النهاية إلى الفراغ. من هذه الزاوية، قد يكون مرة أخرى قريباً من مارسيل غوشيه، على الرغم من المظاهر، عندما يشير إلى أن الرجال أصبحوا الآن بين بعضهم البعض، ويكتشفون لهم الوهم فموت الله ليس الإنسان الذي يصبح إلهاً، مستعيداً الوضع المطلق الوعي لنفسه الذي كان قد أعارته له، إنه الإنسان الملزم صراحةً، على العكس، بالتخلي عن حلم ألوهيته الخاصة. عندما تخفي الآلهة، يتضح فعلياً أن البشر ليسوا آلهة. في هذا السياق، بدلاً من إنسانية جديدة، من المشروع رؤية في مثالية الإنسان-الإله سرابةً جديداً.

وعند إغلاق مشروع "الإنسان المؤله" لـلوك فيري، نجد أنفسنا أمام لغزين تم مواجهتهما ولكن لم يتم حلهما من قبله: للકائنات الموجدة، حيث يعترف بأن الإنسان ليس صانعاً لها ولكنه مجرد محرف للمعنى الذاتي السائد والزائف والقابل للاستخدام لفهم التفسيري البشري. وللشر وحتى للشيطاني، حيث لا يستطيع أن يقول شيئاً آخر سوى الإشارة إلى كلمة "غموض" إذ يصرح: "إن الشر ليس له سبب، هذا الجواب سيخيب آمال العلماء. ومع ذلك، فإنه أقل تفتنا مما ييدو، إنه يشير إلى أن الغموض يكمن وفقاً لتعبير كانط في أعماق الروح البشرية. ولكن المهم أن يكون هناك غموض في الشر، كما في الخير بالتأكيد، حتى يمكن لهذا الجانبين المكونين لفكرة الأخلاق أن يحصلوا على معنى ببساطة"¹.

إن توصيف الشر كـ"غموض" -الذي لا يرضي من الناحية المعرفية- هو أكثر إحباطاً حتى من الناحية العملية والتجريبية. إنه المشكلة المركزية التي يطرحها العمل الإنساني اليوم أمام الرأي العام: مشكلة

¹Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p79.

الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتيقي

استمرار الشر الجذري في عالم يسعى ليكون حديثا، في عالم حيث قامت الغالبية العظمى من الدول بتوقيع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك تجديدا للغموض المحيط بالشر، كان على مجتمعاتنا العلمانية، الحالية من الكلمات والمفاهيم المناسبة الرد. ومع ذلك يمكن القول أن اقتراحات لوك فيري حول الإنسانية الروحانية أو المتعالية بدون إله آخر سوى الإنسان نفسه، بكل حدوده و حاجياته لا تؤدي إلى أكثر من تضامن يسعى لامتصاص الدم ولكنه لا يتوقف ينبوغه.

من ناحية إيجابية، يجب الاعتراف بأن لوك فيري حافظ على إحساس حاد بالغموض — أو على الأقل لحدود العقل، بالمعنى الكانطي، فليس من الشائع أن نجد ذلك عند معاصرينا. من ناحية، يرفض ملء هوة الشر: فهذا لا يفسر لا بالعلم الاجتماعي (السياق) ولا بالنفسية فقط (الماضي التفيلي)¹. من ناحية أخرى، رغم أنه يلاحظ ظهور القيم في الوجود، يعترف بصدق أيضاً أن مصدرها يبقى لغزاً. ما الذي يمكن أن يفسر هذا التعالي للقيم التي تفرض على الخروج من ذاتي لدرجة أن أصحي من أجلها، دون حتى أن تبرر سلطتها؟ هذه هي المتطلبات النهائية لهذا الإنسانيات: فهو «يقبل أخيراً أن يعتبر التعالي الآخر متافق مع الإيمانية بالنفس، كما لو أنها من داخل الذات ومشاعرها، تُحقق الأطر الضيقة للإنسان المنادي»². هذه الحركة نحو الآخر التي تخرج كل فرد من نفسه ليس لها تفسير سوى الجاذبية الجذابة للقيم. في هذه النقطة، يتقطع لوك فيري مع أخلاقيات إيمانويل ليفيناس Emmanuel Lévinas (1906-1995)، حيث يوليان الأولوية للأخر على الذات. الأولوية التي تشكل بداية مطلقة، دون مبرر، وتترك كل فرد في مواجهة لغز وجوده الخاص.

وكقراءة نقدية لهذا الفصل يمكن القول بأن التطورات التي حققتها العلوم والتكنيات للإنسان قد منحته مجالاً للفعل يتسع يوماً بعد يوم، ولكن بقدر ما يفتح هذا التطور والانفتاح الامشروط على التقنيات الفائقة آفاقاً لتحسين البشرية، وبناء فاعل جديد فائق، بقدر ما تثير مخرجاته الكثير من المخاوف، فإن كان الهدف هو السيطرة على الكيان البيولوجي الإنساني، فإن هذا يعتبر تمهيداً لفصل الإنسان عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسانية، كنتيجة أولى للتحكم التقني.

¹Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 97.

²Ibid, p 158.

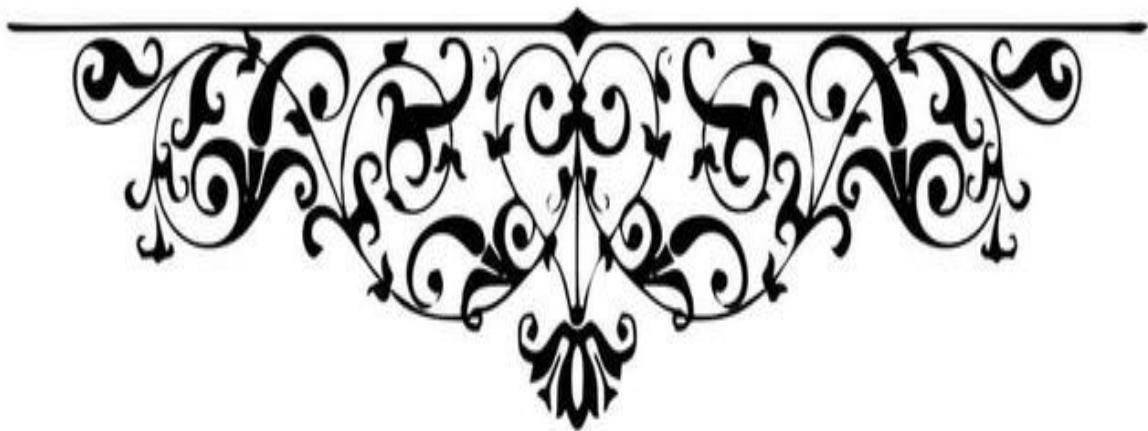
خلاصة:

من خلال ما ورد ذكره في ثنايا هذا الفصل نصل إلى التائج التالية:

- يتخذ فيري موقفاً توافقياً بين الاتجاه البيومحافظ والاتجاه البيوتقدمي، ولا يخفى إعجابه بهذا المشروع الذي يعتبره أمر حتمي.
- إن مشروع الإنسانية المتحولة لا يقضي على الحقوق التي نالها الإنسان، بل يسعى إلى تعزيزها وتوسيع دائرة المستفيدين منها، لهذا ينبغي تعديل معيار منح الحقوق من الطبيعة البشرية الثابتة إلى الوعي.
- تتجسد الكرامة بمعناها المعاصر فيما نحن عليه، وما لدينا من القدرة على أن نصبح عليه ضمن سياقنا التكنولوجي والاجتماعي أي الكرامة كجودة، ومن هذا المنطلق فإن كرامة الإنسان وكرامة الإنسان المعزز متوقفتين.
- أعطت الإنسانية المتحولة حلاً ناجعاً للتفوق الإنساني بيولوجياً، لكنها غابت الجانب الروحي له، لهذا اقترح فيري مشروعه التكميلي المتمثل في إنسانوية الحبة، فهي بمثابة ثورة تسعى لترسيخ قيم جديدة للحياة البشرية.



خاتمة



خاتمة:

من الصعوبة بمكان أن نجد إجابة مطبوعة كهذا يخص مستقبل الإنسان وعلاقته بال المجال البيوطبي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي، فهو شديد الإرباك فيما يطرحه من مواقف، وتزداد الصعوبة أكثر عند محاولة الإحاطة بحركة أشد انجذاباً للمستقبل، ولكن بناء على كل ما ورد في فصول ومباحث هذه الأطروحة يمكن القول بأن مشروع الإنسانية المتحولة يقود نحو تحول حتمي وإيجابي لحياة الإنسان، خاصة بعد أزمة غياب معنى الحياة التي أفرزتها النزعات العدمية، ولهذا اعتبر فيري بأنها أفضل من قدم بديل فكري لجعل حياة الإنسان جديرة بالعيش، الأمر الذي جعل منها ليس مجرد فلسفة للحياة البيولوجية، بل هي فلسفة للإنسان بكل أبعاده، ولإضفاء طابع أكثر إنسانية عليها دعمها فيري بمشروعه المتمثل في إنسانية المحبة.

ويمكن حصر النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

- تعد الإنسانية المتحولة من المفاهيم المعروفة والهامنة في الوقت الحاضر، فقد أثرت على العديد من المجالات المعاصرة مثل الفلسفة والأدب والاقتصاد والسياسة والدين على مدى العقود القليلة الماضية، حيث ترتكز أهدافها حول التطور التكنولوجي في الوقت الحاضر بسبب التقدم الصناعي في المجتمع، والاستخدام اليومي المتزايد للتكنولوجيا، كما أشارت إلى تفكير مفهومنا عن الإنسان، وتعمل على تحويل نظام قيمنا المجتمعية إلى بعد جديد يحمل معه مفهوماً مختلفاً للكائن الحي البشري من خلال تقدم التقنيات الحيوية.
- يعد تحقيق الخلود وتمديد الحياة المسعى الأساسي لهذه الحركة، ولبلوغ ذلك تنتهي نجاحين أساسيين، الأول بيولوجي، يتمثل في إعلاء القدرات الجسدية والعقلية والنفسية للإنسان، وذلك من خلال الاستعانة بالتقنيات الفائقة، وهذا ما يشجع عليه لوك فيري، أما الثاني يعتمد على الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية للوصول إلى مرحلة التفرد، أين يتخلص الإنسان من جسده نهائياً، ويحافظ على وعيه الذي يبقى خالداً وقائماً في كل زمان ومكان، وهذا ما دعت إليه ما بعد الإنسانية التقنية، لكن فيري يتحفظ على هذا الرأي ويعتبره أقرب للخيال منه للواقع أو مجرد يوتيوبياً مقارنة بالنهج الأول.

- يربط فيري بين مجالين أساسيين في عرض أفكاره عن الإنسانية المتحولة، وهما: المستقبل البيولوجي والروحي للهوية البشرية والنظام الاقتصادي الجديد أو التعاوني، ووفقاً له، فإن الثورتين الجينية والاقتصادية

تعتمدان على نفس البني التحتية التقنية، ونفس الأسس الفلسفية، ونفس الأيديولوجيات السياسية، ويتم تقويلها من قبل نفس الشركات متعددة الجنسيات، ناهيك عن أئمماً يهدفان إلى منع الإنسان السيطرة على مصيره.

- يصل فيري إلى نتيجة مفادها أنه لم يعد الوقت مناسباً لتحديد ما إذا كنا قادرين على مواكبة هذا التحول والتكيف معه، إذ نحن بالفعل في خضم العاصفة. فالصحافة وال المجالات العلمية والأدب الحديث والسينما والإذاعة، من خلال تقديم روایاتنا الخاصة لما يمكن أن يكون عليه الإنسان الفائق في عالم ما بعد الإنساني، تقوم بإبلاغنا وتبينها وتذكيرنا يومياً بانزلاق مجتمعنا وجودتنا وإنسانيتنا نحو عالم مختلف وغير معروف. وعليه أصبح من الضروري التفكير بشكل مختلف في الإنسانية ومستقبلها، وتخيل العواقب المحتملة لأوهامنا، وتحديد حدودها.

- لذلك ينبغي أن يتحمل أهل العلم وصانعي القرار مهمة صياغة عقد سياسي وقانوني وأخلاقي جديد يضبط ممارسات هذه الحركة، أو كما اطلق عليه فيري "التنظيم".

- وبهذا يتخد فيري موقفاً وسطياً، حيث يدعو إلى تنظيم مشروع الإنسانية المتحولة بدلاً من رفضها كلية أو تبنيها دون قيود.

- كما تضمننا محاولات التحكم التقني علمي في مستقبل الإنسان ومحاولة تغييره أمام وضعين من الوجود: وجود بشري كما هو، وجود آخر لم تحدد ماهيته بعد، أي أن تغيير معايير الطبيعة لم يصل إلى نهايته بعد ما فتح باب النقاش الأخلاقي حولها، إذ تترنح الرؤى في الاتجاهين التاليين:

الأول: ينادي بالحذر واليقظة والحرص على مستقبل البشرية، حيث أن الانحراف مع تيار الإنسانية المتحولة قد يفقدنا طباعتنا البشرية، وما نعنيه أن نكون بشراً، ونتحول بذلك إلى أنواع إنسانية تموت معها الإنسانية الحاضرة.

الثاني: يسلم بأن التجديد الذي أتى به مشروع الإنسانية المتحولة، هو لحظة لاحقة في مسيرة الإنسانية نحو التقدم، وبهذا يمكن عده مخرجاً للسعادة والرفاه، يقود إلى تفوق الإنسانية القادمة على الإنسانية الراهنة.

- يقارن لوک فیری بين الطموحات التي يروج لها أنصار التقدم البيولوجي والمخاوف التي يثيرها المحافظون البيولوجيون، بهدف وحيد يتمثل في حث الجميع على التعامل مع كلا الجانبين بقدر من التوازن والمسافة، حيث يمتلك الرأي العام الحرية في اتخاذ مواقف متطرفة أو معتدلة اتجاه قيم الإنسانية المتحولة أو البيولوجية.

- وبين المتشائمين والمتفائلين، لا يد من الخوض في نقاشات حرة واعية ومسئولة حول مستقبل الطبيعة البشرية ومقولاتها في ضوء مشروع الإنسانية المتحولة، وفي ضوء الإنسانية البديلة التي رسم أفكارها بعمق لوک فیري.

وكوجهة نظر خاصة يمكن الإقرار بأن الإنسانية تعمل جاهدة لتجاوز ذاتها نحو أفق يفوق واقعها،
أملاً في بلوغ الكمال، هذا ما يخلق تحدياً للإنسان في حد ذاته، إذ أن عصر الإنسانية المتحولة يتوجه بنا نحو أزمات جديدة أخلاقية ودينية وقانونية وسياسية، ما يجعل الإنسان يعيش صراعاً داخلياً مع ذاته. فضلاً عن أن فكرة تحول الإنسان إلى كائن ما بعد بشري قد تكون في حد ذاتها مهينة، ناهيك عن أن ما بعد الإنسان قد يشكل تحديداً للبشر العاديين، خاصة إذا أصبحت مثل هذه التقنيات في يد هيئات غير حكومية أو متطرفة. وإن كان هذا المشروع يحرر الإنسان جزئياً لكنه يخلق من جهة أخرى عالماً سلطوياً دكتاتورياً جديداً نتيجةً أن التقنيات الفائقة تكون مقصورة على الأقلية التي تمتلك الثروة لاقتنائها وتملّكها، وبالتالي تفرض تبعاً لذلك قانونها وسلطتها على باقي أفراد المجتمع.

ثم إن ما يدعوه أنصار هذه الحركة من حرية الإنسان وزيادة شعوره وإدراكه لذاته، يبدو أنه بعيد عن التتحقق، فكيف يتحقق ذلك وهم من البداية حددوا ما يجب أن تكون أو ستكون عليه البشرية، مما يمثل القضاء الكامل على جوهر حرية المجتمعات البشرية تحت نداءات التطور العلمي والتكنولوجي.

أما من الجانب الأخلاقي، فإن محاولتها تقديم معايير أخلاقية بديلة، لا يجعلها تضمن القيم الراسخة ككرامة الإنسان وحرفيته وهويته، فقد يسير به المطاف إلى فقدان إنسانيته ذاتها. هذا ما يبعث على الخوف والتوجس لأنه إلى غاية الآن لا شيء علمي أو طبى يضمن على نحو مطلق أن يتوجه تعزيز الإنسانية إلى الأحسن، فقد ينتهي إلى ما هو أسوء. فضلاً عن أنها إذا نظرنا إلى المسألة من الناحية الدينية التقليدية نجد أن فكرة التحكم في الطبيعة البشرية هو تدنيس للجسد، لأن الله وحده الذي يحتكر هذا الفعل.

وبناء على ذلك ينبغي على العلماء أن يغرسوا بحوثهم في هذا المجال، مع الحرص على تكوين لجان أخلاقية وقانونية ليتم الحفاظة على الجنس البشري الطبيعي وضمان الشروط الملائمة لاستمراره، فإن إنسان اليوم يعيش أزمة قيمية وفي حاجة إلى إتقاً جديدة ترسم حدود الفعل الإنساني وقناعه من أن يهدم العالم ويهدم ذاته.

وكمحاولة لفتح آفاق جديدة لهذا النوع من الدراسات يمكن القول أنه على الرغم من أن بعض آفاق هذه الحركة تثير الرعب، كما يصفها أشد مؤيديها حماساً، إلا أنها تحمل قيماً للمستقبل، وأملاً في عالم مختلف عما نعرفه، ولكنه متناغم مع حقائقه. وعليه نختتم هذا العمل بطرحنا لبعض الأسئلة كوجهة نظر خاصة، مع ترك الأخذ فيها للقارئ الكريم:

- فبغض النظر عن مدى ظلام المستقبل الذي رسمته الإنسانية المتحولة بالنسبة لبعض الناس، أليس هو الطريق الضروري والإلزامي والمنقذ الذي يجب أن تسلكه الإنسانية للخروج منه أقوى؟

- هل نحن مقترون جداً بأننا فريدون ولا يمكن الاستغناء عنا، في تصورنا الجسدي والروحي، بحيث لا يمكن لأي شكل آخر من الحياة أن يضاهينا، أو حتى يتتفوق علينا؟

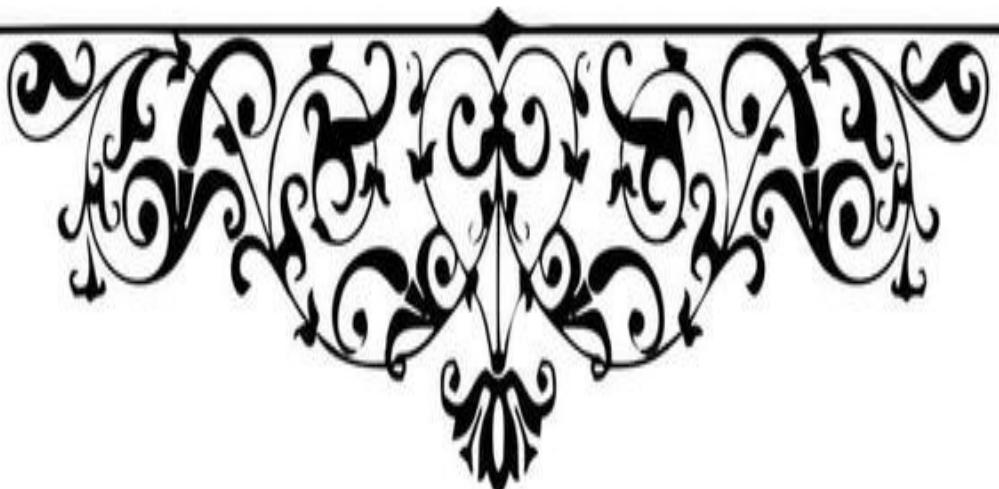
- هل يمكن رؤية مواجهة قادمة ستحصل بين الإنسان وإنسان ما بعد الإنسانية؟

- هل سيكون إنسان اليوم في مستوى هذا التحدى؟

- أين نحن كمجتمع عربي إسلامي وينتمي إلى دول العالم الثالث من مخرجات هذا المشروع؟

- كيف يمكن لمجتمعاتنا الإسلامية أن تتكيف مع هذه التحولات الثقافية والاجتماعية والأسكارى الجديدة من الوجود؟

الفهارس





فهرس الأعلام



الصفحة	اسم العَلَم
—أ—	
310-308-300-247-18 إدموند هوسرل:	127 أدولف هيتلر:
16-14 إراسموس:	233 آرثر كابلان:
أرسطو:	246-63-12 إريك ديكسلر:
إسحاق أسيموف:	43 إيلين بوكانان:
89-72 أفلاطون:	148-106-103 ألكسندر مواتي:
أليتو ماسالا:	166 ألدوس هيكسلي:
285-133-99-98-41 أندريه كومت سبونفيل:	137 آندربي دي غراي:
272-268-266 أندري بارتک:	111 أندربيه كومت سبونفيل:
أوغسطين:	159 أيلون ماسك:
إيان ويلموت:	130 إيمانويل شاربنتيه:
إيلون ماسك:	160-159-45 إيمانويل ليفيناس:
إيهاب حسن:	132 إيمانويل كانط:
310-294-280-278-201-20-18-17-12 إيهاب حسن:	314 إيهاب حسن:

-ب-

بول ريكور: 227

بيار بورديو: 37

بيتر سلوتودايك: 242-239-238-193-192-156-72-55-41

بيل جيتس: 159

بيير تيلار دي شاردن: 214-209-207-54-40

بيير جوزيف برودون: 12

برنارد هنري ليفي: 307

-ت-

تشارلز داروين: 156-88-86-85-61-42-23

تشارلز ساندرس بيرس: 116

توم مورو: 114

توما الإكويبي: 17

توماس أسهوير: 238

توماس هوينز: 313-83

تيم بيرنر-لي: 167

-ج-

جاك إلول: 254-208-72

جاك دريدا: 75-57-37-28-27

جاك لاكان: 37-27

جاك لوفيفر: 16

جان بودريار: 129-75

جان بوفريه: 24

جان دوكير فاسدو: 191

- جان فرانسوا ليوتار: 75-27
جان لامارك: 85-61
جان لويس ماندل: 150
جان ميشيل بيسييه: 242-52
جان-ميشيل ترونغ: 216-150
جورج أورويل: 163-99
جورج فوليت: 13
جوليان هيكسلي: 238-237-87-54-42-41-40
جون أرشيبالدوبيلر: 153
جون باسمور: 25
جون برودون ساندرسون هالدين: 40
جون جاك روسو: 292-245-83-82-50-28-18-17
جون دانيال: 73
جون دوناهو: 113-112
جون ديوي: 116
جون ستون: 159
جون ستيوارت ميل: 184
جون فون نيومين: 55
جون كلير: 73
جون ماكارثي: 96
جون هاريس: 269-268-267
جييري بيتمان: 116
جييري ريفكين: 320-180-179-178-174-167-164-163-162
جييل دولوز: 22

جيل ليفيتسكي: 299
جيльт هوتوا: 18-119-49-44-18
جييمس لوفلوك: 147
جييمس هيوز: 116-55-33
جييمس واطسون: 130
جيينifer دودنا: 132
جيوفاني بيك دو لا ميراندول: 245-236-146-55-47-36-19-17
-خ-
خوان كارلوس بيلمونتي: 66
-د-
دانيل دينيت: 86
دو لا ماركيز كوندورسيه: 245-146-85-84-83-49-47-36-17
دونا هاراوي: 155-150-139-72-54-53
ديفيد بيرس: 115
ديميترى إتسيكوف: 152-117-71
-ر-
رايموند كيرزوبل: 240-235-214-207-158-146-116-70-55-47
روبرت كايوا: 167
روبيرت إتينجر: 42
روزي بريدوقي: 29-28
رونالد ديكارت: 291-211-201-148-144-82-19
ريتشارد فينمان: 91
-ز-
زيمونت باومان: 29

-س-

ستيلارك: 156-109

ستيف هورفيت: 67

ستيفان جوناري: 116

ستيفان لودوك: 125

ستيفن هوكيينغ: 159

سقراط: 15

سيغموند فرويد: 28-25-21

-ش-

شيشرون: 277-276-275-13

-ط-

طوماس هيكسلي: 87-40

-خ-

غادامير: 28

غاليلي: 242

غيوم بوديه: 16

-ف-

فرانسيس كام: 233

فرانسيسكو بيتراركا: 16

فرانشيسكا فيراندو: 52-49-48

فرنسيس بيكون: 36

فرنسيس غالتون: 126

فرنسيس فوكوياما 283-248-246-228-227-226-223-222

فريدريك بالمونت: 116

فريديريك جوزيف هربت:	72
فريديريك نيتشه:	21-22-23-24-26-27-75-88-89-192-242
فريديريك هيغل:	295-308
فريدون إم. إسفندياري:	42
فولتير:	19-201-305
فيرنور فينج:	146
فيليپ ك. ديك:	74-104-106-107
-ك-	
كااثرين هايليز:	54
كارل ماركس:	17-21-53-75-88-184
كريج فتر:	132
كريستان بيترسون:	43
كلود ليفي ستروس:	30
كوبرنيك:	87
كورت بينتوس:	21
-ل-	
لودفيغ فيورباخ:	313
لوسي إريغاراي:	29
لوك فيري:	15-17-18-25-45-46-62-162
لوي التوسير:	27
لويز ويسلنجم:	76
لويس باستور:	186
ليسينغ:	310
ليون كاس:	223-281-282-285

-م-

- مات ناجل: 112
 مارتن لوثر: 312
 مارتن هيدغر: 22-24-25-26-27-72-88-290
 مارشيل غوشيه: 297-290-306-313
 مارفن مينسكي: 152
 مارك رو: 116
 مارك زوكربيرغ: 157
 مارك هونيادي: 61
 ماري شيلي: 98
 ماكس مور: 33-43-46-57-58-68-88-114-196-245-246
 ماكس هوركهايمر: 307
 مانفرد كلاينز: 137
 مايكل ساندل: 223-229-230-231-232-233-234
 ميتسيو كاكو: 44-70-92
 ميشيل سير: 156
 ميشيل فوكو: 25-26-27-28-37-57-72-75-89-193-290

-ن-

- ناتاشا فيتا مور: 42-57-114-115
 ناثان كلاين: 137
 نعوم تشومسكي: 75
 نوريت وينر: 61-140-151-153-157
 نوريو تانيجوشي: 91
 نيك بوستروم: 33-43-45-70-103-115-116-190-197-235-245-286

نيكولا ساركوزي: 87

نيل هارييسون: 108-140-113-185

-هـ-

هانز مورافيك: 146-151-155-235

هانس بيرجر: 112

هانس يوناس: 30-195-196-285

هي جيانكوي: 134

-وـ-

ويليام جيبسون: 73-100-103

-يـ-

بورغن هابرماس: 193-203-223-229-234-235-238-239-250-272

يوفال نوح هراري: 44



فهرس المصطلحات



المصطلح باللغة الإنجليزية	المصطلح باللغة الفرنسية	المصطلح باللغة العربية
Bio Ethics	Bio Ethiques	الأخلاق الحيوية
In-Nitro Fertilisation	Enfants Eprouvettes	أطفال الأنابيب
Collaborative Economy	Economie Collaborative	الاقتصاد التعاوني
Perfectibility	Perfectibilité	الاكتمال
Extropy	Extropie	الإكستروبيا
Entropy	Entropie	الإنتروديا
Natural Selection	Sélection Naturel	الانتقاء الطبيعي
Artificial Reproduction	La procréation Artificielle	الإنجاب الاصطناعي
Transitory Human	Transistor Humain	الإنسان العابر
Robots	Robot	إنسان آلي
Anthropotechnics	Anthropotechnique	الإنسانية الأنثروبولوجية
Transhumanism	Transhumanisme	الإنسانية المتحولة
Deep Ecology	Ecologie Profonde	الإيكولوجيا العميقية
Buddhism	Boudhisme	البوذية
Bioconservatism	Bioconservatisme	البيولوجيا التحفظية
Bioprogrescim	Bioprogessime	البيولوجيا التقدمية
Biological Progressive	Progressive Biologistes	البيولوجيون التقدميون
Biological Conservatives	Conservateurs Biologistes	البيولوجيون المحافظون
Improvement	Amélioration	التحسين
Eugenic	Eugénisme	تحسين النسل

Positive Eugenetic	Eugénisme Positive	تحسين النسل الإيجابي
Evolution	Evolution	التطور
Biologic Evolution	Evolution Biologique	التطور البيولوجي
Technologic Evolution	Evolution Technologique	التطور التكنولوجي
Enhancement	Renforcement	التعزيز
Inequality	Inégalité	التفاوت
singularity	Singularité	النفرد التكنولوجي
Singularitarism	Singularitarisme	النفردية
Progress	Progress	التقدم
Gene Editing Techcnics	Technique d'édition génétique	تقنية التحرير الجيني
Biotechnology	Biotechnologie	التكنولوجيا الحيوية
Nanotechnology	Nanotechnologie	تكنولوجيا النانو
Enlightment	Lumière	التنوير
Genome	Gé nome	الجينوم
Modernity	Modernité	الحداثة
Femenist Mouvement	Mouvement Féministe	الحركة النسوية
DNA	ADN	الحمض النووي
Stem Sells	Cellules Souche	الخلايا الجذعية
Eternity	Eternité/ Immoralité	الخلود
Cell	Cellule	الخلية
Technophobia	Technophobe	الخوف من التكنولوجيا
Artificial Intelligence	Intelligence Artificielle	الذكاء الاصطناعي

Capitalism	Capitalisme	الأسمالية
Nanorobotics	Nanorobotique	الروبوتات النانوية
Cyborg	Cyborg	السيبورغ
Biopolitics	Biopolitique	السياسة الحيوية
Cybernetic	Cybernétique	السيبرانية
Genetic Code	Code Génétique	الشفرة الوراثية
Antihumanity	Antihumanisme	ضد الإنسانية
Human Nature	Nature Humain	الطبيعة البشرية
Gene Therapy	Thérapie Génique	العلاج الجيني
Biology	Biologie	علم الأحياء
Genetic	Génétique	علم الوراثة
Cognitive	Science Cognitive	العلوم الإدراكية
Gnosticism	Gnosticisme	الغنوصية
Spiritual Philosophy	Philosophie Spirituelle	الفلسفة الروحية
Holiness	Sainteté	القداسة
Human dignity	Dignité humain	الكرامة الإنسانية
New Liberation	Libéralisme Nouvelle	الليبيرالية الجديدة
Posthumanism	Posthumanisme	ما بعد الإنسانية
Materialism	Matérialisme	المادية
Anthropocentrism	Anthropocentrisme	المركزية البشرية
Equality	Egalité	المساواة
Informatics	Informatique	المعلوماتية
The new anti-tech advocates/ Neo-luddites	Les nouveaux opposants à la technologie	مناهضي التقنية الجديد

Humanism	Humanisme	النزعـة الإنسـانية
The Theory of Evolution	La Théorie de l'évolution	نظـرـية التـطـور
Genetic Engineering	Ingénieur génétique	اـهـنـدـسـة الـوـرـاثـيـة
Human Identity	Identité human	اـهـوـيـة إـلـإـنـسـانـيـة
Technophilia	Technophilics	الـوـلـع بـالـتـكـنـوـلـوـجـيـا
Transcendance	Transcendance	الـتـعـالـي

قائمة المصادر والمراجع

1- قائمة المصادر:

أ- المصادر باللغة العربية:

- 1- لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، **أجمل قصة في تاريخ الفلسفة**، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2015
- 2- لوك فيري، **ما جدوى الفلسفة المعاصرة**، ترجمة: إسماعيل مجعير وآخرون، مجلة مدارات فلسفية، عدد 16، المغرب، 2008
- 3- لوك فيري، **الإنسان المؤله أو معنى الحياة**، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2022.
- 4- لوك فيري، **ألكسندر لورون، نقد الأنوار**، ترجمة: المصطفى باري، مجلة مدارات، عدد 16، المغرب، 2008
- 5- لوك فيري، **تعلم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة**، ترجمة: سعيد الوالي، مراجعة: زهيدة درويش، أبو ظبي للثقافة والترااث، (دط).
- 6- لوك فيري، **مفاراتق السعادة: سبع طرائق تجعلك سعيدا**، ترجمة: أيمن عبد الهادي، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، (دط)، 2018.

ب- المصادر باللغة الفرنسية:

- 1- luc Ferry, Alain renaut, **la pensée 68 :Essai sur l'anti-humanisme contemporain**, Gallimard, Paris, 1985
- 2- Luc Ferry, **Discartes : je pense donc je suis**, le Fiagro, paris, 2013
- 3- Luc Ferry, **Kant et les lumières : la science et la morale**, le Fiagro, paris, 2013
- 4- Luc Ferry, **L'homme-Dieu ou le sens de la vie**, Grasset, Paris, 1996
- 5- Luc Ferry, **L'innovation destructrice**, Flammarion, Paris, 2014
- 6- Luc Ferry, **La révolution transhumaniste : comment la technomédecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies**, plon, un département d'édi8, paris, 2016
- 7- Luc Ferry, **Le Nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal, l'homme**, édition Grasset, Paris, 1992
- 8- Luc Ferry, **Mythologie et philosophie : les sens des grands mythes grec**, Plon, le fiagro, 2016

- 9- Luc Ferry, **Nietzsche : la mort de dieu**, le Fiagro, paris, 2003
- 10- Luc Ferry, **Philosopher à dix-huit ans**, Grasset, 1999
- 11- Luc Ferry, **Pic de la Mirandole : la naissance de l'humanisme**, le Fiagro, paris, 2013.

ج- المصادر باللغة الإنجليزية:

- 1- Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties :an essay on Antihumanism**, translated by : Mary H.S Cattani, British library cataloguing in publication data, london, 1990.

2- قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

1- إبراهيم بن عبد الله الرماح، **الإنسانية المستحيلة: إشكالات تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر**، مركز دلائل للنشر، الرياض -السعودية، ط2، 2019.

2- أبو حيان التوحيدى، مسكونيه، **الهوامن والشوامل**، نشره أحمد أمين والسيد أدهم صقر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009.

3- إدوار كلينتر وآخرون، **الإنسان المزيد**، ترجمة: شاكر جميل، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، (دط)، 2019.

4- إشراف علي عبود المحمداوي، **خطابات المابعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

5- إلزا غودار، أنا أسلфи إذن أنا موجود: **تحولات الأنما في العصر الافتراضي**، ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2019.

6- السيد محمد بدوي، **خطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندرسيه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 1995.

7- إمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2002.

8- أوديل روبير، **الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثيا**، ترجمة: زينة دهبي، مكتبة المجلة العربية، الرياض، ط1، 2015.

- 9- أولريش بيك، **مجمع المخاطرة**، ترجمة: جورج كتورة وإهام الشعراوي، مكتبة الشرقية، ط1، 2009
- 10- أولغا تشيتيفيريكوفا، **ديكتاتورية المستنيرين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها**، ترجمة: باسم الزعيبي، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2020.
- 11- تحرير أحمد عمرو، **ما بعد الإنسانية: العوالم الافتراضية وأثرها على الإنسان**، آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، (دط)، 2022
- 12- تشارلز داروين، **أصل الأنواع**، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، (دط)، 2018
- 13- جاك إلول، **خدمة التكنولوجيا**، ترجمة: فاطمة نصر، دار سطور، مصر، ط1، 2004
- 14- جان غاتينيو، **أدب الخيال العلمي**، ترجمة: ميشيل خوري، طلاسدار، دمشق، ط1، 1990
- 15- جان كير برج أولسن وآخرون، **موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا**، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018
- 16- جون جاك روسو، **أصل التفاوت بين البشر**، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (دط)، 2013
- 17- جون جريفيس، **ثلاث رؤى للمستقبل: أدب الخيال العلمي**، ترجمة: رؤوف وصفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (دط)، 2005
- 18- جون جلال، **التطور البشري المستقبلي: تحسين السلالات في القرن 21**، ترجمة: محمود المليجي، المبدأ للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2013
- 19- جياني فاتيمو، **نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة**، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، (دط) 1998
- 20- جيري بي ريفكين، **الثورة الصناعية الثالثة: كيف تغير القوة الموازية الطاقة والاقتصاد والعالم**، ترجمة: سعيد الحسينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، (دط)، (دت)
- 21- جيري بي ريفكين، **الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة**، ترجمة: صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (دط)، 2009

- 22- جيل لييوفيتسيكي، عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوزارز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2018.
- 23- حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، أطياف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014.
- 24- حميد زناز، من الإنسان المعالج إلى الإنسان المعدل: رؤى فلسفية، منشورات التوحيدى، المغرب، ط1، 2023.
- 25- رالف بارتون بيري، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الحضراء الجيوسي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، (دط)، 1961.
- 26- راي كيرزويل، عصر الآلات الروحية: عندما تتخطى الكمبيوترات الذكاء البشري، ترجمة: عزت عامر، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ط2، 2010.
- 27- روجيه غارودي، البنية فلسفية موت الإنسان، ترجمة: جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1979.
- 28- روزي بريديتي، ما بعد الإنسان، ترجمة: حنان عبد الحسن مظهر، سلسلة عالم المعرفة، عدد 488، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2021.
- 29- سامي محمود، لا للشيخوخة المبكرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993.
- 30- سوزان شنайдر، الخيال العلمي والفلسفة من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الاصطناعي، ترجمة: عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011.
- 31- الشیخ مرتضی فرج، الداروینیة، المکز الإسلامی للدراسات الاستراتیجیة، مصر، ط1، 2017.
- 32- صلاح عثمان، الداروینیة والانسان: نظرية التطور من العلم إلى العولمة، منشأة الإسكندرية، (دط)، 2001.
- 33- طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية: النقد الإئتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014.
- 34- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية: دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ط2، 1999.
- 35- عاطف وصفي: كوندورسيه، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعرفة، القاهرة، ط2، (دث)

- 36- عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإمارات، ط1، 2023.
- 37- عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفى المعاصر: هيدغر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت-لبنان، (دط)، 2000.
- 38- عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 39- فتح الله شيخ، محمود موسى، قصة النانوتكنولوجيا حاضرها ومستقبلها، المكتبة الأكاديمية، مصر، (دط)، 2009.
- 40- فرانسو جاكوب وآخرون، الإنسان في مهب التقنية: من الإنسان إلى ما بعده، ترجمة: محمد أسليم، مطبعة بلال، المغرب، (دط)، (دت).
- 41- فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، ط1، 2006.
- 42- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير واحد، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، (دط)، 2007.
- 43- _____، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقة ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1993.
- 44- مارتن ريز، ساعتنا الأخيرة: إنذار من عالم، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2006.
- 45- محمد أندلسى، أ Fowler المتعالى وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيتشه، دار التنوير للطباعة والنشر، بغداد-العراق، ط1، 2015.
- 46- محمد جديدي، الأفق البيوأيقي، الجزء 2، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021.
- 47- محمد جديدي وآخرون، البيوأيقيا وطبيعتنا الإنسانية الهشة في زمن الهيمنة الفيروسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2022.

- 48- محمد طاهير، **البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان: الهندسة الوراثية نموذجاً**، دار الموج الأخضر للنشر، الجزائر، ط1، 2023.
- 49- محمد غريب إبراهيم عميش، **النانوبيولوجي عصر جديد من علوم الحياة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 2012
- 50- محمد هادي طلعتي، **الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور**، تعریب: حسن علي مطر، كتاب ضمن سلسلة مصطلحات معاصرة، عدد 43، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2022
- 51- مدحت محفوظ، **حضارة ما بعد الإنسان: مصائر العرق البشري في عصر الآلات الحية الفائقة الذكاء**، دار الكتب القومية، 2006.
- 52- مصطفى صمودي، من **جلجامش إلى نيتشه: بحث في الثقافة العامة**، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015.
- 53- ملحمة **جلجامش**، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرؤوف عوني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (ط1)، 2017
- 54- منيرة علي الجنزوري، **الเทคโนโลยيا الحيوية والهندسة الوراثية**، دار المعارف للطباعة والنشر، 2008.
- 55- ميتشيو كاكو، **رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين**، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (دط)، 2001
- 56- _____، **مستقبل العقل**، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط1، 2017
- 57- ميشيل فوكو، **الكلمات والأشياء**، ترجمة: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، (دط)، 1990
- 58- نورة بوناش، **البيوأтика والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي**، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017.
- 59- نيك بوستروم وستيفن بكو، **التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: العقول الرقمية والأخطار العالمية**، ترجمة وتقديم: حسين عبد الغني، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2023.

60- يورغن هابرماس، **مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية**، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006

61- يوسف نوح هاري، **العقل: تاريخ مختصر للنوع البشري**، ترجمة: حسين العبري وصالح بن علي الغلاحي، دار منجول للنشر، ط1، 2018

ب- باللغة الفرنسية:

- 1- Alexandre Moatti, **Aux racines du transhumanisme : France 1930-1980**, paris, Odile Jacob, coll, "Histoire", 2020.
- 2- Béatrice jousset-coururier, **Le transhumanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?**, groupe Eyrolles, Paris, 2016.
- 3- Brice Laurent, **Les politiques des nanotechnologies : pour un traitement démocratique d'une science émergente**, édition Charles leopold Mayer, Paris, 2010.
- 4- David Le Breton, **L'adieu au corps**, Métailié, coll, 1999.
- 5- E. Brown-Weis, **Justice pour les générations futures : droits international, patrimoine commun et équité intergénérations**, Editions sang de la terre, paris, UNISCO, paris, 1994.
- 6- Gelbert Hottois, **Demain les posthumains**, 2015.
- 7- Gelbert Hottois, **Transhumanisme : est-il un humanisme ?**, académie royale de Belgique, Belgique, 2014.
- 8- J. Allard, **L'humanité, un concept juridique sans précédent ?**, Bruyant, Bruxelles, 2004.
- 9- Jean Boudrillard, **La société de consommation**, Gallimard, paris, coll "folio", 1990.
- 10- L. Hennebl et H. Tigroudja, **Traité de droits de l'homme**, Pedone, Paris, 2016.
- 11- Marie-Hélène Parizou, **Biotechnologies, nanotechnologies, écologie, entre science et idéologie**, Versailles, Quae édition, 2010.
- 12- Marina Maestrutti, **imaginaire des nanotechnologies**, Vuibert, 2008.
- 13- Michel Serres, **Hominscence**, le livre de poche, paris, coll, "littérature et documents", 2003.
- 14- Miruna Craciunescu, **La pensée 68 un pamphlet sur l'antihumanisme ?** université Mc Gill, Montréal, 2012.
- 15- Norbert Wiener, **Cybernétique et société : l'usage humain des êtres humains**, coll, UGE, paris, 1954.
- 16- Peter Sloterdjik, **La domestication de l'être**, Mille et une nuits, paris, 2000.

17- Peter Sloterdjik, **Règles pour le parc humain : une lettre en réponse à la lettre sur l'humanisme de Heidegger**, trad : Olivier Mannoni, Mille et une nuits, paris, 2000.

ج- باللغة الإنجليزية:

1- C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, Oxford and portland : Hart publishing, Oregon, 2011.

2- Editor Mark Lilla, **New franch thought : political philosophy**, princeton university press, United Kingdom, 1994.

3- Jerimi Rifkin, **The third industrial revolution : How lateral power is transforming energy, the economy and the world**, Plagrave macmillan, London, 2011.

4- Julian Huxley, **New bottles for new wine**, chatton and windus, Landon, 1957.

5- Katherine Hayles, **How We became posthuman : Virtual Bodies in cybernetics, literature and informatics**, Library of congress cataloging in publication Data, Chicago, 1999.

6- Leon Kass, **Life, Liberty and the defense of dignity : The challenge for bioethics**, Encounter books, New York, 2002.

7- M. Rosen, **Dignity : its history and meaning**, Massachusetts, harvard university press, Cambridge, 2012.

8- P. Beyleveld and R. Brownsword, **Human dignity in bioethics and biolaw**, Oxford university press, New York, 2001.

9- R.P. Kraynak, **Human dignity and the mystery of the human soul**, University of Notredame press, New York, 2001.

10- Ray Kurzweil, **The singularity is near : when humans transcend biology**, viking press, New York, 2005.

11- S. M. Shell, **Kant,s concept of human dignity as a resource for bioethics**, University of notredame press, notredame, indiana, 2009.

3- قائمة المعاجم والموسوعات:

1- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، مجلد2، تعریب: خلیل احمد خلیل، منشورات عویدات، بیروت، ط2، 2001.

2- جمیل صلیبا، **المعجم الفلسفی**، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، (دط).

4- قائمة المجلات:

أ- باللغة العربية:

- 1- إبتسام حاج شريف وعبد القادر شاري، إتيقا السعادة وفلسفة الخلاص عند لوك فيري، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد 15، عدد 2، الجزائر، 2023
- 2- إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 23، العدد 3.
- 3- بشري بلبعلي، تطور الإنسان: التقدم المادي والتدهور الروحي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017.
- 4- بشري زكاغ، عصر المعلومات وظاهرة الإنسبوب أو الإنسان المعدل حاسوبيا، مجلة أفكار، عدد 7، المغرب، يونيو 2016.
- 5- حازم البيلاوي، الأوتوميشن والاقتصاد، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، عدد 4، الكويت، 1972
- 6- خالد العبادي، عندما يغير عالم المعلومات الجديد حياتنا، عدد 13، مجلة أفكار، المغرب، فبراير 2017
- 7- خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، مجلة ألف: اللغة، الإعلام، والمجتمع، مجلد 10، عدد 1، يناير 2023.
- 8- ريهام حسني، ما بعد الإنسانية، الرقمية، بعد ما بعد الحداثة: الجنس الأدبي وتحولات العصر، مجلة روابط رقمية، عدد 1، 2018
- 9- ستيف بروس، روحانية العصر الجديد بدليلا عن العلمنة: بطلان الديانة الفردية، ترجمة: رامي طوقان، مجلة الاستغراب، عدد 2، ديسمبر 2016
- 10- سعيد عبيدي، عصر ما بعد الإنسان أو زمن انتصار التكنولوجيا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017.
- 11- سفيان عمران، البيوإтика ومستقبل الإنسان عند فرنسيس فوكوياما: تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، مجلد 13، عدد 22، الجزائر، 2022.
- 12- شريف بن زينب، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 11، عدد 1، الجزائر، 2024

- 13- طارق قابيل، البحث عن إكسير الحياة: شباب دائم في القرن الحادى والعشرين، مجلة التقدم العلمي، العدد 98، الكويت، 2017
- 14- عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، مجلة التجديد، مجلد 25، عدد 49، ماليزيا، 2021.
- 15- علال أحمد وخن جمال، ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الإنسانية، مجلة أبحاث، مجلد 6، عدد 1، 2021.
- 16- فضل عبد الكريم البشير، دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، عدد 9، قطر، أكتوبر 2018.
- 17- قاسم الحبشي، فكرة التقدم وفلسفة المستقبل: ألفن توفلر نووجا، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، عدد 31، مصر، (دت).
- 18- لورانس ألكسندر، الإنسانية البعدية في مقابل البيولوجيين المحافظين، ترجمة: خديجة حلفاوي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017.
- 19- محمد الشيخ، النقاشات القارية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيوتقنية، مجلة التفاهم، مجلد 17، عدد 63، يناير 2019.
- 20- منوي غباش، تحولات الخطاب الإنساني: من الإنسانية إلى ما بعدها، مجلة تبين، عدد 44، مجلد 11، ربيع 2023.
- 21- نادية جاسم كاظم الشمري، التطورات الصناعية في أوروبا 1870–1914 وانعكاساتها على دول العالم، جامعة بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 10، عدد 1، 2020.
- 22- هشام معافة، الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، نحو فلسفة للإنسان الجديد، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلد 13، عدد 1، الجزائر، جانفي 2024
- ب- باللغة الفرنسية:

- 1- B. Edelman, **La dignité de la personne humaine: un concept nouveau**, recueil dalloz, chronique, 1997.
- 2- Chritian Byk, **Le transhumanisme dans les écrits de Julian Huxley : une religion sans révélation**, Press universitaires du septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2023.
- 2- Dominique Lambert, **Enjeux scientifique du transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : Le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015

- 3- E. Decaux, **Dignité et universalité**, université catholique de louvain, centre des droits de l'homme, louvain-la-neuve, Accadémia, 1999.
- 4- Emmanuel Tourpe, **Vérité du transhumanisme**, postaralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de malines, mai 2015.
- 5- Franck Damour, **Le transhumanisme n'est pas un humanisme**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de maline, Bruxelles, mai 2015.
- 6- Frédéric lewino, **les prodiges de la génétique**, le point, n° 2374, 1 mars 2018.
- 7- Gelbert Hottois, **Humanisme, transhumanisme, postumanisme**, Revista Colombiana de bioética, vol 8, N°2, université El Bosque, Colombia, 2013.
- 8- Gilles le Marois, **pour des nanotechnologies responsables**, Revue Industrie, n°101, Janvier 2005
- 9- Jean Guilhem Xerri, **Qu'est-ce que le transhumanisme ?** pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015.
- 10- L. Hennebel et H. Tigroudja, **Traité de droit international des droits de l'homme**, pedone, paris, 2016.
- 11- M.A. Hermitte, **Les droits de l'homme pour les humains, les droits du singe pour les grands singes !** Le débat historique, politique et société, n° 108, janvier, février 2000.
- 12- Marcel Neusch, **Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu**, Nouvelle revue théologique, 119 N°3, 2021.
- 13- O. De Schutter et J.Ringelhein, **LA Renonciation aux droits fondamentaux : la libre disposition de soi et le règne de l'échange**, in : la responsabilité, face cachée des droits de l'homme, Bruyant, Bruxelles, 2005.
- 14- P. Nathanael Garric, **La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : le transhumanisme, Achidiocèse de Malimes, Bruxells, mai 2015.
- 15- Philippe Rouvillois, Guy le Fur, **la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?** la documentation Française, juillet 1999.
- 16- Pierre Tambourin, **Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies**, le journal de l'école de paris du management, n°47, mars 2004.
- 17- R.J. Dupuy, **Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité**, Droits, n°1, 1985.
- 19- Raphael Liogier, **La construction sociale de la morale bioéthique**, les cahiers du droit et de lasanté du sud-est, N°3, « La loi bioéthique », 2004.
- 20- Serge Trottein, **Le posthumanisme de Nietzsche : réflexions sur un trait d'union, Nietzsche et l'humanisme**, revue Noesis, N°10, 2006.
- 21- Vévinique Bontemps, **pour l'équipe de rédaction**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015.

22- Xavier Bioy, **Les crimes contre l'espèce humaine, ou la réintroduction en droit d'une espèce de référent naturel, bioéthique, biodroit, biopolitique, réflexions à l'occasion de voter de la loi du 4 aout 2004**, Droit et société, Vol 43, 2012.

23- Xavier Dijon, **La perplexité du droit**, pastoralia, N°5, Dossier : transhumanisme, Archidiocèse de Malines, Bruxelles, mai 2015.

ج- باللغة الإنجليزية:

1-Fernando H. Llalo, **Transhumanism, vulnerability and human dignity**, Deusto journal of human rights, n°4, 2019.

2- G.B. Robinson, **Space law for human kind, transhumans, and posthumans : is there a need for a unique theory of natural law principles ?**, Annals of air and space law, n° xxxiii, 2008.

3- John Sekar Jeyarj, **Is post humanism a threat to human existence**, Bodhi international journal of research in humanities, arts and science, Vol 8, October 2023.

4- Kristin Bremser and Maria de Mar Alonso-Almeide, **Sharing economy and tourism : lights and shadows**, mic 2017, venis, italy, mai 2017.

5- Leon Kass, **Ageless bodies, happy souls : Biotechnology and the pursuit of perfection**, The Newatlantis, N° 30-12.

6- Louis Westling, **Littérature, environment, and the posthuman**, Nature and literary & cultural studies, eds, catrin gersdorf & sylva mayer, Rodopi,B,V, Amesterdam & New york, 2006.

7- Michael Sandel, **The case against perfection**, The atlantic monthly, april 2004.

8- Nick Bostrom, **In defense of posthuman dignity**, Bioethics, N° 19/3, 2005, on : <https://doi.org/10.1111/j.1467-8519.2005.00437.x>

9- Nick Bostrom, Transhumanist values, Jornal of philosophical research annual, N°, 30/12, 2005.

10- Robert Ranish, Stefan Lorenz Sorgner, **Introducing post-transhumanism**, peterlang edition.

11- Roberto Paura, **Singularity believers and the new utopia of transhumanism**, imago, N°7, june 2016.

12- Rosi Braidotti, **Posthuman critical theory**, Chpter 2, in: **critical posthumanism and planetary futures**, springer india: imprint, new delhi, 2016.

13- S. S. Merzlyabov, **Posthumanism vs transhumanism: from the end of exceptionalism to technological humanism**, herald of the Russian academy of sciences, vol92, suppl6, 2022.

5- الوجغرافية:

أ- باللغة الفرنسية:

- 1- Entretien avec luc ferry, en ligne : <https://sfgg.org/media/2018/10/entretien-exclusif-avec-luc-ferry.pdf>
- 2- Entretien avec Max More, propose recueillis par laurent courau, Laspireale.org, aout 2010, en ligne : <http://www.laspirale.org/texte.php?id=305>
- 3- <http://www.lesmutants.com>
- 4- Littérature et transhumanisme : <http://unmondesanshuman.wordpress.com/litterature-et-transhumanisme/>
- 5- Marc Roux, « L'homme augmenté, mythe ou réalité », disponible en ligne : <http://www.mondedesgrandesecoles.fr/l,homme.augmenté.mythe.réalité/>
- 6- Marc Roux, « pour une déclaration universelle des droits du transhumanism », disponible en ligne : <https://transhumanistes.com/declaration-universelle-droits-transhumain/>
- 7- Marcela Vilarino, Shikh Tamir Rashid et al, **Crispr-cas9 microinjection in oocytes disables pancreas development in sheep**, scientific reports-nature, 2017, Disponible en ligne : <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5727233>
- 8- Parlement européen, Human enhacement study, disponible en ligne : <http://www.itas.kit.edu/downloads/etag-coua09a.pdf>
- 9- Sarah Dubernet, **les besoins des industries de santé**, Appel des appels, comité locale Marseille, janvier 2011, en ligne : <http://Marseille.appeldesappels.org/les-besoins-des.industries-de-sante-635.html#-ftm8>
- 10- Voir la déclaration transhumaniste 2012, disponible en ligne : <https://iatranshumanisme.com/transhumanisme/la-déclaration-transhumaniste/>

ب- باللغة الإنجليزية:

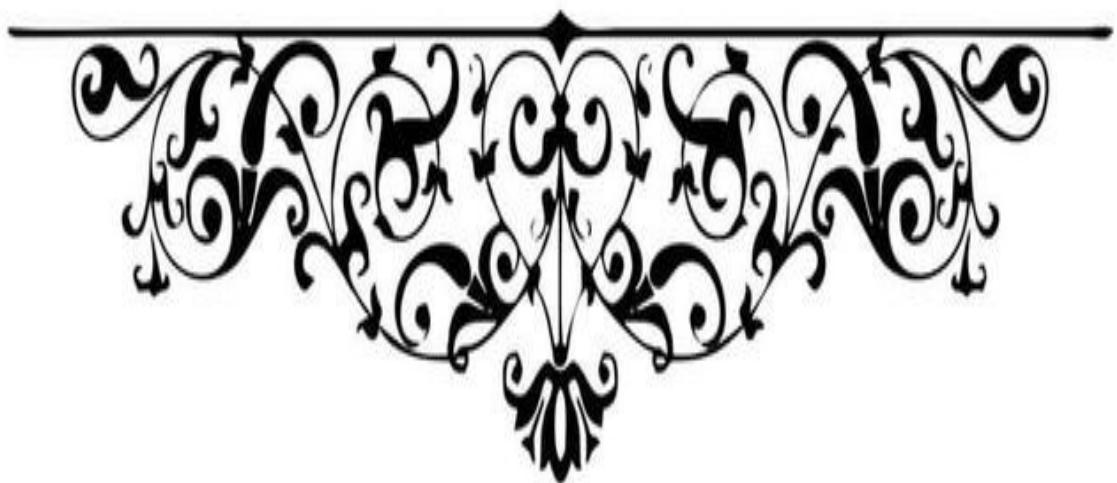
- 1- James Hughes, **The politics of transhumanism**, en ligne : <http://www.changesurfer.com/acard/transhumpolitics>.
- 2- Max More, **The Extropain principles : A Transhumanist Decharation**, Mrob, 1998, accessed on 6-2-2023, at : <http://bit.ly/40km4x>.
- 3- Max More, **Transhumanism toward a futurist philosophy**, en ligne : <http://www.priment.com>
- 4- Nick Bostrom, **A history of transhumanist thought**, en ligne : <http://nickbostrom.com/papers/history.phd>
- 5- Nick Bostrom, E. Yuadkowsky, **The ethics of artificial intelligence**, cambridge press, 2011, en ligne : <https://nickbostrom.com/ethics/artificial.intelligence.pdf>
- 6- Nick Bostrom, **Transhumanism values**, 2001, en ligne, <http://www.nickbostrom.com>

7- Ray Kurzweil, **Human Body Version 2.0**, in kurzweilai.net, Février 2003, en ligne, <http://www.kurzweilai.net/meme/frame.html?main=/articles/art0551.html>

8- **Transhumaniste FAQ**, en ligne : humanity.plus.org/learn/transhumanist.faq



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

	شكر وعرفان	
	الإهداء	
	مقدمة	
الفصل الأول: الإنسانية المتحولة من الأسس الفلسفية إلى المشاريع العلمية		
37-10	من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية	أولاً:
11	النزعه الإنسانية: الدلالة والسياق	-1
20	فلسفة ما بعد الحداثة وتفكير الإنسان	-2
31	الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟	-3
77-38	الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي	ثانياً:
38	مفهوم الإنسانية المتحولة	-1
48	الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها	-2
48	أ- بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية: المفهوم والعلاقة	
56	بـ الإنسانية المتحولة والحركات المناهضة للإنسانية	
58	جـ ما بعد الإنسانية والاكتستروبيا	
60	مسلمات الإنسانية المتحولة	-3
60	أـ حتمية التقدم والتتطور	
63	بـ موت الموت أو السعي نحو الخلود	
72	اتجاهات الإنسانية المتحولة	-4
72	أـ ما بعد الإنسانية الأخلاقية	
72	بـ ما بعد الإنسانية التكنولوجية	
73	جـ ما بعد الإنسانية الأدبية/الثقافية	
76	دـ ما بعد الإنسانية النقدية	
76	هـ ما بعد الإنسانية الكائنية الطبيعية	
97-78	الرصد التاريخي للتصور الفلسفى للإنسانية المتحولة	ثالثاً:
78	البحث عن الخلود في الإنسانية الفكر القديم	-1
82	السعى نحو تحقيق الاتكمال في الفكر الحداثي	-2
90	النكتولوجيات الفائقة وآلات الإنسانية	-3

فهرس الموضوعات

91	أ-النانوتكنولوجيا	
93	ب-البيوتكنولوجيا	
95	ج-المعلوماتية	
97	د-العلوم المعرفية والإدراكية	
121-98	الإنسانية المتحولة من الخيال إلى التجسيد	رابعا:
98	الإنسانية المتحولة في أدبيات الخيال العلمي والفن	-1
111	الإنسانية المتحولة في المخابر	-2
115	أعضاء وجماعيات الإنسانية المتحولة	-3
115	أ-معهد الإكستروبيا	
115	ب-الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة	
116	ج-منصة الأخلاق والتكنولوجيات الناشئة	
117	د-جمعية تكنوبراغ	
117	ه-جامعة التفرد التكنولوجي	

الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة وفق لوك فيري

161-125	التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية	أولا:
125	التصور البيولوجي والكيميائي	-1
138	التصور الآلي	-2
147	التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان	-3
190-162	الإنسانية المتحولة والاقتصاد	ثانيا:
162	من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني)	-1
177	نهاية الرأسمالية أو الليبيرالية المتطرفة	-2
185	الإنسان الفائق هو الرأسمال	-3
206-191	الإنسانية المتحولة والسياسة	ثالثا:
191	الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟	-1
192	السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان	-2
196	التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة	-3
218-207	الإنسانية المتحولة والدين	رابعا:
207	الجذور الدينية للإنسانية المتحولة	-1

فهرس الموضوعات

214	النفرية أو البحث عن دين جديد	-2
217	الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة	-3
الفصل الثالث: الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوأيديولوجي		
250-223	مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية أولاً:	
223	الطبيعة الأصلية كمعيار أخلاقي لدى البيو محافظين	-1
236	البيو تقدميون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة	-2
243	لوك فيري والتوفيق بين البيو محافظين والبيو تقدميين	-3
275-251	معضلة الحقوق الإنسانية ثانياً:	
251	البيو محافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية	-1
256	حقوق الإنسان الفائق من منظور بيتو تقدمي	-2
270	حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري	-3
290-276	قضية الكرامة الإنسانية ثالثاً:	
276	البيو محافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية	-1
285	المقاربة البيو تقدمية والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان	-2
289	مسألة الكرامة عند لوك فيري	-3
315-291	الإنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوك فيري رابعاً:	
291	أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته	-1
296	أ- يوحنا بولس الثاني: الضمير تحت سلطة الوعي	
296	ب- يوجين دروفمان: الوحي تحت سلطة الضمير	
297	ج- نهاية الشيطان والشر في الإنسان	
299	تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث	-2
300	أ- التضاحية ليست مفروضة من الخارج بل يتم القبول بها بحرية	
301	ب- الزواج القائم على الحب وظهور العاطفة الوالدية	
304	ج- المقدس بوجه إنساني: نحو تقديس الجسد والقلب	
306	د- الإنسانية للإنسان الإله	
307	مشروع لوك فيري الإنساني: مقاربة نقدية	-3

فهرس الموضوعات

307	أ- تقمص الروحانيات	
309	ب- أطروحة لوك فيري: إنسانية بدون إله	
310	ج- إلتباس مفهوم التعالي	
311	د- أطروحة مشكوك فيها فيما يتعلق باللاهوت	
311	ه- مفارقة الحب المدنس	
313	و- معضلة الأسئلة المعلقة	
	ي- الحاجة الملحة إلى تفسير آخر	
321-318	خاتمة	
331-324	فهرس الأعلام	
336-333	فهرس المصطلحات	
351-338	قائمة المصادر والمراجع	
356-353	فهرس الموضوعات	
362-358	الملاحق	

مـ خـ



ملخص:

إن حركة الإنسانية المتحولة هي أكثر من مجرد يوتوبيا بسيطة أو مدرسة فكرية جديدة أو أيديولوجية عصرية، فهي في الواقع الأمر مشروع علمي وفلسفي قيد التنفيذ بالفعل، ويدافع عن استخدام أحدث التقنيات الناشئة -من علم الوراثة الحيوية إلى الحوسبة، ومن تكنولوجيا النانو إلى العلوم المعرفية، إلى الروبوتات والذكاء الاصطناعي - بهدف واضح يتمثل في زيادة القدرات الجسدية والمعرفية والحسية والأخلاقية والعاطفية للبشر بشكل كبير، خاصة وأن التطور البشري يستلزم تغيير نموذج التمركز البشري الذي تدافع عنه الإنسانية، ويهدف إلى اختراق حدود الطبيعة التي كنا نعتبرها حتى وقت قريب غير قابلة للتغلب عليها، من أجل خلق نوع جديد أكثر تطوراً من الإنسان العاقل: الإنسان المتميز والمتحول، وهو نوع ما بعد بشري متوفّق على نوعنا، يتّألف من كائنات موهوبة بشكل استثنائي تم اختيارها وراثياً وتصميمها وتحسينها، والتي -وفقاً لخيال الإنسانية المتحولة- سوف تهيمن على مستقبل ما بعد البشر وستكون أكثر سعادة، وأكثر فضيلة، وأطول عمراً وذكاءً منا. ثم إن الإنسانية المتحولة لا تسعى فقط إلى تحسين الإنسان، بل إلى تعزيز قدراته عبر التقنيات والتدخلات البيولوجية لجعل الحياة أفضل وربما أبدية، وعليه فالميزة الأساسية لها تكمن في تجاوز النموذج الطبي التقليدي العلاجي إلى نموذج يركز على تحسين أو تعزيز الإنسان. وعليه فإن حركة الإنسانية المتحولة تقترح وجهاً نظرياً مفادها أن تطور البشرية لابد وأن ينبع من طرف الانتخاب الطبيعي الأعمى، وأن يوجّه البشر أنفسهم، مستخدمين في ذلك التكنولوجيات الفائقة، من أجل تعزيز القدرات البشرية الفردية، وبالتالي تحويلها إلى مستويات تتجاوز بكثير القدرات الحالية، ومع ذلك أثارت هذه الحركة انتقادات شديدة بسبب ادعائها بأن التحولات التي تقترب منها سوف تؤدي إلى ظهور نوع جديد من البشر، وبالتالي فإن أهدافها تمثل انتهاكاً لمفهوم الإنسان، وبناء على ذلك نروم في هذه الدراسة إلى اقتراح أفكار لوك فيري كصيغة وسيلة في المنافسة العقائدية بين الفلسفه البيوتقدميين والبيومحافظين، بحيث يصبح من الممكن تطوير البحث العلمي والتقدم في التقنيات الجديدة، وإن كان ذلك دون الحاجة إلى التضحية بالطبيعة البشرية والكرامة والحقوق، وهم صفات متأصلة في الإنسان. وعليه تعد القضايا الأخلاقية وتأثير التقدم العلمي والتكنولوجي على التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعاتنا محوراً رئيسياً للفلسفة منذ قرون، وفي هذا السياق الفلسفـي، يضع لوك فيري نفسه ويجتهد في تقديم هذه الحركة التي يتزايد تأثيرها داخل الأوساط العلمية العالمية، وقام برسم موازنة بين الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني، حيث يرى أن كل التياران يعتمدان على نفس البنية: الإنترنـت، البيانات الضخمة، الذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، ولتوسيع رؤيته

يعرض الفيلسوف الأطروحت الرئيسية التي طورت في كلا المجالين -مع إبراز المؤيدة منها والمعارضة- دون أن يتحيز لأي منهما، ليختتم أفكاره بتوصيات موجهة لرؤساء الدول والممثليات السياسية العالمية المختلفة، فالحصن الوحيد في منظوره ضد الانحرافات الناجمة عن هذين التيارين هو وجود دولة قوية تستطيع ضبط الظواهر الناتجة عن التغيرات التي أحدثتها الإنسانية المتحولة.

الكلمات المفتاحية:

الإنسانية المتحولة، ما بعد الإنسانية، لوك فيري، الإنسان الفائق، العلوم المتقاربة.

Résumé :

Le mouvement transhumaniste est bien plus qu'une simple utopie, une nouvelle école de pensée ou une idéologie moderne. Il s'agit en réalité d'un projet scientifique et philosophique déjà en cours. Il prône l'utilisation des technologies émergentes les plus avancées – de la biogénétique à l'informatique, de la nanotechnologie aux sciences cognitives, en passant par la robotique et l'intelligence artificielle – avec l'objectif clair d'accroître considérablement les capacités physiques, cognitives, sensorielles, morales et émotionnelles des êtres humains. Cela est particulièrement important, car l'évolution humaine nécessite de s'éloigner du modèle anthropocentrique défendu par l'humanisme, afin de franchir les limites naturelles que nous avons longtemps considérées comme insurmontables, pour créer une nouvelle espèce plus avancée d'*Homo sapiens* : l'humain supérieur et transformé. Cette espèce post-humaine surpasserait notre espèce, composée d'êtres génétiquement sélectionnés, conçus et améliorés. Selon –l'imaginaire transhumaniste–, ces êtres domineront l'avenir post-humain et seront plus heureux, plus vertueux, plus longs-vivants et plus intelligents que nous. Le transhumanisme ne cherche pas uniquement à améliorer l'humanité, mais aussi à renforcer les capacités humaines à travers des technologies et des interventions biologiques pour rendre la vie meilleure et potentiellement éternelle. Son avantage clé réside dans le dépassement du modèle médical thérapeutique traditionnel au profit d'un modèle axé sur l'amélioration ou l'augmentation de l'être humain. Le mouvement transhumaniste propose ainsi que l'évolution de l'humanité soit arrachée aux mains de la sélection naturelle aveugle et dirigée par les humains eux-mêmes, utilisant des technologies avancées pour améliorer les capacités humaines individuelles, et les éléver ainsi à des niveaux bien au-delà des capacités actuelles.

Cependant, ce mouvement a suscité de vives critiques en raison de son affirmation selon laquelle les transformations proposées conduiront à l'émergence d'une nouvelle espèce humaine. Ses objectifs sont ainsi perçus comme une violation du concept d'humanité. Sur cette base, cette étude vise à proposer les idées de Luc Ferry comme une voie intermédiaire dans la compétition idéologique entre les philosophes bioprogressistes et bioconservateurs. Cela permettrait de développer la recherche scientifique et les avancées des nouvelles technologies, sans sacrifier la nature humaine, la dignité et les droits, qui sont des qualités inhérentes à l'homme. Ainsi, les enjeux éthiques et l'impact des progrès scientifiques et technologiques sur l'organisation socio-économique de nos sociétés constituent depuis des siècles un axe central de la philosophie. Dans ce contexte philosophique, Luc Ferry se positionne et s'efforce de présenter ce mouvement qui gagne en influence dans les cercles scientifiques mondiaux. Il établit un parallèle entre le transhumanisme et l'économie collaborative, en suggérant que ces deux courants reposent sur la même structure : l'internet, les mégadonnées, l'intelligence artificielle et l'impression 3D. Pour clarifier sa vision, le philosophe expose les principales thèses développées dans les deux domaines – en mettant en lumière les partisans comme les opposants – sans prendre parti. Il conclut ses réflexions par des recommandations adressées aux chefs d'État et aux différentes instances politiques mondiales. De son point de vue, le seul rempart contre les dérives engendrées par ces deux courants est l'existence d'un État fort, capable de réguler les phénomènes résultant des changements apportés par le transhumanisme.

Mots-clés :

Transhumanisme, Post-Humanisme, Luc Ferry, Surhumain, Sciences convergentes.

Abstract :

The movement of transhumanism is more than just a simple utopia, a new school of thought, or a modern ideology. It is, in fact, a scientific and philosophical project already underway. It advocates for the use of emerging cutting-edge technologies—from biogenetics to computing, nanotechnology to cognitive sciences, robotics, and artificial intelligence—with the clear

goal of significantly enhancing the physical, cognitive, sensory, moral, and emotional capacities of humans. This is especially important since human evolution necessitates a shift away from the anthropocentric model promoted by humanism. The aim is to transcend the natural limits we have long considered insurmountable to create a new, more advanced species of Homo sapiens: the superior and transformed human. This post-human species would surpass our kind, comprising genetically selected, designed, and enhanced beings. According to --the imagination of transhumanism--, these beings will dominate the post-human future, being happier, more virtuous, longer-lived, and more intelligent than us. Transhumanism does not merely seek to improve humanity but also aims to enhance human capacities through technologies and biological interventions to make life better and potentially eternal. Its key advantage lies in surpassing the traditional therapeutic medical model, focusing instead on human enhancement or augmentation. The transhumanist movement thus proposes that humanity's evolution must be wrested from the hands of blind natural selection and directed by humans themselves using advanced technologies to enhance individual human capacities, thereby elevating them far beyond current levels. However, this movement has sparked intense criticism due to its claim that the proposed transformations will lead to the emergence of a new species of humans. Its goals are therefore perceived as a violation of the concept of humanity. Based on this, this study aims to propose the ideas of Luc Ferry as a middle ground in the ideological competition between bioprogressive and bioconservative philosophers. This allows for the development of scientific research and advancements in new technologies without sacrificing human nature, dignity, and rights, which are inherent qualities of humanity. Thus, ethical issues and the impact of scientific and technological progress on the socio-economic organization of our societies have been central to philosophy for centuries. Within this philosophical context, Luc Ferry positions himself, striving to present this movement, which is gaining increasing influence within global scientific circles. He draws a parallel between transhumanism and the collaborative economy, suggesting that both currents rely on the same structure : the internet, big data, artificial intelligence, and 3D printing. To clarify his perspective, the philosopher outlines the main theses developed in both fields—highlighting both proponents and opponents—without bias. He concludes his thoughts with recommendations addressed to heads of state and various global

political bodies. From his perspective, the only safeguard against the deviations caused by these two currents is the presence of a strong state capable of regulating the phenomena resulting from the changes brought about by transhumanism.

Keywords:

Transhumanism, Post-Humanism, Luc Ferry, Superhuman, Converging Sciences.

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ